بسم الله الرحمن الرحيم

آفاق الحضارة الاسلامية

تصدر عن معهدالعلوم‌الانسانية والدراسات‌الثّقافيّة – وزارة التعليم العالي
عددان في‌السنة (نصف سنويّة)
العدد التاسع عشر، السنة العاشرة، ربيع الأول ١٤٢٨ هـ . ق
فروردين / ١٣٨٦ هـ. ش / ٢٢ / ٣ / ٢٠٠٧ م

رقم‌المنشورالقياسي‌الدولى ٦٨٢٢ ـ ١٥٦٢

▣ المديرالمسؤول: الدكتور مهدي گلشني (رئيس معهدالعلوم‌الإنسانيّة والدّراسات‌الثّقافيّة)
▣ تحت اشراف هيئة استشاريّة
▣ رئيس‌التحرير : الدكتور صادق آئينه‌وند
▣ مديرالتحرير : قيس آل قيس
▣ مديرالنشر: رحمت‌الله رحمت‌پور
▣ المطبوع : ١٠٠٠ نسخة
▣ المشرف الفنّي على الطباعة: سيد ابراهيم سيد علي
▣ المطبعة: شركة طباعة بهمن (طهران شارع الرّي الرقم ٨٦٦ ـ رقم الهاتف ٣٣٥٥٣٩٩١)
▣ الثمن: ٣٥٠٠ ريال
▣ الاشتراك السنوي: ٧٠٠٠ ريال
▣ العنوان: الجمهورية‌الاسلامية‌الايرانيّة
طهران، شارع كردستان، رقم ٦٤، الرقم البريدي ١٤٣٧٤
▣ الهاتف: طهران: ٨٨٠٥٣٩٣٤ و ٣-٨٨٠٤٦٨٩١، الفاكس: طهران: ٨٨٠٣٦٣١٧-
تلفاكس ٨٨٠٥٣٩٣٤

Email afaq @ ihcs.ac.ir
Email AL Kaiss @ ihcs.ac.ir
Email kaissalkaiss@yahoo.com

- الابحاث التي تنشر فيالمجلة لاتعبّر بالضرورة عن رأيها.
- ترتيب نشر المقالات يخضع لاعتبارات فنية.
- لهيئة التحرير الحق في اجراء ماتراه مناسباً من تعديل او حذف في المقالات ممّا لايمس جوهرالمضمون و لايخل بالمعنى.
- المجلة غير ملزمة باعادة المواد التي لاتنشرها الى اصحابها.

* * *

- كيفية الاشتراك: يرجى من الراغب في الاشتراك في المجلة أن يودع مبلغ الاشتراك في الحساب الجاري رقم ٩٠١٨٩ في (بانك ملي، شعبه سيد جمال‌الدين اسدآبادي) باسم (پژوهشگاه علوم انساني و مطالعات فرهنگي) على أن يرسل اصل الوصل الى مكتب المجلة مع اسم المشترك و عنوانه البريدى الكامل.

هيئة التحرير

١. الدكتور مهدي گلشني	استاذ
٢. الدكتور صادق آئينه‌وند	أستاذ
٣. الاستاذ قيس آل قيس	استاذ مساعد
٤. الدكتور سيد حسين ميرجليلى	استاذ مشارک
٥. الدكتور علي‌رضا ميرزا محمد	استاذ مشارک
٦. الدكتور عبدالحسين فرزاد	استاذ مشارک

الهيئة الاستشاريّة

١. الدكتور سيد أمير محمود أنوار	استاذ	جامعة طهران
٢. الدكتور حامد صدقي	استاذ مشارك	جامعةاعدادالمعلمين
٣. الدكتور سيد حميد طبيبيان	استاذ مشارك	معهدالعلوم الانسانيّة و الدراسات الثقافيّة
٤. الدكتور محمد ابراهيم خليفه شوشتري	استاذ مساعد	جامعة الشهيد بهشتى
٥. الاستاذ عبد العلي فيض الله زاده	استاذ مساعد	جامعة الشهيد بهشتى
٦. الدكتور محمدعلى لسانى فشاركي	استاذ مساعد	جامعة اعداد المدرسين
٧. الدكتور على ابوالخير	استاذ	جمهورية مصر العربية ـ القاهرة
٨. الدكتور أحمد راسم النفيس	استاذ	كلية الطب ـ جامعة المنصورة ـ جمهورية مصر العربية
٩. الدكتور علي العلي	استاذ	الكويت
١٠. الدكتور السيدمحمد علي القائم مقامي الحسيني النجفي	استاذ مساعد	جامعة اعداد المعلمين

أسرةالمجلة:

- الآنسة ناهيد فتحي: الكامپيوتر و الأنترنيت و المشاورة الفنية و الاتصال الدولي و الادارة.
- السيدة فاطمة مكداول: المراسلات و الأمور الادارية و العلاقات الداخلية و الخارجية

فهرست الموضوعات

ديباجة العدد / بقلم المدير المسؤول
الدكتور مهدي گلشني / رئيس معهد العلوم الانسانية والدراسات الثقافية ٩

كلمة العدد / «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة»
بقلم رئيس التحرير ١٣

الخصائص النبوية من القرآن الكريم
البروفيسور الدكتور أحمد علي الإمام/مستشار السيد رئيس الجمهورية السودانية ١٥

الرسول المصطفى: ثورة الكلمة المقدسة
الدكتور علي أبو الخير / جمهورية مصر العربية ٣٧

في حب آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)
الشيخ حسن الحسيني / مملكة البحرين ٦٧

حقيقة النبوة
الدكتور احمد راسم النفيس
الاستاذ بكلية الطب ـ جامعة المنصورة جمهورية مصر العربية ٧٣

قيادة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قراءة في الأسلوب والمنهج الإداري والقيادي
الأستاذ الدكتور علي العلي / استاذ جامعي ـ الكويت ٨٩

رسالة محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
الاستاذ حسين ادريس / الجمهورية العربية السورية ١٢١

مفكرو الغرب ورسول الإسلام الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)
الشيخ خميس حسن الشيخ علي / مملكة البحرين ١٢٧

الخصائص الثقافية في حياة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)
الدكتورة عائشة عبدالله الغبشاوي / استاذة جامعية ـ جمهورية السودان ١٣٣

النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) والمشهد الحضاري
الشيخ عبدالمجيد العصفور / مملكة البحرين ١٤٩

صفة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) الدبلوماسية
الدكتور سهيل حسين الفتلاوي / استاذ جامعي ـ جمهورية العراق ١٥٧

الحسنان (عليهما السلام) بين أحضان الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)
الدكتور علي ابوالخير / جمهورية مصر العربية ١٧١

الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في آراء الاستاذ المطهري
حجة الاسلام السيد سعيد الأعرجي / باحث في الشؤون الاسلامية ـ العراق ١٧٩

الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في القرآن والسنة
حجة الاسلام الشيخ شاكر الشيبي / باحث في الشؤون الاسلامية ـ العراق ٢٢٩

رسائل الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)
الدكتور صادق آئينه‌وند استاذ التاريخ في جامعة اعداد المدرسين ـ ايران ٢٧٥

ساعات مع الكاتب الشهير عباس محمود العقّاد وكتابه «عبقرية محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم)»
الدكتور عبدالغني ايرواني‌زاده / عضو الهيئة العلمية جامعة اصفهان ٢٨٩

أهمّ الملابسات الاجتماعية والسياسية بعد وفاة الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)
الدكتور عبدالعلي فيض‌الله‌زاده / استاذ الأدب العربي ـ جامعة الشهيد بهشتي ٣٠٧

افضل الاتّباع الاقتداء برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
الدكتور سيّد خليل باستان / جامعة العلامة الطباطبائي ـ كلية الآداب ٣٢٥

روائع الأمثال النبويّة
الدكتور علي رضا ميرزا محمد / معهد العلوم الانسانية والدراسات الثقافية ٣٤٣

مشاورة الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) اصحابه في غزوتي بدر و أُحد
الدكتور السيد كاظم العسكري / كلية أصول الدين ـ طهران ٣٦٩

دور الرّسول الأعظم في تفسير القرآن الكريم
الدكتور مرتضى الايرواني النّجفي / كليّة الهيّات ـ جامعة الفردوسي مشهد ٣٨٧

النبيُّ الأكرم في الشعر العربي المعاصر
الدكتور محمّد صالح شريف عسكري / جامعة اعداد المدرسين ـ طهران ٤١٣

المرأة في حياة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)
الدكتور محمود شكيب الأنصاري / استاذ جامعة الشهيد چمران ـ الأهواز ٤٣٣

معجزات النبيّ محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم)
الدكتور علي أوسط ابراهيمي / جامعة اعداد المدرسين ـ طهران ٤٦٣

كُـتّاب السّيرة النبوية الأوائل وحكاية سيرة ابن اسحاق
الدكتور صادق آئينه‌وند / استاذ تاريخ الاسلام جامعة اعداد المدرسين ـ طهران..... ٤٩٥

شخصية العدد :

حبيب الرسول الأعظم سيد الشهداء الامام الحسين (عليه السلام)
اعداد: مدير التحرير قيس آل قيس
لجنة التأليف في مؤسسة البلاغ ـ طهران ٥٠٥

نقد الكُتب :

النصاحة في تقويم كتاب نهج الفصاحة
الدكتور محمد علي قائم مقامي الحسيني النجفي/ جامعة اعداد المدرسين ـ طهرن... ٦٢١

أخبار ثقافية من العالم الاسلامي ٦٣٩

جولة بين الكُتب والمجلات ٧٥٥

ديباجة العدد

بقلم المدير المسؤول

في مستهل السنة الشمسيّة الراهنة، أصدر مرشد الثورة الاسلامية المعظم مرسوماً سمّىٰ بموجبه سنة ١٣٨٥ الشمسيّة سنة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، و جاءَ في هذا المرسوم:

«في يومنا هذا تحتاج الأُمة الإسلاميّة وشعبنا النبيل أكثر من أيّ زمنٍ مضىٰ إلى النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، تحتاج الى هدايته، الى بُشراه وتحذيراته، الى ندائه ورسالته ومعنوياته، الى العطف والرحمة والشفقة التي قدمها لنا وعلّمنا معناها. وأصبحت التعاليم التي قدّمها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للأُمّة الاسلامية تعاليم أُمميّة عمت كافة شعوب المعمورة، فهي ترشدنا الى كيفية الوصول الىٰ درجة عالم قوي ذي أخلاقٍ وكرامة ورحمة وعطوفة. وتعلمنا الجهاد والعزّة والمقاومة... نعم إنّ درس أخلاق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو درس عزّت النبي الأعظم، درس العلم والتعليم والتعلّم، درس الرحمة، ودرس الوحدة التي منحنا إياها ودرس الحياة بما فيها، وعلينا أن نجعل هذه الدروس برنامجاً نقتدي به في حياتنا اليومية.»

إن الباعث علىٰ هذه التسمية هو أن التهم قد وُجهت في السنوات الأخيرة إلى الدين الاسلامي الحنيف والىٰ الرسول الأعظم وقد روّج لها أعداء الاسلام ونشروها في اقطار

الدول الغربية، هذا من جهة، ومن جهة أُخرىٰ نرىٰ بعض ابناء الأمّة الاسلامية المجيدة قد تغاضوا وتقاعسوا عن بعض تعاليم النبيّ الأمجد ولا يخفى أهمية تلك التعاليم في رسوخ مقومات صرح الأمة الاسلامية.

في السنوات الأخيرة وجّه بعض ساسة البلاد الغربية وعدد من المحافل الدينية في تلك البلدان الى الاسلام والمسلمين انواع الإتهامات المشينة البذيئة والشتائم والمهاترات وضيّقوا الخناق على الجاليات الاسلامية في كافة الدول الغربية، كما تجرّأت بعض صحف تلك البلاد علىٰ نشر تصاوير كاريكاتورية وقحة تُسيء لقدسية الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم). ومن أجل تبرير وتعليل جريمتهم النكراء استمسكوا بذريعة حرية البيان واستقلال الصحافة.

أما السبب الحقيقي لهذه التصرفات الوقحة فيكمن في فزع ورهبة الغرب من الصحوة الدينيّة وازدهار شعوب الاقطار الاسلامية، ومن أجل هذا سلكوا طرق خرق المبادئ والتغلغل بين ابناء الشعوب الاسلامية، أو فرض حُكامٍ وحكوماتٍ تجري في المجاري التي أسسها لهم الأسياد من أجل ايقاف حركة عجلة التقدم والازدهار. ومن أجل الإساءة والتنكيل بالدين الحنيف والتشهير بالمسلمين ورسم صورة رديئة مكروهة للمسلمين في اذهان الشعوب الغربية. بدأوا بأعمال تضييق الخناق وفرض الحصار على الدول والمجتمعات الاسلامية، وأطلقوا لقب الارهابي، القاتل، سفّاك الدماء علىٰ كُلّ مسلم أبىٰ وأحجم وتعفف عن الإستسلام لأفكارهم وآرائهم البليدة.

تسمية هذا العام باسم الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) تمنحنا فرصة ذهبيّة كي نكترث بالأسباب التي أدّت الىٰ نجاح وموفقية الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في الصمود امام هجمات العدو الداخلي والخارجي في العصر الجاهلي الغابر، ونتعلّم دروس المقاومة من ذلك القائد العظيم.

نعم إنَّ الشعوب الاسلامية في عصرنا الراهن قد تباعدت عن أُسس وتعاليم الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبما أنَّ الرسول الأكرم مآب ومستند جميع الفرق الاسلامية فيجب

علىٰ أُمّة محمدٍ أن تلتف حوله كحزمة واحدة لاخلل فيها. والواجب الذي يأمر به الاسلام في يومنا هذا يؤكد علىٰ وحدة الصفوف والتأسّي بالنبي الكريم، ونبذ الخلافات والتفرقة بكافة انواعها، لأن الشعوب الاسلامية في وقتنا الراهن تحتاج الىٰ وحدة الصفوف اكثر من أي وقت مضىٰ.

وحدة الصف والثبات والوقوف بوجه الاعداء من شعائر الرسول الهامّة ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ (الفتح: ٢٩) والآن يجب على المسلمين أن يرسوا قواعد هذه الميّزات في شعوبهم ومجتمعاتهم لأن سر الموفقية يكمن في هذا المنطلق.

والركن الثاني هو أنَّ القرآن المجيد قد جعل الرسول الأعظم أسوة حسنة لكافة المسلمين «لقد كان لكم في رسول اللّهِ أُسوة حسنةٌ» (الأحزاب: ٢١) لذا فإنّ في تسمية هذه السنة باسم الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) تأكيداً علىٰ أنَّ المسلمين مكلفون بالاقتداء برسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) في كافة الأمور والمستجدّات وعلىٰ رأسها مكارم الأخلاق الّتي جعلها النبي الأكرم قمه هرم الرسالة:

«بُعثت لأُتمّمَ مكارمَ الأخلاق».

فقدان الأخلاق في عصرنا الراهن يُهدّد مستقبل البشرية ومع الأسف فقد بُليت المجتمعات الاسلامية بهذا الداء بلاءً شديداً. علىٰ هذا فإنَّ نشر السيرة الأخلاقية العملية للرسول الأعظم أنجع طرق انقاذ الجيل المعاصر والأجيال الآتية من معضلة فقدان الأخلاق في المجتمع الاسلامي. نعم إنّ فقدان الأخلاقِ في المجتمع حتىٰ اذا كان المجتمع متقدماً ماديّاً وعلمياً فلا هدوء ولاثبات ولا طمأنينة بتاتاً.

وأخيراً ومن أجل بناء مجتمع شامخ الرأس عالي الهمّة يعمل جاهداً مثابراً من أجل سموّ نداء القرآن «كلمة اللّه هي العُليا»، ونشر نداء الرسول الأعظم: «الاسلام يعلو ولا يُعلىٰ عليه» يجب على المسلمين ترسيخ قواعد الهيكل العلمي للمجتمع الاسلامي كي تتمكن الشعوب الاسلامية من صدّ هجمات جاهلية العصر الراهن والثبات امام هجمات

الشرق والغرب القاسية وضمان الاستقلال للبلاد واحياء الحضارة الاسلامية الزاهرة مما يليق بعصرنا هذا.

نعم إنّ تخصيص هذا العدد من مجلة آفاق الحضارة الاسلامية للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ما هو إلا خطوة صغيرة يُقدمها معهد العلوم الانسانية والدراسات الثقافية من أجل نشر افكار ومعتقدات وسيرة سيد المرسلين وحبيب ربِّ العالمين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ونرجو أن يتقبلها النبي الاعظم ويرتضيها البارئ جلّ وعلا.

والسلام على من يخدم الحقّ لذات الحقّ

الدكتور مهدي گلشني

رئيس معهد العلوم الانسانية والدراسات الثقافية

والمدير المسؤول لمجلة آفاق الحضارة الاسلامية

كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

بقلم رئيس التحرير

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

أعلن المرشد الأعلى للثورة الاسلامية سماحة آية الله العظمىٰ السيد علي الخامنهاي سنة ١٣٨٥ الشمسيّة الموافقة لسنة ١٤٢٧ القمريّة سنة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم).

وممّا لا شكَّ فيهِ أنَّ هذا المرسوم الصادر من قبل قائد الثورة الاسلامية يحمل في طياته الخير والبركة لكافة طبقات الشعب الايراني الغيور.

ولا يخفىٰ على صاحب أيّ بصيرة الهدف المنشود من هذه التسمية المباركة. نعم إنّ مغزىٰ هذه التسمية هو الإقتداء بالرسول الاكرم من قبل أبناء الشعب بكافة طبقاتهم، ومن المسؤولين بكافة درجاتهم ومناصبهم، وبكافة المجالات الادارية والقضائية والعسكرية والتعليميّة والسياسية والطبية والعائلية. وأن يجعلوا مفاد الآية الكريمة «لكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ» المثل الأعلى الذي يجب العمل به وعلى كافة المستويات.

وكان لمجلة آفاق الحضارة نصيب وقسط من هذه التسمية المباركة، ولهذا قرَّر المسؤولون في هذه المجلة أن يُصدروا عدداً خاصّاً بالرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) مشاركة منهم في هذا المسار الحقّ، حيث قدّمت هذه المجلة ممثّلة برئيسها البروفسور الدكتور مهدي گلشني طلباً الىٰ عدد من أساتذة الجامعات، وأصحاب الفضيلة العلماء، وكبار الكُتاب ذوي الاختصاص بتاريخ الاسلام والسيرة النبوية الشريفة، من داخل القطر

وخارجه، بارسال مقالاتهم الينا. وكان التأكيد على اركان الدين الأربعة: كتاب الله، وسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، والعقل والإجماع للشيعة، والقياس والإجماع للسُّنّة، والترجيح للسُّنّة النبوية الشريفة.

والواقع أنَّ سُنّة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت في زمن النبي وسيلة لحلّ المسائل المستجدّة، وأصبحت بعد ذلك مصدراً مهمّاً يعتمد عليه في كافة الأمور، ومن المتفق عليه إنّ تنفيذ أيّ قول أو فعل يكون طبق ما نشاهده في سنّة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، حيث تكون السُّنّة لنا المعين الذي نستخرج منه احكام الدين الاسلامي الحنيف. حتىٰ في الأمور المستجدّة في عصرنا الراهن تكون السُّنّة مصدرنا المهم ودليلنا في مواجهة الأحداث وكذلك في المجالات الشرعيّة والأحكام، وتسري ظلالها إلى الحضارة والثقافة والعلوم.

أما الاعتماد والإتكال على النظرة النبويّة الصائبة وخصوصاً نظرياته (صلى الله عليه وآله وسلم) حول الحضارة والثقافة والإزدهار والتقدم وطريقة التعامل مع الثقافات الحديثة فقد يكون مرتكزاً وأساساً يسوقنا نحو النمو والتطور والسمو.

واذا أخذنا بنظر الاعتبار هذا المرتكز والاساس وهذه القاعدة الواسعة فقد استغنينا عن التقليد وهاويته أوّلاً وتمسّكنا بكنه وماهيّة وجوهر السيرة النبويّة الشريفة وحصلنا على أُسس ثقافية وحضارية لا خلاف لها مع المعايير الدينية والفقهية.

نعم لقد منحتنا السُّنَّةُ النبويّةُ الأُنموذج والمثال للعيش الكريم والمجتمع المثالي والسلوك السياسي والتدبير الاقتصادي، فعلينا دراسة السيرة النبوية الشريفة دراسة تحليلية تطبيقيّة كي لا يُسيطر السلوك السلبي علينا ولا نستسلم للأفكار الإنحرافية والمبادئ الضالة، أو نستلهم منها ما اكتفىٰ به الاخباريون.

وفي الختام نتمنىٰ أن نكون في هذا العدد الخاص من هذه المجلة قد انتهجنا وتأسينا بالسيرة النبوية الشريفة وخطونا خطوة نحو الاستفادة من السيرة والتاريخ.

إنَّهُ وليُّ التوفيق

الدكتور صادق آئينه‌وند

الخصائص النبوية من القرآن الكريم

البروفيسور الدكتور أحمد علي الإمام

مستشار السيد رئيس الجمهورية السودانية

محمد رسول الله وخاتم النبيين

استهل هذا البحث بما سطره الإمام أبو زهرة في كتابه (خاتم النبيين) حيث قال:

يا رسول الله:

إن الله خلقك بشراً سوياً، ولكنك فوق البشر، وآثارك التي حملتها الأجيال من بعدك فوق القدر، ونحن معشر المتبعين لك ان كان فينا شرف هذا الاتباع انما ندرك بالتصوير أمثالنا. فمن خواطرنا ومنازع نفوسنا نتعرف نفوس غيرنا، ونحكم على أحوالهم، وان حاولنا أن ندرك من هو أعلى منا، فانه يجب أن يكون علوه على مرأى أنظارنا، وفي مطالع آفاقنا، فعندئذ نحاول وقد نصل، ولكنك يا رسول الله في علوه لا نصل اليه، وفي سماء لا نراها، وليس منا من يضاهيك حتى نتمثله ونتخيله، فأنى لأمثالنا أن يكتب في شانك، وأن يعلو الى شأنك، ان ذلك أمر فوق المنال، ويعلو على مدارك الخيال.

ومن أجل هذا نضرع الى الله أن ينالنا بغفرانه، وان تسامينا محاولين الوصول الى الكتابة فيك، فالمعذرة قائمة، والقصور ثابت، ولا يكلف الله نفسا إلّا وسعها.

يا رسول الله:

قد كتبنا في أئمة أعلام، قد قبسوا من نورك قبسة أو قبسات، أدركنا نورهم، وفقنا الله تعالى الى ما نحسب أننا قد وصلنا فيه الى ما يفيد بمقدار ما قبسوا كنا ندرك ما به

شرفوا، وما به أصابوا، واهتدوا.

فلما جئنا الى ساحتك وحاولنا أن ندخل اليها، غمرنا النور وكف أبصارنا الضوء المنير، فأنى ندرك وأنى نرى وقد صرنا كالذي رمد غمرة ضوء الشمس، أما ما هو أعلى فأصابتنا الحيرة ولا هادي لنا يخرجنا منها، إلّا أن تكون الهداية من الله تعالى كما أمر، اذ قال سبحانه ﴿قل ان هدى الله هو الهدى﴾ فليس لنا إلّا أن نلجأ اليه ضارعين أن يهدينا الى تصوير شخصك الطاهر المطهر، أو نقر به اذا كان التصوير فوق طاقتنا وأعلى من أن نصل اليه، فان التقريب يحل عند العجز محل التسديد، والعجز مغفور، والقاصر معذور، والله عفو غفور.

يا رسول الله:

اننا نكتب في العظماء لنصور نواحي عظمتهم ولكل عظيم ناحية واحدة من نواحي العظمة فالاتجاه الى تلك الناحية هو مفتاح عظمته، فتسهل معرفته، ولكنك يا رسول الله فوق عظمة الأشخاص، لأن وجوه عظمتك تعددت، حتى يعجز المحصي عن الاحصاء.

مولده ونسبه وتسميته (ﷺ):

تتفق معظم كتب السيرة النبوية على انه (ﷺ) ولد في ليلة الاثنين من شهر ربيع الأول لاثني عشر ليلة مضت منه وهو الموافق ليوم العشرين من نيسان أغسطس عام ٥٧١م.

سمته أمه السيدة آمنة بنت وهب باسم كما ورد في بعض الأخبار تحقيقا لرؤيا ظلت تراودها في المنام وهي حبلى وذكر بن اسحق عن طريق البيهقي في الدلائل ما نصه (وكانت أمه تحدث أنها أتيت حين حملت بمحمد فقيل لها اذا وقع فسميه محمداً فان اسمه في التوراة والانجيل احمد، يحمده أهل السماء وأهل الأرض واسمه في القرآن محمدا فسمته بذلك ولم يعرف اسم احمد قبله وانما عرف اسم محمد عند عدد قليل من العرب لما تواتر بان نبياً سيبعث اسمه محمد، وقد أرسلت الى جده عبدالمطلب تعلمه بولادة حفيده وباسمه فوافق على ذلك الاسم.

وهو كما ذكر المؤرخون ينحدر من اسماعيل بن ابراهيم (عليه السلام).

فـهـو:

(محمد ابن عبد الله بن عبدالمطلب واسمه شيبة الحمد بن هاشم واسمه عمرو بن عبدمناف واسمه المغيرة بن قصي واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كـعب بـن لؤي بـن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن اليأس بن مـضر بـن نزار بن معد بن عدنان.

ولقد ولد النبي (ﷺ) بمكه حاضرة الجزيرة العربية وقد مات أبوه وهو جنين في بطن أمه على القول المشهور، وقد صاحبت ولادته عدة ظواهر تعلن علو مكانته عما خالفه منها انفراد أمه آمنة الصبورة المطمئنة بنوع من الحمل فريد بعيد عما تواتر من سائر النساء من معاناة الحمل وتدرجه من وهن الى وهن وتعاظمه كرها وخروجه كرها فقد كان حملا خفيفا يعلن عن وجوده (ﷺ) على ظاهر الأرض كأمـر خـارق للـعادة مصاحب ببعض المشاهد السياسية العالمية التي وافقت هذا المولد، حيث تبدد حلم أبرهة الأشرم في دك أركان البيت الحرام دكاً دكاً.

فأصدر سبحانه وتعالى أمره الى نوع مخصص من الطير، أطلق عليه الله تعالى اسم ـ(طير أبابيل) هذا الطير يحمل في منقاره أسلحة دمار شامل وهي عبارة عن حجارة من سجيل، تعلن في صغر حجمها عن نسبة ضئيلة لا تعد مثقال ذرة من قدرة الله تعالى التي يقف العقل عاجزا عن تصور كنهها وادراك حقيقتها تلك اذاً الأسلحة الفتاكة.

تصرع ذلك الجيش العرمرم المدجج بأحدث أنواع الأسلحة المكون من اصـلب عناصر الرجال وأقواها الممتطي الفيلة ذات الحجم الضخم المريع مما يولج الخوف في قلوب العدو المصادم لهذا الجيش القوي فيتراجع رئيسه متكئا على مقولة رحم الله مَن عرف قدر نفسه، فيصدر الأوامر لأفراد قبيلته موجها اياهم بحمل ما خف وزنه وثقل ثمنه تحصناً بشعب مكة معللا فعله هذا بقوله (للبيت رب يحميه) وقد حماه الله سبحانه وتعالى حماية القوي العزيز حيث هلك الجيش وتساقط أفراده كأعجاز نخل خاوية.

وقد تزامن مع هذا الحدث ارهاص سياسي عالمي آخر اذ روته السيدة آمنة عندما خرج منها رسول الله (ﷺ) خرج معه نور أضاء لها قصور كسـرى والشـام واليـمن

ويقول مؤكدا هذا الحدث (أنا دعوة أبي ابراهيم، وبشرى عيسى، رأت أمي حين حملت بي نورا خرج منها أضاءت قصور بصرى وقصور الشام. وهذا الحدث وان كان سابقاً أو لاحقاً لمولده ففيه اشارة قوية الى هذا المولود ستحدث على يديه تغيرات سياسية وعسكرية جذرية تطال العالم بأسره وبما فيه المعسكرين السياسيين العظيمين معسكر الروم ومعسكر الفرس اللذان يمثلان أعظم واكبر قوة سياسية وعسكرية في ذلك الوقت هما شبيهان بمركز القوى العالمية في زماننا هذا كما ذكرت عدد من كتب المغازي والسير، مثل خبو نيران فارس مع سقوط عدد من شرفات قصر كسرى.

خرج (ﷺ) الى الحياة من رحم أمه، ساجداً لربه معلنا توحيده وعبادته لله وحده لا شريك له ومستنكراً للوثنية العالمية التي نصبت الأوثان والأصنام شريكاً لله تعالى فشوهت العبادة وصارت مسخاً هزيلا لا يسمن ولا يغني من جوع وكأنما يبلور هذا السجود تعجب الهدهد وامتعاضه من توجه رعية مملكة بلقيس لغير الله ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون* ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تُعلنون* الله لا اله الا هو رب العرش العظيم*﴾ النمل من ٢٤ ـ ٢٦، فهو (ﷺ) وكما حدثت السيدة آمنة الصدوقة قد نزل الى الأرض معتمدا على يديه وكأنه ابن سنة وقال بعضهم انه نزل جاثيا على ركبتيه وقد صاحب ذلك تمايل الأصنام وسقوطها على وجوهها بعد أن خرت وتزايلت عن اماكنها وكانما هي تعلن بفعلها هذا بزوغ فجر جديد في حياة البشرية يقضي على الاعتقادات الباطلة ويقوم المسار الروحي التعبدي حيث تتجه القلوب الى بارئها مسبحة بحمده تعالى فتهدأ النفوس ويستقيم مسار الاصلاح الروحي.

ارضاعه ونشأته:

يعد ارضاع الطفل خارج قريته احدى الموروثات التربوية للعرب، اذ يوكل ارضاع الأطفال الى أمهات مرضعات يفدن الى مكة مسقط رأس الرسول (ﷺ) من

مناطق متعددة أشهرها بادية بني سعد التي قدمت منها حليمة بنت ذويب التي أكرمها الله تعالى بأن جعل الله ثديها غذاء وسقاء الرسول (ﷺ) وقد اثبت الرسول (ﷺ) ذلك برده على أحد السائلين كما دون أبوغنيم بسنده عن تبعة بن عبدالله أن رجلا سال النبي (ﷺ) فقال: كيف كان أول شانك يا رسول الله فقال: (كانت حاضتني من بني سعد بن بكر). وللعرب الحاضرة حكمة عظيمة في تربية أبنائهم بالبادية حيث يكون الهواء نقيا والجو صحوا فتنموا الأجسام ويشتد عودها وتزداد قوتها وتكتسب قوة ومنعة تقاوم بها جميع الامراض والأوبئة، كما يتعود الأطفال على الاعتماد على النفس منذ الصغر بعيداً عن محيط الأسرة الذي يغلب عليه تدليل الأمهات والجدات، كما يتميز أهل البادية بلسان عربي مبين فينشأ الطفل على لغة سليمة ولسان قويم بعيداً عن اللحن وغيره من مفسدات النطق اللغة.

وفي تقديري أن ارضاع الرسول (ﷺ) خارج بيئة أولى أركان الخصائص الثقافية لحياة الرسول (ﷺ) وشكلت احدى الدعائم الأساسية لثقافة الرسول (ﷺ) فقوة اللغة وسلامتها ومعرفة ألفاظها وادراك أسرارها واجادة مجازها وبديعها وكل ألوان فنونها ومعانيها جعلت الحديث النبوي ينطلق منسابا نحو تركيز أعظم القيم وتفسير أدق المعاني العلمية في ايجاز علمي يعد معجزة في حد ذاته مما حدا بأبي بكر الصديق رضي الله عنه أن يقول مخاطبا الرسول: (ما رأيت أفصح منك يا رسول الله فقال (ﷺ) وما يمنعني أنا من قريش وأرضعت في بني سعد).

ويعلل الشيخ أبو زهرة عليه رحمة الله ارضاع الرسول (ﷺ) من غير أمه بالصدمة العاطفية التي تعرضت لها السيدة آمنة وذلك برحيل زوجها عنها وهي عروس في مطلع زواجها مما جعل معين اللبن ينضب في ثديها نسبة للحزن الدفين الذي كان يخيم عليها، فيصبح لبنها غير كاف لتغذية ابنها فاندفعت به الى المراضع، ولعل هذا التبرير من الشيخ أبوزهرة لا يسقط عادة أشراف العرب في ارضاع أبنائهم خارج ديارهم يؤكد

ذلك رواية (الروض الأنف)*.

وأما دفع قريش وغيرهم من أشراف العرب وأولادهم الى المراضع فقد يكون ذلك لوجوه احدها تفريغ النساء الى الأزواج، وقد يكون ذلك منهم لينشأ الطفل من الاعراب فيكون أفصح للسانه وأجلد لجسمه فهذا ونحوه كان يحملهم على دفع الرضعاء.

ويذكر الشيخ المقريزي أن الرسول (ﷺ) قد أرضعته أمه السيدة آمنة بنت وهب سبعة أيام ثم أرضعته ثويبة مولاة أبي لهب التي اعتقها مفاجأة لها على بشارته بابن أخيه محمد (ﷺ) بلبن مسروح أياما قلائل وقد أرضعت قبله عمه حمزة بن عبدالمطلب وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبدالأسد ثم أرضعته (أم كبشه) حليمة بنت ذويب عبدالله بن الحارث).

واستمر ارضاع السيدة حليمة لرسول الله (ﷺ) مدة عامين كاملين غمرته فيها بوابل من الرحمة العطف والحنان وشرعت تطعمه بالغذاء حتى صار غلاما حفلاً أي نشطا قويا ممتلئاً صحة وعافية. ويرجح الشيخ ابوزهرة أن أمه كانت تراه حينا بعد الآخر وان كانت الروايات التاريخية لم تثبت ذلك فان فطرة الأمومة وعواطفها المتدفقة تستوجب ذلك.

وتروي السيدة حليمة في ذلك مايلي: فلم يزل الله يرينا البركة نتعرفها حتى بلغ سنتين فكان يشب شبابا لا تشبه الغلمان فوالله ما بلغ السنتين صار غلاما حفرا فقدمنا به على أمه ونحن أضنى شيء به مما رأينا فيه من البركة فلما رأته أمه قلت لها دعينا نرجع بابننا هذه السنة الأخرى فانا نخشى عليه وباء مكة فوالله ما زلنا بها حتى قالت نعم فسرحته معنا فأقمنا به شهرين أو ثلاثة فبينما هو خلف بيوتنا مع أخ له من الرضاعة في بهم لنا جاء أخوه يستند قال ذاك اخى القرشي جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه فنجده قائماً ممتقعا لونه فاعتنقه أبوه وقال يا بني ما شأنك؟ قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض أضجعاني فشقا بطني ثم استخرجا منه

* . الروض الأنف في شرح غريب السير للشيخ الأمام أبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد السهيلي (عن كشف الظنون، ج ٢ ص ٩١٧ ـ التعليق لمدير تحرير المجلة).

شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا، فقال أبوه يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيب فانطلقي به نرده الى أهله قبل أن يظهر به نخوف.

قالت حليمة فاحتملناه فلم ترع أمه إلّا به فقدمنا به عليها فقالت ما ردّكما يا ظئر فقد كنتما عليه حريصين؟ فقالا لا والله إلّا أن اخبره، أدى عنا وقضينا الذي علينا وقلنا نخشى، الاتلاف والاحداث نرده الى أهله فقالت ما ذاك بكما فأصدقاني شانكما؟ فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره، فقالت أخشيتما عليه الشيطان؟ كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل، والله انه لكائن لابني هذا شان ألا أخبركما خبره؟ قالت: لي. قالت: حملت به فما حملت حملا قط أخف منه فرأيت في النوم حيث رأيت به كأنه خرج مني نور أضاءت له قصور الشام ثم وقع حين ولدته وقوعا ما يقعه المولود معتمدا على يديه رافعا رأسه الى السماء فدعاه عنكما.

ويؤكد الشيخ محمد بن السيد علوي أن هذا الحدث شق الصدر قد تكرر مرة ثانية وهو (ﷺ) في العاشرة من عمره وشق مرة ثالثة حيث نبأه جبريل بالوحي وأما الرابعة ففي ليلة الاسراء والمعراج كما جاء في الصحيحين.

نشأ (ﷺ) يتيماً اذ مات أبوه وهو حمل لم يتبين بعد، وكفله جده عبدالمطلب بعد موت أمه آمنة في نهاية زيارتها لأخوالها بالمدينة في منطقة الأبواء وبعد موت عبدالمطلب كفله شقيق أبيه عمه أبوطالب الذي أحبه ورعاه وقدمه وقربه اليه وصار المحور الذي يدور عليه ويحميه من اعتداء المعتدين وجور الجائرين وتعهد بحمايته من أذى المشركين بعد جهر بالدعوة وكان خير سند لرسول الله (ﷺ) قبل النبوة وبعدها الى أن وافته المنية.

ولعل في يتمه وتحوله من كفالة الى أخرى وكلما توثق ارتباطه بالكفيل رحل عنه مما يجعله أكثر حزنا ولنا أن نتمعن في حكمة هذا الأمر فالرسول (ﷺ) هو رسول رب العالمين لكل العاقلين في كل العاملين على اختلاف الألوان والأجناس واللغات والعادت والتقاليد ولعل السواد الأعظم من شعوب العالم من زمرة اليتامى والفقراء والمساكين وسائر المحرومين وخاصة اولائك الذين يفتقدون دفء حضن الأسرة

وحسن رعايتها ومحمد (ﷺ) من زمرة هؤلاء وهو معد من قبل الحق تعالى لأداء هذه الرسالة بمزايا سطرها الحق تعالى في قوله ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ التوبة ١٢٨ ينابيع الرحمة والرأفة هذه تدفقت من سويداء قلب مخضب بحرمان اليتم ومن هنا فقد تنادي الفقراء والمساكين واليتامى والمحرومين من سائر ألوان البشر والنساء والرقيق ملبين دعوة الحق شاهدين لا اله إلّا الله وان محمد رسول الله لان الذي ترعرع بين أحضان اليتم والحرمان يكون عظيم العطاء مرهف الاحساس يشعر حقيقة بالألم هذه الشريحة المتعاظمة من البشر لن يكمم أفواههم ولن يغتصب أموالهم ولن يستنزف جهدهم وسيسعى قصارى جهده في ارساء قواعد العدل والشورى وسيبسط أجنحة الأمن والسلام فينعم الجميع بالعيش الكريم وتتجه القلوب طواعية لعبادة الله رب العالمين اذن فقد شكل هذا اليتم احدى الخصائص الثقافية في حياة محمد (ﷺ) والتي ألقت بظلالها حينما صار قائدا ورئيسا لدولة المدينة. وقد حفظه ربه تعالى من نزوات الجاهلية وانحرافاتها فلم يسجد لصنم قط، ولم يشارك في أى لون من ألوان الفسق والمجون بل انزل عليه ربه النعاس أمنه من غشيان احدى بيوت الأفراح في مكة والتي تعالت فيها أصوات الزمر والغناء فنام قبل أن تطأ قدماه ارض ذلك الحفل وقد حدث ذلك في حياته مرتين.

ما بين الأمية وشق الصدر

الذي أجرى على الرسول (ﷺ) وهو ببادية بني سعد ولم يتجاوز الرابعة من عمره ليس حدثا عاديا وانما هو ملمح يحتاج لكثير من البحث والتحليل ويقود الى درجة من الايمان اليقيني بان محمدا (ﷺ) رسول حق من اله حق والعملية بالاستقراء التاريخي هي أول عملية قلب في العالم حيث لم يعرف الطب آنذاك شيئاً كهذا، وقد تمت بنفس الصورة التي تتم بها عمليات القلب في عصرنا هذا اذ شق الصدر من اعلى الى ادنى وخرج القلب وأجريت عليه التعديلات اللازمة لخاتم الأنبياء سيد ولد آدم أجمعين بالصورة التي تؤهله لأعلى درجات العصمة وأعظم درجات العلم وهو النبي الأمي،

ولعلها تحقيق لدعوة ابراهيم (عليه السلام):

﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم﴾.

والمراد من هذه الآية توجه سيدنا ابراهيم بالدعاء الخالص لله تعالى بان يبعث من صلب ذريته الممثلة في ابنه اسماعيل الذي تركه وأمه في واد مقفر غير ذى زرع عند بيته المحرم سبحانه وهذا تمام دعوة سيدنا ابراهيم لأهل الحرم والتي وافقت الاجابة من رب العالمين حيث بعث محمداً رسولا الى الأميين والأعجميين من الانس والجن كما ورد عن الامام احمد عن العرباض بن سارية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى عند الله لخاتم النبيين وان آدم لمجندل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى بى ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام).

اذن أول من نوه بذكره هو سيدنا ابراهيم ثم افصح عنه سيدنا عيسى وذلك في قوله ﴿واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾ (الصف الآية ٦) ولعل في اشارة عيسى (عليه السلام) ربط محكم بين مجيء النبي (صلى الله عليه وسلم) بعد عيسى (عليه السلام) ووصول دعوته ورسوخها بالشام ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلا للاسلام وأهله وبها ينزل عيسى بن مريم اذ ينزل بالمنارة الشرقية البيضاء من دمشق يؤكد ذلك ما جاء في الصحيحين ولا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك وفي صحيح البخاري فهم بالشام.

وقد استبعد الشيخ ابوزهرة حادثة شق الصدر بناءاً على ما ثبت في صحيح مسلم عن طريق حماد وابن سلمة عن ثابت عن انس بن مالك أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أتاه جبريل (عليه السلام) وهو يلعب مع الغلمان فأخذه وصرعه فشق قلبه فاستخرج منه علقة سوداء فقال هذا حظ الشيطان ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لامه ثم أعاده الى مكانه وجاء الغلمان يسعون الى أي ظئره فقالوا ان محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو

ممتقع اللون قال انس وقد كنت أرى ذلك الخيط في صدره.

وقد بني الشيخ ابوزهرة رأيه أولاً على أن الغسل بماء زمزم أمر مستحيل لبعد المكان عن ماء زمزم وثانياً لرؤية أثر المخيط على صدره (عليه السلام)، يقول الشيخ ابوزهرة: (اذا صحت الواقعة فان المعقول أنه عمل ملك والملك لا يكون لفعله أثر محسوس).

ونرد على الشيخ ابو زهرة بان حادثة شق الصدر قد تواترت في كتب المغازي والسير بحيث تصبح معلومة صحيحة صادقة وهي تدخل في محيط قدرة الله الخارقة والتي لا يعجزها شيء في الأرض ولا في السماء كما انه ليست هناك استحالة في احضار سيدنا جبريل (عليه السلام) لماء زمزم في معينه ولعل ظهور اثر المخيط لأصدق دليل على وقوع حادثة شق الصدر بل تأكيد لها واختلاف صيغ الرواية لا يقدح في صحة حدوث الفعل وهو شق الصدر.

وفي تقديري أن حادثة شق الصدر احدى خوارق العادات التي لازمت حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي ضرورة ملحة للربط بين أمية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك الكم الهائل من درر العلوم والفنون التي انتظمت في سنته القولية خاصة وقد جمعت خلاصة العلوم والحكم في صياغة عربية بليغة قليلة الكلمات عظيمة المعنى مثال ذلك خطبته (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكة حين أعلن الدعوة الجهرية حيث قال: (ان الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم والله الذي لا اله إلّا هو أني رسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة والله انكم لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالاحسان احساناً وبالسوء سوءا وانهاالجنة أبدا أو النار أبداً، فتكلم القوم كلاماً ليناً غير عمه أبي لهب فانه قال خذوا علي بدية قبل أن تجتمع عليكم العرب فان أسلمتموه اذا ذللتم وان منعتموه قتلتم فقال أبوطالب والله لنمنعه ما بقينا وانصرف الجميع).

وهكذا تحتوي هذه الجمل على معان جليلة بكلمات قليلة تصلح لتأليف كتب عظيمة الفائدة.

يقول الشيخ محمد الخطيب: (لم يسمع الناس بعد القرآن الكريم بكلام قد أعم نفعاً

ولا أصدق لفظاً ولا أعدل وزناً ولا أجمل مذهباً ولا أكرم مطلباً ولا أحسن موقعاً ولا أفصح عن معناه ولا أبين عن فحواه من كلام سيدنا محمد (ﷺ) لأنه الكلام الذي قلت حروفه وكثر معناه وجل عن الصفة وتنزّه عن التكلف ولم ينطق عن الهوى ان هو إلّا وحي يوحى علمه شديد القوى وألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول واجتمعت المهابة والحلاوة وكتب الناس عن فنونه المختلفة وضروبه المتنوعة).

والدارس الممحص في سيرة الرسول (ﷺ) يلاحظ ذلكم الكم الهائل من المعجزات العلمية والتي تناولتها أحاديث مختلفة أثبتها العلم التجريبي الحديث اذ صعب امكانية ادراكه بالوسائل البشرية في زمن أحاديث الرسول (ﷺ) وهذا الاعجاز شاهد على صدق رسالته وهو دليل علمي قاطع على نوعية الخصائص الثقافية في حياته (ﷺ) اذ اتسمت أحاديثه بقيمة علمية وأدبية ولغوية فما توجد عند مجموعة كبيرة من جهابذة العلماء وان كان الحق سبحانه وتعالى جعل القرآن متحدى به غير قابل للاتيان بمثله ولو آية... ناهيك عن سورة كذلك الحديث النبوي المبرأ من الهوى البشري والمدثر بالوحي الالهي اذ أن المحور الثقافي فيه متميز وأبلج كالشمس في وضح النهار.

وانك لعلى خلق عظيم:

ينطلق هذا الثناء الفريد من الخالق الفعال لما يريد على النبي (ﷺ) ويعجز التعبير عن قيمة هذه الكلمة العظيمة من رب الوجود وخالق الكون وحيوانه ونباته وجماده.

وهو سبحانه قد توج انسانه مخلوقاً عاقلاً مكلفاً بمعرفة ربه واتباع منهجه وتطبيق شرعه وخصص لذلك ثلة مختارة من البشر عرفوا بالرسل والأنبياء الذين هيأهم الله سبحانه وتعالى بالمؤهلات والمواصفات التي تمكنهم من أداء دورهم القيادي في التوجيه والارشاد الى طريق الحق والفلاح في الدنيا والفوز في الآخرة حيث ان قابلية الفرد من البشر لتحمل الرسالة يتطلب اعداداً الهياً محكماً، فدور الرسل منوط بتغيير المألوف في المجتمعات من عقائد باطلة وعادات سيئة وممارسات خاطئة مما يجعل

المجتمع المناط بذلك النبي يقف بكليته ويجمع شتات قوته لمواجهة ذلك البركان الثائر الذي يقوده النبي المرسل الى قومه.

ومن هنا فان جل الأنبياء ينفرد بخصائص ربانية ترفع مكانتهم عن مكانة البشر العاديين حيث العصمة التي تولد المناعة الروحية والسلوكية فتقاوم الانحراف الروحي والجسدي فيسمو النبي بشراً سوياً يمشي على قدمين ويأكل الطعام ويمشي في الأسواق ويتزوج النساء. لكنه كان بشراً فاذا كانت هذه صفة الرسل جميعاً فكيف بصفات خاتم النبيين وسيد المرسلين وقائد الغر المحجلين وأفضل بني آدم أجمعين سيدنا محمد (ﷺ) انه ذلك النبي الأمي الذي خاطبه خالقه وعالم حقيقته وموطد مكانته والعارف بمقدرته وبذله وعطائه وصبره ومثابرته ومكابدته لألوان المحن ومكائد الفتن التي ما تركت وسيلة من وسائل التصدي الغاشم لاثنائه عن اخراج قومه من الظلمات الى النور واتخذوها وتفننوا في تنفيذها ولكنه الصابر القائل: والله لو وضعوا الشمس عن يميني والقمر عن يساري على أن اترك هذا الأمر ما تركته أبداً حتى يظهره الله أو أموتن دونه ولعنا نتساءل من أين استمد الرسول (ﷺ) قوة الشكيمة وضراوة الهمة دون ان يخبو أمله أو يتبدد حلمه من شراسة المقاومة الشركية وبطء الاستجابة الايمانية ولكنه يؤكد تأكيد الواثق من نجاحات المستقبل (والله ليبلغ هذا الدين مبلغه حتى تخرج الظغينة من أقصى الشام الى الحجاز ولا تخشى إلّا الله لأنه (ﷺ) علم عن ربه ما يفوق علم جميع العالمين من حيث ربوبيته وألوهيته وقدرته وارادته وعلمه وجبروته وحسابه وعقابه وجنته وناره، تجلى ذلك من المشاهد الالهية التي مكنه الحق تعالى من مشاهدتها حقيقة ليلة أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى حيث يقول الله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير﴾ الاسراء «٢».

كما تجلى هذا الاعداد الرباني لشخصية الرسول (ﷺ) في قوله تعالى: ﴿والنجم اذا هوى.ما ضل صاحبكم وما غوى. وما ينطق عن الهوى. ان هو إلّا وحي يوحى. علمه شديد القوى. ذو مرة فاستوى. وهو بالأفق الأعلى. ثم دنا فتدلى. فكان قاب

قوسين أو أدنى. فأوحى الى عبده ما يوحى. ما كذب الفؤاد ما رأى. افتمارونه على ما يرى. ولقد رءاه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى. عندها جنة المأوى. اذ يغشى السدرة ما يغشى. ما زاغ البصر وما طغى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾

هذا الاصطفاء الرباني وهذه الرعاية المحكمة والتربية العظيمة الراسخة تجعل الحق سبحانه وتعالى يضع الرسالة بين يدى العبد المعد لتحمل كبدها والقادر على تبليغها لجميع العالمين ﴿ما أرسلناك إلّا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ لان الرسالة الخاتمة الشاملة لكل القضايا الانسانية الصالحة على مر الزمان واختلاف المواقع الجغرافية والألسن والألوان ولان الانسانية تتدرج على سلم الرقى والتنمية وبناء الحضارات وترسيخ القيم من خلال الرحمة التي ترفرف بأجنحتها فتضم العالمين كل العالمين ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾.

هذه الرحمة المهداة للعالمين كان من أميز خصائصها الثقافية ما تتمتع به نفس محمد (ﷺ) من الكمال الانساني الذي يجعله كفواً لحمل أعظم رسالة كونية، يسطر الشهيد سيد قطب في هذا المعنى ما نصه: (والناظر في هذه العقيدة كالناظر في سيرة رسولها يجد العنصر الاخلاقي بارزاً أصيلاً فيما تقوم عليه أصولها التشريعية وأصولها التهذيبية على السواء).

الدعوة الكبرى في هذه العقيدة الى الطهارة والنظافة والأمانة والصدق والعدل والرحمة والبر وحفظ العهد ومطابقة القول للقول ومطابقتهما معاً للنية والضمير والنهي عن الجور والظلم والخداع والغش واكل أموال الناس بالباطل والاعتداء على المحرمات والأعراض واشاعة الفاحشة بأية صورة من الصور والتشريعات في هذه العقيدة لحماية هذه الأسس وصيانة العنصر الاخلاقى في الشعور والسلوك وفي أعماق الضمير وفي واقع المجتمع وفي العلاقات الفردية والجماعة والدولية على السواء.

والرسول الكريم (ﷺ) يقول: (انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) فيلخص رسالته في هذا الهدف النبيل، وتتوارد أحاديثه تترى في الحث على كل خلق كريم، وتقوم سيرته الشخصية مثالاً حياً وصفحة نقية وصورة رفيعة تستحق من الله أن يقول

عنها في كتابه الخالد: ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾ فيمجد هذا الثناء نبيه كما يمجد به العنصر الاخلاقي في منهجه الذي جاء به هذا النبي الكريم ويشد به الأرض الى السماء ويعلق به قلوب الراغبين اليه سبحانه وهو يدلهم على ما يحب ويرضى من الخلق القويم.

هذا الاعتبار هو الاعتبار الفذ في أخلاقية الاسلام، فهي أخلاقية لم تنبع من البيئة ولا من اعتبارات أرضية اطلاقاً وهي لا تستمد ولا تعتمد على اعتبار من اعتبارات المصلحة أو الارتباطات التي كانت قائمة من الجيل انما تستمد من السماء وتعتمد على السماء، تستمد من هتافات السماء للأرض كي تتطلع الى الأفق وتستمتد من صفات الله المطلقة ليحفظها البشر من حدود الطاقة لكي يحققوا انسانيتهم العليا وكي يصبحوا أهلاً لتكريم الله لهم واستخلافهم في الأرض ولكي يتأهلوا للحياة الرفيعة الأخرى ﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾.

ومن ثم فهي غير مقيدة ولا محدودة بحدود من أي اعتبارات قائمة في الأرض انما هي طليقة ترتفع الى تقصي ما يطيقه البشر لأنها تتطلع الى تحقيق صفات الله الطليقة من كل حد ومن كل قيد.

ثم أنها ليست فضائل مفردة، صدق وأمانة وعدل ورحمة وبر وانما هي منهج متكامل، تتعاون فيه التربية التهذيبية مع الشرائع التنظيمية، وتقوم عليه فكرة الحياة كلها واتجاهاتها جميعاً وتنتهي في خاتمة المطاف الى الله لا الى اى اعتبار آخر من اعتبارات هذه الحياة.

وقد تمثلت هذه الأخلاق الاسلامية لكمالها وجمالها وتوازنها واستقامتها واضطرارها وثباتها في محمد (ﷺ) وتمثلت في ثناء الله العظيم وقوله: ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾.

ومن هنا فقد خيم هذا الخلق العظيم بأرجاء ركام يخرج الودق من خلاله ويسجل بأحرف من نور اثر الخلق في تكييف الدعوة وتوظيف المؤمنين واعداد مدرسة التربية الأخلاقية للصحابة فينطبع ذلك في نموذج ثقافي متعدد الألوان نادر المثال وهو نموذج يثير العجب ويحرك الصمت ويجعل الجميع يتطلعون بعد ان يتمعنون في قوله سبحانه:

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾.

وكي يتقبل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه الرسالة الجامعة ويؤدي واجبها الحتمي في التبليغ وانزال الحكم الشرعي الى حيز الواقع وشرحه قولاً وتنفيذه فعلاً تعهدته العناية الالهية بما سجل الحق سبحانه وتعالى في كتابه المحفوظ على مدى الأيام والدهور ﴿الم نشرح لك صدرك* ووضعنا عنك وزرك* الذي انقض ظهرك* ورفعنا لك ذكرك* فان مع العسر يسراً* ان مع العسر يسراً* فاذا فرغت فانصب* والى ربك فارغب﴾.

قال القاضي أبوالفضل: (هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه على عظيم نصحه لديه والهداية وشريف منزلته عنده وكرامته عليه بان شرح قلبه للايمان والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل أمور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين كله وحط عنه عهده أعباء الرسالة والنبوة ورفع ذكره وقرآنه مع اسمه)، قال قيادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلّا يقول اشهد أن لا اله إلّا الله وأن محمد رسول الله

هذا الاعداد الالهي المحكم وهذه التربية الربانية السامية وهذا السلوك الانساني الراقي جعل من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) نجماً ساطعاً في ليلة حالكة الدجى لأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) على تلك الدرجة من التطبيق العلمي لتوجيهات القرآن الأخلاقية ولفضائله القيمة مما حدا بالسيدة عائشة ان تقول عنه: (كان خلقه القرآن). كل ذلك ألقى بظلاله الوارفة على شخصه الكريم وعلى حصيلته الثقافية فأصبح (صلى الله عليه وآله وسلم) من الأحسنين أخلاقاً الموطئين أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون.

وقد كان لكريم خصاله وحسن معاملته ومعرفته الدقيقة لكل أنماط الطبع الانساني دور في تعدد طريقته في الدعوة الى الله تعالى وفي تنزيل القدوة البشرية الجاذبة والتي تجعل ألد الأعداد الذين يتربصون به ويتحينون قتله فيقابلونه بوجه كالح ما يفتأ أن يتحول الى محبة صادقة في اليوم الذي يليه لأنه كان على خلق عظيم مطبق على واقع الحياة مترجم في معاملات انسانية راقية بينه وبين قومه ومعاملات دبلوماسية سامية بينه وبين أفراد العالم الخارجي فينزل كل صاحب مكانة في مكانته حيث يرفع

شعار أكرموا عزيز قوم ذل ويخاطب الجميع بلسان عف لان المؤمن ليس بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذيء ويحارب الأنانية القاتلة والأثرة الماحقة فيقول: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه). لذلك انطبعت في كل القلوب محبة خالصة له ومودة قوية فيما بينهم وخيم على الجميع قوله تعالى: ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما الفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾.

وبعد، فاذا حصرنا أهم الخصائص الثقافية في حياة الرسول (ﷺ) في القرآن والسنة النبوية والشريعة فلعله من المعلوم من الدين بالضرورة انه (ﷺ) (ما ينطق عن الهوى ان هو إلّا وحي يوحى) والوحي لغة هو الاعلام السريع الخفي وهو في لسان الشرع الطريقة التي اعلم الله بها من اصطفاه من عباده بكل ما أراد ابلاغه عليه من ألوان الهداية والعلم بطريقة سرية غير معتادة لبشر مع الوعي والادراك التام لكل ما يتلقى.

ومن هنا فاننا نستنتج استيعاب القرآن لكل العلوم ووحيه الى رسوله (ﷺ) جعل عقلية الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام عقلية جامعة لكل الوان العلوم والمعارف وعقلية جبارة ثاقبة ودراسة ممحصة مما جعل وجدانه يسبح في عالم الملكوت الأعلى في حالة من الاندهاش والتعجب تجعل عقله ينبض علماً. وقد انعكس ذلك بصورة واضحة في أحاديثه النبوية التي تجسد فيها الكثير من ملامح الاعجاز العلمي مثل معجزة وصف الجنين وأطواره العلمية التي يمر بها، وتحديد نوع الجنين في قوله: (من كل يخلق الانسان من نطفة الرجل ونطفة المرأة) وحديثه عن معالجة الأمراض والذي جاء فيه: (ن الله انزل الداء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تتداووا بحرام).

وحديثه (ﷺ) الذي تحقق الآن في كثير من بلاد الاسلام: (سوف تتداعى على الأمم كما تتداعى القصيصة على أكلتها قالوا عن قلة يا رسول الله قال: لا بل انتم كثر ولكنكم غثاء كغثاء السيل). وقوله: (كلوا الزيت وادهنوا به فانه مبارك). وقوله: (الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين). الى غيرها من الأحاديث الكثيرة ذات الاعجاز العلمي وهو (ﷺ) القائل: (أوتيت القرآن ومثله معه). نستخلص مما سبق أن القرآن والمستقرئ عن الاستقراء، اذا نفدت الطاقة أقر مطمئناً بعجزه، ومؤمناً بأن وجودك في هذا

الوجود معجزة البشر، ولست في كونك إلّا بشراً، فلست الهاً، ولست ملكا من الملائكة، فانك في مقام أعلى من سائر البشر، وصانك ربك وحفظك ورباك على عينه، حتى كنت وحيدا بين الغلمان، بما كلأك الله به وحماك، وصبياً فريداً بين الصبيان، وكنت الشاب الأمين عن رجس الجاهلية بين الشباب، فكل شيء في حياتك الأولى من الخوارق التي علت عن الأسباب والمسببات، فلم تكن اثر تربية موجهة، ولا اثر بيئة حاملة، ولا اثر شرف رفيع، وان كان محققاً، ولكنك كنت صنيع الله فكنت معجزة بشخصك وكونك ووجودك، فيك البشرية وفيك المعجزة الالهية (الله يعلم حيث يجعل رسالته).

يا رسول يا خير البشر

كنت ذا الخلق القوي والحكيم، والسياسي الحكيم، والقائد العظيم، والحاكم الرفيق، والمربي لامتك بالشورى، والوحي ينزل اليك، وكنت الرؤف بامتك، والمحارب الرحيم، وحامل لواء السلام في مرحمة النبي، وعزة القوى، انشأ ـ جماعة مؤمنة ابتدأ ـ بها بذرا صالحاً، واخذ ينمو في بيئتك الطاهرة، مختفياً في خلايا الايمان، حتى اخرج شطأه فظهر متعرضا لمقاومة الحدثان، قوياً حتى استغلظ واستوى على سوقه، وصار قوة الحق في الأرض، وكنت كما قال الله تعالى:

قال تعالى ﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما**﴾ (سورة الفتح ٢٩).

معذرة يا سيدى يا رسول الله فان اليراع يقف عاجزا وتنحبس الكلمات مهابة واحتراماً للخوض في مقامك الكريم، حيث أن قامتك السامقة التي تتصل بنداء السماء، وحيث أن شخصك المرتبط بعالم الملائكة وحيث أن تربيتك ومنشأك وعصمتك قد تولاها الله الذي اصطفاك وقد ترجمت ذلك بقولك (أدبني ربي فأحسن تأديبي) فكنت

انسانا تمثل فيك المنهج الرباني فصيرك قرآنا تمشي على قدمين.

أنى لنا يا سيدي يا رسول الله أن نشرئب في تحليل جانب من جوانب حياتك الفذة الفريدة فان هديك الذي غطى كل جوانب الحياة ما هو إلّا ﴿مشكاة فيا مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾ النور ٣٥ / ٣٦.

أنت يا سيدى يا رسول الله مشيد البيوت المعطرة بالأنفاس الذكية والألسن الرطبة والوجوه المضيئة والقلوب المترنحة بتسبيح الله وتقديسه وتحقيق وتوحيد ألوهيته ومحاربة التوجه لغيره ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه... يسبح له فيها بالغذو والآصال﴾ النور ٣٦ أنت أيها الحبيب مؤسس مدرسة الصحابة تخرج فيها شوامخ الرجال الذين صقلت أرواحهم وتطهرت أجسادهم وبرز نبوغهم فاكتسحوا ميادين الحياة وتخرجوا في ألوان العلوم والفنون المختلفة ما ارتادوا ساحة من الساحات إلّا أمطروها بوابل من تجربتهم النيرة هؤلاء الذين ﴿لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ سورة النور ٣٧ / ٣٨.

معذرة يا سيدى يا رسول الله فاننى أود أن أسطر شيئاً عن الخصائص الثقافية في حياتك وأرى أن الثقافة تتوارى حياءاً منك فأنت الثقافة كلها وأنت العلم وان ربك سبحانه وتعالى خاطب العاقلين من خلقه وقال ﴿وما أوتيتم من العلم إلّا قليلا﴾ فوهبك الله. جوامع الكلم وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك كثيراً.. ومن هذا المنطلق فانى أمحص النظر في استخلاص هذه الخصائص التي هي عبارة عن هبات ربانية عظيمة لأفضل الخلق محمد رسول الله واحدى هذه الخصائص قولك (أتاني الليلة ربي في أحسن صورة احسبه في المنام قال كذا في الحديث فقال: يا محمد أتدري فيما اختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا قال: فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها في ثديي أو قال في نحرى فعلمت ما في السماوات والأرض قال: يا محمد أتدري فيما يختصم الملأ الأعلى؟

قلت نعم قال: في الكفارات والكفارات في المكث في المساجد بعد الصلوات والمشي على الأقدام في الجماعات واسباغ الوضوء في المكاره ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيئته يوم ولدته أمه وقال: يا محمد اذا صليت فقل: (اللهم انى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني اليك غير مفتون).

قال والدرجات افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام ومن الخصائص الثقافية في حياتك حادث شق الصدر وحشوه بجوامع الكلم ومنتهى الحكمة، وبعد وقبل ان أختم هذه المقدمة نعرج لتعريف الثقافة التي تضاربت تعريفها وعجز العلماء عن ضبط هذه الكلمة للمعاني الكثيرة التي تحويها والتداخل بينها وبين الحضارة والعلم.

أما الثقافة الاسلامية فهي الصورة الحية للأمة الاسلامية التي تحدد ملامح شخصيتها وقوام وجودها وهي التي تضبط سيرها في الحياة وتحدد اتجاهها فيه، انها عقيدتها التي تؤمن بها ومبادئها التي تحرص عليها، وكذلك تعمل على التزامها وتراثها الذي تخشى عليه من الضياع والاندثار وفكرها الذي تود له الذيوع والانتشار) وتختلف الثقافة بوجه عام عن الثقافة والعلم والمدنية وما الثقافة الاسلامية إلّا طراز خاص لتصور الحياة والكون بانسانه وحيوانه وجماده والعقيدة والقيم الشرعية التي يجب أن تسود فيه فتميزه عن سائر بني الانسان في سائر بقاع الأرض وتجعل منه ذلك النموذج المحتذى كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر.

وقد كانت رسالة الاسلام على يد رسولنا محمد (ﷺ) بقوله أعظم مواجهة ثقافية حيرت جبابرة اللغة وعلمائها عبر عنها الوليد بن المغيرة (والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى عليه شيء) والرسول (ﷺ) هو إمام العلماء والمثقفين وقائد الغرالمحجلين وشفيع الأولين والآخرين عليه أفضل الصلاة والتسليم.

وكذلك السنة الشريفة فقد حفلتا بكل ما يتعلق بعلم الانسان والحيوان والنبات والكون لذلك فهما الدعامة الأولى للخصائص المميزة لثقافة الرسول (ﷺ) والله اعلم.

أهم مصادر البحث:

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ السنة النبوية.
٣ ـ في ظلال القرآن لسيد قطب.
٤ ـ تفسير العلي القدير لاختصار ابن كثير للرفاعي.
٥ ـ تفسير الشعراوي: الشعراوي.
٦ ـ الفاء بتعريف حقوق المصطفى.
٧ ـ السيرة النبوية في صور المصادر. مهدى رزق الله
٨ ـ خطب الرسول (ﷺ)، محمد خليل الخطيب.
٩ ـ الأصول الفكرية للثقافة الاسلامية، د. الخادي.
١٠ ـ خاتم النبيين، الشيخ ابوزهرة.
١١ ـ شخصية الرسول، احمد الشبلى.
١٢ ـ امتاع الاسماع، الشيخ المقريزى.
١٣ ـ الاعجاز العلمى في السنة، د. زغلول النجار.
١٤ ـ بينات الرسول (ﷺ) ومعجزاته، الشيخ الزندانى.
١٥ ـ تاريخ الحوادث والأحوال النبوية، الشيخ محمد المالك.
١٦ ـ التوحيد بين التصور القرآني والعلم، رسالة دكتوراه، عائشة الغبشاوي.

٢ شعبان ١٤٢٧ هـ

٢٦ أغسطس ٢٠٠٦ م

السيد وكيل وزارة الخارجية

حفظها الله تعالى وتولاها باحسان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الموضوع: الاساءة الى النبي ﷺ

بالاشارة الى خطابكم رقم: وخ / ثقافي / ١١ / ٤ / ٢ / ٨ نرجو ابلاغ سفارتنا بطهران تقبل البروفيسور أحمد علي الامام مستشار رئيس الجمهورية لدعوة دورية (آفاق الحضارة الاسلامية) المحكمة مشاركته في اصدار عدد خاص حول شخصية النبي(ﷺ)، بمقال محكم حول هذا الموضوع (مرفق) ناقلين الى معهد العلوم الانسانية والدراسات الثقافية بوزارة التعليم العالي شكره على هذه الدعوة الكريمة للمشاركة.

فتح الرحمن حسن محمد صالح

مدير مكتب مستشار رئيس الجمهورية

الرسول المصطفى: ثورة الكلمة المقدسة

الدكتور علي أبو الخير

جمهورية مصر العربية

مقدمة

ان الثورة التي جاء بها الرسول (ﷺ) ثورة لا تقلب أوضاع المجتمع وتجبر الناس على الدخول في الملكوت قسراً، فهي ثورة العدل لكي يتيسر التوحيد، وثورة من أجل المساواة بين البشر لكي يختفي الظلم، وثورة من أجل الكلمة التي هي سلاح الأنبياء جميعاً. الثورة القرآنية ليست كأي ثورة سابقة أو لاحقة، فمعظم الثورات في التاريخ انحصرت أفكارها في قلب أنظمة الحكم ونشر فكرها على اعتقاد أنها الوحيدة التي تمتلك الحق المطلق. الثورة القرآنية حددت معالمها في حوارات مستمرة مع المختلفين في العقائد والمذاهب والأفكار والرؤى، حوارات القرآن الكريم أكدت وجود مثلها حتى بين الله سبحانه وتعالى وبين الشيطان، الله العظيم المتعال حاور ابليس المتمرد فقال له ابليس «فبعزتك لأغوينهم أجمعين..» ويرد الحق سبحانه عليه: «ان عبادي ليس لك عليهم سلطان إلّا من اتبعك من الغاوين»، الى هذه الدرجة يكون الحوار، وبهذه الدرجة من الحرية كانت ثورية القرآن وثورية الداعي لها هو شخص رسول الله (ﷺ).

كما أن هناك اختلافاً جوهرياً بين الثورات الاصلاحية والثورات الرأسمالية، هو أن الثورات الاصلاحية تنبع في البداية من الاحتقانات السياسية أو الاقتصادية الطبقية فتثور الجماهير وتندفع بعد أن تجد قادة لها لتحطم ما يعترض طريقها فتأخذ البريء بالمذنب

وتنشر الارهاب وتقيم المشانق والمحارق والمقاصل، ومن ثم تحتاج الثورة الى ثورة، الثورة تبدأ ثم تبحث عن قائد أوقواد لها؛ فالثورات الاجتماعية تبدأ من أسفل بسبب الصراعات الأرضية.

ولكن الثورة الرسالة تأتي من أعلى؛ من عند الله سبحانه؛ تبدأ هادئة واعدة من نبي يرسله الله فيأخذ الناس بالهوادة والرفق والمحبة والاخلاص، وهذا ما حدث مع رسول الله بدأ بدعوة أقرب الناس اليه بمجرد أن تلقى كلمات الوحي، فصار بيت رسول الله مؤمنا بعد أن عاد من غار حراء، آمنت خديجة رضوان الله عليها، وآمن علي (عليه السلام) وآمن زيد وميسرة وأم أيمن، فالجماعة الاسلامية بدأت من بيت صاحبها وتماشت مع فطرة الانسان فبعد البيت أنذر العشيرة الأقربين، ثم الى المجتمع بأسره؛ ثم الى العالم أجمع، علماً بأن مجتمع قريش لم يكن فيه أي بادرة تؤكد انه يعيش احتقان ديني أو اقتصادي أو طبقي؛ فالسادة المترفون يعيشون حياتهم، والعبيد أبعد الناس عن التفكير في تحريك هذا المجتمع، فقد تعودوا عليه وصار من ضمن مسلماتهم المقدسة، وهنا تختلف ثورية دين الاسلام عن أي ثورية اصلاحية أخرى سبقتها أم جاءت بعدها، فحركت الكلمات المجتمع وبدأ المستضعفون تهفو نفوسهم الى هذه الكلمات، ويكادون يقول لأنفسهم: هل صحيح أننا وسادتنا في الدنيا وأمام الله في الآخرة سواء؟ هل من المعقول أن نعيش أحراراً كما خلقنا الله الذي أرسل محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ وكلها تساؤلات أحيت المجتمع وحركت قياداته ودهماءه على السواء.

الثورة القرآنية اذن تأتي من أعلى بعكس كل الثورات الأرضية، وفي الوقت نفسه فان تلك الثورة الرسالة تطبق على الأرض، على البشر لا في السماء ولكنها توصل الأرض بالسماء في صلة دائمة روحية خالدة تمزج السياسة بالروح، وتربط أوليات الدعوة بضرورات الثورة؛ والفقه الذي جاء به القرآن هو فقه ثائر يأبى أن ينظر للحاكم الظالم، ويرفض أن يتخذه أي ملك مطية لأهوائه، فقه ثوري يناطح الحاكم ويرفق بالمحكوم حتى لو كان مذنباً، فقه يرتوي من أصل الدعوة ليروي المحرومين.

ان كتابتنا عن النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ستقتصر على بعض ملامح ثورية دعوته، وهي

ثورية لم تترك جانبا من جوانب الحياة إلّا خاضت فيه، ثورة في الاصطفاء، وثورة في السياسة وثورة للمستضعفين وثورة المرأة وثورة المستقبل وغيرها، وخلاصتها ثورة الكلمة المقدسة؛ هي الثورية التي ابتعد عنها المسلمين معظم تاريخهم، لذلك سنعمل على ابراز الجوانب الثورية، وما حدث للمسلمين بعد ابتعادهم عن المنهج النبوي الثوري، الثوري كما شرحناه آنفاً، وليس الثوري بالمفهوم العامي؛ وقبل ذلك الحديث عن كيفية تحرير الخطاب الديني على أساس تلك الثورية القائمة على الايمان.

١ ـ ثورة الايمان لتحرير الخطاب الديني

يرجع طرح موضوع الخطاب الديني على ساحة البحث نتيجة ظرفين معاصرين: هما التهديد الخارجي للأمة الاسلامية بأسرها؛ والثاني الاستبداد الداخلي للأنظمة الاسلامية، ومن شأن هذين الظرفين أن يتم طرح تجديد الخطاب الديني على ساحة البحث العلمي والاجتهادي، وفي غمرة هذا الطرح نسى الباحثون ان قضية تجديد الخطاب الديني الاسلامي قد فرضت على الأمة فرضا لأنها لم تكن مطروحة بشكل جدي كما هي الآن، كما ان معظم الكتابات التي تفلسف او تنظر لقضية التجديد تنصب على ايضاح صورة الاسلام الحقيقية للغرب، لذلك فمعظم هذه الكتابات جاءت لكي تدافع وتغازل الغير وهي صورة سلبية لأن المطلوب هو تجديد الخطاب من اجل الذات، من اجل الأمة ومشروعها الحضاري، ومن الطبيعي من خلال هذا الطرح الايجابي من الداخل سيستدعى التعامل مع ما يروج ضد الاسلام في الغرب، ولكن الأجدى أن يكون التجديد ودعوته نابعة أصلاً من الادراك الشامل ان الخطاب الديني الاسلامي مرتبط بحياة المسلمين الواقعية، وأن هناك مشاكل كامنة متأصلة في هذا الخطاب يعود بعضها لأكثر من ألف عام؛ والصدق في طرح هذه المشاكل والعيوب يكون مقدمة للتجديد، والصورة الايجابية هي أن وضع المشاكل على موائد البحث بشفافية ستعطى الباحثين قدراً كبيراً من وضوح الرؤية لاتخاذ خطواتهم الجدية في التجديد المفترض، فالتجديد كما نراه ليس في وضع برامج تدريب لخطباء المساجد لأن برامج التدريب نفسها تحتاج الى

تجديد، والتجديد كذلك ليس نقداً للخطاب الاسلامي المعاصر لأن الخطاب الاسلامي القديم يحتاج أيضاً الى نقد، كما أن التجديد لا يمكن ان يقوم به رجالات المؤسسات الدينية وحدهم لأن هؤلاء الرجال بما لهم من احترام يقعون في الدائرة المحظورة التاريخية من وضع عيونهم على الساسة قبل قول كلمتهم، وهم جميعاً يستقون أفكارهم من الموروث الفقهي ذي المرجعيات السياسية، وسوف نوضح هذه الأمور جميعاً، فالتجديد ليس كما يراه الكثيرون من دعوى خطاب منبري أو نقدي معاصر أو تحسر على ماضي ولكن التجديد هو مشروع حضاري متكمل يشمل التربية واحياء العقل النقدي ووضع التراث الاسلامي بأثره على مائدة البحث بكل مشاكله وعيوبه واخفاقاته وجذوره ورفع القيود الفكرية التي حاصرت الخطاب الديني، ومن ثم ثورة لتحرير الخطاب، والتحرير هو ما نقصده لا التجديد لأن التجديد يعتبر ان البناء لا يحتاج إلّا لترميم أو ايداع بعض لوازم ما يحتاجه؛ وكلمة التجديد لا تفي بالغرض طالما أن النقد سيطول الكثير مما اعتبره الناس من المسلمات المقدسة ولكنها أبداً ليست كذلك كما سنرى، ولكن التحرير يعني رفض ما ليس في الخطاب القرآني والنبوي وتقديمه للناس في صورته الحقيقية الرسالية كما كان الأمر في عصر النبوة، وعملية التحرير ستطول الكثير من عوائق فكرية مستمدة من تراث لا يمت للاسلام بصلة حتى لو ادعى غير ذلك؛ والتحرير عملية بناء شاملة للانسان، كما أن التحرير ليس المقصود منه الرفاهية الاقتصادية كما في الحضارة الغربية وان كان حتماً سيقود اليها؛ والتحرير كذلك يأتي بأفكار قرآنية رسالية تتخطى الانسان المسلم لتشمل الانسان على اختلاف دياناته ومذاهبه وشرائعه، لأن الاسلام هو خاتم الرسالات فلابد أن يكون مبشراً بتحرير الانسان مهما كان موقعه وهذا يكون على أسس ايمانية؛ والخطاب الديني يحتاج الى تعريف والى قائمين على تحريره قبل كل شيء.

فالخطاب الديني في حد ذاته نظام لغوي ونظام يتعلق بالبناء الفكري ككل[١]، أو هو مجموعة القيم والمبادئ والأفكار التي احتواها القرآن الكريم وتقديمها للناس المسلمين وغيرهم على أن هذا هو الدين، أو هو الفكر الذي يتبناه العالم ليقدمه لغيره، ولكن

الخطاب الديني يستلزم رجالاً يفهمون شمولية الاسلام ورساليته فهماً عميقاً يقوم على أسسه القرآنية والأوضاع الماضوية والمعاصرة التي عاشتها الأمة وتعيشها ليكون لحديثهم مصداقية للمتلقى لحديثهم ثم الاستبشار بالمستقبل.

كل هذا جيد ولكن لا يخفى أن قسماً من تاريخ الانسان انما هو تحول معتقداته وتصوراته، فهل يبقى ادراك الانسان على حال واحدة طوال التاريخ؟ وهل كانت معتقدات أية أمة وسلوكها الديني على نمط واحد؟[٢] ان كل هذا الاختلاف في الآراء بين أتباع الديانات وأصحاب الأفكار المختلفة عبر التاريخ، بل كل الاختلافات الأساسية بين مذاهب الدين الواحد، بل أيضاً كل التعارض الفكري بين فئة المذهب الواحد، كلها تدل على استحالة أن يدعى أحد الاحاطة بالحقيقة كاملة، ولنضرب الاسلام مثلاً، فأي اسلام نريد ونعنى حين نتحدث عن الاسلام؟ اسلام أبي ذر؟ أم اسلام ابن سينا؟ اسلام الغزالي أم ابن تيمية، اسلام الظاهرية أم الامامية؟[٣] كل هذه شواهد تاريخية تدل على وجود نسبية معرفية لدى الانسان حتى عن الدين نفسه ومن ثم فان الخطاب الديني لابد أن يختلف رجالاته حسب مذهب أو فكر الداعي له أو حسب انتمائه المعرفي، ومن هنا يجب أن يكون الخطاب الديني يتبنى القضايا التي لا خلاف عليها بين المسلمين فمثلاً الآية الكريمة ﴿ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾[٤] هي موضع اتفاق بين المسلمين، بل بين بني البشر جميعاً، وكل رسالات السماء وحتى الأفكار الأرضية تتفق على أن العدل هو بحث انساني دائم ناشد للمثال، وكل حركات التحرر قامت من أجل العدل وتطبيقه، ونبذ البغي والمنكر والفحشاء، ولكن تبقى اشكالية تحقيق العدل في اطاره العملي؛ لأنه نابع عن التطبيق الانساني لهذا العدل الالهي في صورته الأرضية وليس في ملكوت الله، فاذا لم يطبق العدل اختل النظام الكوني، ولهذا فان الدعوة النظرية لتحقيق العدل تتطلب الدعوة الى نظام متكامل صالح للتطبيق، وهنا يكون الخطاب في مضمونه العام دعوة سياسية لأن العدل لن يتحقق إلّا بالنظام السياسي الذي يحقق العدل الرسالي، أي البحث في النظام السياسي الأمثل، ويعني أيضاً مجابهة الاستبداد والظلم واستعلاء الأغنياء على باقي

المحرومين وليس بالضرورة مجابهة عسكرية أو انقلابية أو غوغائية، ولكنه برنامج تربوي شامل للوصول الى فرضية أن العدل يتنافى مع كل دعوات التفوق بالعرق أو النسب أو الغنى، والانسان كائن اجتماعي مضطر للحياة على الأرض بجوار الآخرين، ومثل هذا الوجود يحتاج وسيلة يشاركه فيها الآخرون ويحتاج التواصل الى قيم معرفية لتحقيق المساواة، وقد ضربنا بهذه الآية الكريمة مثلا لأن الخطاب الديني يعني شمولية الدعوة والاتفاق على أن «كل يعمل على شاكلته» وان هذه الشاكلة في الفروع وليس في أصول الدعوة وهي ضرورة فردية وأن جمعية الوجود هي التي يجب أن تنصب عليها الدعوة ويقوم بها الداعي.

ان تحرير الخطاب الديني يعني التأكيد على أن الانسان يحمل في أعماقه وفطرته وجود ما يدل على عالم أسمى عالم الروح، عالم الايمان؛ وأن الله الخالق موجود بالفطرة في كل نفس ولا يدرك ذلك كله إلّا بالوصول لا الفهم، طريق القلب لا العقل، وهذه مسألة شخصية أخلاقية توحيدية، ولكن النظام العام هو الذي يعطي حرية البحث والقول والتنظيم لأفراد المجتمع ولا يكون هذا سوى بايجاد الفراغ الثابت بين الذات والموضوع، وهذا الفراغ هو الذي يجب ملؤه بمحتوى الرسالة الايمانية والدعوة العقلية في آن واحد.

ان تعدد المفاهيم والمذاهب والأفكار داخل الدين الاسلامي لا يعني مطلقاً أنه لا يوجد اطار شامل حول الحقيقة المطلقة، وهذا الاطار هو التوحيد والنبوة والميعاد والبعث والملائكة والنبيين، هذا الى جانب قيم العدل والاحسان وايتاء ذي القربى وغيرها من المفاهيم الأخلاقية، وهي كما نرى كثيرة الوجود فالدعوة اذن تختص بتيسير أمور الناس الواقعية في ضوء المفاهيم المذكورة، ومن الضروري التذكير بوجود اشكاليات تواجه الجماعة الاسلامية ككل وتؤثر على أنماط العلاقات فيما بينها[٥]، منها الفهم الخاطئ لمفهوم الدعوة الاسلامية، فبعض الجماعات يظن أن الاسلام كله يكمن في دعوة الآخرين الى الالتزام الخلقي بالدين والبعض الآخر يظن أن الاسلام ليس إلّا عملاً جهادياً عسكرياً ويتناسى أولئك وهؤلاء أن الاسلام دعوة تتسم بالشمول الكامل لجميع نواحي الحياة، هذا الى جانب الفهم المغلوط لقاعدة السمع والطاعة، فكثيراً ما تختصر

العلاقة داخل الجماعة بالسمع المطلق والطاعة العمياء لكل ما يمليه الأمير أو المسؤول أو الشيخ عن الأفراد والعناصر دون اعتبار لآرائهم ومشاعرهم وعقولهم وهذا يجلب تفرد القيادة بالقرار؛ فرأى الفرد غائب عن ساحة القرار في كثير من الجماعات الاسلامية، وليس الفرد فيها إلّا أداة صماء تنفذ ما تؤمر به، ويعود هذا المرض الى الفهم الخاطئ لمبدأ السمع والطاعة والتي غالباً ما تحاول قيادة الجماعة ترسيخه لدى الأفراد بشكل مغلوط

٧ ـ كتاب النّبي ﷺ إلى بني زُهير بن أُقَيْش

«من مُحَمَّدٍ رسولِ الله، إلى بني زُهير بن أُقَيْشٍ، إنّكم إذا شَهِدتم أنْ لا إله إلّا اللهُ، وأنَّ محمداً رسولُ الله، وأقمتُم الصلاةَ وآتيتُم الزكاةَ، وأدَّيْتُم الخُمسَ مِنَ المَغْنم، وسَهمَ النّبي ﷺ، وسهمَ الصَّفيّ، أنتم آمِنونَ بأمانِ اللهِ ورسولِهِ»[١٠].

٨ ـ كتاب النّبي ﷺ إلى عُمَير ذي مرّان وَإلى مَنْ أسْلَمَ مِنْ هَمْدان

«بسمِ اللهِ الرَّحمن الرَّحيم. من محمّدٍ رسولِ الله، إلى عُمَيرٍ ذي مرّان وإلى مَنْ أسْلَمَ مِنْ هَمْدان، سلامٌ عليكم، فإنّي أحمَدُ إليكم اللهَ الّذي لا إله إلّا هو.

أمّا بعدُ؛ فإنّه بَلَغَنا إسلامُكم، مَرْجِعَنا من أرضِ الروم، فأبشِرُوا فإنَّ الله قد هداكم بِهُداه، وإنكم اذا شهِدتم أن لا إله إلّا اللهُ وأنَّ محمداً رسولُ الله، وأقمتم الصلاةَ وآتيتُم الزكاةَ، فإنَّ لكم ذمَّةَ الله وذمَّةَ محمَّدٍ رسولِ الله، على دمائِكم وأموالِكم وأرضِ البونِ الّتي أسْلَمْتُم عليها، سَهْلِها وجبلِها، وعيونِها وفروعِها، غيرَ مظلومينَ ولا مضيَّق عليكم، فانَّ الصدقةَ لا تَحِلُّ لمحمّدٍ وأهلِ بيته وإنّما هي زكاةٌ تَزكونَ بها أموالكم لفقراء المسلمينَ، وإنَّ مالكَ بنَ مُرارةِ الرُّهاوي حَفِظَ الغيبِ وبَلّغَ الخبرَ وآمُرُك به يا ذا مرّان خيراً، فإنّه منظورٌ إليه. وكتب عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وَلْيُحَيِّكُم ربُّكم»[١١].

٩ ـ كتاب النبيّ ﷺ إلى أهل خَيْبر

«بسمِ اللهِ الرَّحمن الرَّحيم. من محمّدٍ رسولِ الله، صاحبِ موسى وأخيه، والمُصَدِّقِ لما جاء به موسى. ألا إنَّ الله عزَّ وجلَّ قالَ لَكم ـ يا معشر اليهود وأهلَ التوارةِ ـ وإنّكم تجدونَ ذلك في كتابكم أنَّ ﴿محمّداً رسول الله والّذين معه أشدّاءُ على الكُفّار رُحماءُ بينهم﴾[١٢] إلى آخر السورة، وانّي أُنشِدُكم بالله وأُنشِدكم بما أُنزِلَ عليكم، وأُنشِدُكم بالّذي أطعمَ مَن كان قبلَكم من أسباطِكم المَنَّ والسَّلوىٰ، وأُنشِدكم بالّذي أيْبَسَ البحرَ لآبائكم حتّى أنجاكم مِنْ فرعونَ وعَمَلِه، إلّا أخْبَرتمونا هل تَجدونَ فيما أنزَلَ الله عليكم أن تُؤمِنوا بمحمّدٍ؟ فإنْ كنتم لا تجدونَ ذلك في كتابكم فلا كُرْهَ عليكم ﴿قد تبيَّنَ الرُّشدُ من

الغَيِّ﴾[١٣] وأدعوكم إلى الله تعالى وإلى نبيِّه»[١٤].

١٠ ـ كتاب النّبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى جَيْفَر وعَبدِ ابْنَي الجُلَنْدي

«بسمِ اللهِ الرَّحمن الرَّحيم. من محمّدٍ رسولِ الله إلى جيفر وعبد ابنَي الجُلَنْدي. سلامٌ علىٰ مَنِ اتَّبع الهدىٰ.

أمّا بعدُ؛ فإنّي أدعُوكما بدعاية الإسلام، أسْلِما تَسْلَما، فإنّي رسولُ الله إلى النّاس كافةً، لأُنذرَ مَن كانَ حيّاً ويحقَّ القولُ على الكافرينَ، وإنَّكما إنْ أقررتُما بالإسلامِ ولَّيتُكما، وإنْ أبَيتما أنْ تُقرّا بالإسلامِ، فإنَّ مُلككُما زائلٌ عَنْكُما، وَخَيْلي تَحلُّ بِساحَتِكُما، وتظهَرُ نُبوّتي على مُلْكِكُما»[١٥].

١١ ـ كتاب النّبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أهل دَما

قد كتب النّبي كتاباً إلى دَمَا قريةٌ من قُرىٰ عُمان.

«مِنْ محمدٍ رسولِ الله إلى أهلِ عُمَان. سلامٌ.

أمّا بعدُ؛ فأقِرّوا بشهادةِ أنْ لا إله إلّا الله، وأنّي رسولُ الله؛ وأدّوا الزَّكاةَ، وخطُّوا المساجدَ كذا وكذا، وإلّا غَزَوتُكم»[١٦].

١٢ ـ كتاب النّبي صلى الله عليه وآله وسلم الى الحارث بن أبي شَمِرِ الغَسّاني

«بسمِ اللهِ الرَّحمن الرَّحيم. من محمّدٍ رسولِ الله إلى الحارث بن أبي شَمِر. سلامٌ علىٰ مَنِ اتَّبَعَ الهُدىٰ، وآمَنَ بِهِ وصَدَّقَ، وإنّي أَدعُوك إلىٰ أنْ تؤمِنَ بالله وحدِه لا شريك له، يبقى لك مُلكُكَ، وخَتَمَ الكِتاب»[١٧].

١٣ ـ كتاب النّبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى هَوذَة بنِ عليّ الحَنَفيّ

«بسمِ اللهِ الرَّحمن الرَّحيم. من محمّد رسُولِ الله إلى هوذَة بنِ عليّ. سلامٌ على من اتَّبَعَ

الهُدىٰ، وَاعْلَمْ أنّ ديني سَيَظْهَرُ إلى مُنْتهى الخُفِّ والحافِرِ، فأسْلِمْ تَسْلَمْ، وَاجْعَلْ لكَ ما تحتَ يديكَ»[١٨].

١٤ ـ كتاب النبي ﷺ إلى مُسَيْلمةَ الكَذّاب

«بسمِ اللهِ الرَّحمن الرَّحيم. من محمّد رسُولِ الله إلى مُسَيلمة الكَذّاب. السّلام على مَنِ اتَّبَعَ الهُدىٰ. أمّا بعد؛ ﴿إنَّ الأرضَ لِلّهِ يورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ والعاقِبةُ للمتَّقينَ﴾[١٩].[٢٠]

١٥ ـ كتاب النّبي ﷺ إلى الحارث بن عَبْد كُلاَل الحِمْيَريّ

«بسمِ اللهِ الرَّحمن الرَّحيم. من محمّدٍ رسولِ الله، إلى الحارث بن عبد كُلال، وإلىٰ نعيم بن عبد كُلال، وإلى النُّعمان قَيل ذي رُعين ومعافر وهِمدان.

أمّا بعدُ؛ فإنّي أحمدُ إليكم اللهَ الذي لا إله إلّا هوَ. أمّا بعدُ؛ فإنّه وقع بنا رسولُكُم مُنقلباً من أرضِ الرومِ، فَلَقيَنا بالمدينةِ، فَبلَّغَ ما أرسَلتُم بِهِ، وخَبَّرنا ما قِبلَكم، وأنبأَنا بإسلامكم وَقتْلِكم المشركينَ، وأنَّ الله قد هَداكُم بهُداه. إنْ أصلَحتُم وأطعتُم الله ورسولَه، وأقمتم الصَّلاة، وآتيتم الزكاة، وأعطَيتم مَنَ المغانِم خُمسَ الله وسَهمَ النّبي وصَفيّه وما كُتبَ على المؤمنين مِنَ الصدقة من العقَار: عُشرَ ما سَقت العينُ، وسَقَتِ السماءُ، وعلى ما سَقَى الغَرْبُ نِصْفُ العشر، وأنَّ في الإبل الأربعين ابنةَ لبونٍ، وفي الثلاثين من الإبل ابنَ لبون ذكر، وفي كلّ خَمسٍ من الإبل شاةٌ، وفي كلّ عشر من الإبل شاتان، وفي كلّ أربعين من البقرة بقرةٌ، وفي كلّ ثلاثين من البقَر تبيعٌ جَذَعٌ أو جذعةٌ، وفي كلّ أربعين من الغنم سائمةً وحدها شاةٌ وإنّها فريضةُ الله التي فَرَض على المؤمنين في الصَّدقةِ، فَمَنْ زادَ خيراً فهو خيرٌ له، ومن أدّىٰ ذلك وأشهدَ على إسلامه، وظاهَر المؤمنين على المشركين، فإنَّهُ مِنَ المؤمنين، له ما لهم وعليه ما عليهم، [وله ذمّةُ الله وذمّةُ رسوله]. [وإنّه من أسْلَمَ مِنْ يَهوديّ أو نصراني فإنّه من المؤمنين، له ما لهم وعليه ما عليهم]. ومَنْ كان على يهوديّة أو نصرانية فإنّه لا يُرَدُّ عنها وعليه الجزيةُ: علىّ كلِّ حالم ـ ذكرٍ أو أُنثىٰ، حُرٍّ أو عبدٍ ـ دينارٌ وافٍ من قيمةِ المَعافِر، أو عِوضه ثياباً، فمنْ أدّى ذلك إلى رسول الله، فإنَّ له ذمّةَ الله وذمّةَ

رسوله، ومَن منعَه فإنّه عدوٌّ لله ولرسوله.

أمّا بعدُ؛ فإنّ [رسولَ الله] محمّداً النّبي أَرسَلَ إلى زُرعةِ ذي يزن أنْ إذا أتاكم رُسُلي فأُوصيكم بهم خيراً: مُعاذَ بنَ جبلٍ، وعبدالله بنَ زيدٍ، ومالك بنَ عبادة وعقبةَ بن نَمِر ومالك بن مُرَّة وأصحابهم.

وأنِ اجمَعوا ما عندكم من الصَّدقة والجزية من مخالفيكم وأبلغوها رُسُلي، وإنَّ أميرَهم معاذُ بنُ جبل؛ فلا يَنْقَلِبنَّ إلّا راضياً.

أمّا بعدُ؛ فإنّ محمَّداً يَشهدُ أنْ لا إله إلّا اللهُ، وأنّه عبدُه ورسولُهُ، ثم إنَّ مالك بن مُرارة الرُّهاوي قد حدَّثني أنّك أسلمتَ من أوّل حِمير، وفارقتَ المُشركين؛ فأبْشر بخيرٍ، وآمرك بحمير خيراً.

ولا تخونوا، ولا تخاذلوا، فإنَّ رسول الله هو وليُّ غنيِّكُم وفقيركم، وإنَّ الصدقة لا تحلُّ لمحمَّدٍ ولا لأهل بيته، إنَّما هي زكاةٌ يزكّىٰ على فقراء المسلمين وابنِ السبيل.

وإنَّ مالكاً قد بلَّغ الخبرَ، وحَفِظَ الغيبَ، وآمُركم به خيراً، وإنّي قد أرسلتُ إليكم مِنْ صالحي أهلي، وأولي دينهم، وأولي علمهم، وآمُركم بهم خيراً فإنَّهم منظورٌ إليهم.

والسلام عليكم ورحمة اللهِ وبركاته»[٢١].

١٦ ـ كتاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لِرفاعَة إلى قَوْمِه

«بسمِ اللهِ الرَّحمن الرَّحيم. هذا كتابٌ من محمّدٍ رسولِ الله لرفاعةَ بن زيدٍ: إنّي بعثتهُ لقومه عامّةً، ومَنْ دَخَلَ فيهم، يدْعُوهمُ إلى رسولِهِ، فَمَنْ أَقْبَلَ مِنْهم ففي حِزْبِ الله وحزب رسوله ومن أدبَرَ فَلَهُ أمانُ شهرَينِ»[٢٢].

١٧ ـ كتاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لِوَفْدِ هَمْدان

«بسمِ اللهِ الرَّحمن الرَّحيم. هذا كتابٌ من محمّدٍ رسولِ الله، لمخلاف خارف، وأهل جِناب الهَضْب، وحِقاف الرَّمل، مع وافِدِها ذي المِشعار لمالك بن النمط، ولمَنْ أسْلَم معهُ مِنْ قومِهِ، علىٰ أنَّ لهم فِراعَها، ووهاطَها، ما أقاموا الصّلاةَ، وآتَوا الزَّكاةَ، يأكُلُونَ عِلافَها،

ويَرْعَوْن عافيَها؛ لهم بذلك عهدُ الله وزَمامُ رسوله وشاهِدُهم المهاجِرونَ والأنصارُ»[٢٣].

١٨ ـ كتاب النبيّ ﷺ إلى مُطَرِّف بن بُهْصُل

فكتب له رسول الله ﷺ:

«أُنظر امرأة هذا مُعَاذَةَ فادفَعْها إليه»[٢٤].

١٩ ـ كتاب النبي ﷺ إلى الضَّحّاك بن سُفْيان

كتب النبيّ إلى الضَّحاك بن سفيان أن يورثَ امرأة أشيم الضَّبابي من ديته.[٢٥]

٢٠ ـ كتاب النبيّ ﷺ إلى رجل لَم يُسَمَّ

كتب رسول الله إلى رَجُلٍ من أهل الكتاب:

«أسْلِمْ أنتَ»[٢٦].

٢١ ـ كتاب النبيّ ﷺ إلى بكر بن وائل

كتب النّبي إلى بكر بن وائل أن أسلِمُوا تَسْلَموا[٢٧].

٢٢ ـ كتاب النبيّ ﷺ إلى خالد بن الوليد حين بَعَثَهُ إلى بني الحَارث بن كعب

«بسمِ اللهِ الرَّحمن الرَّحيم. من محمّدٍ رسولِ الله، إلى خالد بن الوليد. سلامٌ عليك. فأنّي أحمدُ إليك الله الّذي لا إله إلّا هو.

أمّا بعدُ، فإنَّ كتابَكَ جاءني مَعَ رسُولِك يُخبِرني أنَّ بني الحارث بن كعب قد أسْلَموا قبْلَ أنْ تُقاتِلَهُم، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام، وشهدوا أنْ لا إله إلّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأنَّ مُحمّداً عبدُه ورسولُه، وأنْ قد هَداهُمُ اللهُ بهداه، فَبَشِّرْهُم وأنْذِرْهُم، وأقبِلْ فيهم، ولْيُقْبِلْ معَكَ وَفدُهُمْ، والسّلامُ عليك ورحمة الله وبركاتُهُ»[٢٨].

٢٣ ـ كتاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لِعمرو بن حَزْم الأنصاري حين بَعَثَهُ إلى بني الحَارث بن كَعْب

«بسمِ اللهِ الرَّحمن الرَّحيم. هذا بيانٌ من الله ورسولِهِ ﴿يا أيّها الّذين آمَنوا أَوْفُوا بالعُقُودِ﴾[٢٩].

عَهْدٌ من محمّدٍ النّبيّ رسولِ الله لعمرو بن حَزْمٍ، حين بعثه إلى اليمن، أمَره بتقوى الله في أمرِه كلّه: ﴿فإنّ الله مَعَ الّذين اتّقَوْا والّذينَ هُمْ مُحْسِنُون﴾[٣٠].

وأمَرَهُ أن يأخذَ بالحقّ كما أمرهُ اللهُ، وأنْ يُبشرَ النّاس بالخيرِ، ويأمرهم بهِ، ويُعلمَ النّاسَ القرآن، ويُثّقفهم فيه، وينهى النّاس، ولا يَمَسَّ أحدٌ القرآنَ إلّا وهو طاهرٌ، ويخبرَ النّاسَ بالّذي لهم والذي عليهم، ويلينَ للنّاسِ في الحقّ ويَشْتدّ عليهم في الظُّلْم، فإنَّ الله كَرِهَ الظُّلمَ وَنَهىٰ عنهُ، فقال: ﴿ألا لَعْنَةُ الله على الظّالِمينَ﴾[٣١].

ويُبَشِّرَ النّاسَ بالجنَّةِ وبعملها وينذر النّاسَ بالنّار وبظلمها. ويستألفَ النّاسَ حتى يُفقّهوا في الدّينِ. ويعلم النّاسَ معالم الحجِّ وسننهُ وفرائِضَهُ، وما أمَرَ اللهُ به، والحجَّ الأكبرَ، والحجَّ الأصْغَرَ، وهو العُمْرةُ. وينهى النّاسَ أن يصلّي أحدٌ في ثوبٍ واحدٍ صغيرٍ الا أنْ يكونَ ثَوْباً واحداً يُثَنّي طرفيه على عاتِقيهِ. ويَنْهى أن يحتبي أحدٌ في ثوبٍ واحدٍ يُفضي بفرجِهِ إلى السَّماء، وينهى أن يقصَّ أحدٌ شَعْرَ رَأسِهِ في قفاه، وينهى اذا كان بين النّاس هيجٌ عن الدّعاء إلى القَبائل والعشائر، وليكن دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له، فمن لم يدع إلى الله ودعا إلى العشائرِ والقبائل، فليقطعوا بالسّيف، حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحدَه لا شريكَ له، ويأمُرَ النّاسَ بإسْباغِ الوُضُوءِ وُجُوهَهُم، وأيديَهُم إلى المَرافقِ، وأرْجُلَهُمْ إلى الكعبين، ويَمْسَحوا بُرؤُوسِهِم كما أمَر اللهُ، وأمَرَ بالصّلاةِ لِوَقْتها، وإتمام الرّكوع والسّجود والخُشُوع، ويُغَلِّسَ بالصّبح، ويهجِّرَ بالهاجرةِ، حتّى تميلَ الشمسُ، وصلاة العصرِ والشمسُ في الأرض مُدبرةٌ، والمغرب حينَ يُقْبِلُ الليلُ، ولا يؤخِّرُ حتّى تَبْدُوَ النجُوم في السماءِ، والعِشَاء أوّلَ الليل، وأمره بالسّعي إلى الجمعةِ إذا نودي لها، والغسل عند الرواح إليها، وأَمَره أنْ يأخُذَ مِن المغانم خُمُسَ اللهِ وما كُتِبَ على المؤمنين في الصدقةِ من العِقار عُشرَ ما سَقَتْ العينُ، وسقت السَّماءُ، وعلى ما سَقَى الغَربُ نصفَ العُشْر، وفي كلّ عَشر من

الإبل شاتان، وفي كلّ عِشرينَ من الإبل أربعُ شياهٍ، وفي كلٍّ أربعين من البقرِ بقرةٌ، وفي كلّ ثلاثين من البَقرِ تَبيعٌ جذعٌ أو جذعةٌ، وفي كلٍّ أربعين من الغنم سائمةً وحدها شاةٌ، فإنَّها فريضةُ الله التي افترضَ على المؤمنينَ في الصَّدَقَةِ، فَمَنْ زادَ خيراً فهو خَيْرٌ له، وإنَّهُ مَنْ أسْلَمَ مِنْ يهوديّ أو نصرانيّ إسلاماً خالصاً مِن نفسه، ودانَ بدين الإسلام، فانَّه مِنَ المؤمنينَ، له مثلُ ما لَهُم، وعليه مثلُ ما عليهم، ومَن كان على نصرانيةٍ أو يهوديةٍ فإنّه لا يُفْتَتَنُ عليها، وعلى كلٍّ حالمٍ ذَكَرٍ أو أُنثى، حُرٍّ أو عبدٍ، دينارٌ وافٍ أو عِوَضه ثياباً، فمنْ أدّىٰ ذلك فإنَّ له ذمَّةَ الله وذمة رسوله، ومن مَنَعَ ذلك فإنّه عدوٌّ لله ولرسوله والمؤمنين جميعاً.

صلواتُ الله على محمّدٍ، والسّلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ»[٣٢].

٢٤ ـ عدّة كتب منه وُجدت منقولة مجموعة من وضع أبي جعفر الدّيبلي[٣٣]

١ . «هذا كتابٌ من محمَّدٍ رسول الله ﷺ لعظيم بن الحارث المُحاربي، أنَّ له فَجّاً لا يحاقُّه فيها أحدٌ». وكتب الأرقم.

٢ . «بسم الله الرّحمن الرّحيم. هذا كتاب من محمَّدٍ رسولِ الله، لعظيم بن الحارث المحاربي، أن له المجمعةَ مِنْ رامسٍ لا يحاقُّه فيها أحدٌ» وكتب الأرقم.

٣ . «بسم الله الرّحمن الرّحيم. هذا كتاب من محمَّدٍ رسولِ الله لحُصَين بن نَضْلة الأسدي، أنّ له ترمذَ وكُتيفة، لا يحاقُّه فيها أحدٌ». وكتب المغيرة.

٤ . «بسم الله الرّحمن الرّحيم. هذا كتاب من محمّدٍ النّبي، لبني جفال بن ربيعة بن زيد الجُذاميّين، أنَّ لهم إرمَ لا يحلُّها عليهم أحدٌ أنْ يَغلبهم عليها. ولا يحاقُّهم فيها، فمن حاقَّهم فلا حقَّ له وحقهم حقٌّ». وكتب الأرقم.

٥ . «بسم الله الرّحمن الرّحيم. هذا ما أعطىٰ محمّد رسول الله ﷺ بني الإجب، أعطاهم حالساً». وكتب الأرقم.

٦ . «بسم الله الرّحمن الرّحيم. هذا ما أعطىٰ محمَّدٌ رسولُ الله ﷺ، راشدَ بنَ عبدِ ربٍّ السّلامي، أعطاهُ غَلْوَتَيْنِ بِسهمٍ، وغَلْوةَ بحجرٍ بِرَهاطٍ لا يحاقُّه فيها أحدٌ، ومن حاقَّه

فلا حقّ له، وحقُّه حقٌّ». وكتب خالد بن سعيد.

٧. «بسم الله الرّحمن الرّحيم. هـذا مـا أعـطىٰ مـحمّدٌ النّـبيُّ رسـولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم، عَوْسَجَةَ بنَ حَرْملةِ الجُهني من ذي المروءَة، أعـطاه مـا بـين بَـلَكَثَة إلى المـصْنَعة، إلى الجَفَلاتِ، إلى الجَدّ، جَبَل القِبْلة، لا يحاقُّه فيها أحدٌ. فمن حاقَّه لا حقَّ له وحقُّه حقٌّ». وكتب العلاء بن عقبة.

٨. «بسم الله الرّحمن الرّحيم. هذا كتاب من محمَّدٍ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم لبني عادياء، إنَّ لهم الذِّمّةَ وعليهم الجزيةَ، ولا عَداء ولا جلاء، الليل مَدَّ، والنّهارُ شَدَّ». وكتب خالد بـن سعيد.

٩. «بسم الله الرّحمن الرّحيم. هذا كتاب من محمَّدٍ رسولِ الله النّبي لبني عُريض طعمةً من رسول الله عشرةَ أوْسَقٍ قَمحاً، وعشرةَ أوسقٍ شعيراً في كلّ حصادٍ، وخمسين وَسَقاً تمرٍ، يُوَفَّوْنَ ذلك كلَّ عامٍ في حينهِ، لا يُظلمون فيه شيئاً». وكتب خالد بن سعيد.

١٠. «بسم الله الرّحمن الرّحيم. هذا كتاب من محمَّدٍ رسولِ الله لتميم بن أوس الداريّ، إنَّ له عَينون، قريتُها كُلها وسَهلها وجبلها وماؤُها وحرثها، وكُرُومُها وأنـباطُها وبَـقرُها، ولعقبه من بعده، لا يحاقُّه فيها أحدٌ، ولا يدخل عليه بظلم، فَمَنْ أراد ظُلمَهم، وأخذ منهم شيئاً، فإنَّ عليه لعنةَ الله والملائكة والنّاس أجمعين». وكتب علي.

١١. «بسم الله الرّحمن الرّحيم. هذا ما أعطى مُحمَّدٌ رسولُ الله، لبني شَمْخ من جُهينة، أعطاهم ما خطّوا من صفينة وما حرثوا، ومن حاقَّهم فلا حقَّ له وحقُّهم حـقٌّ». وكـتب العلاء بن عقبة.

١٢. «بسم الله الرّحمن الرّحيم. هذا كتاب من محمَّدٍ رسولِ الله لبني الجُرْمُز بن ربيعة، أنهم آمنون في بلادهم، وأنَّ لهم ما أسلموا عليه». وكتب المغيرة.

١٣. «بسم الله الرّحمن الرّحيم. هذا ما أعطىٰ محمَّدٌ رسولُ الله بني قُرّةَ بن عبدالله بن نُجيح النهديين، أعطاهم المظلّةَ كلَّها، أرضها وماءَها وسهلها وجبلها مـمّا يَـرعون فـيه مواشيَهم». وكتب معاوية بن أبي سفيان.

١٤. «بسم الله الرّحمن الرّحيم. هذا ما أعطىٰ محمَّدٌ النّبيُّ العباسَ بن مرْداس السلمي،

أعطاه مذموراً، فمن حاقه فلا حقّ له فيها وحقُّه حقّ». وكتب العلاء بن عقبة وشهد.

١٥ . «بسم الله الرّحمن الرّحيم. هذا ما أعطىٰ محمَّدٌ رسولُ الله، العَدَّاءَ بنَ خالدٍ ومَنْ تبعه من عامرِ بن عِكرمة، أعطاهم ما بين المصباعة إلى الزّجّ ولَوابة». وكتب خالد بن سعيد.

١٦ . «بسم الله الرّحمن الرّحيم. هذا ما أعطىٰ محمَّدٌ النبي رسول الله ﷺ، لجميل بن دارم العذري أعطاه الرَّبذَ، لا يحاقّه فيها أحدٌ». وكتب عليٌّ.

١٧ . «بسم الله الرّحمن الرّحيم. مِنْ محمّد رسولِ الله إلى المؤمنين، إنّ عِضَاهَ وجَّ وشجرَه لا يُعضَدُ، وصيدَه لا يُقْتَل، فمن وُجِدَ يفعلُ من ذلك شيئاً فإنّه يجلد وتُنزَعُ ثيابُه، وإنْ تعدّى ذلك أحدٌ، فإنّه يؤخَذُ فيبلغَ محمّدٌ النّبي وإنَّ هذا مِنْ محمّدٍ النّبي». وكتب خالد بن الوليد بأمر النّبي ﷺ، فلا يَتعدّاه أحدٌ فيظلم نفسَهُ فيما أمر به محمّد ﷺ.

١٨ . «بسم الله الرّحمن الرّحيم. هذا كتابٌ من محمَّدٍ النبي ﷺ لبني معاوية بن جَروَل الطائيّين: لمن أسلم منهم، وأقام الصّلاةَ وآتى الزّكاة، وأطاع اللهَ ورسولَه، وأعطىٰ مِن المغانِمِ خُمُسَ الله وسَهْمَ النّبي رسوله، وفارَقَ المشركين، وأشهدَ على إسلامه، فإنّه آمِنٌ بأمان الله ورسوله ﷺ وإنَّ لهم ما أسلموا عليه من بلادهم ومياههم وغُدوةَ الغنمِ مِنْ وراء بلادِهم، وإنَّ بلادَهم الّتي أسلموا عليها مُثبتةٌ». وكتب الزبير بن العوّام.

١٩ . «بسم الله الرّحمن الرّحيم. هذا كتابٌ من محمّد رسولِ الله، لعامر الأسود المُسلم، إنَّ له ولقومه طيّئ ما أسلموا عليه من بلادِهم ومياههم، ما أقاموا الصَّلاةَ وآتوا الزّكاةَ وفارقوا المشركين». وكتب المغيرة.

٢٠ . «بسم الله الرّحمن الرّحيم. هذا كتاب من محمَّدٍ النّبي رسول الله لبني جُوَين الطائيين: لمن آمن منهم بالله وأقامَ الصّلاةَ وآتى الزّكاةَ وفارق المشركين، وأطاع الله ورسولَه، وأعطى من المغانِمِ خُمسَ الله وسهمَ رسوله، وأشهدَ على إسلامه، فإنَّ له أمانَ الله، ومحمَّدِ بنِ عبدالله، وإنَّ لهم أرضهم ومياهَهم وما أسلموا عليه وغدوةُ الغنم من ورائها مَبيتة». وكتب الزبير.

٢١ . ««بسم الله الرّحمن الرّحيم. هذا كتاب من محمَّدٍ النّبي لبني مَعْنِ الطائيّين ثمّ

البَعليّين، إنَّ لهم ما أسلموا عليه من بلادِهم ومياههم، وغُدوة الغنم من وَرائها مـبيتة، لا يحاقُّهم فيها أحدٌ، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاةَ وأطاعوا الله ورسوله وفارقوا المشركينَ، وأشهدوا على إسلامهم وأمّنوا السبيلَ». وكتب العلاء وشَهِد.

٢٢. «بسم الله الرّحمن الرّحيم. هذا كتابٌ من محمّدٍ النّبيّ لأهلِ جُرَش، إنّ لهم حِماهم الّذي أسلموا عليه، فمن رعاه بغير بساط أهله فماله سُحتٌ، وإنَّ زهير بن الحماطة فإنَّ ابنَه الّذي كان في خثعم فأمسكوه فإنّه عليهم ضامنٌ». وشَهِدَ عُمرُ بن الخطّاب ومُعاوية بن أبي سفيان وكتب.

٢٣. «بسم الله الرّحمن الرّحيم. هذا ما أعطىٰ محمَّدٌ رسول الله الزبيرَ، أعطاه سَوارقَ كلَّه، أعلاه وأسفَلَه، ما بين مورع القرية إلى موقت الى حين الملحمةِ، لا يحاقُّه فيها أحدٌ». وكتب عليٌّ عليه السلام.

٢٤. «بسم الله الرّحمن الرّحيم. هذا ما أعطىٰ محمَّدٌ النّبيّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وَقّاصَ بن قُمامة، وعبدالله بن قمامة السُّلميَّين ثم بني حارثة، أعطاهم المحدّبَ وهو ما بين الهدّ إلى الوابِدة، إن كانا صادقَين».

الهوامش:

١. الثعالبي النيسابوري، ابو منصور عبدالملك، سحر البلاغة وسرّ البراعة، ص ١٠ ـ ١١.
٢. ابن طولون، محمّد، اعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، ص ٥٠ ـ ٥١.
٣. نفس المصدر، ص ٥٨ ـ ٥٦.
٤. نفس المصدر، ص ٦٢.
٥. آل عمران، الآية ٦٤.
٦. اعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، ص ٦٧.
٧. آل عمران، الآية ٦٤.
٨. اعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، ص ٧٧ ـ ٧٨.
٩. نفس المصدر، ص ٨٢.
١٠. نفس المصدر، ص ٨٥ ـ ٨٦.
١١. نفس المصدر، ص ٨٧ ـ ٨٨.
١٢. «مُحَمَّدٌ رَسولُ الله ...» (الفتح، الآية ٢٩).
١٣. سورة البقرة، الآية ٢٥٦.
١٤. اعلام السائلين عن كتب سيّد المرسلين، ص ٨٩ ـ ٩٠.
١٥. نفس المصدر، ص ٩٣.
١٦. نفس المصدر، ص ٩٨.
١٧. نفس المصدر، ص ١٠٢ ـ ١٠٣.
١٨. نفس المصدر، ص ١٠٥ ـ ١٠٦.
١٩. الاعراف، الآية ١٢٨.
٢٠. صفوت، احمد زكي، جمهرة رسائل العرب، ج ١، ص ٦٧.
٢١. اعلام السائلين عن كتب سيّد المرسلين، ص ١١٣ ـ ١١٧.
٢٢. نفس المصدر، ص ١١٨.
٢٣. نفس المصدر، ص ١٢١.
٢٤. نفس المصدر، ص١٢٧.
٢٥. نفس المصدر، ص ١٢٩.
٢٦. نفس المصدر، ص ١٣١.
٢٧. نفس المصدر، ص ١٣٢.
٢٨. نفس المصدر، ص ١٣٣ ـ ١٣٤.
٢٩. سورة المائدة، الآية ١.
٣٠. سورة النحل، الآية ١٢٨.
٣١. سورة هود، الآية ١٨.
٣٢. اعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، ص ١٣٥ ـ ١٣٨.
٣٣. نفس المصدر، ص ١٤٣ ـ ١٥٤.

ساعات مع الكاتب الشهير عباس محمود العقّاد وكتابه
عبقرية محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم)

اعداد الدكتور عبدالغني ايرواني زاده
عضو الهيئة العلمية جامعة اصفهان

مقدمة

قارئي العزيز:

كتاب «عبقرية محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم)» ليس سيرة نبوية جديدة تضاف الىٰ السير العربية وغير العربية التي حفلت بها المكتبة المحمدية حتىٰ الآن، وانما الكتاب تقدير «لعبقرية محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم)» بالمقدار الذي يدين به كل انسان ولايدين به المسلم فقط، وبالحق الذي يبث له الحب في قلب كل انسان، وليس في قلب كلّ مسلم وكفىٰ.

فمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عظيم لانه قدوة المقتدين في المناقب التي يتمناها المخلصون لجميع الناس. عظيم لانه علىٰ خلق عظيم.

وايتاء العظمة حقها لازم في كل آونة وفي كل قبيل، ولكنه في هذا الزمن وفي عالمنا هذا الزم منه في ازمنة اخرىٰ لسببين متقاربين لا لسبب واحد.

احدهما ان العالم اليوم احوج مما كان الىٰ المصلحين النافعين لشعوبهم وللشعوب كافة ولن يتاح لمصلح ان يهدي قومه وهومغموط الحق معرض للجفوة والكنود.

والسبب الآخر ان الناس قد اجترأوا علىٰ العظمة في زماننا بقدر حاجتهم الىٰ هدايتها. واذا ضاع العظيم بين اناس فكيف لايضيع بينهم الصغير!

انه لنافع لمن يقدّرون محمداً (ﷺ) وليس بنافع لمحمد (ﷺ) ان يقدّروه لأنه في عظمته الخالدة لايضار بانكار ولاينال منه بغي الجهلاء الاّكما نال منه بغي الكفار.

وحسبنا من عبقرية محمد (ﷺ) ان نقيم البرهان علىٰ ان محمداً (ﷺ) عظيم في كل ميزان: عظيم في ميزان الدين، وعظيم في ميزان العلم، وعظيم في ميزان الشعور، وعظيم عند من يختلفون في العقائد ولايسعهم ان يختلفوا في الطبائع الآدمية، الاّان يرين العنت علىٰ الطبائع فتنحرف عن السواء وهي خاسرة بانحرافها، ولاخسارة علىٰ السواء.

انّه ﷺ نقل قومه من الايمان بالاصنام الىٰ الايمان بالله الواحد، بل نقل العالم كلّه من ركود الىٰ حركة، ومن فوضىٰ الىٰ نظام، ومن مهانة حيوانية الىٰ كرامة انسانية، ولم ينقله هذه النقلة قبله ولا بعده احد من اصحاب الدعوات.

اذن فلاضير عليه ﷺ اذا توهّمه بعض المشهّرين من الأوربيين الذين ران علىٰ قلوبهم العمىٰ والجهل.

ففي هذه الظروف الحرجة المتشابكة التي يمر بها العالم الاسلامي والتي تخوض معاركها الأمة الاسلامية ضد الطغيان والاستبداد الغربي يترامىٰ الىٰ مسامع المسلمين من بعض الاوربيين ممن يريد ان يقلل من عظمة نبي الاسلام محمد (ﷺ) بعض الأتهامات التي يأباها الضمير الانساني المخلص وينفيها التاريخ الحق الصادق، في هذه الظروف العصيبة التي تألّب فيها الطغيان الغربي علىٰ الأمة الاسلامية وتكالبت فيها جهالته العمياء عليها، اجازت جهالته لنفسها ان تنال من عظمة نبي الاسلام محمد (ﷺ) لذلك فليس من العجب ان يتصدىٰ لهذه الأتهامات والأفتراءات مرشد الثورة الاسلامية وحكيمها الامام الخامنهاي دفاعاً عن عظمة جدّه العظيم وعن عظمة رسالته العظمىٰ فيعلن متوجاً هذه السنة باسم جدّه العظيم «محمد» (ﷺ) خاتم النبيين وسيد المرسلين وقد عُرِف من هوفي قيادة الأمة الاسلامية في الظروف الحالكة والأزمات المتشابكة، ومن هذا المنطلق رأت «آفاق الحضارة الاسلامية» ان تزيّن عددها التاسع عشر بمقالات حول السيرة النبوية والدفاع عنها. فاشار عليّ من اشارته حكم واطاعته غنم مدير تحريرها الاستاذ الفاضل الدكتور قيس آل قيس ان ألخّص كتاب

«عبقرية محمد» لعباس محمود العقاد، فلبيت طلبه مسروراً وأقدّمه مغتبطاً مبتهلا اليه تعالىٰ ان اكون قد وفقتُ لما تريد «آفاق الحضارة الاسلامية» وتهدف اليه، متقدما بالعذر الىٰ القارىء العزيز عن الخطأ والنقصان ومنه الأجر وعليه اتوكل واليه أنيب.

علاماتُ مولد

كان العالم في نهايته، خلاصة ما يمكن ان يقال فيه: انه عالم فقد العقيدة كما فقد النظام لانه فقد اسباب الطمأنينة في الباطن والظاهر، اي القوه الغيبية التى تبسط العدل وتهدي الى الا حسن والاكمل في جميع شؤون الحياة والقوة التي تستند الى دولة تحكم بالشريعة وتحمي الضعفاء. بيزنطة قد خرجت من الدين وفارس قد سخرت من دين المجوس والحبشه في دين مشوه، عالم مضطرب يتهيأ للهدم ثم البناء والامة العربية بين هذه الامم نائمة بدأت تتيقظ، جاهلة في اول شعورها بنقصها وجهلها، فيها الترف وما يستتبعه من فساد وتسخير الاقوياء للضعفاء وفيها الفقر والفاقة والشك في اصلاح امور الحياة، خطر محدق وجهل محيط وحالة تنذر بالزوال ولكن قلّما تزول امّة تيقضت وحان اوان انتباهها الى نقصها.

جَدّ

في مكة وفي قريش بيت من صميم قريش ومن ذؤابتها انه بيت عبدالمطلب، عبدالمطلب شريف مكة وان لم يكن من اثريائها،رجل قوي الخلق قوي الايمان فيما آمن به يتمتع بحكمة مع قوة الايمان والطبع فهوخليق ان ينجب من يبشر بدعوة الاصلاح، نذرلئن رزقه الله عشرة بنين وعاشوا لينحرن احدهم عند الكعبة،[1] ثم احله قومه واحلته العرافة من نذره فأبى ان يتحلل حتى يستوثق من رضى الله والضمير، سألتهم العرافه «كم الدية فيكم» قالوا: «عشر من الأبل» قالت: «فتقربوا اذن بعشر من الابل واضربوا على الفتى بالقداح...فان خرجت على صاحبكم فزيدوا من الابل حتى يرضى ربكم» فمازالوا يزيدون حتى بلغت الابل مائة فخرجت القداح عليها، فهتفت قريش بعبدالمطلب: «لقد

رضى ربك... فاطلق فتاك».

لكن عبدالمطلب لم يتحلل حتى يستوثق فابى الا ان يضرب عليها القداح ثلاث مرات ثم نحرت الابل للجياع من الناس والطير والسباع.

وجاء ابرهة[٢] ذات يوم يهدم الكعبة ويسطو على الابل فلمّا سأله عبدالمطلب ان يرد اليه ابله قال له ابرهة «اراك تسأل عن ابلك ولاتسأل عن الكعبة» فاجابه عبدالمطلب جواب الحكيم المؤمن بما يقول: «اما الأبل فاناربها، وأما البيت فله رب يحميه» كان ايمانه ايماناً كفؤاً لدهاء السياسة، ولم يكن ايمان العجز والتواكل.

الاستسلام ومن كان له هذا الايمان وهذا الخلق وهذا الطبع وهذه الحكمة وهذا الشرف وهذه الرئاسة فلاعجب ان ينجب نبياً في زمان يستدعي الانبياء، ومكان مهيء لهم، بل العجب كل العجب ان يكون الامر غير ما كان.

اب

واذا كان عبدالمطلب جَداً خليقاً لينجب نبياً كريماً فابنه عبدالله كان نعم الاب لذلك النبي الكريم، لكأنّما كان قطعة من عالم الغيب ارسلت الى هذه الدنيا لتعقب فيها نبياً وهي لاتراه ثم تعود، كان انساناً من طينة الشهداء، فهو الفتىٰ الذي اختير للفداء، فجاشت له شفقة قومه حتى تركه القدر لهم الىٰ حين، وهو الفتى الذي تحدث بوسامته وحيائه الفتيات في خدورهن، وهو الفتىٰ الذي اقام مع عروسه ثلاثة ايامٍ ثم سافر ليتّجر، فذهب مع الذاهبين ولكنه لم يعد مع العائدين فكانت سفرة لاإياب بعدها وهو الفتىٰ الذي مات وهو غريب وولد له ولده الكريم وهو دفين.[٣]

وهكذا تتمثل البصائر الخاشعة آباء الانبياء والسلالة التي تصل بين عالم الغيب والشهود وبين الآخرة والدنيا وبين عالم البقاء والفناء.

رجل

عالم وامّة ومدينة كلها تتطلع الىٰ نبي، وقبيلة وبيت وابوان اصلح ما يكونون لانجاب

ذلك النبي. ها هو ذا رجل لايشركه ولايدانيه رجل آخر في صفاته ومناقبه الفضلى التي هيّأته لتلك الرسالة المأمولة في المدينة والأمة والعالم.

رجل نبيل عريق النسب،

فقير ليس بالغني المترف فيطغيه بأس الاغنياء

يتيم بين رحماء، ليس بالمدلل فيقتل التدليل ارادته وليس بالمهجور فتقتل القسوة فيه روح الأمل وعزّة النفس تربّىٰ في الصحراء وألف المدينة، اشتغل بالرعي ومارس التجارة وشهد الحروب والأحلاف اقترب من السراة والاغنياء ولم يبتعد عن المساكين والفقراء. اذن «هو خلاصة الكفاية العربية في خير ما تكون عليه الكفاية العربية». لانه اصلح رجل من أصلح بيت في اصلح زمان لرسالة النجاة المترقبة.

من هو ذلك الرجل:

هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب صلىٰ عليه رب العالمين وسلم.

ظهر ومكة والجزيرة والدنيا مهيّأة لظهوره ومحتاجة اليه.

اذن:

ماذا من علامات الرسالة الصادقة المنجية المرقوبة اصدق من هذه العلامات؟

وماذا من تدبير القضاء والقدر والمقادير اصدق واحسن من هذا التدبير؟

علامات الرسالة الصادقة:

هي عقيدة تحتاج اليها الأمة، واسباب تهيّأ لظهورها ورجل يضطلع با مانتها في أوانها.

فهل نحتاج الىٰ علامة اخرىٰ اذا تجمعت هذه العلامات؟

واذا لم تجتمع فاي علامة تنوب عنها او تعوّض ما نقص منها؟

لو اشتغل بالتجارة طول حياته لكان تاجراً اميناً ولكن التجارة كانت تشغل بعض صفاته ثم تظل صفاته العليا معطلة لانه لايحتاج اليها في هذا العمل.

ولو اشتغل زعيماً في قومه لكان زعيماً صالحاً ولكن الزعامة لاتستغرق كل ما فيه من قدرة واستعداد.

اذن فالذي اعدّه له زمانه واعدّته له فطرته، والذي هيّأته له صفاته وقدرته هوالرسالة العالمية لاسواها.

بشائر الرسالة

لسنا بحاجة الىٰ ما يقوله المؤرخون في استقصاء بشائر الرسالة المحمدية والىٰ ما يثبتون وما ينفون والىٰ ما يجهدون اقلامهم غاية الجهد فيما يثبتون وما ينفون وما يقبلون وما يرفضون، نحن بحاجة الىٰ النظر في العلامة التي لا غبار عليها ولا سبيل الىٰ انكارها وهي علامة الكون وعلامة التاريخ.

قالت حوادث الكون: ان الدنيا في حاجة ماسة الىٰ رسالة اصلاحية منجية وقالت حقائق التاريخ: ان محمداً (ﷺ) هو صاحب تلك الرسالة.

فهل بعد علامة الكون وعلامة التاريخ علامة؟

عبقرية الداعي

اتفقت احوال العالم اذن علىٰ انتظار رسالة واتفقت علىٰ ترشيح محمد(ﷺ) لها لانه كان مستكملاً لجميع الصفات التي لاغنى عنها في انجاح كل رسالة عظيمة من رسالات التاريخ.

كانت له فصاحة اللسان واللغة.

وكانت له القدرة علىٰ تأليف القلوب واستقطاب الثقة

وكانت له قوة الايمان بدعوته وغيرته البالغة علىٰ نجاحها

اما فصاحته فقد تكاملت له في كلامه وفي هيئة نطقه بكلامه وفي موضوع كلامه قالت عائشة: «ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد كسردكم هذا ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس اليه» فقد أوتي حقاً «جوامع الكلم» ورزق من فصاحة الموضوع كفاء ما رزق من فصاحة اللسان وفصاحة الكلام.

حروب ودفاع

لم ينجح الاسلام لانه دين قتال كما يريده اعداؤه المغرضون ولكنه نجح لانه دعوة لازمة يقوم بها داع موفق، وان النبي محمداً (ﷺ) لم يجتنب الهجوم والمبادأة بالقتال لعجز او خوف مما يجهله ولا يجيده ولكنه اجتنبه لانه نظر الىٰ الحرب نظرته الىٰ ضرورة بغيظة يلجأ اليها ولاحيلة له في اجتنابها، وحروب النبي (ﷺ) كانت كلها حروب دفاع، ولم تكن منها حرب هجوم الا علىٰ سبيل المبادرة بالدفاع بعد الايقان من نكث العهد والاصرار علىٰ القتال، وتستوي في ذلك حروبه مع قريش وحروبه مع اليهود او مع الروم، ففي غزوه تبوك[٤] عاد الجيش أدراجه بعد ان ايقن بانصراف الروم عن القتال في تلك السنة. والاسلام انما يعاب عليه ان يحارب بالسيف فكرة يمكن ان تحارب بالبرهان والأقناع أما ان يحارب بالسيف سلطة تقف في طريقه وتحول بينه وبين إسماع المستعدين للاصغاء اليه فلامعيب في ذلك عليه ولامطعن، وقريش لم يكونوا اصحاب فكرة يعارضون بها العقيدة الاسلامية والسلطة لاغنى عنها لانجاز وعود المصلحين ودعاة الانقلاب اذن فمحاربة السلطة بالقوة غير محاربة الفكرة بالقوة، ولابد من التمييز بين العملين، لأنهما جد مختلفين.

والاسلام لم يحتكم الىٰ السيف قط الاّ في الاحوال التي اجمعت شرائع الانسان علىٰ تحكيم السيف فيها.

القائد البصير

اذن لم يكن الاسلام دين قتال ولم يكن النبي (ﷺ) رجلاً يطلب الحرب للحرب او يطلبها وله مندوحة عنها، ولكنه مع هذا كان نعم القائد البصير اذا وجبت الحرب ودعته اليها المصلحة اللازمة، يعلم من فنونها بالالهام مالم يعلمه غيره بالدرس والمرانة، ويصيب في اختيار وقته وتسيير جيشه وترسيم خططه اصابة التوفيق واصابة الحساب واصابة الاستشارة، وقد يكون الأخذ[٥] بالمشورة الصالحة آية من آيات حسن القيادة تقترن بآية الابتكار والانشاء.

كان النبي (ﷺ) لا يبدأ احداً بالعدوان ولكنه اذا علم بعزم الأعداء على قتاله لم يمهلهم حتىٰ يها جموه بل كان يوجه همّه الاول الىٰ القضاء علىٰ قوتهم العسكرية باسرع ما يستطيع ويستفيد في ذلك من اختيار الموقع الملائم والفرصة ومعالجة العدو قبل تمام استعداده[٦] وكان يعتمد ﷺ علىٰ القوة المعنوية لا الكثره العددية، ثم انه كان لا يغفل عن القضاء علىٰ القوة المالية او التجارية التى يتناولها اقتداره، كما حدث في محاربته قريشاً في تجارتها[٧] وبعثه السرايا في أثر قوافلها وهذه هي سنة المصادرة التي يـقرها «القانون الدولي» اذن لامعنى لانكار بعض المغرضين من الكتاب الغربيين بتسمية هذه السرايا «بقطاع الطريق».

والنبي (ﷺ) لم يكن يقتحم المدن او يحاصرها الا ان يكون الحصار هو الوسيلة الوحيدة العاجلة لمبادرة قوة العدو قبل استعدادها او قبل نجاحها في الغدر والوقيعة كما حدث في حصار بني قريضة وبني قينقاع.[٨]

وكان ﷺ شديد الالتفات الى سدّ الثغور وحماية الظهور في جميع وقعاته، ففي وقعة أُحد جعل الجبل الى ظهره واقام علىٰ الشعب الذي يخشىٰ منه النفاذ خمسين رامياً مشدداً[٩] عليهم في التزام موقفهم وعدم تركه باية حال من الاحوال. ثم انّه ﷺ كان يعول في استطلاع كل مكان علىٰ اهله واقرب الناس الىٰ العلم بفجاجه ودروبه، وكـان شديد الحذر من الالسنة فكان يحارب من يشهّرون به او يثيرون العشائر لقتاله ويقذعون في هجوه وهجو دينه فينفذاليهم من يحاربهم في حصونهم او يتكفل له بالخلاص منهم، فهؤلاء يحاربون النبي (ﷺ) في صميم دعوته الدينية، فهم ليسوا في حالة سلم معه فلا معيب عليه في ذلك ولامجال لبعض المغرضين من كتاب الغرب باتهامه بالاختطاف والغدر.

وكانت خبرة النبي(ﷺ) ببعوث الاستطلاع كخبرته ببعوث القتال فكانت طريقته في اختيار المكان والغرض او في اختيار القائد وتزويده بالوصايا وانتخاب الأتباع مثلاً يحتذىٰ في جميع العصور ولاسيما العصر الحديث، فمن ذلك انه ﷺ بعث عبدالله بن جحش ومعه كتاب أمره الا ينظر فيه حتى يسير يومين،[١٠] فكان ﷺ يهتم بكتمان

الخبر عمن يحيطون به، ولهذا كان اذا اراد غزوة ورّىٰ بغيرها كما هي القاعدة التي يتبعها قادة الحروب حتى الآن. ثم انّه في كتابه لعبدالله بن جحش يوصيه ان لايكره احداً من اصحابه علىٰ المسير معه لأن مهمته بعثة يشترط فيها الرغبة والطواعية، لايغني فيها عمل الكاره المقسور وفحوىٰ كتابه ﷺ الى عبدالله أن: «سِرْحتى تأتي بطن نخلة علىٰ اسم الله وبركاته، لاتكرهَنَّ احداً من اصحابك علىٰ المسير معك، وامض فيمن تبعك حتى تأتي بطن نخلة فترصد بها عير قريش وتعلم لنا من اخبارهم».

اذن فهي سرية:

استطلاعية لم تُؤمر بقتال ولكن بعد فض الكتاب حدث ان اثنين من رجال السرية ذهبا يطلبان بعيراً لهما فأسرتهما قريش وهما سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان وعندما مرت بالركب عير قريش تحمل تجارتها وعليها عمروبن الحضرمي اندفعوا الىٰ قتالها فقتل عمرو بن الحضرمي واسروا رجلين وغنموا من العير وقفلوا راجعين الى المدينة وقد حجزوا للنبي (ﷺ) الخمس فاباه ولم يقبله وقال لهم ما امرتكم بقتالهم في الشهر الحرام وراحت قريش واليهود ينادون ان محمداً واصحابه اباحوا الدماء والاموال في الشهر الحرام فنزلت الآيات «يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه، قل قتال فيه كبير وصدعن سبيل الله والفتنة اكبر من القتل ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا»[١١] وقبض النبي (ﷺ) العيروالأسيرين وطلبت قريش فداءهما فقال ﷺ:

«لانفديكموهما حتى يقدم صاحبانا، فانا نخشاكم عليهما فان تقتلوهما نقتل صاحبيكم»

قريش تحتمي بالشهر الحرام ولا تراعي فيه حرمة المسلمين فما هو العمل؟ أُنزل في ذلك تشريع، والشرائع الحديثة تدين به في علاقاتها الحربية فهناك حرمات دولية اذا خالفتها احدىٰ الدول بطل احتماؤها بها وأحلّ لغيرها ان يخالفها كما خالفتها، والاّ كانت الحرمات درعاً للمعتدين، فالذي حدث بعد سرية عبدالله بن جحش تبادل اسيرين بأسيرين واموال العير باموال المسلمين التي كانت قريش قد احتجزتها. وهذا هو قانون

الدول التي هي في حالة حرب فلا محل لضجة الناقدين من المبشرين والمتعصبين، وهل يمكن ان نستبدل بهذا القانون ما هو خير منه وأدنىٰ الىٰ النفاذ والأتّباع؟!

وقد اراد بعض المستشرقين ان يقلل من شجاعة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) مستنداً الىٰ انه صلى الله عليه وآله وسلم اشترك في حرب الفجار بتجهيز السهام لانه عمل اقرب الىٰ خلقه من الخوض في معمعة القتال وهذا خطأ فقد تجمّعت فيه اطيب صفات الحنان واكرم صفات البسالة والأقدام فكان صلىٰ الله عليه وآله في طليعة رجاله حين تحتدم الحرب وكان علي(عليه السلام) فارس الفرسان يقول: «كنا اذا حمي البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .... فما يكون احد اقرب منه الىٰ العدو»، ولولا ثباته في وقعة حُنين[١٢] وقد ولت جمهرة الجيش واوشك ان ينفرد وحده في وجه الرماة والطاعنين لحقّت الهزيمة علىٰ المسلمين.

وقد انتقد بعض المستشرقين قتل بعض الاسرىٰ بعد غزوة بدر وخروج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) الىٰ ساحة المعركة لرؤية صرعىٰ المعركة وغنائمها ولكنه فاتهم أن هذا امر لايصح الحكم فيه الاّ بالنظر الىٰ موضعه وموقفه واشخاصه، وقد ذكر المؤرخون الأوربيون من مآخذ في هذا الباب، قتل المقاتلين من بني قريضة بعد معركة الاحزاب، فانهم يستعظمون قتلهم ويحسبونه مخالفاً للعرف المتبع في الحروب وينسون اموراً لايصدق الحكم في هذه المسألة مالم يذكروها ويستحضروها اَتمّ استحضار. وينبغي ان يسأل الناقدون انفسهم، ماذا كان مصير المسلمين لو كانت قد ظفرت بهم الاحزاب؟

ان عبقرية محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) في قيادته لعبقرية ترضاها فنون الحرب، وترضاها المروءة وترضاها شريعة الله والناس، وترضاها الحضارة في احدث عصورها، ويرضاها المنصفون من الاصدقاء والاعداء.

عبقرية محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) السياسية

تتجلىٰ عبقرية محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) السياسية في صلح الحديبية،[١٣] حيث ظهر تدبيره صلى الله عليه وآله وسلم في سياسة خصومه وأتباعه، فعندما بدأ بالدعوة الىٰ الحج فلم يقصره في تلك السنة علىٰ المسلمين بل شمل به كلّ من اراد الحج من ابناء القبائل العربية التي

تشارك المسلمين في تعظيم البيت والسعي اليه فجعل له وللعرب اجمعين قضية واحدة في وجه قريش، وبذلك أفسد علىٰ قريش ما تعمدوه من اثارة نخوة العرب وتوجيهها الىٰ مناوأة النبي (ﷺ) والرسالة الاسلامية ثم افسد علىٰ قريش ما تعمدوه من اغضاب العرب علىٰ الاسلام بما ادعوا من قطع النبي(ﷺ) للارزاق وتهديده للاسواق التي يعمرها الحاج ويستفيد منها الغادون الىٰ مكة والرائحون منها. وتمّ عهد الحديبية فعرف من لم يعرف ما أفاء علىٰ الاسلام بعد قليل فجهر بمحالفة النبي(ﷺ) من لم يكن يجهر بولائه.

واستراح النبي (ﷺ) من قريش ففرغ ليهود خيبر وللممالك الأجنبية يرسل الرسل الىٰ عظمائها بالدعوة الىٰ دينه.

وعندما نزلت الآية الكريمة علىٰ اثر هذا الأتفاق ﴿**انّا فتحنّا لك فتحاً مبيناً ليغفرَ لك اللّهُ ما تقدَّمَ من ذنبِكَ وما تأخَّرَ، ويُتمَّ نعمتَه عليك ويهديَك صراطاً مستقيما**﴾ [١٤] لم يفقه الكثيرون معناها في حينها وحسبوا الاتفاق محض تسليم، ولكنهم فهموا اي فتح هو بعد سنتين، وعلموا ان من الفتوح ما يكون بغير السيف، وما يشبه الهزيمة في ظاهره عند من يتعجلون ولا يحسنون النظر الىٰ بعيد، وكان الفتح المبين حقاً في السنة التالية في عمرة القضاء حيث حج المسلمون رجالاً ونساء واطفالاً وهكذا تجلّت عبقريته ﷺ في سياسة الأمور كما تجلّت في سياسة الجيوش.

جوامع الكلم

أوتي النبي(ﷺ) جوامع الكلم فكان ﷺ مخزناً له، لان الابلاغ اقوىٰ الابلاغ في كلام النبي لانه اجتماع المعاني الكبار في الكلمات القصار، بل اجتماع العلوم الوافية في بضع كلمات وقد يبسطها الشارحون في مجلدات.

من امثلة ذلك علم السلوك في الدنيا والدين وقد جمعه ﷺ في اقل من سطرين قصيرين في قوله: «احرث لدنياك كأنك تعيش ابدا واعمل لآخرتك كأنّك تموت غدا».

ومن امثلة علم السياسة الذي اجتمع كله في قوله: «كما تكونوا يُولّ عليكم».

فهذه الكلمة ينطوي فيها ان الامم مسؤولة عن حكوماتها، لايعفيها من تبعة ما تصنع تلك الحكومات عذر بالجهل اوعذر بالأكراه، لان الجهل جهلها الذي تعاقب فيه، والاكراه ضعفها الذي تلقىٰ جزاءه، فمعنىٰ هذه الكلمة ان الامة مصدر السلطات علىٰ حد التعبير الحديث ومعناها ان الامة تستحق الحكم الذي تصبر عليه ولو لم يكن حكم صلاح واستقلال. كان صلىٰ الله عليه وآله فصيح اللسان فصيح الأداء، وكان بليغاً مبلّغا علىٰ اساس ما تكون بلاغة الكرامة والكفاية وكان بلسانه وفؤاده من المرسلين بل قدوة المرسلين.

محمّد الصديق (عطوف ودود)

اذا كان الرجل محباً للناس، اهلاً لحبهم اياه فقد تمت له اداة الصداقة من طرفيها.

وانّما تتم له اداة الصداقة بمقدار مارزق من سعة العاطفة الانسانية ومن سلامة الذوق، ومتانة الخلق، وطبيعة الوفاء.

فلا يكفي ان يحب الناس فيحبوه، لانه قديحبهم وفي ذوقه نقص ينفرّهم منه ولايكفي ان يكون محباً سليم الذوق ليبلغ من الصداقة مبلغها فقد يكون محباً حسن الذوق ثم يكون نصيبه من الخلق المتين والطبع الوفي نزراً لاتدوم عليه صداقة.

انّما تتم اداة الصداقة بالعاطفة الحية، والذوق السليم، والخلق المتين وقد كان محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) في هذه الخصال مثلاً عالياً بين صفوة خلق الله كان يعطف علىٰ كل ضعيف فما نهر خادماً ولاضرب احداً، قال أنس: «خدمت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشر سنين، فما قال لي أف قط، ولا قال لشيء صنعته: لم صنعته؟ ولا لشيء تركته: لم تركته؟»

وقد شمل عطفه جميع الاحياء فلم يقتصر علىٰ الناس بل شمل العجماوات ايضاً فقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يصغى الآناء للهرة لتشرب وكان يوصي المسلمين قائلاً:«اذا ركبتم هذه الدّواب فاعطوها حظها من المنازل ولاتكونوا عليها شياطين» وشمل عطفه الجماد ايضاً كانه من الاحياء فكان لكل ادواته التي يستعملها اسم خاص وفي تسمية الاشياء بالاسماء معنىٰ الألفة التي تجعلها اشبه بالاحياء المعروفين كأن لها «شخصية» تميزها

كما يتميز الأحباب بالوجوه والملامح.

هذه العاطفة الانسانية الرحبة لم تكن هي كل اداة الصداقة في تلك النفس العلوية بل كان معها ذوق سليم يضارعها رفعةً ونبلاً يتمثل في علاقة النبي(ﷺ) بالناس في رعاية شعورهم أتم رعاية. من ذلك «كان اذا ودّع رجلاً اخذ بيده فلايدعها حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده...».

ومع هذا كله كانت له أمانة يثق بها العدو فما بال الصديق؟ وحسبك من ثقة الناس به ما اودعوه من امانات وهم يناصبونه العداء، فلم يخرج للهجرة وهو مهدد في سربه حتى رد الأمانات الىٰ اصحابها.

لم يعرف في تاريخ العظمة – لابين الانبياء ولاغير الانبياء– انسان ظفر بنخبة من الصداقات علىٰ اختلاف الاقدار والبيئات والامزجة والاجناس كالتي ظفر بها محمد (ﷺ) ولم يعرف عن انسان انه احيط من قلوب الضعفاء والاقوياء بما يشبه الحب الذي احيط به هذا القلب الكبير. وحسبك حديث زيد بن حارثه حين اهتدىٰ اليه ابوه واهتدىٰ هو الىٰ ابيه وخير بين الرجعة مع ابيه وبين البقاء مع سيده «محمد(ﷺ)» فاختار البقاء مع السيد علىٰ الرجعة مع الوالد. وحسبك انه كان لايُغني من لازموه ان يلزموه في الحياة حتى يثقوا من ملازمتهم اياه بعد الموت. ضعف مولاه ثوبان والح عليه الحزن في ليله ونهاره فلما سأله السيد العطوف يستفسره علة الحزن قال في طهارة الابرار:«اني اذا لم ارك اشتقتك واستوحشت وحشة عظيمة، فذكرت الآخرة حيث لا أراك هناك لاني اذا دخلت الجنة فانت تكون في درجات النبين فلا أراك» وقد رويت هذه القصة في اسباب نزول الآية الكريمة:

﴿ومن يُطعِ اللهَ والرسولَ فاولئك مع الذين أنْعَمَ اللهُ عليهم من النبيينَ والصّدّيقينَ والشهداءِ والصالحينَ وحَسَنَ اولئكَ رفيقاً﴾.

هذه بلاريب هي:

عظمة العظماء ومعجزة الاعجاز في باب الصداقات وما استحقها محمد(ﷺ) الاّ بنفس غنيت بالحب وخلصت له حتىٰ اعطت كل محب لها كفاء ما يعطيها: مودة بمودة

وصفاء بصفاء وعليها المزيد من فضل التفاوت في الأقدار.

علىٰ اننا نلمس دلائل هذا الفؤاد الرحب وهذا العطف الانساني الشامل في معاملته ﷺ لاعدائه وشانئيه فضلا عن معاملته للاصفياء، ومن ليس بينهم وبينه عداء ولاصفاء.

هذه النفس المطبوعة علىٰ الصداقة والرحمة والسماحة، ما اعجب اتهامها بالقسوة علىٰ السنة بعض المؤرخين الأوربيين! ما اعجب اتهامها بالقسوة لانها دانت اناساً بالموت كما يدين القاضي مجرماً بذنبه وهو ارحم الرحماء!

ما اعجبهم اذ يذكرون العقوبة وينسون الذنب الذي استوجب العقوبة كما يستوجب السبب النتيجة.

وهل ينسىٰ التاريخ حادث الرسل الأربعين – وقيل السبعين – الذين قتلوا في بئر معونة[١٥] ولاذنب لهم الاّ انهم ذهبوا تلبية لدعوة الداعين ليعلّموا من ينشد علم القرآن والدين.

فماذا كانت دول الحضارة صانعة بالقاتلين الغادرين لو كان هؤلاء الاربعون اوالسبعون مبشرين بالدين المسيحي قتلوا في قبيلة من الهمج الذين يأكلون الآدميين ومن حقهم ان يعذروا كما تعذر الوحوش؟

وغدرت قبيلة هذيل بالرسل الستة[١٦] الذين ذهبوا اليهم ليعلموا من شاء ان يتعلم احكام الدين، فقتلوا جميعاً وجيء باحدهم وهو زيد بن الدَّثِنَّة اسيراً ليباع....فاشتراه صفوان بن امية ليقتله بابيه، ونصب للقتل فسأله ابوسفيان مستهزئاً: «انشدكَ اللهَ يا زيدُ، اتحبُ انَّ محمداً الآنَ عندما في مكانِكَ تُضَربُ عنقُه وانت في اهلِك؟» فاجابه زيد:«واللهِ ما أحبُّ انَّ محمداً الآن في مكانِهِ الذي هو فيه تُصيبُه شوكةٌ تؤذِيه وانا جالس في أهلي...» فصاح ابوسفيان دهشاً: «ما رأيت من الناس أحداً يحبه اصحابه ما يحب اصحابُ محمدٍ محمداً».

من فعلة كهذه نعلم مدىٰ ما استحقه محمد(ﷺ) من حب الاصدقاء ومدىٰ ما استحقه اعداؤه من جزاء.

وكان محمد (ﷺ) رئيساً ولكنه كان الصديق الاكبر لمرؤوسيه

فكان له الحكم بسلطان الدنيا

وكان له الحكم بسلطان الآخرة

وكان له الحكم بسلطان الكفاءة والمهابة

وكل اولئك كان لمحمد (ﷺ) الحق الاول فيه: كان له من سلطان الدنيا كل ما للامير المطلق اليدين في رعاياه، وكان له من سلطان الآخرة كل ما للنبي الذى يعلم من الغيب ما ليس يعلم المحكومون، وكان له من سلطان الكفاءة والمهابة ما يعترف به بين اتباعه أكفأ كفؤ وأوقر مهيب ولكنه لم يشأ الا ان يكون الرئيس الاكبر، بسلطان الصديق الاكبر وبسلطان الحب والرضا والاختيار.

حق المرأة

كانت المرأة متاعاً يورث ويقسم تقسيم السوائم بين الوارثين فاصبحت بفضل الاسلام ونبيّه صاحبة حق مشروع ترث وتورث ولايمنعها الزواج ان تتصرف بما لها وهي في عصمته كما تشاء.

وكانت وصمة تدفن في مهدها فراراً من عار وجودها، او عبئاً تدفن في مهدها فراراً من نفقة طعامها، فاصبحت انساناً مرعيّ الحياة ينال من ينالها بمكروه.

ولم تكن في البلاد الأخرىٰ باسعد حظاً منها في البلاد العربية.

فماذا صنع محمد (ﷺ)؟ وماذا صنعت رسالة محمد(ﷺ)؟

اعطاها القرآن من الحقوق كفاء ما فرض عليها: ﴿ولَهُنَّ مثلُ الذي عليهنَّ بالمعروف﴾[١٧].

وامر المسلمَ باحسان معاشرتها ولو مكروهة ﴿وعاشرُوهُنَّ بالمعروفِ فانْ كَرِهْتُموهُنَّ فعسىٰ ان تكرهوا شيئاً ويجعلُ اللهُ فيه خيراً كثيراً﴾[١٨] وأباح لها الدّينُ ان تكسبَ كما يكسبُ الرجالُ: ﴿للرجالِ نصيبٌ مما اكتسبوا وللنساءِ نصيبٌ مما اكتسَبْنَ﴾[١٩].

وكان النبي(ﷺ) يوجب على نفسه في معاملته لزوجاته اكثر بكثير مما يوجب

على عامة المسلمين. كان يشفق ان يرينه غير باسم في وجوههن ويزور هن جميعاً في الصباح والمساء واذا خلابهن «كان ألين الناس ضاحكا بساماً» كما قالت عائشه، فلم يجعل من هيبة النبوة سداً رادعاً بينه وبينهن.

وقد توهّمه المشَهِّرون من مؤرخي اوربا فاتَّهموه بانه رجل غلبته لذات الحسّ، ولكننا لانرىٰ الا صورة من اعجب الصور التي تقع في وهم واهم.

نرىٰ رجلاً كان يستطيع ان يعيش كما يعيش الملوك ويقنع مع هذا بمعيشة الفقراء ثم يقال انه رجل غلبته لذّات حسّه!!

ونرىٰ رجلاً تألّبَتْ عليه نساؤه لانه لايعطيهن الزينة التي يتحلين بها لعينيه ثم يقال انه رجل غلبته لذّات حسّه!!

ونرىٰ رجلاً آثر معيشة الكفاف والقناعة علىٰ ارضاء نسائه بالتوسعة التي كانت في وسعه ثم يقال انه رجل غلبته لذّات حسّه!

ذلك كلام لو شاء المشَهرّون ان يرسلوه كلاماً مضحكاً مستغرباً لافلحوا فيما قالوه احسن فلاح، او اقبح فلاح!

عمّ شغلته المرأة؟ ومَن ذا تفرغ لعظيم من المسعىٰ فبلغ فيه شأو محمد(ﷺ) في مسعاه؟

مَنْ مِنْ بُناة التاريخ قد بنىٰ في حياته و بعد مماته تاريخاً اعظم من تاريخ الدعوة المحمدية؟

مَنْ ذا الذي يقول ان هذا عمل رجل مشغول؟

الهوامش:

١. انظر السيرة النبوية، ابن هشام ١-١٥٢/٢ وما بعدها، تحقيق، مصطفىٰ السقا، ابراهيم الآبياري.
٢. انظر المصدر السابق ص٤٣ وما بعدها، والمفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام الدكتور جواد علي ٥٠٧/٣ ومابعدها.
٣. انظر السيرة النبوية ص ١٥٨ وما بعدها.
٤. انظر المصدر السابق ٥٢٩ وما بعدها، والمغازي للواقدي ٩٨٩/٣ وما بعدها.
٥. انظر في ذلك السيرة النبوية، ابن هشام: ١-٦٠٦/٢ وما بعدها و٣-٢٢٤/٤ والمغازي للواقدي ١٢/١ وما بعدها و ٤٤٥/٢.
٦. انظر غزوه تبوك في السيرة النبوية ٣-٥٢٩/٤ وما بعدها والمغازي للواقدي ٩٨٩/٣.
٧. انظر سبب حرب بدر في سيرة ابن هشام ١-٦٠٦/٢ وما بعدها والمغازي ١٩/١ وما بعدها.
٨. انظر ذلك في السيرة ٣-٤٧/٤-٥٠ والمغازي ١٧٦/١-١٨٠.
٩. انظر وصيته لهم في السيرة ٣-٦٥/٤-٦٦ والمغازي ٢٢٤/١-٢٢٥.
١٠- انظر السيرة ١-٦٠٢/٢ والمغارى ١٣/١
١١. سورة البقرة، الآية ٢١٧.
١٢. انظر وقعة حنين في السيرة النبوية ٣-٤٣٧/٤ وما بعدها والمغازي ٨٨٥/٣ وما بعدها.
١٣. انظر صلح الحديبية في السيرة ٣-٣٠٨/٤ وما بعدها والمغازي ٥٧١/٢ وما بعدها.
١٤. سورة الفتح، الآية ١-٢.
١٥. انظر ذلك في السيرة ٣-١٨٣/٤-١٨٩ والمغازي ٣٤٦/١ وما بعدها.
١٦. انظر ذلك في حادثة يوم الرجيع في السيرة ٣-١٦٩/٤ وما بعدها والمغازي ٣٥٥/١-٣٦٣.
١٧. سورة البقرة، الآية ٢٢٨.
١٨. سورة النساء، الآية ١٩.
١٩. سورة النساء، الآية ٣٢.

أهمّ الملابسات الاجتماعية والسياسية
بعد وفاة الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وانعكاسها على الشعر

الدكتور عبدالعلي فيض‌اللّه‌زاده
استاذ الأدب العربي ـ جامعة الشهيد بهشتي

من الحقائق المتواضع عليها لدى معظم الباحثين في الأدب العربي أنّ الاسلام في عصر النبوّة والخلفاء الراشدين قد بدأ يؤثر في الشعر العربي ويترك بصماته الواضحة عليه، ومهما يكن من أمر الآراء العديدة التي قيلت في هذا الصدد فانّ الحقيقة التي خرج بها اكثر علماء النقد و مؤرخي الأدب، هي أنّ هناك قدراً من التأثير الاسلامي لا يمكن إنكاره في بعض النماذج الشعرية التي تخلّفت لنا من تلك الفترة، ولئن كان هذا التأثير يبدو متواضعاً بالقياس الى ما كان يمكن أن نتوقّعه، فمردّ ذلك إلى انّ هذا التأثير المتواضع نسبياً لم يكن سوى مجرّد ارهاص بالتأثير الفعلي والعميق الذي سيؤتي أكله ناضجةً غير فجّة في الفترة اللاحقة، أي في الشعر الاموي، فإنّه ما كان يمرّ على وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) (٦٣٢م) عشرون سنة، حتى بدأت وثبةٌ أدبيةٌ جديدةٌ آلت إلى اتّساع نطاق الشعر العربي ووغول أغواره[١].

والحقيقة أنّ هذه الوثبة، أو هذا التطور الذي لحق بالشعر في العصر الأموي، لم يأت من فراغ، ولا يمكن فصله عمّا جدّ من ظروفٍ وملابساتٍ وأوضاعٍ جديدة، طرأت على الاسلام والمسلمين في أواخر عصر الخلفاء الراشدين، ثمّ في العصر الأموي، وهي ظروف أنعكست بطبيعة الحال على الشعر، وعبّر عنها الشعر وتفاعل معها، فلقد عصفت

بالمجتمع الاسلامي احداث الفتنة الكبرى التي انتهت باستيلاء معاوية بن أبي سفيان على الخلافة، وما تلا ذلك من انتقال حاضرة الدولة من المدينة إلى دمشق، وامتداد حدود الأمة الاسلامية بعيداً نحو الشرق ونحو الغرب بعد حركة الفتوح الخاطفة التي اجتاحت العراق وفارس والشام ومصر وافريقية وتحول المجتمع العربي إلى مجتمع إسلامي تشارك العناصر الأجنبية في بنائه كما تشارك حضارات الأمم التي انضوت تحت لواء الاسلام في تطويره وهجرة بعض القبائل العربية من منازلها في الجزيرة العربية إلى أرجاء الدولة الاسلامية العريضة، الممتدة من سور الصين إلى بحر الظلمات، لتستقرّ بها وتمارس حياتها الجديدة في ظروفٍ طبيعيةٍ وحضارية مختلفة.

لقد أخذ المجتمع الاسلامي في ظلّ هذه الظروف الجديدة يتطور تطورا بعيد المدى، ومع هذا التطور السياسي والاجتماعي بدأ الشعر حركته نحو التطور والتجديد[٢]، هذه هي الخطوط العامة العريضة التي اعتورت المجتمع الاسلامي في ذلك الحين وعملت على تغيير أوجه الحياة فيه، ذلك التغيير الذي سيعكس على الشعر مزيداً من التأثير ويدفعه نحو آفاق أبعد من الجدّة والتطور، وسنحاول أن نفصّل هذه الخطوط العامّة قليلاً حتى نتعرّف على عناصرها ومن ثمّ نستطيع أن نضع أيدينا على عوامل ذلك التطوّر ومظاهره.

وبطبيعة الحال لن نخوض في الدقائق التاريخية والاحداث التفصيلية، إلا بالقدر اليسير الذي يقتضيه موضوعنا، حتى لا نخرج بالبحث عن حدوده الادبية إلى دائرة التاريخ من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى فإنّ الاحداث التي سنشير إليها، هي أحداث جدّ معروفةٍ، وتناولها الكثير من المصادر التاريخية القديمة باسهابٍ فضلاً عن البحوث المعاصرة التي يكاد يخطئها العدُّ.

١ ـ مشكلة الامامة وظهور الفِرق والاحزاب الاسلامية:

يختلف المؤرخون حول أوّل شقاقٍ وخلافٍ وقع بين المسلمين، وإن كانوا يقرّون بأنّه لم يقع إلا بعد وفاة الرسول (ﷺ)، فعبد القاهر البغدادي يرى أنّ أوّل خلاف كان حول موت الرسول (ﷺ)، فقوم يزعمون أنّه لم يمت، وإنّما أراد الله تعالى رفعه إليه، ثم

اختلف المسلمون بعد ذلك في موضع دفن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، حيث أراد أهل مكة ردّه إلى مكة لانّها مولده ومبعثه وقبلته وموضع نسله وبها قبر جدّه اسماعيل (عليه السلام)، وأراد أهل المدينة دفنه بها، لانّها دار هجرته ودار أنصاره، وقال آخرون بنقله إلى أرض القدس ودفنه ببيت المقدس عند قبر جده إبراهيم الخليل (عليه السلام)[٣]، وقد تكفل أبوبكر بإزالة هذين الخلافين حين ذكّرهم بقول الله تعالى لرسوله(صلى الله عليه وآله وسلم): ﴿إنّك ميّتٌ وإنّهم ميتون﴾[٤]، وقال لهم: مَن كان يعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات، ومَن كان يعبد ربَّ محمدٍ فإنّه حيٌّ لا يموت[٥]، وفيما يتصل بدفن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) روي لهم ما سمعه عنه من أنّ الانبياء يدفنون حيث يقبضون[٦]، ويذكر لنا البغدادي أنّ ثالث خلافٍ بين المسلمين كان حول الامامة[٧]، وهو الخلاف الشهير الذي جرى بين المهاجرين والانصار حتى انتهى بأخذ البيعة لابي بكر.

أما الاشعري فإنّه يغضّ النظر عن هذين الخلافين الاولين، ويعتبر الامامة أول ما حدث بين المسلمين من اختلافٍ[٨]، والحقيقة أنّ مشكلة الامامة أوّل امتحانٍ حقيقي عسير يواجهه المسلمون ويختلفون فيه شيعاً واحزاباً، يواجه بعضها بعضاً طوال عدة قرونٍ، بُدأً من وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، مضحّين في سبيل ذلك بالوقت والجهد والمال والدم، خلال عشرات الحروب والمعارك التي شهدها التاريخ الاسلامي منذ فجره الباكر.

وفي عهد الخلفاء الراشدين ظلّت مشكلة الخلاف حول الامامة كامنةٌ تحت السطح دون أن تجد الفرصة للظهور، خاصةً حين كان المسلمون مشغولين بجهاد أعدائهم ومواصلة فتوحاتهم[٩]، وهذا هو ما حدث في خلافة الشيخين أبي بكر وعمر، حتى إذا صارت الخلافة إلى عثمان بن عفان، حينئذٍ اصبحت الظروف مهيأةً من جديدٍ لظهور المشكلة: وكان ما كان ممّا هو معروفٌ عن ثورة المسلمين على عثمان وقتله سنة ٣٥ هـ ثم مبايعة الامام علي بن أبي طالب(عليه السلام)[١٠]، وابن عمّ الرسول ووصيّه و احقّ النّاس بالخلافة من بعده، حسبما تدلّ على ذلك من قبل الرواة الثقات من اهل السنّة[١١]، والمتواترة عن طريق العترة الطاهرة من آل البيت(عليهم السلام)[١٢].

وبمبايعة علي بن ابي طالب (عليه السلام) عاد الحق إلى نصابه، ولكن ما إن شرع

اميرالمؤمنين علي (عليه السلام) أن يرأب صدع الامة ويعيدها إلى سيرتها الاولى حتى خرج عليه المتظاهرون بطلب ثأر عثمان، الطّامعون حقيقة في الخلافة والمكاسب المادية.

فخرجت عائشة ومعها الزبير وطلحة من ناحية، وتمرّد امير الفئة الباغيه معاوية من ناحية أُخرى[١٣].

وبالفعل فإنّ اصحاب الجمل ندموا واعترفوا بعد هزيمتهم بحقيقة خروجهم، فعندما سئلوا عمّا أخرجهم وحملهم على نكث بيعتهم، لم يجد طلحة جوابا وأطرق بوجهه وجعل ينكث الارض، و أجابت عائشة بأنه كان أمر قضاء و أمر خديعة. و توبتها عمّا كان منها مشهورة، أمّا الزبير فقد اعترف بأنه خرج بحثا عن الدنانير[١٤]، وإلا لماذا ابطأ عن نصرة عثمان هو وباقي عمّال الامصار، حتى أتيح للثائرين أن يحاصروه فيطلبوا الحصار أربعين يوما متّصلة ثم يقتلوه بعد ذلك[١٥].

وأمام هذا التمرّد والجشع، وتلك الفتن والاحقاد، فإنّ أمير المؤمنين على بن أبي طالب (عليه السلام) أخذ على عاتقه أن يقاوم هذه الادواء حتى يمحوها ويزيل آثارها، ومن هنا كانت وقعة الجمل ووقعة صفين ثم ما تلاها من حروب مع الخوارج، وليس من شأننا هنا أن نسرد أخبار تلك الوقعات والحروب.

ولكننا نريد أن نسجّل أنّ أمير المؤمنين عليّا كان ـ كما تشهد بذلك كتب التاريخ على اختلاف مشاربها ـ حريصا على أن يحارب بالحجّة بدلاً من السيف، وأن يحلّ الكلمة محلّ الرّمح، ففي موقعة الجمل مثلاً، كان حريصاً على ألا يبدأ بالهجوم، وراح يحاج القوم ليثنيهم عن غيّهم ما وسعه ذلك[١٦].

وظل إلا أن حمل أصحاب الجمل على ميمنته وميسرته فكشفوها، فأتى بعض ولد عقيل وأمير المؤمنين يخفق نعاساً على قربوس سرجه، فقال له: يا عم قد بلغت ميمنتك وميسرتك حيث ترى وأنت تخفق نعاساً، قال: اسكت يا ابن أخي فإنّ لعمّك يوماً لا يعدوه، والله لا يبالي عمّك وقع على الموت أو وقع الموت عليه[١٧]. وعلى الرغم من كلّ ذلك الانتصار، بل توجّع على القتلى من عسكر الخصوم ولام الذين زعموا أنّه لم يخرج معهم إلا الغوغاء[١٨]، وكذلك الامر في وقعة صفين، فإنّه أشفق على المسلمين أن تسفك

دماؤهم وقال لمعاوية: «علام تقتل الناس بيني وبينك؟ أحاكمك إلى الله عزوجل، فأيّنا قتل صاحبه استقام الامر له، فقال معاوية لاصحابه: يعلّم أنّه لا يبارزه أحد إلا قتله»[١٩] وكذلك كان أمير المؤمنين مع الخوارج، لا يفتأ يناظرهم ويبيّن لهم شططهم، ويمنحهم بالحجّة أو يرسل إليهم من يجادلهم ويناظرهم[٢٠]، حتى يستنفد معهم كل وسائل الاقناع الممكنة قبل أن يضطر لقتالهم.

وعلى كل حال فقد انتهى الامر كما هو معروف باستشهاد امير المؤمنين الامام علي (عليه السلام) على يد أحد الخوارج، وبتنازل الامام الحسن بن على عن الخلافة[٢١] لمعاوية بن أبي سفيان حقنا لدماء المسلمين[٢٢]، بعد أن ظلّ خليفة مدّة خمسة أشهر وخمسة عشر يوما، ولعلّه أراد بذلك أن يصلح بين الفئتين من المسلمين كما أخبر عن رسول الله فيما روى عنه «إن ابني هذا سيد، وسوف يصلح الله به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين»[٢٣].

لم نرد بكل ذلك أن نخوض في تفاصيل التاريخ السياسى للمسلمين، وإنّما أردنا أن نبيّن أنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) حاول أن يتفادى سياسة سلفه[٢٤] ويعيد العدل والحق إلى مكانه، وأنّه لم يلجأ للسيف إلا في الضرورة القصوى، فقد تولى الخلافة في فترة حرجه كانت فيها نتائج سياسة سلفه عثمان بن عفان قد استفحلت واستشرت في جسد الامة، مثل محاباة أقاربه من الامويين وتوليتهم الامصار، ومثل اغداقه عليهم من بيت المال، الامر الذي حدا بأمير المؤمنين (عليه السلام) إلى أن ينزع املاكا كانت لعثمان ويقطعها جماعة من المسلمين ويقسّم ما في بيت المال على الناس دون أن يفضّل أحداً على أحد[٢٥].

وقد عبّرت كلمة أبي ذر الغفاري زمن عثمان عمّا حلّ بالامة من ظلم ومن انحراف عن جادة السبيل، حيث يقول: «أيّتها الامّة المتحيّرة بعد نبيّها، أما لو قدّمتم من قدّم الله، وأخّرتم من أخّر الله، وأقررتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيّكم لاكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أقدامكم، ولما عال ولي الله ولا طاش سهم من فرائض الله ولا اختلف اثنان في حكم الله، الا وجدتم علم ذلك في كتاب الله وسنّة نبيّه، فأما إذا فعلتم ما

فعلتم فذوقوا وبال أمركم وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون»[٢٦]، وقد فطن بعض الباحثين الغربيين لهذا التحوّل الذي طرأ على الخلافة بتولي عثمان، فهذا هو أحدهم يعلن أن بتولية عثمان: «كف الخليفة عن أن يكون رجلاً عجيباً له ذاتية مدهشة متوقدة، وأصبح ملكاً شرقياً، ككثير من الملوك الشرقيين من قبل ومن بعد[٢٧]»، وقريب من هذا رأي الدكتور طه حسين في أنّ سياسة عثمان لم تكن سياسة خلافة كالتي عرفوها أيّام عمر ولا سياسة ملك كالتي عرفوها من قيصر وكسرى وإنما كانت شيئاً بين بين[٢٨].

وهذا الرأي في خلافة عثمان أمر يدركه ويقرّ به الامويون أنفسهم، فهذا هو عبدالملك بن مروان خامس الخلفاء الامويين يشير إلى عثمان من طرف خفيّ وهو يتحدّث عن نفسه قائلا: «أيّها الناس: لست بالخليفة المستضعف»[٢٩]، وما مطالبة الامويين عليّاً بدم عثمان إلا ستارا يخفي وراءه مطامعهم في الملك والسلطان وإلا كيف يطالبون عليّاً بدمه وهم يعلمون أنّ الحسن والحسين (عليهما السلام) كانا من بين من حفظ باب عثمان وذادا عنه المصريين عند ثورتهم عليه[٣٠].

على كل حال، انتهى الامر بانتصار الباطل وانحسار الحق إلى حين، فكما سبق أن أشرنا إلى تنازل الامام الحسن (عليه السلام) لمعاوية للاسباب التى ذكرناها، وقدّر لامام الفئة الباغية[٣١]، أن يصبح خليفة للمسلمين، وليس هذا تجنّيا منّا على معاوية، فإن بغيه وجوره معروفان لدى كبار مفكري المسلمين من شتى الفرق والمذاهب، فهذا هو المفكر المعتزلي الكبير القاضي عبدالجبار، يشير إلى وجوه فسقه ويشكّ في إيمانه ويعقد فصلاً في: «بغي معاوية ووجوب محاربته»[٣٢].

وربّ سائل يسأل: كيف استطاعت الفئة الباغية بزعامة معاوية أن تتغلّب على أرباب الحق والعدل وأوصياء الرسول وآل بيته(عليهم السلام)؟ ويكفي أن نشير للاجابة على ذلك السؤال إلى دهاء معاوية خاصة والامويين عامة، وكيف أنّه نجح في تجنيد أهل الشام واستمالتهم إليه بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة، حتى أنّه أصبح الشامي مرادفاً للاموي[٣٣]، وتزداد دهشتنا إذا ما عرفنا أن ابناء القبيلة الواحدة من المقيمين بالشام، كانوا مضطرين إلى أن يدينوا بالولاء لبني أمية على الرغم من أن بقية ابناء القبيلة من المقيمين

بالحجاز ليسوا كذلك كما هو الحال بالنسبة لقبيلة هذيل على سبيل المثال[٣٤].

وإن دلّ ذلك على شيء، فإنّما يدلّ على دهائه وسعة حيلته في ترويج الباطل ومداهنة الناس[٣٥].

ولا شك أنّ معاوية كان «يفهم نفسية الشعب ويعتقد أنّ القوم لم يسلّموا إليه أمرهم عن حبّ ورضا، ولكنّه ملكهم قهرا، فقد قدم المدينة بعد عام الجماعة، فدخل دار عثمان بن عفان، فبكت عائشة بنت عثمان ونادت أباها، فقال معاوية يا ابنة أخي إنّ الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أمانا، وأظهرنا لهم حلماً تحته غضب، وأظهروا لنا طاعة تحتها الحقد، ومع كلّ انسان سيفه، ويرى موضع أصحابه، فإن نكثنا بهم نكثوا بنا، ولا ندري علينا تكون أم لنا، ولان تكوني ابنة عم أمير المؤمنين خير من أن تكوني امرأة من عرض الناس»[٣٦].

وقد اعتبر المسلمون ـ فيما يشير إلى ذلك نيكلسون بحق ـ انتصار بنى أمية وعلى رأسهم معاوية «انتصار للارستقراطية الوثنية التى ناصبت الرسول وأصحابه العداء، ولذلك كره المسلمون بنى أمية وغطرستهم وكبرياءهم وإثارتهم للاحقاد القديمة ونزوعهم للروح الجاهلية، ولا سيّما أنّ جمهور المسلمين كانوا يرون أنّ من بين بني الامويين رجالاً كثيرين لم يعتنقوا الاسلام إلا سعيا وراء مصالحهم الشخصية وأنهم لا حقّ لهم في الخلافة»[٣٧].

وعلى الرغم من انتصار معاوية، فقد استباح لنفسه ما حرّمه الدين من سبّ علي (عليه السلام) على المنابر، ووضع لمن بعده شرعة السباب لهذا البيت الكريم، واستعملها خلفاء بني أمية حتى غدت سخرية الناس وتندّرهم[٣٨]، واستمرّ ذلك من سنة ٤١هـ إلى اول سنة ٩٩هـ آخر ايّام سليمان بن عبدالملك فلما ولى عمر بن عبدالعزيز الخلافة أبطل ذلك: ولما خطب في يوم الجمعة أبدل السب في آخر الخطبة بقراءة قوله تعالى: «إنّ الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القرباء وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى، يعظكم لعلّكم تذكّرون»، فلم يسب علي (عليه السلام) بعد ذلك، واستمرّ الخطباء على قراءة هذه الاية[٣٩] إلى يومنا هذا.

ولعلّ أهم وأخطر ما ترتّب على ذلك انتقال مقاليد الامور إلى الامويين، هو أنّ السلطة

تحوّلت في عهدهم «من الخلافة الدينية إلى الملك السياسي»[٤٠]، فمنذ أن آلت الخلافة إلى معاوية لم يصبح لها الطابع الذي كان أيّام الخلفاء الراشدين، فقد صارت ملكية في مظهرها ونظامها، ولا يميّزها من ملكية الفرس والروم إلا إنضواؤها تحت لواء الاسلام[٤١] فمعاوية: كان يحسّ كما يحسّ الكثير من المغتصبين أنّه بحاجة إلى أن يحيط عرشه بالابهّة والمظاهر الفخمة، وتشبه في هذا بأباطرة الدولة البيزنطية[٤٢].

ولم يكن هذا التحوّل من الخلافة إلى الملك والسلطات هو أخطر ما استنّه الامويون، بل إنّ ما لا يقل عن ذلك خطراً، هو استنان مبدأ الوراثة في الحكم، ولعلّ مبدأ الوراثة أمر طبيعي في عرف الملوك على غرار ما كان يجري في الامبراطورية الفارسية والبيزنطية، فما هو إلا نتيجة طبيعية للتشبّه بالملوك في حكمهم ونظمهم، هو أيضا ينسجم مع أنانية الامويين وتكالبهم الشديد على الدنيا الذي ظهر منذ بيعة عثمان، فحينذاك «دخل أبو سفيان ومعه بنو أمية، فقال ـ وقد كان عمي ـ أفيكم أحد من غيركم؟ قالوا: لا، قال: يا بني أمية تلقّفوها تلقّف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان مازلت أرجوها لكم، ولتصيرنّ إلى صبيانكم وراثة»[٤٣]، وقد كانت هذه النزعة الدنيوية متأصّلة في نفوس الامويين، ممّا جعل معظمهم مكروهاً حتى منذ أيّام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، الذي طرد الحكم بن أبي العاص إلى الطائف، ولم يزل طريداً في أيّام ابى بكر وعمر إلى أن ردّه عثمان[٤٤].

وإلى جانب ذلك فقد كانت صفة الغدر والخيانة إحدى الصفات العامة المعروفة عن الامويين، يظهرنا على ذلك تاريخهم الحافل بالاغتيالات ودسّ السم للخصوم وأحياناً لبعضهم البعض، بالاضافة إلى بث الاكاذيب وتلفيق الاشاعات والتوسل بكل الوسائل، مهما كانت، من أجل بلوغ الغاية، فنجد قبل معركة صفين مثلا أنّ رسل معاوية «كانت تذهب إلى سراة القوم وضعاف النفوس، ممن لم تدركهم بعد أخلاقيات الامام علي (عليه السلام) وصحبه، فتغريهم بالمال والمناصب وتدبّر معهم كيف يحدثون الانقسام»[٤٥]، وممّن اغتالهم الامويون بدسّ السم مالك بن الحارث المعروف بالاشتر النخعي الذي اغتاله معاوية بمعاونة دهقان القلزم[٤٦]، وكذلك معاوية الثاني خليفتهم الثالث الذي سقوه شربة فأماتوه[٤٧]، وكذلك فقد كان موت الخليفة الورع عمر بن عبدالعزيز «بالسم عند أكثر أهل النقل، فإنّ

بنى أميّة علموا أنّه إن امتدت أيّامه أخرج الامر من أيديهم وأنّه لا يعهد، بعده إلا لمن يصلح للامر فعاجلوه وما أمهلوهم[٤٨]، وكانت أمّ خالد بن يزيد بن معاوية قبل ذلك قد خنقت زوجها الخليفة الاموى الرابع مروان بن الحكم وأعلنت أنه مات فجأة[٤٩].

وفي ظلّ ارتكاب هذه الكبائر واهدار القيم الاسلامية السامية وما يعنيه ذلك من اهدار لانسانية الانسان، تعطّلت العدالة وفشت الفتن وضاع الحق وفسدت العلاقة بين الراعي والرعية، ولعل من أدق ما يعبّر عن هذه الحال تلك الكلمات التي تركها لنا الشاعر سديف[٥٠] أحد الذين عاشوا هذا الواقع الاليم في أواخر الدولة الاموية.

وأصدق تعبير عن هؤلاء الامويين، أنّهم كانوا ملوكاً دنيويين أكثر منهم خلفاء دينيين، فلم يكونوا يعنون كثيرا بأمور الدين، ولم يعطوا أهمية خاصة لما كان عليه العمل في عهد الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه، كما أنّ ولاتهم وحاشيتهم كانوا على مثالهم في هذه الناحية، كانوا فيما يتعلّق بأمور التشريع يسيرون حسب «العرف السائد» يحتكمون إلى فهمهم واجتهادهم وحده[٥١].

يتبين ممّا سبق كيف أنّ الصراع بين الامام علي (عليه السلام) ومعاوية انتهى الى تفجير مشكلة الامامة التي كانت قد أثيرت عقب وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وشغلت مكانة هامة في الفكر الاسلامي منذ عهده الباكر، وأدّت الى ظهور الاحزاب على المسرح الاسلامي[٥٢] كل هذا واضح نتيجة انقسام العالم الاسلامي إلى فرق وجماعات تختلف حسب وجهة نظرها وانتماءاتها في الصراع الدائر على مستوى الفكر والواقع.

٢ - الحياة السياسة وانعكاسها على الشعر:

عندما انتهى أمر الخلافة إلى معاوية بن أبى سفيان، بدأ في تاريخ الاسلام نظام الحكم الفردي المطلق[٥٣]، ومثلما كان نظام القبيلة في الجاهلية يحتاج إلى الشاعر ليؤيّده ويحميه، ومثلما احتاجت الامة الاسلامية في عصر النبوة إلى تعبئة وجدانية يتولاها الشعراء، فقد احتاج الوضع الجديد الى الشعر يؤيده ويناضل عنه ويمكّن له من نفوس الجماهير[٥٤] وفي الوقت نفسه ظهرت مجموعة معارضة يمكن تسميتها بأحزاب

المعارضة السياسية[٥٥]، لم تتقبل هذا الوضع الذي افترضه الامويون، بل عملت على المقاومة بالكلمة احياناً وبالسيف حيناً اخر، وقد احتاج هذا الجهاد إلى سلاح الشعر أيضاً، كما هو الحال لدى الامويين ولدى الاحزاب السياسية الاخرى.

وأحزاب المعارضة هذه تتّفق فيما بينها تقريباً على مبدأ واحد هو القاسم المشترك بين أحزاب المعارضة جميعاً، ألا وهو مبدأ مقاومة الحكم الاموي، والعمل على اسقاطه، إلا أن هذه الاحزاب تختلف بعد ذلك فيما بينها حسب تصوّرها لما تدعو إليه ولما ينبغي أن يكون في وجهة نظرها.

ولعلّ أساس الخلاف بين هذه الاحزاب المعارضة للحكم الاموي يقوم حول الامامة أو كما يسمّيها البعض نظرية الخلافة[٥٦] كما سبق أن جاء في التمهيد التاريخي السريع لنشأة هذه المشكلة في الاسلام، وأحاول الان أن القي بعض الضوء بالقدر الذي يخدم بحثنا حول أهم الاحزاب السياسية وما كان لها من تأثير على الشعر، واقصد بذلك حزب آل البيت أو حزب الشيعة، وتعود أهميته إلى أنّه أول الاحزاب السياسية نشوءاً وإلى أنّ شعراءه خلّفوا لنا أكبر قدر من الشعر السياسي بين الاحزاب التي ظهرت في ذلك الوقت، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنّ عدد شعرائهم يندّ عن الحصر في تلك الفترة.

وليست قيمة شعراء الشيعة في هذه الفترة منحصرة في الكم فحسب، وإنّما الكثير من الشعر الذي كتبه معظم هؤلاء الشعراء يعتبر ذا قيمة كيفية أيضا، فقد استطاع الكثيرون منهم أن يحرزوا قصب السبق في فنّهم، ممّا دفع غيرهم من الشعراء إلى أن يقتدوا بهم ويتبعوهم ويستحسنوا آثارهم[٥٧].

وقد تناول شعراء الشيعة أهم الموضوعات المطروحة في عصرهم ودافعوا عن قضاياهم وآرائهم، فمن ذلك ما نراه مثلاً من احتجاجهم بحديث الغدير واعتدادهم به، على نحو ما نجد في غديرية حسان بن ثابت ومنها[٥٨]:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم بخم وأسمع بالرسول مناديا[٥٩]

وكذلك الامر في غديرية قيس بن سعد التى جاء فيها:

وعلى امامنا وامام لسوان أتى به التنزيل

يوم قال النبي: من كنت مولاه فهذا مولاه خطب جليل
إنّما قاله النبي على الامة حتم ما فيه قال وقيل[٦٠]

وكذلك فقد عبّر عن ذلك باقي شعراء الغدير في القرن الاول الهجرى، ومنهم عمرو بن العاص[٦١]، ومحمد بن عبدالله الحميري[٦٢]، كما عبّر الكميت بن زيد في قوله:

ويوم الدوح دوح غدير خم أبان له الولاية لو أطيعا[٦٣]

وقد تجلّى موقف شعراء الشيعة في معظم المواقف والاحداث التى ألمّت بهم في ذلك الوقت، وإذا أخذنا حادثة استشهاد الامام الحسين (عليه السلام) مثالاً على ذلك، لوجدنا سيلاً من المراثي، يبكى اصحابها الامام الشهيد(عليه السلام)، ويشيدون بفضل آل البيت وأحقيّتهم في الخلافة، وكان أوّل من رثى الامام الحسين (عليه السلام) عقبة بن عمرو السهمي من بني سهم بن عوف بن غالب، فقال:

مررت على قبر الحسين بكربلاء ففاض عليه من دموعى غزيرها
ومازلت أبكيه وأرثى لشجوه ويسعد عينى دمعها وزفيرها[٦٤]

ويضيق المقام هنا عن الاشارة لمراثى الحسين (عليه السلام) في ذلك العصر جميعها، فقد رثاه شعراء كثيرون، كان من بينهم الشعراء الفحول والمعروفين من المتشيعين مثل الفرزدق والكميت وكثير عزة وأسماء أخرى كثيرة.

وهنا الكثير من شعراء الشيعة الذين لم يكونوا مرتبطين أو محددين بمذهب معين وبفريق بعينه، مثل الكيسانية أو الزيدية، على نحو ما كان كثير والكميت، من هؤلاء أيمن بن خريم وأبو دهبل الحجمي وغيرهم، وكذلك فممّن كان هواهم مع اهل البيت عامة ومع علي بن ابي طالب(عليه السلام) خاصة، شعراء آخرون اشتهروا بمدح الامويين، ولكنّ كتب الادب تجاهلت ميولهم الشيعية، وموالاتهم لاهل البيت وتحت مثل هذا النوع من الشعراء يمكن أن نذكر أبا زبيد الطائي والمتوكل الليثي.[٦٥]

وهذه الحماسة والاخلاص في حب آل البيت تحلّى بها اعلام كبار وجاهروا به، فحين سئل الامام أحمد بن حنبل عن حقّ علي في الخلافة، قال: «لم يكن أحد أحقّ بها في زمن علي من علي، ورحم الله معاوية:[٦٦]، وابلغ دلالة من ذلك ما قاله الامام الشافعي:

إن كان رفضاً حبّ آل محمد فليشهد الثقلان أنّي رافضي[٦٧]

وغاية ما نريد أن نستخلصه أنّ بعض الشيعة وبعض المحبّين لال البيت ما كانوا يستطيعون أن يكتموا حبّهم لعلى (عليه السلام)، حتى أمام معاوية الذي كان يطلب من أصحابه أن يلعنوا عليّا على المنابر[٦٨]، ولذلك فإنّ مبدأ التقيّة لم يكن حائلاً دون المجاهرة بحب آل البيت، ولم يكن مدح الشعراء المتشيعين أو المحبّين لآل البيت للامويين إلا من قبيل التكسّب لا من قبيل الموالاة، كما نجد لدى الشعراء السابق ذكرهم ويعبر الامام محمد الحسين آل كاشف الغطاء عن هذه الحقيقة، فيقول: انظر الى فطاحل الشعراء في القرن الاول والثاني، مع شدّة أطماعهم عند ملوك زمانهم وخوفهم منهم ومع ذلك كلّه يمنعهم عظيم الطمع والخوف (والشاعر مادي في الغالب) والسلطة من خلفهم والسيوف مشهورة على رؤوسهم ـ أن جاهروا بالحق ونصروه وجاهدوا الباطل وفضحوه[٦٩].

الهوامش :

١ . دراسات في الأدب العربي، جوستاف جرونيباوم، ترجمة: د. عباس احسان، أنيس فريحة، د: محمد يوسف نجم، د. كمال يارجي، منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ ١٩٥٩ ـ ص ١٤٣.

٢ . حركات التجديد في الشعر العربي (العصر الكلاسيكي) – د. يوسف خليف. ضمن كتاب حركات التجديد في الادب العربي، ص ٣٩ ـ ٤٠.

٣ . الفرق بين الفرق ـ عبد القاهر بن ظاهر بن محمد البغدادي – تحقيق محمد بدر، مطبعة المعارف مصر ١٩١٠، ص ١٢ وما بعدها.

٤ . الزمر / ٣٩، ٣٩.

٥ . انساب الاشراف ـ البلاذري ج ١ ص ٥٦٦.

٦ . المرجع السابق ص ٥٧٣.

٧ . الفرق بين الفرق ـ عبدالقاهر البغدادي ص ١٣.

٨ . مقالات الاسلاميين واختلاف المسلمين: تأليف الامام ابي الحسن علي بن إسماعيل الاشعري، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، الجزآن الاول والثاني ـ مكتبة النهضة العربية القاهرة ـ ١٩٦٩م، ص ٣٩.

٩ . تاريخ الادب العربي ـ احمد حسن الزيات، ص ١٠٥.

١٠ . انظر تفصيل ذلك في:

١ ـ التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية: د. أحمد شلبي، ج ١ ص ٣٢٤ وما بعدها، والمغني في أبواب العدل والتوحيد: الجزء المتمم‌العشرين، القسم الثاني، تحقيق: د. عبدالحليم محمود، د. سليمان دنيا، مراجعة ابراهيم مدكور، والمجلد الرابع من الاعمال الكاملة للدكتور طه حسين، الخلفاء الراشدون، ويشتمل على الشيخان: ١ ـ ابوبكر الصديق ٢ ـ عمر بن الخطاب، والفتنة الكبرى: ويشتمل على: ١ ـ عثمان بن عفان ٢ ـ علي بن أبي طالب وبنوه، ومروج الذهب ومعادن الجوهر في التاريخ: أبي الحسن الحسين بن علي المسعودي الشافعي، ج ٢، وتاريخ الطبري: لابي جعفر محمد بن جرير الطبري، ج ٢، تحقيق: محمد ابوالفضل ابراهيم، وتاريخ مختصر الدول للعلامة غريغوري ابي الفرج بن اهرون الطبيب، وتاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام: شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، ج ٢، ومحاضرة المشاهير والاعلام: شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، ج ٢، ومحاضرة الابرار ومساهرة الاخيار: للشيخ الاكبر محيي الدين بن عربي، ج ١،تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتاب الجديد، والفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق: مصطفى السقّا، وكامل المهندس، ونشأة الفكر الفلسفي في الاسلام: ج ٢، د. علي سامي النشار، والمراجعات و رسائل متبادلة بين عميد السنة في مصر، وهو الاستاذ سليم البشرى شيخ الجامعة الازهر وبين الامام شرف الدين العاملي، وعليّ ومناوئوه: د. نورى جعفر، مطبوعات النجاح، القاهرة، ١٩٧٦ م، ط ١٤، السقيفة والخلافة: عبدالفتاح عبدالمقصود، مكتبة غريب، القاهرة، د. ت، وعبدالملك بن مروان، موحد الدولة العربية: د. ضياء الدين الريس، سلسلة

أعلام العرب: ١٠.

١١ – المراجعات، رسائل متبادلة بين عميد السنة وهو الاستاذ سليم البشرى، شيخ الجامع الازهر وبين الامام عبدالحسين شرف الدين العاملى، المراجعة ٢٠ ومابعدها، ص ١٥٤.

١٢ . المرجع السابق، المراجعة ٦١، ص ٢٣٩ وما بعدها، وانظر أيضا الشيعة في الميزان: محمد جواد مغنية، دار الشروق، بيروت، د. ت، ص ١٥.

١٣ . كان رسول الله (ﷺ) يقول لعمار بن ياسر: «أبى اليقظان» أنّه ستقتله الفئة الباغية، وبالفعل قتل جيش معاوية عمّاراً في معركة صفين وهو يحارب في صف أمير المؤمنين على بن أبى طالب، وممّا يؤكد ذلك أيضاً أنّ الزبير بن العوام عندما طاح عمّارٌ في جيش على (عليه السلام) يوم الجمل صاح قائلاً: «وانقطاع ظهراه»، فقال له بعض الاصحاب: ممّن يا ابا عبدالله؟ قال: سمعت النبى (ﷺ) يقول: ما لهم لعمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار؟ وعند ذلك لحق بأمير المؤمنين على بن ابى طالب (عليه السلام) ثم انصرف.

انظر في ذلك: المغنى للقاضى عبدالجبار، الجزء المتمم للعشرين، ص ٨٨.

١٤ . القاضي عبدالجبار: المغني، الجزء المتمم للعشرين، ص ٨٩ ـ ٩٠.

١٥ . د. طه حسين، الاعمال الكاملة، المجلد الرابع، ويشتمل على الفتنة الكبرى، ص ٤١٢.

١٦ . فمن ذلك مثلا حواره مع الزبير عندما طلبه للمبارزة فخرج اليه أمير المؤمنين حاسرا، وأخذ يحاوره ويذكّره بما قاله الرسوله (ﷺ) للزبير من أنّه سيقاتل عليّا ظالما، فرجع الزبير من الميدان مفضّلا العار، قائلا:

إخترت عارا على نار مؤججة ... ما إن يقوم بها خلق من الطين

نادى عليّ بأمر لست أجهله ... عار لعمرك في الدنيا وفي الدين

فقلت حسبك من عدل أبا حسن ... فبعض هذا الذي قد قلت يكفيني

ومن ذلك أيضا حواره مع طلحة عندما سأله عن سبب خروجه ونكث البيعة، فأجابه بأنه يطلب دم عثمان، فقال له أمير المؤمنين: قتل الله أولانا بدم عثمان، أما سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأنت أول ما بايعني، ثم نكثت، وقد قال الله عزوجل: ومن نكث فإنّما ينكث على نفسه»، فقال طلحة: استغفر الله ثم رجع وهو يقول:

ندامةها ندمت وضلّ حلمى ... ولهفى ثم لهف أبي وأمّي

ندمت ندامة الكسعى لما ... طلبت رضى بني حزم بزعمي

انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر في التاريخ: أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي الشافعي، طبع المطبعة البهيّة المصرية، ادارة الملتزم، ١٣٤٦ هـ ص ١٠ ـ ١١.

١٧ . المرجع السابق: المسعودي، ج ٢، ص ١٢.

١٨ . تاريخ الطبري: لابي جعفر محمد بن جرير الطبري، ج ٤، ص ٥٣٨.

١٩ . تاريخ مختصر الدول: للعلامة غريغوريوس ابى الفرج بن اهرون الطبيب الملطّى المعروف بابن العبري، المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين، بيروت، ١٨٩٠، ص ١٨٢.

٢٠ . انظر: جانب من مناظرة ابن عباس للخوارج في تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام للذهبي،

ص ١٨٤ ـ ١٨٢، وقارن: تاريخ الاسلام السياسي: حسن ابراهيم، ص ٢٨٦.

٢١. وقد حمد العقلاء من المسلمين صنيعه هذا، ولكن معاوية فسّر هذا الموقف تفسيرا دنيويا بحتا فرآه دليلا على الضعف، ومن ثم بدأ معاوية خطة تستهدف ابادة أهل البيت والتنكيل بهم وتلويث سمعتهم إلى حد اتهامهم بالكفر.

ولم يكن معاوية يلجأ إلى السيف وحده لتحقيق اغراضه وانّما كان ينثر الذهب معه، فقد اعطى معاوية ٤٠٠ ألف درهم لسمرة بن جندب ليروى أنّ عليّا هو المقصود بالاية القرآنية، ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ودفع معاوية لمن يقول إنّه قاتل أمير المؤمنين على هو المقصود بالاية «ومن الناس من يشترى نفسه ابتغاء مرضاة الله» وهكذا وصل الامر إلى حد استخدام آيات القرآن لاتهام من تريده السياسة الاموية أو تبرئة من تريده.. ينظر في هذا جريدة الاهرام، العدد ٣٤٨٧٤، السنة ١٠٨، في ١٩٨٢/٦/٦، أحمد بهجت، ص ٢.

٢٢. تاريخ الاسلام السياسي: حسن ابراهيم حسن، طبعة القاهرة، ص ٣٩٠.

٢٣. محاضرة الابرار ومساهرة الاخيار: الشيخ محيى الدين بن عربي، تحقيق محمد مرسى الخولي، دار الكتاب الجديد، القاهرة، ١٩٧٢ م، ص ١٠٢ والهامش.

٢٤. وكان أمير المؤمنين يحاول ذلك أيضا حتى في أثناء خلافة عثمان بن عفان، انظر مثلا كيف أنّه نصحه بأن يعزل عبدالله بن ابى السرح، أخا عثمان في الرضاعة، والذي ولاه عثمان مصر بدلا من عمرو بن العاص، فلما ثار المصريون وشكوا للخليفة قسوته بهم أشار عليه علي بن ابي طالب بأن يعزله ويولى مكانه محمد بن ابي بكر.

انظر: الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة: لابن ظهيرة، ص ٢٠.

٢٥- مروج الذهب: المسعودي، ج ٢، ص ٤، طبع المطبعة البهيّة، القاهرة.

٢٦. نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام: د. علي سامي النشار، ج ٢، ص ١٨.

٢٧. معالم تاريخ الانسانية: هـ ج ولز، تعريب: عبدالعزيز توفيق جاويد، راجعه الاستاذ محمد مأمون نجا والدكتور عبدالحميد يونس، المجلد ٣، ط ١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٠ م، ص ٦٥٠.

٢٨. الاعمال الكاملة: د. طه حسين، المجلد الرابع، ومشتمل على الفتنة الكبرى، ص ٤١٥.

٢٩. عبدالملك بن مروان موحّد الدولة العربية: د. ضياء الدين الريس، سلسلة اعلام العرب، وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ص ١٠٠.

٣٠. الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة: ابن ظهيره، ص ٢٢.

٣١. المراجعات: عبدالحسين شرف الدين، المراجعة ٢٨، ص ١٦٥.

٣٢. المغني: الجزء المتمم للعشرين، القاضي عبدالجبار، ص ٩٤ ـ ٩٢.

٣٣. تاريخ الاداب العربية: كارلو نالينو، ص ٢٧١.

٣٤. شعر الهذليين في العصرين الجاهلى والاسلامى: د. أحمد كمال زكي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٩ م، ص ٧٠.

٣٥. إرجع على سبيل المثال إلى حكاية مع يسر بن أرطاة وزيد بن عمر بن الخطاب في الكامل لابن الاثير، ج ٤، ص ٥، طبعة القاهرة.

٣٦. عبدالحسين طه حميده، أدب الشيعة، ص ١٢٨.

٣٧. حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ص ٣٩٨.

٣٨. عبدالحسين طه حميد، المرجع السابق، ص ٣٠.

٣٩. المؤيد عماد الدين أبو الفداء: تاريخ أبي الفداء، ج ١، ص ٢١٢، طبع القاهرة.

٤٠. جرجي زيدان: تاريخ التمدن الاسلامي، ج ٢، مراجعة وتعليق: حسين مؤنس، دار الهلال، ص ٢٢.

٤١. الدكتور احمد الجوفي، أدب السياسة في العصر الاموي، ص ٢٠.

٤٢. ديورانت، قصة الحضارة، الجزء الثاني من المجلد الرابع، ص ٨١.

٤٣. د. أحمد الشايب، تاريخ الشعر السياسي، ص ٢٨٩.

٤٤. تاريخ أبي الفداء، ج ١، ص ٢٠٥.

٤٥. أحمد عباس صالح، اليمين واليسار في الاسلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٣م، ص ١٢٥.

٤٦. ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، ص ٢٣ ـ ٢٤.

٤٧. المسعودي، المرجع السابق، ص ٩٨، وكانت بنو أميّة قد اجتمعت إليه عندما حضرته الوفاة وطلبت منه أن يعهد بالخلافة إلى أحد من أهل بيته، فقال: والله ما ذقت حلاوة خلافتكم فكيف اتقلّد وزرها وتنتحلون أنتم حلاوتها واتعجّل مرارتها، اللّهم إنّي بريء منها متخلّ عنها، اللّهم إنّي لا أجد نفرا كاهل الشورى فأجعلها إليهم ينصبون من يرونه أهلا لها، مروج الذهب للمسعودي، ص ٩٧ ـ ٩٨.

٤٨. تاريخ أبي الفداء، ص ٢١٢.

٤٩. المرجع السابق، ص ٢٥.

٥٠. راجع نص كلمة سديف هذه في: طبقات الشعراء: ابن المعتز، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، القاهرة، دار المعارف، ص ٣٨ ـ ٣٩.

٥١. نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي، د. علي حسن عبدالقادر، مطبعة السعادة بمصر، ١٩٦٥، ط ٣، ص ١٠٧ ـ ١٠٨.

٥٢. النظريات السياسية الاسلامية: د. محمد ضياء الدين الريس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩ م، ط ٥، ص ٤٩.

٥٣. قيم جديدة للادب العربي القديم والمعاصر، د. عائشة عبدالرحمن، ص ١٠١.

٥٤. المرجع السابق، نفس الصفحة.

٥٥. تاريخ الشعر السياسي : د. احمد الشايب، ص ٢٢٤.

٥٦. حركات التجديد في الشعر العربي (العصر الكلاسيكي): د. يوسف خليف، ضمن حركات التجديد في الادب العربي، ص ٤٢.

٥٧. الشيعة وفنون الاسلام: السيد حسن الصدر، مطبوعات النجاح، القاهرة، ط ١، ١٩٧٦ م، ص ١٣٦.

٥٨ . وقد أشار إلى ذلك عبدالحسين أحمد الامينى في كتابه: الغدير في الكتاب والسنّة والادب، وهو كتاب جمع فيه ما قيل في تلك الوقفة التى وقفها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد إنصرافه من حجة الوداع يعلن لذلك الجمع الغفير المحتشد ما لعلى (عليه السلام) من مكانة عنده بعد أن ربّاه وأنشأه وما هو عليه من فضائل ومحامد أهلّته أن يكون وصيّاً وجعلته إماماً بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وخليفةً وهادياً ومهدياً، انظر مقدمة الجزء الثانى من كتاب الغدير: دار الكتاب العربى، بيروت، ط ٥.

٥٩ . عبدالحسين الاميني النجفي، الغدير، ج ٢، ص ٣٤ وما بعدها.

٦٠ . المرجع السابق، ص ٦٦ ومابعدها.

٦١ . المرجع السابق، ص ١١٣ ومابعدها.

٦٢ . المرجع السابق، ص ١١٣ وما بعدها.

٦٣ . المرجع السابق، ص ١٧٧ وما بعدها.

٦٤ . أعيان الشيعة: السيد محسن الامين، القسم الاول، ج ٤، ص ٣٧٠.

٦٥ . المتوكل الليثي: شاعر جعل شعره سببا من اسباب العيش وسلّما يرتقى فيه الغنى ولذلك مدح الخلفاء الامويين وغيرهم من الامراء، وعلى الرغم من ذلك فهو يرثي الحسين بن علي (عليه السلام) ومن معه من قتلى الطف، انظر: شعر المتوكل الليثي د. يحيى الجبوري، مكتبة الاندلس، بغداد، د. ت. المقدمة ص ١٩.

٦٦ . احمد بن حنبل، الامام المقريزي عليه، مقالات مسلسلة، المقال الحادي عشر، د. عبدالرحمن الشرقاوي، جريدة الاهرام في ١٩٧٩/١٠/٥.

٦٧ . الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والاثنى عشرية: محمد حسين الاعظمي، الهيئة المصرية العامة، التأليف والنشر ١٩٩٧م، ص ٢٠٢.

٦٨ . أدب الحركات الاسلامية: د. بدير متولى حميد، دار المعرفة، القاهرة، د. ت، ص ٩٨، ووضع معاوية لمن بعده شرعة السهاب لهذا البيت الكريم، استعملها خلفاء بني أمية حتى غدت سخرية الناس وتندرهم، أنظر: أدب الشيعة الى نهاية القرن الثاني عشر الهجري، عبدالحسيب طه حميده، ص ٣٠.

٦٩ . أصل الشيعة وأصولها: محمد الحسين آل كاشف الغطاء، ص ١٢٤.

افضل الاتّباع الاقتداء برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

الدكتور سيّد خليل باستان
جامعة العلامة الطباطبائي ـ كلية الآداب

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين.

المقدمه:

لابدّ لكل قوم من امام يقتدى به ويعمل بآرائه سوءً كان صالحاً أم طالحاً، وبناءً على هذا فانّ القرآن المجيد يرشدنا الى الطريق السوي قائلاً: ﴿لقد كان لكم في رسول الله اسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ (٢١/الاحزاب).

فالمؤمنون بالله و بيوم القيامة هم المعنيون وهم المخاطبون فى القرآن العظيم، ولابدّ ان يقتدوا في حياتهم الدنيا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والسير على خطاه والعمل باوامره لانّه: ﴿لا ينطق عن الهوى إن هو الا وحي يوحى﴾ (٤/النجم)، ويعدّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في أعلى درجات التابعين لله سبحانه حيث يقول: ﴿إن اتّبع الّا ما يوحىٰ اليّ﴾ (٥٠/الانعام)، وكذلك اتباعه المسلمون المؤمنون الذين يصفهم الله قائلاً: ﴿محمّد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل....﴾ (٢٩/الفتح). فالصفات هي:

١ ـ سيرتهم الشدة مع الكفار الاعداء والرحمة والرأفة فيما بينهم.

٢ ـ إقامة الصلاة.

٣ ـ طلب الرضوان من الربّ المتعال.

٤ ـ آثار الخشوع بادية في وجوههم.

٥ ـ وتجد هذه الاوصاف جاءت في التوراة والانجيل أيضاً.

فما أحوجنا اليوم نحن المسلمون ان نتّبع الرسول العظيم(ﷺ) ونقتدي به في أعمالنا وأقوالنا والسير على خطى أئمة المسلمين من آله الطيبين الطاهرين حتى نصيب السعادة في حياتنا الدنيا والفوز بالجنان في الآخرة.

مفتاح الكلمات: القرآن الكريم ـ التفسير ـ الحديث ـ الاتباع لرسول الله (ﷺ).

النظرة اللغوية للتبعية:

لأجل أن يتّضح معنى التبع وما يشتق منه من المعاني لابدّ لنا من مراجعة اللغة، فيرى ابن منظور (م ٧١١ هـ): ان [تبع الشيء تبعاً وتباعاً في الافعال، وتبعت الشيء تبوعاً: سرت في أثره ..... وتبعت القوم تبعاً وتباعة (بالفتح)، اذا مشيت خلفهم أو مرّوا بك فمضيت معهم ... واتّبع القرآن ائتمّ به وعمل بما فيه، يقال: تابع فلان بين الصلاة وبين القراءة، اذا والى بينهما ففعل هذا على اثر هذا بلا مهلة بينهما ..... وتابع عمله وكلامه: أتقنه وأحكمه ...] ويرى الراغب الاصفهاني (م ٥٠٢ هـ): [يقال تبعه واتّبعه: قفا أثره، وذلك تارة بالارتسام والائتمار (الامتثال)] وعلى ذلك قوله [﴿فمن تَبِع هُداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (٣٨/البقرة)، ﴿قال يا قوم اتبعوا المرسلينَ اتّبعوا مَن لا يسألكم أجراً﴾ (٢٠/ يس)، .... ﴿واتّبعوا ما تتلو الشياطين﴾ (١٠٢/البقرة)، ﴿ولا تتّبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ (٢٦/ص) ..... ويقال اتبعه اذا لحقه، قال ﴿فأتبعوهم مشرقينَ﴾ (٦٠/الشعراء) .....] وقال صاحب مجمع البحرين (م ١٠٨٧ هـ): [قوله: ﴿لا تجدوا لكم علينا بـه تـبيعاً﴾ (٦٩ / الاسراء) أي تابعاً وناصراً، وقوله ﴿فاتّباع بالمعروف﴾ (١٧٨/البقرة) أي متابعة بالمعروف، وقوله: ﴿واتبعتهم ذريتهم بايمانٍ، ألحقنا بهم ذريتهم﴾ (٢١ / الطور) .... قوله: ﴿والشعراءُ يتّبعهم الغاوون﴾ (٢٢٤/الشعراء) أي

يلحقونهم ... والمصلي تبع لامامه ... والتبعة ككلمة ما فيه إثم يتبع به، ومنه الدعاء: ولا تجعل لك عندي تبعةً الّا وهبتها...].

ويرى صاحب مجمع البيان (م ٥٦١ هـ) ان [الاتّباع تصرف الثاني بتصرف الاوّل وتدبره بتدبيره، فالاوّل امام والثاني مؤتم، ووجوب الاتباع فيما أنزل الله تعالى يدخل فيه الواجب والندب والمباح، لأنه يجب ان يعتقد في كلّ منهما ما أمر الله سبحانه به كما يجب ان يعتقد في الحرام وجوب اجتنابه] ويرى في مكان آخر بأن [الاتباع لحاق الثاني بالاوّل لما له به من التعلق، فالقوة للاوّل، والثاني يستمدّ منه، والتابع ثان متدبر بتدبير الاوّل متصرف بتصريفه] وقال ثالثاً [الاتباع هو طلب الثاني موافقة الاوّل فيما دعا اليه].

الفرق بين الاتباع واللحوق

قيل ان: [الفرق بين الاتباع واللحوق مع اعتبار التقدم والتأخر فيهما جميعاً انه يعتبر في الاتباع اشتراك بين التابع والمتبوع في مورد الاتباع بخلاف اللحوق، فاللاحق لا يشارك الملحوق في ما لحق به فيه].

ملخص الكلام: انّ التبع والاتباع هو في الافعال والاعمال والتصرفات لا في الاقوال متوالياً بلا فصل، والسير واقتفاء الاثر واللحوق بالمؤتم به وموافقته وتسليم الأمر اليه والانقطاع عمّا سواه.

الرؤية القرآنية للتبعية

ذكر الدامغاني في كتابه وجوهاً سبعة لكلمة تبع المستخدمة في القرآن الكريم كالتالي: [فوجه منها: الاتّباع يعنى الصحبّة. قوله تعالى في سورة الكهف: (هل أتّبعك، هل أصحبُكَ) مثلها فيها: فان اتّبعنتي، أي صحبتني .....

الثاني: الاتباع الاقتداء. قوله تعالى في سورة يس ﴿اتّبعوا من لا يسألكُم أجراً﴾ أي اقتدوا به.

الثالث: الاتّباع الاستقامة. قوله تعالى في سورة النحل ﴿ثُمَّ أوحَينا اليكَ أن اتّبع ملة

ابراهيم حنيفاً﴾.

الرابع: الاتباع الاختبار. قوله تعالى في سورة البقرة ﴿واتّبعوا ما تتلو الشياطين﴾ أي وعملوا ـ يعني اليهود ـ بما تتلو الشياطين ....

السادس: الاتّباع الطاعة. قوله تعالى ﴿ولولا فضلُ الله عليكم ورحمتُهُ لاتبعتم الشيطان الّا قليلا﴾ يعني أطعتم الشيطان .....]

الثامن: الاهتداء يقول الطبرسي (م ٥٦١ هـ) في تفسير قوله تعالى: [فان حاجّوك فقل أسلمتُ وجهي لله ومن اتبعن، المقصود بـ (اتبعنِ) اهتدى بي في الدين]

إنّ القارئ يلاحظ ان الرؤيتين اللغوية والقرآنية متقاربتان جداً، فالجانب العملي للقرآن العظيم من الصحبة والاستقامة والاختبار والطاعة و... اكثر شمولاً وأوسع مساحة من الناحية اللغوية، وهذا يعني ان القرآن الكريم يشمل جميع مناحي الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية و... و... وأوسع نطاقاً من اللغة.

انواع التبعية

لقد قسّم القرآن الكريم التبعية الى نوعين الاولى محمودة والثانية مذمومة كما قال ربّ العالمين ﴿ذلك بانّ الذين كفروا اتّبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتّبعوا الحقّ من ربّهم﴾ (محمد/٣)، طريقان لا ثالث لهما إمّا الحقّ وإمّا الباطل، إمّا الله وإمّا الشيطان، إمّا التوحيد وإمّا الشرك، إمّا الايمان والتقوى والهدى، وإمّا النفاق والضلال والعمى، واعلم [إنّ الملاك كلّ الملاك في سعادة الانسان وشقائه اتّباع الحقّ، واتّباع الباطل، والسبب في ذلك انتساب الحقّ اليه تعالى دون الباطل]، كما هو الملاحظ في الآية السابقة، وكذلك نستنبط من هذه الآية الشريفة بأن الاتّباع هو للدين خاصة، لقد وازن الله بين الكفر والايمان وبين الحقّ والباطل، هذا ويعدّ الله سبحانه اتباعنا للحقّ من فضله ومنّه علينا كما جاء في هذه الآية [لولا فضل الله عليكم ورحمته لاتّبعتم الشيطان الّا قليلاً] (النساء/ ٨٣). وبناءً على ما مضى فانّ أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) يفتخر بالسباق بالتبعية لربّ العباد حين يقول: (اللّهم إنّي أوّل من أناب (اطاع واتبع) وسمع وأجاب، لم يسبقني إلّا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

بالصلاة) نعود فنقول انّ التبعية المحمودة تكون لله سبحانه وتعالى، ثم للرسل عليهم الصلاة والسلام، فالناس مأمورون باتّباع سبيل الرشد وطريق الحقّ وبما انزله الله على رسله عليهم السلام، حيث يقول تعالى: ﴿واذا قيل اتّبعوا ما أنزل الله﴾ (من القرآن وشرايع الاسلام) قالوا بل نتّبع ما ألفينا عليه آباءنا﴾ (البقرة / ١٧٠)، ثم يجب ان يكون هذا الاتّباع تسليماً لله كما يقول عزّ من قائل: ﴿ومَن أحسنُ ديناً ممّن أسلم وجهه لله وهو محسن واتّبع ملة ابراهيم﴾ (النساء / ١٢٥)، وقوله تعالى: ﴿واتّبع ملة ابراهيم﴾ (اي اقتدى بدينه وسيرته وطريقته، يعني ما كان عليه ابراهيم، وأمر به نبيه من بعده وأوصاهم به من الاقرار بتوحيده وعدله وتنزيهه عمّا لا يليق به ومن ذلك الصلاة الى الكعبة والطواف حولها وسائر المناسك.) وكذلك يجب ان يكون حبّاً له كما تشير هذه الآية: ﴿قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ (آل عمران / ٣١)، فالايمان بالله يستوجب الايمان بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم ان حبّ الشيء يقتضي حبّ جميع ما يتعلق به وبوجوب الخضوع والتسليم لكل ما هو في جانبه ولقد امرنا الجليل بحبّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله خاصة بقوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى﴾ (الشورى / ٢٣)، وهذه زليخا تنجو وتفوز بحبّ محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) كما نقل عن الصادق(عليه السلام) قال: (استأذنت زليخا على يوسف، فقيل لها: انا نكره ان نقدم بك عليه، لما كان منك اليه، قالت: إنّي لا أخاف مَن يخاف الله، فلما دخلت قال لها: يا زليخا ما لي أراك قد تغير لونك؟ قالت: الحمد لله الذي جعل الملوك بمعصيتهم عبيداً، وجعل العبيد بطاعتهم ملوكاً. قال لها: ما الذي دعاك يا زليخا الى ما كان منك؟ قالت: حسن وجهك يا يوسف. فقال: كيف لو رأيت نبيّاً يقال له محمّد يكون في آخر الزمان أحسن منّي وجهاً وأحسن منّي خُلقاً واسمح منّي كفاً، قالت: صدقت، قال وكيف علمت إني صدقت؟ قالت: لأنّك حين ذكرته وقع حبّه في قلبي. فاوحى الله عزّوجلّ الى يوسف انّها قد صدقت وانّي احببتُها لحبّها محمّداً، فأمره الله تبارك وتعالى ان يتزوجها.)

وامّا اتباع الرسل (عليهم السلام) والرسول محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) خاصة، فهناك آيات وآيات ترشدنا الى ذلك، علماً بأننا ملزمون باتباع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كما تقول هذه الآية

الشريفة: ﴿واتّبعوه لعلّكم تهتدون﴾ (الاعراف / ١٢٨)، حتى نهتدي الى سبيل الرشد وتكون عواقب امورنا خيراً. ثم لنسمع الى هذه الآية: ﴿ربّنا آمنّا بما أنزلت واتّبعنا الرسول (يقصد به عيسى(عليه السلام)) فاكتبنا مع الشاهدين﴾ (آل عمران/٥٣) أو هذه الآية ﴿إن أولى الناس بابراهيم للذين اتّبعوه وهذا النبيّ (محمّد صلى الله عليه وآله وسلم) والذين آمنوا...﴾ (آل عمران / ٦٨)، ثم لنقف قليلاً عند رابطة الدين التي هي من أعلى الروابط الانسانية والتي جاءت على لسان الروايات عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله الكرام (عليهم السلام):

١ ـ [قال امير المؤمنين (عليه السلام): إنّ ولي محمّد مَن أطاع الله وان بعدت لحمته، وان عدوّ محمّد من عصى الله وان قربت قرابته.

٢ ـ روى عمر بن يزيد قال قال ابو عبدالله: انتم والله من آل محمّد، قلتُ: من أنفسهم؟ جعلت فداك، قال: نعم، والله من أنفسهم، قالها ثلاثاً، ثم نظر اليّ ونظرت اليه، فقال يا عمر: انّ الله يقول في كتابه: إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه... الآية].

وامّا قوله تعالى: وهذا النبيّ والذين آمنوا [افراد للنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن اتّبعه من المؤمنين من الذين اتّبعوا ابراهيم اجلالاً للنبيّ وصوناً لمقامه ان يطلق عليه الاتباع كما يستشعر ذلك من قوله تعالى: ﴿اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ (الانعام / ٩٠) حيث لم يقل: فبهم اقتده].

ثم استمع الى قوله تعالى: [﴿الذين يتبعون الرسول النبيّ الاميّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل.... واتّبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون﴾ (الاعراف /١٥٧)، فالضوء نور للعين والقرآن العظيم نور للقلب، ويروى ان النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لاصحابه: أي الخلق أعجب إيماناً؟ قالوا: الملائكة. فقال: الملائكة عند ربّهم فما لهم لا يؤمنون؟ قالوا: فالنبيون. قال: النبيون يوحى اليهم فما لهم لا يؤمنون؟ قالوا: فنحن يا نبيّ الله، قال: أنا فيكم فما لكم لا تؤمنون؟ إنما هم قوم يكونون بعدكم يجدون كتاباً في ورق فيؤمنون به فهو معنى قوله واتّبعوا النور الذي أنزل معه].

وبهذا الاتّباع المحمود يختبر الله عباده التابعين من الناكصين، ويعدّ محكاً للبلاء، وذلك لأن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) متبع رضوان الله ولا يعدو رضاه فانظر الى قوله تعالى:

١ ـ ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الّا لنعلم (الثابت الصادق) من يتبع الرسول ممّن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة (ثقيلة) الّا على الذين هدى الله﴾ (البقرة / ١٤٣).

٢ ـ ﴿أفمن اتّبع رضوان الله كمن باء بسخط (عذاب) من الله﴾ (آل عمران / ١٦٢).

٣ ـ ﴿قل صدق الله فاتّبعوا ملة ابراهيم حنيفاً...﴾ (آل عمران /٩٥)، فقوله: [فاتّبعوا... كالكناية عن اتّباع دين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وانما لم يذكره بعينه لأنهم كانوا معترفين بملة ابراهيم، ليكون اشارة الى كون ما يدعو اليه من الدين حنيفاً فطرياً، لان الفطرة لا تمنع الانسان من أكل الطيبات من اللحوم وسائر الرزق].

التبعية المذمومة

لقد قلنان فيما مضى ان الاتباع والتسليم انّما هو لله وللرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وبالاحرى للدين، وعليه جعل الاسلام رابطة الدين من أقوى الروابط كما يقول امير المؤمنين(عليه السلام) لمالك الاشتر: [فانّهم (الناس) صنفان امّا اخ لك في الدين (رابطة الدين) وإما نظير لك في الخلق]. ولقد رسم القرآن الكريم طرق الانحراف عن الحقّ إما عن طريق الشيطان أو الهوى أو الظنّ او اتباع سبيل الضلال أو فرعون وامثاله، فعلى هذا الاساس لا يسمح الدين بأن نكون أولياء للشيطان كما جاء في قوله تعالى: ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان انّه لكم عدوٌّ مبين﴾ (البقرة/ ١٦٨)، أو لهوى النفس كما في قوله تعالى: ﴿فلا تتبعوا الهوى﴾ (النساء/ ١٣٥)، أو للظنّ والريب كما جاء في قوله تعالى: ﴿إن يتّبعون إلّا الظنّ وان هم الّا يخرصون﴾ (الانعام / ١١٦)، ثم اعلم ان الظنّ والهوى عاملان اساسيان لاضلال الشعوب كما يقول ربّ العالمين: ﴿ان يتبّعون إلّا الظنّ وما تهوى الانفس﴾ (النجم/٢٣)، أو السير في نهج الضلال كما في قوله تعالى: ﴿ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ (الانعام/ ١٥٣)، أو قوله تعالى: ﴿ويتبع غير سبيل المؤمنين ...﴾ (النساء/ ١١٥)، أو قوله تعالى: ﴿ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ (الاعراف/ ١٤٢)، أو الاتباع لفرعون كما في قوله تعالى: ﴿فاتّبعوا أمر فرعون، وما أمر فرعون برشيد﴾ (هود/ ٩٧)، أو امثال فرعون

كما في قوله تعالى: ﴿واتّبعوا أمر كل جبّار عنيد﴾ (هود/ ٥٩).

علل الانحراف

لقد ذكر القرآن الكريم عللاً متعددة للانحراف عن طريق الصواب في سلوك الانسان فمنها التقليد الاعمى من قبل الابناء للآباء، ومنها القلوب المريضة، ومنها اتّباع الشهوات ومنها الجهل ومنها ان يكون الانسان في مظان ابليس ومنها عدم الايمان بالله تعالى. وامّا التقليد الأعمى فأشار اليه القرآن الكريم بقوله: ﴿بل نتّبع ما ألفينا عليه آباءنا﴾ (البقرة/ ١٧٠)، او ممّن زاغ قلبه وفسد كما في قوله تعالى: ﴿فأمّا الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾ (آل عمران/ ٧) وامّا اتّباع الشهوات كما جاء في قوله تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتّبعوا الشهوات﴾ (مريم /٥٩)، وامّا الجهل ففي قوله تعالى: ﴿وما لهم به من علم ان يتبعون الّا الظنّ وان الظنّ لا يغني من الحق شيئا﴾ (النجم /٢٨)، أو أنهم في مظانّ ابليس (لعنة الله عليه) كما في قوله تعالى: ﴿ولقد صدّق عليهم ابليس ظنّه فاتّبعوه الّا فريقاً من المؤمنين﴾ (سبأ/ ٢٠) أو من عدم الايمان بالله سبحانه كقوله تعالى: ﴿انا كنا لكم تبعاً فهل انتم مغنون عنّا نصيباً من النار﴾ (غافر/٤٧)، ومن المعروف ان من سمات الايمان بالله العمل الصالح وبما أمر به الله ونهى عنه.

نهاية الانحراف

لقد صوّر القرآن المجيد النتائج المترتبة لاتّباع غير الله تعالى بأبشع صور وما هي الّا الدخول في النار والخروج من ولاية الله تعالى وتبرّؤ الشيطان من اتباعه وايجاد الافساد في الكون ونشر المنكرات في المجتمع، فالدخول في النار صوّره ربّ العباد قائلاً: ﴿قال اخرج منها مذؤوماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأنّ جهنم منكم أجمعين﴾ (الاعراف/ ١٨) والخروج من ولاية ربّ العالمين ففي قوله تعالى: ﴿ولئن اتّبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من وليّ ولا واق﴾ (الرعد/ ٣٧) وامّا تبرّؤ

الشيطان من اتباعه يوم العسرة والحساب فهو قوله تعالى: ﴿وقال الشيطان لما قضي الامر انّ الله وعدكم وعد الحقّ ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلّا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم﴾ (ابراهيم/٢٢)، وامّا افساد الكون فهو كما يقول الخالق عزّوجلّ: ﴿ولو اتبع الحقّ أهوائهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن﴾ (المؤمنون/ ٧١)، وامّا اشاعة الفحشاء فكما يقول الباري تعالى في هذه الآية: ﴿ومن يتبع خطوات الشيطان فانّه يأمر بالفحشاء والمنكر﴾ (النور/٢١)، فالذي يتدبر الآيات القرآنية بدقة سيجد موضوعات أخرى، وانما نكتفي بهذا القدر خوف الاطالة.

الدعوة الى الاتّباع

جاءت نداءات القرآن العظيم تارة الى الانبياء (عليهم السلام) وأخرى الى الشعوب، وبعبارة أخرى ألقى القرآن الكريم مسؤولية الاتّباع على الفرد وهم الانبياء(عليهم السلام) وعلى رأسهم وأشرفهم وافضلهم محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخرى على عاتق الجمهور، وامّا الانبياء(عليهم السلام) فاتّباعهم اولاً: من الله سبحانه كما تشير هذه الآية: ﴿قل انّما اتبع ما يوحى اليّ من ربّي﴾ (الاعراف/٢٠٣) أو الآية التالية: ﴿ان اتّبع الّا ما يوحى اليّ﴾ (يونس/١٥)، فالحصر هنا (إن ـ إلاّ) للتأكيد بأن الانبياء (عليهم السلام) هم اتباع الله سبحانه فقط، وهناك آيات كثيرة أخرى تشابه هذا المعنى، ثانياً: من الانبياء(عليهم السلام) وعلى رأسهم باني التوحيد في العالم النبيّ ابراهيم (عليه السلام) كما تقول هذه الآية: ﴿ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة (دين) ابراهيم حنيفاً ...﴾ (النحل/ ١٢٣) أو قوله تعالى: ﴿واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب....﴾ (يوسف/ ٣٨)، امّا مسؤولية الشعوب في الاتّباع فهذه الآية توضح ذلك: ﴿وانّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه (اقتدوا به) ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ (الانعام/١٥٣)، أو الآية الشريفة الاخرى: ﴿وهذا كتاب (القرآن) أنزلناه مبارك فاتّبعوه (كونوا من اتباعه) واتّقوا لعلكم ترحمون﴾ (الانعام/ ١٥٥)، أو قوله تعالى: ﴿واتّبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربّكم﴾ (الزمر/ ٥٥)، قال الطبرسي (م/٥٦١ هـ) في ذيل تفسير هذه الآية [فمن أتى بالمأمور وترك المنهي عنه فقد اتّبع الاحسن].

خلاصه الكلام: كل من اتّبع الله تعالى والانبياء (عليهم السلام) فسيكون على بصيرة ويقين من أمر دينه ودنياه، حيث يقول تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ (يوسف/١٠٨)، [وعن ابن عباس قال: انه يعني أصحاب محمّد كانوا على أحسن طريقة]. وقال صاحب الميزان في تفسيره (أنا ومن...) [فتوسعة وتعميم لحمل الدعوة وأن السبيل وان كانت سبيل النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) مختصة به، ولكن حمل الدعوة والقيام به لا يختص به بل من اتّبعه (صلى الله عليه وآله وسلم) يقوم بها لنفسه]، وقال ايضاً في تفسير قوله: قل هذه ... [عن ابي جعفر(عليه السلام) قال: ذاك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأميرالمؤمنين والاوصياء من بعدهما... وعن ابي عبدالله(عليه السلام) قال: يعني علي اوّل من اتّبعه على الايمان والتصديق له وبما جاء به من عند الله عزّ وجلّ من الامة التي بعث فيها ومنها واليها قبل الخلق ممّن لم يشرك بالله قط ولم يلبس ايمانه بظلم وهو الشرك].

ونختم الكلام بقوله تعالى: ﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم إتّبعوا المرسلين اتّبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون﴾ (يس/ ٢٠،٢١)، فما أحلى هذا الاتباع الذي يجلب الهدى بلا عوض مالي، فانها الرقيّ في سلّم الايمان الذي تحدّث الله عن أصحاب الكهف قائلاً: ﴿إنّهم فتيه آمنوا بربّهم وزدناهم هدى﴾ (الكهف /١٣).

بين التابع والمتبوع

الفرد والمجتمع أصلان لا يغفل الاسلام عنهما فالانبياء(عليهم السلام) يطالبون الامة لاتباعهم على سبيل الرشد والنهج القويم والطريق المستقيم، طريق الاصلاح والهداية والابتعاد عن الشرّ والضلالة، فمن سنن الانبياء(عليهم السلام) دعوة الامة والمجتمع البشري الى الهداية كما يتضح من الآيات التالية: ﴿يا أبت انّي قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني (اقتد بي) أهدك صراطاً سوياً﴾ (مريم / ٤٣)، أو قوله تعالى: ﴿ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم انّما فتنتم به وان ربّكم الرحمن فاتّبعوني (فيما ادعوكم اليه) واطيعوا أمري﴾ (طه / ٩٠)، أو قوله تعالى: ﴿وقال الذي آمن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد﴾ (غافر /٣٨) أو قوله تعالى: ﴿واتبعون هذا صراط مستقيم﴾ (الزخرف/٦١).

المواقف

لقد رسم القرآن المجيد مواقف عديدة بالنسبة للتابعين وهي تدور على محاور ثلاثة، فهناك موقف لله تعالى وموقف لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وموقف للاعداء، فاما الموقف الأوّل: فكفاية الله تعالى لرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) واتباعه كما يقول: ﴿يا أيها النبيّ حسبك الله ومن اتّبعك من المؤمنين﴾ (الانفال / ٦٤) حيث يقول الزمخشري (م / ٥٣٨هـ) في تفسيره (كفاك وكفى اتباعك من المؤمنين الله ناصراً)، وقال الطبرسي في تفسيره (أي كافيك الله ويكفيك متبوعك من المؤمنين). وامّا الموقف الثاني لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالنسبة لاتباعه فهو يحوم على جانبين: الأوّل: اخلاقي ألا وهو التواضع لأتباعه حيث يقول ربّ العالمين: ﴿واخفض جناحك لمن اتّبعك من المؤمنين﴾ (الشعراء / ٢١٥)، وقال صاحب الميزان في ذيل تفسيره للآية: (والمراد بالاتباع الطاعة بقرينة قوله في الآية التالية: فإن عصوك فقل إنّي بريء مما تعملون). وامّا الجانب الثاني فانّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عدّهم جزءاً منه (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث قال تعالى: ﴿فمن تبعني فانّه منّي ومن عصاني فانّك غفور رحيم﴾ (ابراهيم / ٣٦)، وقال الطبرسي في تفسيره [أي هو بعضي لفرط اختصاصه بي وملابسته لي] وامّا الموقف الاخير فيري الاعداء بمنظار ضيّق للانبياء (عليهم السلام) ومنشأ ذلك الحقد والحسد والجهل والكبرياء فانّهم يتمسكون بمعاذير واهية وحجج فاسدة، من ان اتباع الانبياء (عليهم السلام) هم الاراذل وليسوا باشراف، أو انّهم يتّبعون رجلاً مسحوراً أو كيف نتبع من كان بشراً مثلنا؟ وأخيراً التمسك بالتقليد الاعمى للآباء والسير على خطاهم الضالة، وهذه الآيات تبين لنا بوضوح هذه المواقف فقوله تعالى: ﴿وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيباً إنكم اذاً لخاسرون﴾ (الاعراف / ٩٠)، أو قوله تعالى: ﴿وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواءٌ عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون﴾ (الاعراف / ١٩٣) أو قوله تعالى: ﴿وما نراك اتبعك الّا الذين هم أراذلنا بادي الرأي﴾ (هود / ٢٧) أو قوله تعالى: ﴿واذا قيل لهم اتّبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتّبع ما وجدنا عليه آباءنا﴾ (لقمان / ٢١)، أو قوله تعالى: ﴿فقالوا أبشراً منا واحداً نتّبعه انّا اذاً لفي ضلال وسعر﴾ (القمر / ٢٤)، ولنر آراء المفسرين في قوله تعالى: قالوا أنؤمن لك واتّبعك

الارذلون (الشعراء / ١١١)، قال الزمخشري (م / ٥٢٨هـ) [ألاترى الى هرقل حين سأل ابا سفيان عن اتباع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)... فلما قال: ضعفاء الناس وأراذلهم قال: مازالت اتباع الانبياء كذلك] وامّا الطبرسي فيقول: [المعنى ان أتباعك أراذلنا وفقراؤنا وأصحاب الاعمال الدنيئة والمهن الخسيسة، فلو اتبعناك لصرنا مثلهم ومعدودين في جملتهم، وهذا جهل منهم لانه ليس في ايمان الأرذلين به ما يوجب تكذيبه فامّا الرذل اذا أطاع سلطانه استحق التقرب عنده دون الشريف العاصي] ويرى صاحب الميزان [اتباع الارذلون: الظاهر انّهم كانوا يرون الشرف والكرامة في الاموال والجموع من البنين والاتباع، كما يستفاد من دعاء نوح (عليه السلام) اذ يقول: ربّ انّهم عصوني واتّبعوا من لم يزده ماله وولده الّا خساراً (نوح / ٢١)، فمرادهم بالأرذلين من يعدّهم الاشراف والمترفون سفلة يتجنبون معاشرتهم من العبيد والفقراء وأرباب الحرف الدنيئة].

عاقبة التابعين

هناك فوائد جمة تصيب التابعين المستسلمين لأمر الدين الماضين على سنن الانبياء (عليهم السلام) والصالحين، صوّرها الجليل في كتابه العزيز تصويراً جميلاً تزيد النفوس شوقاً للتابعين لاصحاب الحقّ واليقين فمنها:

١. ضمان الأمان: جاء في الخبر: نعمتان مجهولتان الصحة والأمان، ثم انظر الى قوله تعالى: ﴿فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (البقرة / ٣٨)، فجملة لا خوف عليهم صفه الضمان الامني الالهي للتابعين، وكذلك جملة ولاهم يحزنون صفة لطرد ونفي الهموم والاحزان عن النفوس للتابعين وما هو الّا الضمان النفسي لهم، فما أعظمهما من مكرمتين من الله لاصحاب الدين.

٢. اكتساب الرضوان: للانسان أهداف يسعى للوصول اليها بعضها مادي والآخر معنوي، وعلى رأس الاهداف اكتساب رضوان الله تعالى، فلا يمكن التوصل اليه الّا عن طريق الاتّباع كما يقول ربّ العباد في هذه الآية: فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوءٌ واتبعوا رضوان الله (آل عمران / ١٧٤) ولما يكتسب الانسان المؤمن رضوان الله

فسيهدى الى سبل السلام كما يقول عزّ من قائل: يهدي من اتبع رضوانه سبل السلام (المائدة / ١٦). وبالتالي سيظل اكتساب رضى الله سبحانه وتعالى من ابرز الاهداف الرئيسية لاصحاب الايمان وكما تشير الآية الشريفة الى ذلك: والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتّبعوهم باحسان رضي الله عنهم (لاعمالهم) ورضوا عنه (لما أعطاهم من نعم) (التوبة / ١٠٠) وسنقف قليلاً عند رأي بعض المفسرين لهذه الآية الكريمة حتى ندرك المعنى اكثر.

قال الطبرسي (م / ٥٦١هـ) في قوله تعالى [والسابقون الاولون، أي السابقون الى الايمان والى الطاعات وانما مدحهم بالسبق لان السابق الى الشيء يتبعه غيره فيكون متبوعاً وغيره تابع له، فهو امام فيه وداعٍ الى الخير بسبقه اليه،... والذين اتّبعوهم باحسان، أي بافعال الخير والدخول في الاسلام بعدهم وسلوك منهاجهم ويدخل في ذلك من يجيء بعدهم الى يوم القيامة] ويقول في آخر التفسير انه [روى الحاكم ابو القاسم الحسكاني باسناده مرفوعاً الى عبدالرحمن بن عوف في قوله سبحانه والسابقون الاولون قال هم عشرة من قريش أولهم اسلاما علي بن أبي طالب (عليه السلام)].

ويقول العلامة الطباطبائي: [وظهر ممّا تقدم اولاً: ان الآية تمدح الصنفين الاولين، (المهاجرين والانصار) بالسبق الى الايمان والتقدم في إقامة الدين ورفع قاعدته، وتفضيلهم على غيرهم على ما يفيده السياق. وثانياً: أن [من] في قوله: من المهاجرين والانصار، تبعيضية لا بيانية مما تقدم من وجه فضلهم، ولما ان الآية تذكر ان الله رضي عنهم ورضوا عنه، والقرآن نفسه يذكر ان منهم من في قلبه مرض ومنهم سماعون للمنافقين، ومنهم من يسميه فاسقاً، ومنهم من تبرأ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) من عمله ولا معنى لرضى الله عنهم، والله لا يرضى عن القوم الفاسقين. وثالثاً: ان الحكم بالفضل ورضى الله سبحانه في الآية مقيد بالايمان والعمل الصالح على ما يعطيه السياق فان الآية تمدح المؤمنين في سياق تذم فيه المنافقين بكفرهم ووعدهم وعداً جميلاً فقد قيد جميع ذلك بالايمان والعمل الصالح كقوله تعالى: للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله، الى آخر الآيات الثلاث

الحشر: ٨] وللعلامة تفسير روائي يقول فيه [جاء في تفسير البرهان عن مالك بن أنس عن ابي صالح عن ابن عباس قال: «السابقون الاولون» نزلت في أميرالمؤمنين (عليه السلام) وهو أسبق الناس كلّهم بالايمان وصلّى إلى القبلتين، وبايع البيعتين بيعة بدر وبيعة الرضوان، وهاجر الهجرتين مع جعفر من مكة الى الحبشة ومن الحبشة الى المدينة].

٣. الهداية: ان المطلوب من الانسان ان يرتقي سلّم الايمان شيئاً فشيئاً حتى يصل الى المحبوب، فالتابع للحقّ مضمونة هدايته من قبل الله الذي بيده كلّ شيء والذي يقول في هذا المجال: قل الله يهدي للحقّ أفمن يهدي الى الحقّ أحقّ أن يتبع ام من لا يهدي (يونس/ ٢٥).

٤. التفوّق: من المعلوم ان للمؤمنين درجات مختلفة في الجنّة وان الجنّة لها سبع طبقات تفوق بعضها على بعض، منها الفردوس الخاص لمحمّد وآل محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي أفضل بقاع الجنّة، ومنها النعيم ومنها العدن ومنها و... ومنها ....

وكذلك لاصحاب الايمان منازل دنيوية يتذوقون فيها طعم الايمان والعمل الصالح لما جاء في الآية الشريفة: اذ قال الله يا عيسى انّي متوفيك ورافعك اليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتّبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة (آل عمران/ ٥٥)، ولنا هنا وقفة مع صاحب المجمع وصاحب الميزان فلكلّ واحد منهما نظرة تفيد المخاطبين فأحببت ان اورد ذلك وامّا رأي العلامة الطبرسي في ذيل تفسيره للآية فيقول: [وقيل المعنى به أمة محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم)، وانّما سمّاهم تبعاً وان كانت لهم شريعة على حدة لانه وجد فيهم التبعية صورة ومعنى امّا صورة فانه يقال فلان يتبع فلانا اذا جاء بعده وامّا معنى فلأنّ نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) كان مصدقاً بعيسىٰ وبكتابه ويقال لمن يصدق غيره انه يتبعه على ان شريعة نبينا وساير الانبياء متحدة في ابواب التوحيد، فعلى هذا هو متبع له اذ كان معتقداً اعتقاده يوم القيامة ولأن من دعاه الهاً لايكون في الحقيقة تابعاً له] واما رأي العلامة الطباطبائي فيقول: [وها هنا وجه آخر وهو ان يكون المراد بالذين اتبعوا هم النصارى والمسلمون قاطبه وتكون الآية مخبرة عن كون اليهود تحت اذلال من يذعن لزوم اتباع عيسى الى يوم القيامة، والتقريب عين التقريب، وهذا أحسن الوجوه في توجيه الآية عند

التدبر].

٥. قبول التوبة وغفران الذنوب: مازال الانسان يعصي ربّه، وذلك لما توسوس في صدره الاوهام، فهو في معرض الزلل والسقوط في فخّ الشيطان الرجيم، وتصدر منه الاعمال السيئة بلا اختيار فلا بدّ من ماحٍ للسيئات ومضاعف للحسنات، وما من سبيل الّا الى الله تعالى الذي يقول: لقد تاب الله على النبيّ والمهاجرين والانصار الذين اتّبعوه في ساعة العسرة (التوبة/١١٧). وكذلك يقول: فاغفر للذين تابوا واتّبعوا سبيلك وقهم عذاب النار (الغافر/٧).

٦. نفى الضلال والشقاء: هذا ضمان آخر للتابعين للحقّ وللانبياء (عليهم السلام)، ضمان للبقاء في طريق الصواب والرشد والنجاة من الشقاء والنفاق كما يقول الله تعالى: ﴿فإمّا يأتينكم منّي هدًى فمن اتّبع هداي فلا يضلّ ولايشقى﴾ (طه/١٢٣).

٧. الغلبة على الاعداء: لكلّ أمر عاقبة وعاقبة التابعين الفوز والغلبة بالقوة والقهر على اعداء الدين كما نشاهد هذا الضمان في قوله تعالى: ﴿انتما ومن اتّبعكما الغالبون﴾ (القصص/ ٣٥).

٨. إصابة الرحمة: قال تعالى: ﴿وجعلنا في قلوب الذين اتّبعوه رأفةً ورحمةً﴾ (الحديد/٢٧). ان الله سبحانه وتعالى يعاقب الناس في أبدانهم وأنفسهم، فإذا اراد أن يجازي أحداً في الدنيا امّا ان يطبع على قلبه كما جاء في قوله تعالى: ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين﴾ (الاعراف/ ١٠١)، او يختم عليه أحياناً كما في قوله تعالى: ﴿ختم الله على قلوبهم﴾ (البقرة/٧)، او يضرب الاقفال عليها كما في قوله تعالى: (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها﴾ (محمّد/٢٤)، فعندئذٍ يكون الانسان كالانعام بل اضلّ، فما أشدّه من عقاب بأن لا يدرك ولا يفهم الانسان شيئاً كالحيوانات همّها علفها، فالقلب الذي لا يفكر ولايدرك ولا .... ولا .... ولا .... فانّه ميّت وان كان صاحبه يتحرك، وامّا اذا دخلته الرحمة والرأفة والشفقة فانها لتُحيي القلوب، فاصحاب القلوب الحيّة يستحقون الاحترام والتكريم والعزّة فاكرم بها من نعمة تصيب التابعين للانبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين.

٩. إلحاق الذرية: قال تعالى: ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم (نقصناهم) من عملهم من شيء﴾ (الطور/٢١).

ان الانسان ليرغب ان يعيش في حياته الى جوار اولاده حتى يعلم ما يصيبهم من خير او شرّ وان يكون على علم بهم، والانسان طبعه يميل في العيش الى جوار أسرته وعائلته وأقربائه وذريته، فهكذا سيكون الأمر غداً في دار الخلد، فانّ الله يمنّ ويتكرّم على المؤمنين والصالحين من اولادهم ان يعيشوا جنباً الى جنب آبائهم في الجنّة كما تشير الآية الآنفة الذكر، وكما تشير الأحاديث التالية في هذا الصدد.

ينقل الزمخشري عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) بأنه قال: [انّ الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقرّ بهم عينه، ثم تلا هذه الآية].

ويقول الطبرسي: [والمعنى أنا نلحق الاولاد بالآباء في الجنّة والدرجة من أجل ايمان الآباء لتقرّ أعين الآباء باجتماعهم معهم في الجنة كما كانت تقرّ بهم في الدنيا..... قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ان المؤمنين واولادهم في الجنّة ثم قرأ هذه الآية].

واخيراً نرجو من الله تعالى ان يجعلنا وايّاكم من التابعين المخلصين للآوليائه الصالحين وخاصة خاتم الرسل محمّد بن عبدالله(صلى الله عليه وآله وسلم) وآله الطيبين الطاهرين.

المصادر

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، لبنان.

٣ ـ الدامغاني، الحسين بن محمد، الوجوه والنظائر، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٠م.

٤ ـ دشتي، محمد، ترجمة نهج البلاغة، نشر مشرقين، ايران، طهران، ١٣٧٩ش.

٥ ـ الراغب الاصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات، المكتبة المرتضوية، طهران.

٦ ـ رشيدي، محمد بسام، المعجم المفهرس لمعاني القرآن، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ.

٧ ـ الزمخشري، جار الله، الكشاف، مكتبة الاعلام الاسلامي، ايران، قم.

٨ ـ شهيدي، سيد جعفر، ترجمة نهج البلاغة، انتشارات وآموزش انقلاب، طهران، ١٣٧٠ش.

٩ ـ الصدوق، الحسين بن موسى، علل الشرايع، المكتبة الحيدرية، النجف ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م.

١٠ ـ الطباطبائي، العلامة السيد محمد حسين، الميزان، مؤسسة اسماعيليان، طهران، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

١١ ـ الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٩هـ.

١٢ ـ الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، كتابفروشي مصطفوي، طهران.

١٣ ـ عبدالباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٤هـ.

روائع الأمثال النبويّة

الدكتور علي رضا ميرزا محمد
معهد العلوم الانسانية والدراسات الثقافية

اجتمع في كلام الرسول الأعظم من الفصاحة و البلاغة، وروعة الايجاز، واصابة المعنى، ودقّة التصوير ما لم يجتمع فى كلام أحد قبله أو بعده، وجاءت أقواله موجزة بليغة تشتمل على النصائح الدينيّة والدنيويّة، والحكم البالغة الرفيعة، والقيم الخلقية الرائعة التي لا يوجد مثلها في كلام غيره من الأنبياء المرسلين، أو الأولياء المنتجبين، أو رجال الفكر والعلم والأدب، ولذلك تداولها النّاس في أحاديثهم اليوميّة، وغدا الكثير منها أمثالاً سائرة، ثمّ أصبحت الأمثال ميراثاً خالداً في الأدب الاسلامي.

وممّا لا شكّ فيه أنّ نسق البلاغة النبويّة يمتاز في جملته بأنّه ليس من شيء نجده في كلام الفصحاء والبلغاء، اذ هو مبنيّ على الخلوص والقصد والاستيفاء. ولاجتماع تلك الثلاثة في كلام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وبناء بعضها على بعض، سلم هذا الكلام المتقن العظيم من التعقيد والعيّ والخطل والانتشار وسلمت وجوهه من الاستعانة بمالا حقيقة له من أصول البلاغة[1].

بناءً على هذا، يمكن القول بأنّ هذا النسق البلاغيّ الوحيد من نوعه انّما هو في اكثر الحدّ الإنساني من الاعجاز، يكون فوق كلام المخلوق من جهة ودون كلام الخالق من جهة أخرىٰ.

وممّا يدلّ على هذه الحقيقة الناصعة قوله تعالىٰ: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب

والحكمة وعلمّك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾[٢]، كما يكشف عنها ما قاله الرسول: «أدّبني ربّي فأحسن تأديبي»[٣]، ولذلك نجده أولى النّاس واليقهم بأن يقول: «أنا أفصح العرب»[٤]، لأنّه كان أخلصهم منطقاً، وأعذبهم بياناً، وأصوبهم رأياً، وابلغهم معنًى، وأبعدهم نظراً، وهذا لا يتأتّى إلّا بعناية من الله وفضله. وعلى هذا لو تمعنت النظر في كلمة له قالها: «أُعطيتُ جوامع الكلم»[٥]، تطّلعت على أنّ كلامه مع قلّة الفاظه واتّساع معناه وإحكام اسلوبه في غير تعقيد وتكلّف قد خرج عن قريحة واعية ووحى صادق والهام صائب، فصار أروع الأمثال التي لم يتّفق لأحد مثلها في حسن بلاغتها وروعة فصاحتها وقوّة دلالتها

وقد تناول الأدباء والعلماء والكتّاب القدامىٰ والمحدثين وصف البلاغة النبويّة، فقال الجاحظ:

هو الكلام الذي قلّ عدد حروفه، وكثر معانيه، وجلّ عن الصّنعة، ونُزّه عن التكلّف... استعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهَجَر الغريب الوحشيّ، ورَغِب عن الهجين السوقيّ، فلم ينطق الّا عن ميراث حكمة، ولم يتكلّم الّا بكلام قد حُفَّ بالعصمة، وشُيّد بالتأييد، ويُسّر بالتوفيق. وهو الكلام الذي ألقىٰ الله عليه المحبّة، وغشّاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلّة عدد الكلام، مع استغنائه عن اعادته وقلّة حاجة السامع الى معاودته. لم تسقط له كلمة، ولا زلّت به قدم، ولا بارت له حجّة، ولم يقم له خصم، ولا أقحمه خطيب، بل يبذّ الخطب الطوال بالكلم القصار، ولا يلتمس إسكات الخصم الّا بما يعرفه الخصم، ولا يحتجّ الّا بالصدق ولا بطلب الفَلج[٦] الّا بالحقّ، ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز[٧]، ولا يبطيء ولا يعجل، ولا يسهب ولا يحصر. ثمّ لم يسمع الناس بكلام قطّ أعمّ نفعاً، ولا أقصد لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح معنىً، ولا أبين في فحوىً.[٨]

أمّا مصطفى صادق الرافعي فقد بسط الكلام في كتابه «اعجاز القرآن» عن بلاغة النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) من وجوه كثيرة ونحن نقتطف ممّا قاله فيها قوله:

الفاظ النبوة يعمرها قلب متّصل بجلال خالقه، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، فهي إن لم تكن من الوحي ولكنّها جاءت من سبيله وإن لم يكن لها منه دليل فقد كانت هي من دليله، محكمة الفصول، حتّى ليس فيها عروة مفصولة؛ محذوفة الفضول، حتّى ليس فيها كلمة مفضولة، وكأنّما هي في اختصارها وإفادتها نبض قلب يتكلّم، وإنّما هي في سموّها وإجادتها مظهر من خواطره. إن خرجت في الموعظة قلت أنين من فؤاد مقروح، وإن راعت بالحكمة قلت صورة بشريّة من الروح في مَنزع يلين فينفر بالدموع ويشتدّ فينز وبالدماء، وإذا أراك القرآن أنّه خطاب السماء للأرض أراك هذا أنّه كلام الأرض بعد السماء[٩].

وله أيضاً مقالة في كتابه «وحي القلم» يبحث فيها عن الجمال الفنّي في البلاغة النبوّية، فيقول:

انّ النبيّ (ﷺ) كما هو أعظم نبيّ وأعظم مصلح، فهو أعظم أديب، لأنّ فنّه الأدبي أعظم فنّ يحقّق للانسانية حياة أخلاقها، وهو بكلّ ذلك أعظم انسان. فالفنّ في هذه البلاغة هو في دقائقه أثر تلك الروح العليا بكلّ خصائصها العظيمة التي يحتاج اليها الوجود الروحاني على هذه الأرض، ولذا ترى كلامه يخرج من حدود الزمان، فكلّ عصر واجد فيه ما يقال له، هو بذلك نبوّة لا تنقضي، وهو حيّ بالحياة ذاتها.[١٠]

وتنقسم أمثال الرسول قسمين: أمثال موجزة سائرة، وأمثال مفصّلة قياسيّة. امّا الأمثال النبويّة الموجزة فهي تلك الكلمات الجامعة التي قالها في الأمور المختصّة بحياة الانسان الدنيوية والأخروية، فسارت عنه، واشتهرت على الألسن وجرت مجرى الأمثال. وهذه الكلمات أو الأحاديث التي تزخر بجوا مع الكلم كثيرة وغزيرة جدّاً بحيث جاء في رواية أنّ عبدالله بن عمرو قال: «حفظت عن النبيّ ألف مثل».[١١]

وبما أنّ بحثنا هذا يدور حول الأمثال النبويّة السائرة التي تعدّ من حسنات البيان وتتضمّن المحاسن الرفيعة والحقائق العالية فضلاً عن جماله الفني البديع النادر، ولكن لكثرة عددها اكتفينا بقليل من كثير، ثمّ اخترنا نماذج متنوعة رائعة لأمثال تعبّر عن مختلف جوانب الحياة كما يلي:

١ ـ آفةُ الجودِ السّرفُ[١٢]: يُضرب في الدعوة الى عدم التبذير والاسراف.

٢ ـ آفةُ العلمِ النسيانُ[١٣]: يُضرب في خطر الانسان في العلم.

اقتبس ابن الأحدب الطرابلسي منه قائلاً:

كـــرِّرْ عـــلىٰ درسِكَ يـــا فـــلانُ فآفـــةُ العـــلم هـــيَ النّســـيانُ

(فرائد اللآل ١ / ٥٠)

٣ ـ إذا لم تستَحْي فاصنَعْ ما شئتَ[١٤]: أي من لم يستحي صنع ما شاء، لفظه أمر ومعناه الخبر. يُضرب في أهميّة الحياء الذي يردع الانسان عن مواقع السوء.

٤ـ الأرواحُ جنودٌ مجنّدةٌ[١٥]: هذا المثل جزء من الحديث، وتمامه: «فما تعارف منها إئتلف، وما تناكر منها اختلف». يُضرب في التحابّ والمودّة.

أخذ الطرابلسي هذا المثل فقال:

كـــانَتْ جـــنوداً جُـنّدتْ أرواحُـنا حسبَ الذي أفـــادَهُ مـــصباحُنا

(فرائد اللآل ٢ / ٣٩٨)

٥ ـ استعينُوا علَى الحوائجِ بالكتمانِ[١٦]: يُضرب في التكتّم على الحاجات، بغية عدم إفسادها، والحؤول دون منع تحقيقها.

٦ـ إشتدّي أزمةٌ تنفرجي[١٧]: معنى المثل أنّ الشدّة إذا تتابعت انفرجت، أو يمكن القول بأنّ اشتداد الأمر دليل على انتهائه، وانقلابه الى ضدّه وهو الفرج. يُضرب المثل في تأكيد أهميّة الصبر في سبيل الوصول الى الطمأنينة والراحة. وممّا يتناغم مع هذا الحديث الشريف ما ورد في القرآن الكريم: إنّ مع العسر يسراً[١٨]، كما قال الامام علي عليه السلام: عند تناهي الشدّة تكون الفرجة.[١٩]

٧ـ إعقِلْ وتوكَّلْ[٢٠]: هذا المثل قاله النبيّ لرجل قال له: أأعقل ناقتي أم أتوكّل على الله حفظها؟ يضرب في الأخذ بالحزم والاحتياط في الأمور.

قال الطرابلسي في هذا اللفظ والمعنى فقال:

إعـــقِلْ وبـــعدُ إنْ تَشأْ تـــوكّلِ تُـــدرِكْ بـــذا مـــا رمـتَهُ مـن أمـلِ

(فرائد اللآل ٢ / ٢٠)

٨ـ الأعمالُ بخواتيمها[٢١]: هذا مثل قولهم: خيرُ الأمورِ أحمدُها مغبّةً، أي عاقبةً، كما قيل: تمامُ الربيعِ الصيفُ، أي تظهر آثار الربيع في الصيف[٢٢]، يُضرب في الأعمال ذات الخاتمة الحسنة.

٩ـ الآنَ حميَ الوطيسُ[٢٣]: هذا قول النبيّ في صفة يوم حنين. يُضرب للأمر إذا اشتدّ. يقول الرافعي في بلاغة هذا المثل: والوطيس هو التنّور مجتمع النار والوقود، فمهما كانت صفة الحرب، فإنّ هذه الكلمة بكلّ ما يقال في صفتها، وكأنّما هي نار مشبوبة من البلاغة تأكل الكلام أكلاً، وكأنّما هي تمثّل لك دماءً نارية أو ناراً دموية».[٢٤]

١٠ـ إنّما الأعمال بالنيّات[٢٥]: هذا المثل جزء من الحديث، وتتمته: «ولكلّ امريء مانوىٰ». يُضرب في أهميّة النيّة وأثرها في حياة الانسان.

١١ـ إنَّ ممّا يُنبِتُ الربيعُ ما يقتلُ حَبَطاً أو يُلِمُّ[٢٦]: قاله النبيّ في صفة الدنيا والحثّ علىٰ قلّة الأخذ منها وعدم الاسراف في جمعها. والمثل من الحديث الشريف: «**إنّه لا يأتي الخير بالشرّ، وإنّ ممّا ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلمّ الّا آكلة الخضر فانّها أكلت حتّى إذا امتلأت خاصرتاها استقبلت عين الشمس فثلطت و بالت ثمّ رتعت**».[٢٧] يُضرب في النهي عن الإفراط. يقول ابو هلال العسكري: هذا من أحسن الكلام وأوجزه، وأفصحه لفظاً، وألطفه معنىً، وهو مثل ضربه لمن أعطى من الدنيا حظّاً، فألهاه الاشتغال به، والاستكثار منه، والحرص عليه، ومجانبة القصد فيه عن اصلاح دينه، فيكون فيه هلاكه، كما أنّ الماشية إذا لم تقتصد في مراعيها حبطت بطونها فماتت أو كادت.[٢٨]

اقتبس الطرابلسي من هذا المثل فقال:

وإنّ ممّا يُنبِتُ الربيعَ ما ... يقتلُ حبطاً أو يُلِمُّ فاعلَما

(فرائد اللآل ١ / ١٢)

ونحو المثل قول النابغة:

اليأسُ عمّا فاتَ يُعقبُ راحةً ... ولربَّ مَطعَمةٍ تعودُ ذُباحا

(جمهرة الامثال ١ / ١٦)

١٢ـ إنَّ المُنبَتَّ لاأرضاً قطعَ ولا ظهراً أبقَى[٢٩]: المنبتّ: المنقطع عن أصحابه في السفر،

والظهر: دابّة. والمثل قاله النبيّ (ﷺ) لرجل اجتهد في العبادة حتّى غارت عيناهُ فلمّا رآه قاله له: إنّ هذا الدين متين فأوغِلْ فيه برفق، إنّ المنبتّ لا أرضاً قطع ولاظهراً أبقىٰ. فالمثل كما نراه هو الجزء الأخير من الحديث. يُضرب لمن يبالغ في طلب الشيء حتّى يفوته.

قال الطرابلسي مقتبساً منه:

كن ذَا اقتصادٍ واطّرحْ عنك الطمَعْ ... فانّهُ المنبتُّ لا أرضاً قطَعْ

(فرائد اللآل ١ / ١٢)

١٣ـ إنَّ مِنَ البيانِ لسحراً[٣٠]: أوّل من لفظ به النبيّ الأعظم، ومعناه أنّ بعض البيان يعمل عمل السحر لحدّة عمله في سامعه وسرعة قبول القلب له، وأوّل الحديث: إنّ من الشعر لحكمةً. يُضرب في استحسان المنطق وايراد الحجّة البالغة. يقول ابو هلال العسكري: وقد أجمع أهل البلاغة على أنّ تصوير الحقّ في صورة الباطل، والباطل في صورة الحقّ من أرفع درجات البلاغة، ولا نعرف في الحديث كلاماً أحسن من هذا.[٣١] والرافعي عندما يتحدّث عن بيانه الفني القويّ النادر الذي امتاز به عن كلّ بلغاء الدنيا، يقول: وبذلك يؤوّل قوله (ﷺ): انّ من البيان لسحراً، جعل نوعاً من البيان هو السحر، لا البيان كلّه، فالحديث كالنصّ على ما تسميه الفلسفة الأوربية اليوم بالبيان الفنّي، كأنّه قال: إنّ من البيان فنّاً هو سحر من عمل النفس في اللغة تغيّر به الأشياء وله عجب السحر وتأثيره وتصرّفه، وهذا معنى لم ينتبه اليه أحد، ولا يُذكر معه كلّ ما قالوه في تفسير الحديث، وبذلك التأويل يكون هذا الحديث قد احتوى أسمى حقيقة فلسفيّة للفنّ.[٣٢] يقول الدكتور ابراهيم السامرائي: والمثل يطلعنا على الدرجة الرفيعة التي بلغها البيان العربي في عصر الرسول وإعجاب الرسول بالبلاغة والبيان، حتى قال عنها إنّ تأثيرها بالسامع كتأثير السحر في العقول.[٣٣]

ومثل هذا قول بعض المَهالبة في المعتمِد:

قصائدُ تملأُ الآفاقَ مما ... أحلَّ اللهُ مِنْ سحرِ البيانِ

(جمهرة الامثال ١ / ١٥)

١٤ـ ايّاكُمْ وخضراءَ الدِّمَنِ [٣٤]: قاله النبيّ (ﷺ)، وهو النبت ينبت على البعر، فيروق ظاهره، وليس في باطنه خير. وخضراء الدمن رمز عن المرأة الحسناء في منبتِ السّوء، شبهها بالعشب الذي على الدمن فيكون منظره حسناً أنيقاً ومنبته فاسداً. يُضرب في حسنِ الظاهر وقبح الباطن، وتقول العرب في المعنى نفسه: إيّاكَ وعقيلةَ الملحِ. [٣٥]

أخذ الطرابلسي هذا اللفظ والمعنى فقال:

لا تغترِ رْبط ظاهرٍ يُرَى حَسَنْ ايّاكَ يا هذا وخضراءَ الدِّمَنْ

(فرائد اللآل ١ / ٣٠)

١٥ـ الجارَ ثمَّ الدّارَ: معناه إذا أردت شراء الدار فسل عن جوارها قبل شرائها. المثل رُوي أيضاً بلفظ «الجارُ قبل الدارِ». [٣٧] ومثل قوله: الرفيق قبل الطريق.

قال ابو تمّام في هذا المعنى:

مَن مُبلغٌ أفناءَ يعرُبَ كلَّها أنّي ابتنيتُ الجارَ قبلَ المنزلِ

(موسوعة امثال العرب ٣ / ٤٨٢)

كما قال الطرابلسي:

الجارَ ثمَّ الدارَ يا خليلي فاخَتَرْ تكُنْ ذا سؤددٍ أثيلِ

(فرائد اللآل ١ / ١٤٥)

١٦ـ حبّكَ الشيءَ يُعمي ويُصِمُّ [٣٨]: معناه أنّ حبّك للشيء يعميك عن مساوئه ويصمّك عن استماع العذل فيه.

أخذه الطرابلسي فقال:

فوالله ما أدري أحُسنُ رُزِقتِهِ أم الحبُّ يُعمي مثلَما قيلَ في الحبِّ

(جمهرة الامثال ١ / ٣٥٦)

١٧ـ الحربُ خُدعةٌ [٣٩]: يعني أنّ المحارب إذا خدع من يحاربه مرّة واحدة وانخدع له ظفر به وهزمه. يُضرب لكلّ أمر احتيل فيه فتمّ بالحيلة.

اقتبس الطرابلسي منه قائلاً:

والحربُ في ما قد حكَوْهُ خُدعَهْ فخادعِ العدوَّ توهِنْ جمعَهْ

(فرائد اللآل ١ / ١٦٣)

١٨ـ الحسدُ يأكلُ الحسناتِ كما تأكلُ النارُ الحطبَ [٤٠]: معناه واضح. يُضرب في مساويء الحسد.

١٩ـ الحكمةُ ضالّةُ المؤمنِ [٤١]: أي إنّ المؤمن يحرص على جمع الحكم من أين يجدها يأخذها. يُضرب في تبيان أهميّة الحكمة عند الانسان المؤمن. والمثل قد رُوي عن الإمام عليّ عليه السلام أيضاً.[٤٢]

أخذ الطرابلسي هذا القول فقال:

الحكمةُ الّتي أضلَّ المؤمنُ يأخذُها حيثُ يراها تمكِنُ

(فرائد اللآل ١ / ١٧٩)

٢٠ـ الخلقُ كلُّهم عيالُ الله [٤٣]: هذا المثل جزء من الحديث، وتتمّته: «فأحبّهم الى الله أنفعهم لعياله». يُضرب في تساوي البشر أمام العدالة.

قال الطرابلسي مقتبساً منه:

الخلقُ كلُّهم عيالُ الله مَنْ يـنفعهم أحبُّهم لهُ مِنَنْ

(فرائد اللآل ٢ / ٣٩٩)

٢١ ـ خيرُ الأمورِ أوسطُها [٤٤] [أو] أوساطها [٤٥]: معناه واضح. يُضرب في الاعتدال في الامور. قال الجاحظ: ينبغي للرجل أن يكون سخيّاً لا يبلغ التبذير، حائطاً لا يبلغ البخل، شجاعاً لا يبلغ الهَوَج، محترساً لا يبلغ الجُبن، حيّاً لا يبلغ العجز، ماضياً لا يبلغ القِحَة، قوّالاً لا يبلغ الهذَرَ، صموتاً لا يبلغ العيّ، حليماً لا يبلغ الذلّ، منتصراً لا يبلغ الظلم، وقوراً لا يبلغ البلادة، نافذاً لا يبلغ الطيش، قال: ثمّ وجدت رسول الله جمع ذلك في كلمة واحدة، وهي قوله عليه السلام: خير الأمور أوساطها. وما ذلك الّا لأنّه أوتي جوامع الكلم.[٤٦] والمثل كقولهم: خير الشيم أقصدها.[٤٧]

من جيّد ما قيل في هذا المعنى قول الشاعر:

عليكَ بأوساطِ الأمورِ فإنَّها نجاةٌ ولا تركَبْ ذلولاً ولا صعبا

(التمثيل والمحاضرة ٤٢٩)

كما قال الطرابلسي:

كُـنْ وسـطاً فـي القـصدِ فـالأمورُ أوســـاطُها خـــيرٌ أيـا بشـيرُ

(فرائد اللآل ١ / ٢٠٠)

٢٢ـ الدالُّ علَى الخيرِ كفاعلِهِ [٤٨]: معناه وضربه واضحان.

قد تأثّر الطرابلسي بهذا المثل قائلاً:

كـــفاعلِ الخـــيرِ الذي عـــليهِ دَلْ فادلُلْ عليه إنْ عـجزتَ عـن عَـمَلْ

(فرائد اللآل ١ / ٢١٩)

٢٣ـ دَعْ ما يَريبُك الى مالا يَريبُك [٤٩]: يُضرب للأخذ بالجزم واليقين.

٢٤ـ الرائدُ لا يكذبُ أهلَهُ [٥٠]: الرائد: الذي يتقدّم القوم لطلب الماء والكلأ لهم، فإن كذبهم أفسد أمرهم، وأمر نفسه معهم، لأنّه واحد منهم. يُضرب في توكيد الصدق فيما يُخاف من مغبّة الكذب.

٢٥ـ رفقاً بالقواريرِ [٥١]: قال النبيّ (ﷺ) بخشة، وكان يحدوبالنساء. يُضرب في الحثّ علىٰ الرفق بالنساء. وقد رُوي المثل بهاتين الصورتين أيضاً: «يا أبخشة، رفقاً بالقوارير» [٥٢] و«رويدك رفقاً بالقوارير». [٥٣]

٢٦ـ الرفيقُ قبلَ الطريقِ [٥٤]: أي حصّل الرفيق أوّلاً واخبرهُ فربما لم يكن موافقاً لا تتمكّن من الاستبدال به. يُضرب في أهمية اختيار الرفيق في السفر خصوصاً، وفي الحياة عموماً. والمثل رُوي أيضاً بلفظ« الرفيق ثمّ الطريق». [٥٥] ومثله قوله: الجار ثمّ الدار.

قال الطرابلسي:

قـــبلَ الطـــريقِ حـــصّلِ الرفـــيقا فـــربَّما تـــلقَىٰ بـــها مـــضيقا

(فرائد اللآل ١ / ٢٥٧)

كما قال العطَوي:

يـــقولونَ قـــبلَ الدارِ جـارٌ مـجاورٌ وقـبلَ الطـريقِ النـهجُ أنسُ رفـيقِ

(جمهرة الامثال ١ / ٢١٩)

٢٧ ـ زُرْ غِبّاً تزدَدْ حبّاً[٥٦]: أي لا تكثروا الزيارات واجعلوا بينها فاصلاً زمنيّاً، تزدادوا حبّاً. يُضرب في أدب الزيارة.

قال بعض الشعراء:

وقد قالَ النبيّ وكانَ بَرّاً ... إذا زرتَ الحبيبَ فزرهُ غِبّا

(جمهرة الامثال ١ / ٥٠٥)

وقال آخر:

إذا شئتَ أن تُقلَى فزُرْ متواتراً[٥٧] ... وإن شئتَ أن تزدادَ حبّاً فزُرْغِبّا

(مجمع الامثال ١ / ٣٢٣)

وأنشد ابو احمد عن ابن دريد:

عليكَ بإغبابِ الزيارةِ إنّها ... تكونُ إذا دامَتْ الَى الهَجرِ مسلَكا

فإنّي رأيتُ الغيثَ يُسأمُ دائباً ... ويُسألُ بالأيدي إذا هوَ أمسَكا[٥٨]

(جمهرة الأمثال ١ / ٥٠٥)

اقتبس الطرابلسي من هذا المثل فقال:

وغِبْ وزُرْ غبّاً لِمَن تهواهُ ... تزدَدْ لهُ حبّاً كما ترضاهُ

(فرائد اللآل ١ / ٢٦٩)

وقريب من هذا قول الشاعر:

أقلِلْ زيارتَكَ الحبيبَ ... تكونُ كالثوبِ استجدَّهْ

وأمَلُّ شيءٍ لا مريءٍ ... ألّا يزالُ يراكَ عندَهْ

(جمهرة الامثال ١ / ٥٠٥)

٢٨ـ سبقَكَ بها عُكاشةُ[٥٩]: قيل في سبب بيان هذا المثل أنّ رسول الله (ﷺ) قال: يدخل الجنّة سبعون ألفاً من أمّتي كلّهم على صورة القمر ليلة البدر، فقال عكاشة بن محصن: أدع الله أن يجعلني منهم. قال: فإنّك منهم، فقام أنصاري فقال: أدع الله أن يجعلني منهم. فقال: سبقك بها عكاشة. يُضرب لمن طلب شيئاً وقد سبق الىٰ حيازته غيره.

٢٩ـ السعيدُ مَن وُعِظَ بغيرِهِ [٦٠]: أي ذوالجَدّ مَن اعتبر بما لحق غيره مِن المكروه فيجتنب الوقوع في مثله. والمثل قد رُوي عن الامام علي عليه السلام أيضاً.[٦١]

أخذ الطرابلسي هذا المثل فقال:

فهَلْ بهِ يوعَظُ مَن يكونُ فَظُّ ... إنّ السعيدَ مَن بغيرِهِ اتّعَظْ

(فرائد اللآل ١ / ٢٨٩)

كما قال الحارث بن الكلدة:

إنَّ السعيدَ في غيرِهِ عظةٌ ... وفِي الحوادثِ تحكيمٌ ومعتبرُ

(جمهرة الامثال ١ / ٥١٣)

٣٠ـ سيّدُ القومِ خادمُهُمْ [٦٢]: أي ينبغي كون السيّد كذلك لما وجب عليه من الاقامة بمصالحهم ورعاية أحوالهم. يُضرب في الحثّ على التواضع.

أنشد البيهقي في هذا المعنى:

إذَا اجتمعَ الإخوانُ كان أذلُّهم ... لإخوانِهِ نفساً أبرَّ وأفضلا

(فيض القدير ٤ / ١٢٢)

٣١ـ الصبرُ عندَ الصَّدْمةِ الاولَى [٦٣]: أي إنّما يُحمد صبرُ من صبرَ عند حرارة المصيبة، لأنّ مفاجأة المصيبة بغتةً لها روعة تزعزع القلب وتزعجه، فمن يصبر عند وقوعها يترتّب عليه الاجر الجزيل لكثرة المشقّة حينئذ، ثمّ بعد ذلك يهون الأمر وتنكسر حدّة المصيبة وتضعف قوّتها. يُضرب المثل في من يكون رابط الجأش عند فورة الرزيّة.

٣٢ـ صدقَ الله وكذبَ بطنُ أخيكَ [٦٤]: قاله النبيّ الأعظم لرجل زعم أنّ العسل لم يشف بطن أخيه، وذلك إشارة الى الآية الشريفة: فيه شفاء للناس. [٦٥] يُضرب في الصدق الأكيد الذي لا ريب فيه.

٣٣ـ العجلةُ مِنَ الشيطانِ [٦٦]: معناه واضح. يُضرب في ذمّ العجلة ووجوب الرويّة والتعقّل.

٣٤ـ الغضبُ يفسدُ الايمانَ كما يفسدُ الخلُّ العسلَ [٦٧]: معناه واضح. يُضرب في مساوىء الغضب.

٣٥ـ كما تَدينُ تُدانُ [٦٨]: أي كما تفعل بك، وكما تُجازِي تُجازَىٰ إنْ حَسناً فحَسَنٌ وإنْ سيّئاً

فسيءٌ. يُضرب في العدل في المجازاة.

قال يزيد الصَّعِق الكلابيّ:

فـاعلَمْ وأيـقِنْ أنَّ مـلكَكَ زائـلٌ واعـلَمْ بأنَّ كـما تَـدينُ تُـدانُ

(المستقصى ٢ / ٢٣٢؛ جمهرة الامثال ٢ / ١٦٨)

٣٦ـ لا يُغني حَذَرٌ مِن قَدَرٍ[٦٩]: أي لا حذر بعد وقوع القدر لعدم استطاعة البشر على دفعه.

يُضرب في عدم قدرة الانسان على ردّ القضاء ولوكان في غاية الحذر.

قريب من هذا قول الطرابلسي:

لا يـنفعُ الحـذرُ مـمّا قـد قُـدِرْ إذاً فـلا يُـفلَتُ مَـن كـانَ حَـذِرْ

(فرائد االلآل ٢ / ٢٠١)

كما قال الطرابلسي:

كـما تَـدينُ يـا فـتَى تُـدانُ فَـلْيَك مِـنك أبـداً إحسـانُ

(فرائد اللآل ٢ / ١٢٢)

٣٧ـ لا يُلدَغُ المؤمنُ مِن جُحرٍ مرّتينِ[٧٠]: معناه أنّ لدغ مرّة يحفظ من أخرىٰ. يُضرب في الحيطة والحذر. يقول المناوي: هذا من جوامع كلمة التي لم يسبق اليها أراد به تنبيه المؤمن على عدم عوده لمحلّ حصول مضرّة سبقت له فيه وكما أنّ هذا مطلوب في أمر الدنيا فكذا في أمور الآخرة، فالمؤمن إذا أذنب ينبغي أن يتألّم قلبه كاللديغ ويضطرب ولا يعود.[٧١]

مثل هذا قول الطرابلسي:

لا يُـلسَعُ المـؤمنُ مـرّتينِ يـاصاحِ مِـن جـحرٍ بـغيرِ مَـيْنِ

(فرائد اللآل ٢ / ١٨٢)

٣٨ـ لا يملأُ جوفَ ابنِ آدمَ الَّا الترابُ[٧٢]: معناه أنّ الانسان اذا لم يكن قنعاً، يزداد حرصه على الدنيا يوماً فيوم ويمتدّ الى أن يموت ويُدفن تحت التراب، فحينئذ لا يبقى له حرص ولا طمع. يُضرب في شدّة طمع الانسان وتعلّقه باسباب الدنيا.

٣٩ـ لا ينتطحُ فيها عنزانِ[٧٣]: أي لا يكون له تغيير ولا نكير. يُضرب للأمر الذي لا غير له

ولا يدرك به ثأر. وواوّل من قاله النبيّ (ﷺ). ومثله قولهم: لا تنفطُ فيه عَناقٌ، وقولهم: لا تحبقُ في هذَا الامرِ عَناقٌ حوليّةٌ.[٧٤]

اقتبس الطرابلسي منه قائلاً:

كذاكَ لا تنفطُ في هذا ولا ... ينتطحُ العنزانِ فيهِ مثلا

(فرائد اللآل ٢ / ١٩٠)

٤٠ـ ما هلكَ امرؤٌ عرفَ قدرَهُ[٧٥]: أي من عرف نفسه ولم يتعدّ طوره، فهو يدخل في حصن رحمة ربّه، فمن دخل حصن الله أمن من العذاب والهلاك. يُضرب في تجنّب التكبّر والادّعاء.

٤١ـ المجالسُ بالأمانةِ[٧٦]: معناه واضح. يُضرب لحفظ الاسرار وما يقال في المجالس الخاصّة.

٤٢ـ المرءُ علّى دينِ خليلِهِ وقرينِهِ[٧٧]: معناه أنّ الانسان يُعرف بصديقه وصاحبه لأنّه يختار صحبة من يكون مثله كما أنّ الجنس يميل مع الجنس ويطير الطير مع شكله. يُضرب في حسن اختيار الاصدقاء.

قال عديّ بن زيد في هذا المعنى:

عنِ المرءِ لا تسألْ وأبصِرْ قرينَهُ ... فإنّ القرينَ بالمقارنِ يَقتدىٰ

(جمهرة الامثال ٢ / ٢٥٢)

٤٣ـ المرءُ كثيرٌ بأخيهِ[٧٨]: معناه أنّ الانسان يقوىٰ بخليله وصديقه. يُضرب في اتّخاذ الاخوان في الدين.

قريب من هذا قول الشاعر:

أخاكَ أخاكَ إنّ مَن لا أخاً له ... كساعٍ إلَى الهيجا بغيرِ سلاحِ

(جمهرة الامثال ٢ / ٢٥٢؛ موسوعة امثال العرب ٦ / ٧١)

٤٤ـ المرءُ مع مَن أحبَّ[٧٩]: معناه أنّ الانسان يساعد من يحبّ ويطيعه، ولا يأتي بشيء يسيء إليه. يُضرب في أهمية الحبّ في الدنيا، والآخرة. قال ابن العربي: يريد المصطفى (ﷺ) في الدنيا بالطاعة والأدب الشرعي وفي الآخرة بالمعاينة والقرب

الشهودي، فمن لم يتحقّق بهذا وادّعىٰ المحبّة فدعواه كاذبة.[٨٠]

٤٥ـ المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضُهُ بعضاً[٨١]: معناه أنّ الانسان مدني بالطبع ولا يمكنه الفرد عن الجماعة بعيشه بل يفتقر بعضهم لبعض في مصالح الدين والدنيا. يُضرب لحثّ المؤمنين على التعاون فيما بينهم.

قال الطرابلسي مقبساً منه:

لمثلِهِ المؤمنُ كالبنيانِ يشدُّ بعضاً بعضُهُ ياعانِي

(فرائد اللآل ٢ / ٣٩٨)

٤٦ـ المؤمن مرآةُ اخيهِ[٨٢]: معناه أنّ المؤمن الناصح لاخيه المؤمنُ يُبصره مواقع رشده، ويُطلعه على خفايا عيبه، فيكون كالمرآة له ينظر فيها محاسنه فيستحسنها، ويزداد منها، ويرى مساوئه فيستقبحها وينصرف عنها. يُضرب في وجوب التعامل بالصدق بين المؤمنين، وفي أنّ الايمان يجعل الانسان مرآة صادقة ازاء أخيه الانسان. يقول العامري: كن لأخيك كالمرآة تريه محاسن احواله وتبعثه على الشكر وتمنعه من الكبر، وتريه قبائح اموره بلين في خفية تنصحه ولا تفصحه، هذا في العامة أما الخواص فمن اجتمع فيه خلائق الايمان وتكاملت عنده آداب الاسلام، ثمّ تجوهر باطنه عن اخلاق النفس ترقى قلبه الى ذروة الاحسان فيصير لصفائه كالمرآة اذا نظر اليه المؤمنون رأوا قبائح احوالهم في صفاء حاله وسوء آدابهم في حسن شمائله.[٨٣] وقد رُوي المثل بهاتين الصورتين أيضاً: «المؤمن مرآة المؤمن» و«المؤمن أخو المؤمن»[٨٤]، كما قيل: المرء مرآة أخيه.[٨٥] وممّا يتناغم مع هذا الحديث الشريف ما ورد في القرآن الكريم: انّما المؤمنون إخوة.[٨٦]

٤٧ـ الناسُ كإبلِ مائةٍ لا تجدُ فيها راحلةً.[٨٧] أي إنّهم كثير، ولكن قلّ منهم من يكون فيهم خير. يُضرب في الكثرة من الناس بدون فائدة.

٤٨ـ الناسُ كأسنانِ المشطِ.[٨٨] أي متساوون في النسب، فكلّهم بنو آدم، وآدم من تراب، وانّما التفاضل بالعمل الصالح والفعل الجميل. يُضرب في المساوات بين الناس. وقد رُوي المثل بهذه الصورة أيضاً: الناس كلّهم سواء كأسنان المشط.[٨٩] ومثله قولهم:

الناس سواء كأسنان المشط [٩٠]، وقولهم: هم سواء كأسنان المشط.[٩١]

قد اقتبس الطرابلسي من هذا المثل فقال:

النـــاسُ كـالأسنانِ للـمشطِ غَـدَوْا أيْ هُـــمْ بـــنُوا آدمَ هكـذا حَكَـوْا

(فرائد اللآل ٢ / ٣٠٣)

٤٩ـ الناسُ معادنٌ كمعادنِ الذهبِ والفضّةِ [٩٢]: أي إنّهم يتفاوتون في مكـارم الاخـلاق ومحاسن الصفات. يُضرب في جودة الفطرة الانسانية، والاستعداد الايجابي الكامن في هذه الفطرة. يقول القاضي: هذا من جوامع الكلم الذي أوتيها المصطفى (ﷺ) وأفاد الترغيب في تطبّع الاوصاف الجميلة والتوصّل اليها بكلّ حيلة.[٩٣]

لقد تأثّر الطرابلسي بهذا المثل فقال:

وانّـــما النـــاسُ مـــعادنٌ تُـــرى كـــــذهبٍ وفـــضّةٍ فَـــاخْتَبِرا

(فرائد اللآل ٢ / ٣٩٨)

٥٠ ـ النساء شقائق الرجال [٩٤] [أو] الاقوام [٩٥]: معناه أنّ النساء نظائر الرجال وامثالهم في الاخلاق والطباع، كأنهّن شُقِقن منهم. يُضرب في مساواة المرأة بـالرجـل، بـاحترام انسانيتها بالقدر نفسه.

قال الطرابلسي:

لا تُـــهِنِ المـــرأةَ بـــالكلامِ إنَّ النســـا شـــقائقُ الاقـــوامِ

(فرائد اللآل ١ / ٢٧)

٥١ ـ نعوذُ بالله منَ الحَوْرِ بعدَ الكَوْرِ [٩٦]: أي نعوذ بالله من النقصان بعد الزيادة. يُضرب في تقلّبات الايّام وتحوّل الامور من صلاح الى فساد، ويقال في المعنى نفسه: نعوذ بالله من القُلّ بعد الكُثر.[٩٧]

٥٢ ـ نيّةُ المؤمنِ خيرٌ من عملِهِ [٩٨]: معناه أنّ جنس النيّة راجح على جنس العمل لأنّ النيّة عبوديّة القلب والعمل عبوديّة الجوارح وعمل القلب أبلغ وأنفع وأشرف وهـو امـير والجوارح رعيّة. [٩٩] يُضرب في أهميّة النيّة في حياة الانسان.

٥٣ ـ هُدَنَةٌ علَى دَخَنٍ: قاله النبيّ الاعظم حين سُئِل عن آخر الزمـان. والهـدنة: اللـين

والسكون. والدخن: تغيّر الطعام وغيره ممّا يصيبه من الدخان، واستُعِر هنا لفساد الضمائر والنيّات. هذا المثل جزء من الحديث، وتمامه: «وجماعة على أقذاء». يُضرب لنَفَل الصدور وما فيها من الضغائن والأحقاد. يقول الرافعي في تفسير المثل: هذه العبارة لا يعدلها كلام في معناها، فإنّ فيها لوناً من التصوير البياني لو أُذيبت له اللغة كلّها ما وفت بها، وذلك أنّ الصلح إنّما يكون موادعةً وليناً، وانصرافاً عن الحرب، وكفّاً عن الأذىٰ. هذه كلّها من عواطف القلوب الرحيمة، فإذا بُني الصلح على فساد، وكان لعلّة من العلل، غلب ذلك على القلوب فأفسدها، حتّى لا يستروحُ غيره من أفعالها، كما يغلب الدخن على الطعام، فلا يجد آكله الّا رائحة هذا الدخان، والطعام من بعد ذلكم مشوب مفسد. فهذا في تفسير معنىٰ الفساد الذي تنطوي عليه القلوب الواغرة، وثَمَّ لون آخر في صفة هذا المعنى، وهو اللون المظلم الذي تنصبغ به النّية السوداء وقد أظهرته في تصوير الكلام لفظة «الدخن». ثمّ معنى ثالث: وهو النكتة التي من أجلها اختيرت هذه اللفظة بعينها، وكانت سرّ البيان في العبارة كلّها، وبها فضلت كلّ عبارة تكون في هذا المعنى وذلك أنّ الصلح لا يكون الّا أن تطفأ الحرب، فهذه حرب قد طفئت نارها بما سوف يكون فيها ناراً أخرى، كما يلقى الحطب الرطب على النار تخبو به قليلاً، ثمّ يستوقد فإذا هي نار تلظّى، وما كان فوقه الدخان فإنّ النار ولاجَرم من تحته، وهذا كلّه تصوير لدقائق المعنى كما ترى، حتّى ليس في الهدنة التي تلك صفتها معنى من المعاني يمكن أن يتصوّر في العقل الّا وجدت اللون البياني يصوّره في تلك اللفظة لفظة «الدخن». [١٠١]

قال الطرابلسي مقتبساً منه:

ما كانَ مِن صُلحى لذاكَ يا حَسَنْ ممّا جرَى فهدنةٌ علَى دَخَنْ

(فرائد اللآل ٢ / ٣٣٧)

٥٤ ـ الوحدةُ خيرٌ مِن جليسِ السّوء [١٠٢]: معناه أنّ الانسان لو كان وحيداً خير من أن يختار صحبة الاشرار وأهل البطالة. يُضرب في تجنّب الجلوس مع الأشرار. وما أحسن قول الجنيد: مكابدة العزلة أيسر من مداراة الخلطاء، وقال الغزالي: عليك

بالتفرّد عن الخلق لأنّهم يشغلونك عن العبادة، ولهذا كان مالك بن دينار كثيراً ما يجالس الكلاب على المزابل ويقول: هم خير من قرناء السوء.[١٠٣]

قال الشاعر:

وحدةُ العاقلِ خيرٌ مِن جليسِ السّوءِ عندَهْ
وجليسُ الصدقِ خيرٌ مِن جلوسِ المرءِ وحدَهْ

(جمهرة الامثال ٢ / ٣٣٠)

ومثل هذا قول الطرابلسي:

ومِن جليسِ السوءِ قيلَ الوحدَهْ خيرٌ فيا هَنا مقيمٍ وحدَهْ

(فرائد اللآل ٢ / ٣٢٤)

٥٥ ـ يدُ الله معَ الجماعةِ[١٠٤]: أي إنّ الجماعة المتفقة في كنف الله، ووقايته فوقهم. يُضرب في الحثّ على الوحدة والتعاون.

٥٦ ـ اليدُ العُليا خيرٌ منَ اليدِ السفلَى[١٠٥]: معناه أنّ اليد التي تعطى خير من التي تأخذ. يُضرب في الحثّ على الصدقة والاحسان. قال الراغب: في هذا الحديث اشارة الىٰ فضل المعلّم على المتعلّم.[١٠٦] وعن الحسن أنّه فسّر اليد السفلى بيد البخيل.[١٠٧]

قال الطرابلسي:

منَ اليدِ السُّفلَى اليدُ العليا تُرَى خيراً فكُنْ كذا علَى ما أُثِرا

(فرائد اللآل ٢ / ٣٦٣)

٥٧ ـ يَسِّروا ولا تُعسِّروا[١٠٨]: أي خذوا بما فيه التيسير على الناس بذكر ما يؤلفهم لقبول الموعظة في جميع الايّام لئلّا يثقل عليهم فينفروا. هذا المثل جزء من الحديث، وتمامه: «وبشّروا ولا تنفّروا». يُضرب في تيسير الأمور.

نعم هذا غيض من فيض يدلّ على أنّ الامثال النبويّة البديعة الرائعة التي تمثل عقلية راقية ولغة فصيحة متكاملة، صدرت عمّن كان روح النور ورحمة للعالمين، ولو أراد جميع البلغاء أن يأتوا بمثل هذه الامثال لعجزوا عنها لأنّها قد انبثقت عن فطرة سامية، وبزغت بروائع الأسرار، فكان لها أثرها العميق ودلائلها الباهرة. فإذا نظرت فيما وصل

الينا من كلام النبيّ الأعظم من جهة الصناعتين اللغوية والبيانية، رأيته مسدّد اللفظ، محكم الوضع، جزل التركيب، متناسب الأجزاء، حسن المعرض، واضح التفضيل، جيّد الرصف، ظاهر الحدود، متمكّن المعنى، بديع الإشارة، غريب اللمحة، ناصع البيان لاشتمالها على الألفاظ الفصيحة المختارة، والعبارات التامة التي لا يشوبها ايجاز مخلّ ولا إسهاب مملّ، فلذلك خلت خطبه ومواعظه وامثاله البليغة من التعثر والخطل والقصور والضعف وسائر العيوب التي تلحق كلام الفصحاء. ولا يغيب عن البال أنّ النبوّة لها أثرها العظيم في فن البلاغة النبويّة التي امتاز بها النبيّ عن كلّ بلغاء العالم، لأنّ كلامه نور وجمال وحكمة وحياة.

فهرس المراجع:

١. الابشيهي المحلّي، شهاب الدين محمد: المستطرف في كلّ فن مستظرف، وبالهامش: ثمرات الاوراق في المحاضرات لابن حجّة الحموي، بيروت، دار احياء التراث العربي، بدون تاريخ.

٢. ابن عبد ربّه الاندلسي، احمد: العقد الفريد، حقّقه وعلّق حواشيه على شيري، بيروت، داراحياء التراث العربي، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩م.

٣. ابو هلال العسكري: كتاب جمهرة الامثال، حقّقه وعلّق حواشيه ووضع فهارسه محمد ابوالفضل ابراهيم وعبدالمجيد قطامش، بيروت، دار الفكر ودار الجيل، ط ٢، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م.

٤. الثعالبي، ابو منصور: الاعجاز والايجاز، بيروت، دار الرائد العربي، ط ٢، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٥. الثعالبي، ابو منصور: التمثيل والمحاضرة، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، الرياض، الدار العربية للكتاب، ط ٢، ١٩٨٣م.

٦. الجاحظ، ابوعثمان عمروبن بحر: البيان والتبيين، وضع حواشيه موفّق شهاب‌الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

٧. الرافعي، مصطفى صادق: اعجاز القرآن والبلاغة النبويّة، بيروت، دارالكتب العلمية، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

٨. الرافعي، مصطفى صادق: وحي القلم، ضبطه وصحّحه وعلّق حواشيه محمد سعيد العريان، بيروت، دارالكتاب العربي، ط ٨، بدون تاريخ.

٩. الزمخشري، جارالله محمود: المستقصي في امثال العرب، بيروت، دارالكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧م.

١٠. السامرائي، ابراهيم: في الامثال العربية، الكويت، وزارة الإعلام، بدون تاريخ.

١١. الشريف الرضي، ابوالحسن محمد: نهج البلاغة، ضبط نصّه وابتكر فهارسه العلمية

صبحي الصالح، بيروت، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.
١٢. الطرابلسي الحنفي، ابراهيم بن السيّد علي الاحدب: فرائد اللآل في مجمع الامثال، ١٣١٢هـ.
١٣. الغروي، محمد: الامثال النبويّة، بيروت، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٤٠١هـ.
١٤. القرآن الكريم، كتبه عثمان طه، دمشق، دارالفجرالاسلامي، ط ١٠، ١٤٠٥هـ.
١٥. المتقى الهندي، علاءالدين علي: كنزالعمّال في سنن الاقوال والافعال، ضبط وفسّر غريبه الشيخ بكري حيّاني وصحّحه ووضع فهارسه ومفتاحه الشيخ صفوة الصفا، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
١٦. المجلسي، محمد باقر: بحارالانوار، بيروت، داراحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣.
١٧. مراد، ميشال: روائع الامثال العالمية، بيروت، دار المشرق، ١٩٨٤م.
١٨. المناوي، عبدالرؤوف: فيض القدير، بيروت، دارالمعرفة، ط ٢، ١٣٩١هـ / ١٩٧٢م.
١٩. الميداني، ابوالفضل احمد: مجمع الامثال، فصله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت، دارالمعرفة، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م.
٢٠. يعقوب، اميل بديع: موسوعة امثال العرب، بيروت، دارالجيل، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

الهوامش:

١. لمزيد من الاطّلاع راجع: اعجاز القرآن والبلاغة النبويّة، ص ٢٣٢ـ ٢٣٣.
٢. سورة النساء ٤ / ١١٣.
٣. كنز العمّال، ج ١١، سص ٤٠٦.
٤. بحار الأنوار، ج ١٧، ص ١٥٨.
٥. كنز العمّال، ج ١٦، ص ١١٢ ـ وفي رواية: «أوتيت جوامع الكلم». نفس المصدر، ج ١، ص ٤٤٠.
٦. أي الفوز والظفر.
٧. لا يغتاب ولا يعيب .
٨. البيان والتبيين، ج ٢، ص ١٠ـ ١١.
٩. اعجاز القرآن والبلاغة النبويّة، ص ١٩٤.
١٠. وحي القلم، ج ٣، ص ١٦ـ ١٧.
١١. كنز العمّال، ج ١٣، ص ٤٧٩.
١٢. الامثال النبويّة، ج ١، ص ٢٤.
١٣. التمثيل والمحاضرة، ص ٢٧؛ المستطرف في كلّ فنّ مستظرف، ج ١، ص ٢٨؛ الامثال النبويّة، ج ١، ص ٣٤.
١٤. مجمع الأمثال، ج ١، ص ٢١١؛ الأمثال النبويّة، ج ١، ص ٧١؛ موسوعة امثال العرب، ج ٢، ص ٢٦٤؛ روائع الامثال العالمية، ص ٢٧٩.
١٥.الامثال النبويّة، ج ١، ص ٨٢؛ موسوعة أمثال العرب، ج ٢، ص ٣١٢. وقد جاء المثل أيضاً هكذا: كانتِ الارواحُ جنوداً مجنّدةً. راجع: مجمع الأمثال، ج ٢، ص ٤٤٩.
١٦. المستطرف، ج ١، ص ٢٨؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٢٨؛ روائع الأمثال العالمية، ص ٢٨٢. قد رُوي هذا الحديث بزيادة لفظ «انجاح» قبل «الحوائج»، وتتمّته «فانّ كلّ ذي نعمة محسود». كنزالعّمال، ج ٦، ص ٥١٧.
١٧. التمثيل والمحاضرة، ص ٢٢؛ الامثال النبويّة، ج ١، ص ٩٨.
١٨. سورة الانشراح ٩٤ / ٦. راجع أيضاً: المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، ص ٥٨٦ ـ ذيل كلمة «العسر».
١٩. نهج البلاغة، ص ٥٣٦ / ح ٣٥١.
٢٠. التمثيل والمحاضرة، ص ٢٣؛ الامثال النبويّة، ج ١، ص ١٣١؛ مجمع الامثال، ج ٢، ص ٢٦؛ موسوعة امثال العرب، ج ٢، ص ٥٣٥. المستقصي في أمثال العرب، ج ١، ص ٢٥١.
٢١. المستطرف، ج ١، ص ٢٨؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٢٨.
٢٢. مجمع الأمثال، ج ١، ص ١٢٢، ٢٤٣.

٢٣. التمثيل والمحاضرة، ص ٢٢؛ مجمع الامثال، ج ٢، ص ١٠٥؛ المستقصي، ج ١، ص ٢٩٧؛ البيان والتبيين، ج ٢، ص ٩؛ موسوعة امثال العرب، ج ٢، ص ٦٥٤؛ روائع الامثال العالمية، ص ٢٧٨.

٢٤. اعجاز القرآن والبلاغة النبويّة، ص ٢٢٦.

٢٥. التمثيل والمحاضرة، ص ٢٧؛ الامثال النبويّة، ج ١، ص ٢٣٧؛ المستطرف، ج ١، ص ٢٨.

٢٦. مجمع الامثال، ج ١، ص ٨؛ موسوعة امثال العرب، ج ١، ص ١٥٩، ١٩٦وج ٣، ١٠٨. ومع لفظ «لما» بدل «ما»: المستقصي، ج ١، ٤١٥؛ جمهرة الأمثال، ج ١، ص ١٦؛ العقد الفريد، ج ٣، ص ٦، ٨؛ روائع الامثال العالمية، ص ٢٧٩.

٢٧. لمزيد من الاطلاع راجع: مجمع الامثال، ج ١، ص ٨؛ فرائد اللآل، ج ١، ص ١٣.

٢٨. جمهرة الامثال، ج ١، ص ١٦.

٢٩. الامثال النبويّة، ج ١، ص ٢٤٨؛ المستقصي، ج ١، ص ٤١٠؛ مجمع الأمثال، ج ١، ص ٧؛ موسوعة أمثال العرب، ج ١، ص ١٥٩، ١٩٥وج ٣، ص ١١١؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٢٢؛ الاعجاز والايجاز، ص ١٦؛ العقد الفريد، ج ٣، ص ٧، ٨.

٣٠. مجمع الامثال، ج ١، ص ٧؛ جمهرة الامثال، ج ١، ص ١٣، التمثيل والمحاضرة، ص ٢٧؛ الامثال النبويّة، ج ١، ص ٢٥٠؛ موسوعة أمثال العرب، ج ١، ص ١٥٩، ١٩٥وج ٣، ص ١٠٩؛ روائع الامثال العالمية، ص ٢٧٨؛ العقد الفريد، ج ٣، ص ٧.

٣١. جمهرة الامثال، ج ١، ص ١٤، ١٥.

٣٢. وحي القلم، ج ٣، ص ٢٠ ـ ٢١.

٣٣. في الامثال العربية، ص ٤٨.

٣٤. جمهرة الامثال، ج ١، ص ١٧؛ المستقصي، ج ١، ص ٤٥١، مجمع الامثال، ج ١، ص ٣٢؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٢٢؛ الامثال النبويّة، ج ١، ص ٢٧٢؛ الاعجاز والايجاز، ص ١٦؛ موسوعة أمثال العرب، ج ٣، ص ٢٩١؛ العقد الفريد، ج ٣، ص ٧.

٣٥. راجع: مجمع الامثال، ج ١، ٦١.

٣٦. الامثال النبويّة، ج ١، ص ٣٣٦؛ مجمع الامثال، ج ١، ص ١٧٢.موسوعة أمثال العرب، ج ٣، ص ٤٨١.

٣٧. المستقصي، ج ١، ص ٣٠٨؛ المستطرف، ج ١، ص ٢٨.

٣٨.جمهرة الامثال، ج ١، ص ٣٥٦؛ المستقصي، ج ٢، ص ٥٦؛ الأمثال النبويّة، ج ١، ص ٣٤٨؛ مجمع الامثال، ج ١، ص ١٩٦؛ موسوعة أمثال العرب، ج ٣، ص ٥٢٨.

٣٩. مجمع الأمثال، ج ١، ص ١٩٧؛ المستقصي، ج ١، ص ٣١١؛ الأمثال النبويّة، ج ١، ص ٣٦٣؛ روائع الأمثال العالمية، ص ٢٧٨؛ موسوعة أمثال العرب، ج ٣، ص ٥٥١؛ الاعجاز والايجاز، ص ٢٢؛ العقد الفريد، ج ٣، ص ٧، ٩.

٤٠. التمثيل والمحاضرة، ص ٢٤؛ الامثال النبويّة، ج ١، ص ٣٦٥.

٤١. الامثال النبويّة، ج ١، ص ٣٧٦؛ مجمع الامثال، ج ١، ص ٢١٤؛ موسوعة أمثال العرب، ج ٣، ص ٥٧٣؛ الاعجاز والايجاز، ص ٢٠؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٢٥.

٤٢. راجع: نهج البلاغة، ص ٤٨١، ح ٨٠.
٤٣. الامثال النبويّة، ج ١، ص ٣٩٢؛ موسوعة أمثال العرب، ج ٣، ص ٦٣٨. ومع لفظ «اليه» بدل «الى الله»: مجمع الامثال، ج ٢، ص ٤٥٠؛ روائع الامثال العالمية، ص ٢٨١.
٤٤. الاعجاز والايجاز، ص ٢٣.
٤٥. التمثيل والمحاضرة، ص ٢٨؛ روائع الامثال العالمية، ص ٢٨٤.
٤٦. موسوعة امثال العرب، ج ٣ ص ٦٤٢.
٤٧. نفس المصدر، ج ٣، ص ٦٤٥.
٤٨. التمثيل والمحاضرة، ص ٢٣؛ الاعجاز والايجاز، ص ١٧ـ ١٨؛ الامثال النبوية، ج ١، ص ٤٠٤؛ روائع الامثال العالمية ، ص ٢٧٩.
٤٩. مجمع الامثال، ج ٢، ص ٤٤٩؛ المستطرف، ص ٢٨؛ الامثال النبويّة، ج ١، ص ٤١٤؛ موسوعة امثال العرب، ج ٤، ص ١٦؛ روائع الامثال العالمية، ص ٢٨١.
٥٠. جمهرة الامثال، ج ١، ص ٤٧٤؛ الامثال النبويّة، ج ١، ص ٤٣٣؛ موسوعة امثال العرب، ج ٤، ص ٦٨.
٥١.التمثيل والمحاضرة، ص ٢٢.
٥٢. الامثال النبويّة، ج ٢، ص ٣٥٠؛ موسوعة امثال العرب، ج ٥، ص ٦٩٥.
٥٣. اعجاز القرآن والبلاغة النبويّة، ص ٢٢٧.
٥٤. المستطرف، ج ١، ص ٢٨؛ مجمع الامثال، ج ١، ص ١٧٢، ٣٠٣.
٥٥. موسوعة أمثال العرب، ج ٤، ص ١١٦.
٥٦. التمثيل والمحاضرة، ص ٢٣؛ الاعجاز والايجاز، ص ٢٢؛ جمهرة الامثال، ج ١، ص ٥٠٥؛ الامثال النبويّة، ج ١، ص ٤٥٥؛ العقد الفريد، ج ٣، ص ٤٩؛ روائع الامثال العالمية، ص ٢٨٠.
٥٧. مع لفظ «متتابعاً» بدل «متواتراً» : موسوعة امثال العرب، ج ٤، ص ١٤٧.
٥٨. مع اختلاف في بعض الالفاظ: نفس المصدر والصفحة ؛ مجمع الامثال، ج ١، ص ٣٢٣.
٥٩. المستقصي، ج ٢، ص ١١٦؛ الامثال النبويّة، ج ١، ص ٤٦٣؛ موسوعة امثال العرب، ج ٤، ص ١٦٦.
٦٠. الاعجاز والايجاز، ص ٢٣؛ الامثال النبويّة، ج ١، ص ٤٦٧. ومع لفظ «اتّعظ» بدل «وُعِظَ»: التمثيل والمحاضرة، ص ٢٨؛ روائع الامثال العالمية، ص ٢٨٠.
٦١. راجع: نهج البلاغة، ص ١١٧ / ط ٨٦.
٦٢. التمثيل والمحاضرة، ص ٢٧؛ المستطرف، ج ١، ص ٢٨.
٦٣. المستقصي، ج ١، ص ٣٢٧؛ موسوعة أمثال العرب، ج ٤، ص ٢٦٢.
٦٤.الامثال النبويّة، ج ١، ص ٢٢١.
٦٥. سورة النحل ١٦/ ٦٩.
٦٦. الامثال النبويّة، ج ١، ص ٥٢١؛ موسوعة أمثال العرب، ج ٤، ص ٣٤٩.
٦٧. الامثال النبويّة، ج ٢، ص ٩ ؛ موسوعة أمثال العرب، ج ٤، ص ٤٢٠. وقد جاء المثل مع اختلاف في بعض الالفاظ هكذا: سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخلّ العسل. راجع: التمثيل والمحاضرة، ص ٢٤.

٦٨. الامثال النبويّة، ج ٢، ص ٥٣.
٦٩. نفس المصدر، ج ٢، ص ١٢٠. ومع لفظ «ولا ينفع» بدل «لا يغنى»: مجمع الأمثال، ج ٢، ص ٢٣٧، ٣١٠.
٧٠. العقد الفريد، ج ٣، ص ٧، ٩؛ الامثال النبويّة، ج ٢، ص ١٢٢؛ روائع الامثال العالمية، ص ٢٨٤؛ الاعجاز والايجاز، ص ١٦. ومع لفظ «يلسع» بدل «يلدغ»: المستقصي، ج ٢، ص ٢٧٦؛ مجمع الامثال، ج ٢، ص ٢١٥؛ جمهرة الامثال، ج ٢، ص ٣٨٦؛ البيان والتبيين، ج ٢، ص ١٠.
٧١. فيض القدير، ج ٦، ص ٤٥٤ـ ٤٥٥.
٧٢. البيان والتبيين، ج ٢، ص ١٤؛ الامثال النبويّة، ج ٢، ص ١٢٤؛ موسوعة امثال العرب، ج ٥، ص ١٢٤.
٧٣. جمهرة الامثال، ج ٢، ص ٤٠٣؛ المستقصي، ج ٢، ص ٢٧٧؛ الامثال النبويّة، ج ٢، ص ١٢٥. ومع لفظ «فيه» بدل «فيها»: مجمع الامثال، ج ٢، ص ٢٢٥. ومع اختلاف في صيغة الفعل: التمثيل والمحاضرة، ص ٢٢؛ اعجاز القرآن والبلاغة النبويّة، ص ٢٢٧؛ البيان والتبيين، ج ٢، ص ٩.
٧٤. مجمع الأمثال، ج ٢، ص ٢٢٥.
٧٥. التمثيل والمحاضرة، ص ٢٨؛ البيان والتبيين، ج ٢، ص ١٦؛ روائع الامثال العالمية، ص ٢٨٣.
٧٦. نفس المصدر والصفحة ؛ الامثال النبويّة، ج ٢، ص ٢٥٦؛ موسوعة امثال العرب، ج ٥، ص ٣٨٤. ومع لفظ «الامانات» بدل «الامانة»: الاعجاز والايجاز، ص ٢٣؛ المستطرف، ص ١٨؛ روائع الامثال العالمية، ص ٢٧٧.
٧٧. الامثال النبويّة، ج ٢، ص ٢٥٩؛ موسوعة أمثال العرب، ج ٥، ص ٣٩٥. ومع حذف «وقرينه»: التمثيل والمحاضرة، ص ٢٨؛ الاعجاز والايجاز، ص ٢٤.
٧٨. التمثيل والمحاضرة، ص ٢٨؛ البيان والتبيين، ج ٢، ص ١٢؛ روائع الامثال العالمية، ص ٢٧٧.
٧٩. الامثال النبويّة، ج ٢، ص ٢٦٠؛ موسوعة امثال العرب، ج ٥، ص ٣٩٥؛ روائع الأمثال العالمية، ص ٢٧٨.
٨٠. فيض القدير، ج ٦، ص ٢٦٦.
٨١. التمثيل والمحاضرة، ص ٢٣ ؛ مجمع الامثال، ج ٢، ص ٤٤٩؛ موسوعة امثال العرب، ج ٥، ص ٣٧٤؛ الامثال النبويّة، ج ٢، ص ١٤٩؛ روائع الامثال العالمية، ص ٢٨٤. وقد جاء المثل أيضاً هكذا: المؤمنون كالبنيان يشدّ بعضهم بعضاً. راجع: الاعجاز والايجاز، ص ١٧.
٨٢. التمثيل والمحاضرة، ص ٢٤؛ الاعجاز والايجاز، ص ١٩؛ الامثال النبويّة، ج ٢، ص ١٥٠؛ موسوعة امثال العرب، ج ٥، ص ٣٧٤.
٨٣. فيض القدير، ج ٦، ص ٢٥١ـ ٢٥٢.
٨٤. نفس المصدر، ج ٦، ص ٢٥٢.
٨٥. المستقصي، ج ١، ص ٣٤٦؛ موسوعة امثال العرب، ج ٥، ص ٣٩٥. ومع لفظ «الرجل» بدل «المرء»: روائع الامثال العالمية، ص ٢٨١.
٨٦. سورة الحجرات ٤٩ / ١٠.
٨٧. التمثيل والمحاضرة، ص ٢٣؛ الامثال النبويّة، ج ٢، ص ٣٠٢. ومع اختلاف يسير: البيان والتبيين، ج ٢، ص ١٣. قد رُوي هذا الحديث مع لفظ «لا تكاد تجد» بدل «لا تجد»: الاعجاز والايجاز، ص ١٧؛ العقد

الفريد، ج ٣، ص ٨٩.

٨٨. التمثيل والمحاضرة، ص ٢٣؛ الامثال النبويّة، ج ٢، ص ٣٠٣.

٨٩. البيان والتبيين، ج ٢، ص ١٢.

٩٠. العقد الفريد، ج ٣، ص ٤٤.

٩١. موسوعة امثال العرب، ج ٥، ص ٥٧٣.

٩٢. مجمع الامثال، ج ٢، ص ٤٤٩؛ الامثال النبويّة، ج ٢، ص ٣٠٤؛ موسوعة امثال العرب، ج ٥، ص ٥٠٨؛ روائع الامثال العالميّة، ص ٢٨١.

٩٣. فيض القدير، ج ٦، ص ٢٩٥.

٩٤. الامثال النبويّة، ج ٢، ص ٣٠٨.

٩٥. موسوعة امثال العرب، ج ٥، ص ٥٢٣.

٩٦. الامثال النبويّة، ج ٢، ص ٣١٣.

٩٧. مجمع الامثال، ج ٢، ص ٣٤١.

٩٨. الامثال النبويّة، ج ٢، ص ٣٢١؛ موسوعة امثال العرب، ج ٥، ص ٥٤٤؛ المستطرف، ص ٢٨؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٢٧.

٩٩. لمزيد من الاطّلاع راجع: فيض القدير، ج ٦، ص ٢٩٠ ـ ٢٩١.

١٠٠. المستقصي، ج ٢، ص ٣٨٩؛ البيان والتبيين، ج ٢، ص ١٠؛ الامثال النبوية، ج ٢، ص ٣٢٩؛ موسوعة امثال العرب، ج ٥، ص ٥٥٠؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٢٢؛ العقدالفريد، ج ٣، ص ٦، ٨.

١٠١. اعجاز القرآن والبلاغة النبويّة، ص ٢٢٦.

١٠٢. المستطرف، ص ٢٨؛ الاعجاز والايجاز، ص ٢٣؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٢٨.

١٠٣. فيض القدير، ج ٦، ص ٣٧٢.

١٠٤. الاعجاز والايجاز، ص ٢٢؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٢٧؛ المستطرف، ص ٢٨؛ الامثال النبويّة، ج ٢، ص٣٥٨.

١٠٥. مجمع الامثال، ج ٢، ص ٤١٤؛ المستقصي، ج ١، ص ٣٥٦؛ المستطرف، ص ٢٨؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٢٧؛ الاعجاز والايجاز، ص ٢٤؛ موسوعة امثال العرب، ج ٥، ص ٧٢٠؛ الامثال النبويّة، ج ٢، ص ٣٥٧؛ روائع الامثال العالمية، ص ٢٨١.

١٠٦. فيض القدير، ج ٦، ص ٤٦٦.

١٠٧. المستقصي، ج ١، ص ٣٥٧.

١٠٨. الأمثال النبويّة، ج ٢، ص ٣٦٠؛ موسوعة امثال العرب، ج ٥، ص ٧٢٨.

مشاورة الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) اصحابه في غزوتي بدر و أُحد

الدكتور السيد كاظم العسكري
كلية أصول الدين ـ طهران

الحمد لله رب العالمين. بارئ الخلق أجمعين ونحمده بالحمد الذي ارتضاه من خلقه واوجب قبوله على نفسه والصلاة والسلام على نبيه وخاتم رسله الذي ارسله للناس كافة بشيراً ونذيراً وعلى آله واصحابه الميامين.

وبعد فقد اختص الله سبحانه وتعالى الانسان من بين سائر مخلوقاته بالعقل والبيان فجعله عاقلاً ناطقاً كما قال في محكم كتابه العزيز ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾ [1] وجعله خليفة في الارض ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ...﴾ [2]

وقد شرع له نظاماً يضمن له سعادته في الدنيا والاخرة سماه الاسلام ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾ [3] ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ﴾ [4]

وخلق الانسان وجعله ﴿شُعُوباً وَقَبَائِلَ﴾ [5] وامماً ليتعارف بعضهم على بعض وليعيشوا فيما بينهم في سلام ووئام. وقد من الله على هذا الانسان ببعثه الرسل والانبياء لهدايته الى هذا الدين القيم ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمْ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [6]

والانسان عبر القرون كان عنصراً فعالاً في صناعة التاريخ بأفعاله وأقواله وفي حركاته

وسكناته. فكان الصلحاء منهم محط اجلال وتقدير للاجيال التالية، وكان الطلحاء منهم في محل ذم وتخسير.

وقد حث الله الانسان في اخذه العبرة والعبر من حياة الماضين والغابرين بقوله ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ﴾[٧]، وقال ايضاً: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ...﴾[٨].

وقد جعل الله سبحانه وتعالى الصلحاء وعلى رأسهم الانبياء والمرسلين قدوة للناس عبر العصور من أبينا آدم عليه السلام وإلى نبينا الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم الرسول الاكرم الذي من الله عليه بأن اصطفاه لرسالته واختاره لهداية خلقه بقوله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾[٩]. وقد خصه الله برعايته وتعليمه وتاديبه منذ طفولته كما قال في وصفه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام «ولقد قرن الله به منذ أن كان فطيماً اعظم ملك من ملائكته يعلمه مكارم اخلاق العالم ...»[١٠]. وقال خالقه في حقه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١١]، ولذلك كان الرسول الاكرم قدوة لنا وللناس كافة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ...﴾[١٢].

ومن اجل الاعتبار وأخذ العبرة من سيرة الماضين الغابرين يجب علينا دراسة سيرتهم ودراسة تاريخ حياتهم لاسيما سيرة الرسول البشير النذير صلى الله عليه وآله وسلم. ولدراسة سيرة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم يجب ان نرجع الى التاريخ وماسطره المؤرخون باقلامهم ونسبر آثارهم ونخوض في غمرات بحور مؤلفاتهم كالغواص الذي يغوص ليستخرج الدرر الكامنة من قاع بحور مصنفاتهم وموسوعاتهم التاريخية، وهو أمر صعب جداً، وذلك لأن الحوادث والوقائع التاريخية والتي هي المادة الأساسية لمعرفة سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم تدون ولم تؤرخ كما وقعت، بل أن أغلبها دونت في الكتب والموسوعات حسب رغبات الحكام تارة والأمراء تارة اخرى والمؤلفين أحياناً.

ونحن هنا لسنا في مقام محاكمة اصحاب الموسوعات والمؤرخين المشهورين، ولكن نريد ان نشير الى أن التاريخ ولاسيما التاريخ الاسلامي وخصوصاً تاريخ وسيرة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم لم تكتب ولم تؤرخ كما وقع واتفق، بل دون اكثره استجابة لرغبات

الحكام والسلطة الحاكمة آنذاك، وهذه - وللاسف الشديد - حقيقة تاريخية لاتقبل الشك والترديد.

واذكر هنا - على سبيل المثال لا الحصر - ماقاله الطبري عندما كتم ولم يذكر كتاب محمد بن أبي بكر الى معاوية وجواب معاوية عليه كما يلي: «وذكر هشام عن ابي مخنف، قال وحدثني يزيد بن ظبيان الهمداني: أنّ محمد بن أبي بكر كتب الى معاوية بن أبي سفيان لما وُلّي، فذكر مكاتبات جرت بينهما كرهت ذكرها لما فيه مما لايحتمل سماعها العامة»[١٣].

وكذلك قال العلامة ابن الأثير: «وقد قيل: إنّه جرى بين محمّد ومعاوية مكاتبات كرهت ذكرها، فإنّها ممّا لايحتمل سماعها العامة»[١٤].

ونحن لانعلم - والله أعلم - كم خفي علينا من الحقائق والوقائع التاريخية نتيجة كتمان المؤرخين والمؤلفين لها.

أما نحن اليوم وأمام هذا الكم الهائل من التاريخ المزيف والحقائق الخافية لايسعنا الا البحث والتحقيق من المصادر القديمة.

ولأجل التحري عن حقائق التاريخ وحقيقة ما وقع، يجب أن نطرق ابواب الزمان والعصور الغابرة ونبحث عنها في زوايا التاريخ المظلمة وعلى صفحات الكتب والموسوعات المشهورة والمعتبرة وغير المشهورة.

وللاستدلال ولتوضيح وبيان مانقول نستشهد بواقعة من وقائع صدر الاسلام المهمة على سبيل المثال لاالحصر - أيضاً - الا وهي خبر اول من أسلم من الناس أبان اول أيام دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الناس للاسلام.

فعندما نرجع الى التاريخ وكتبه نجد أن المؤرخين يختلفون في أقوالهم وأخبارهم ورواياتهم فمنهم من يقول أن اول من أسلم هو أبو بكر الصديق ومنهم يروي أن بلالا هو من أسلم ومنهم من يزعم أن زيد بن حارثة هو اول من اسلم ومنهم من ينقل خبراً أن علي بن أبي طالب عليه السلام هو اول من اسلم، وكل منهم له أدلته ويستند على أحاديث مروية عن الرسول او احد أصحابه كما نرى ذلك من تاريخ الرسل والملوك المشهور

بتاريخ الطبري.

يقول الطبري في احدى نقولاته:

حدثنا ابن حميد، قال حدثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم قال: أول من أسلم ابو بكر. وأتبعها برواية أخرى:

حدثنا ابو كريب قال حدثنا وكيع قال حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال قال: ابراهيم النخعي، أبو بكر أول من أسلم.

تلاها برواية ثالثة قال: حدثنا بحر بن نصر الخولاني قال حدثنا عبد الله بن وهب قال أخبرني معاوية بن صالح قال حدثني أبو يحيى وضمّرة بن حبيب وأبو طلحة عن أبـي أمامة الباهلي قال حدثني عمرو بن عبسة قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بعكاظ قلت يارسول الله من تبعك على هذا الأمر قال اتبعني عليه رجلان حُرٌ وعبد أبو بكر وبلال قال فاسلمت عند ذلك قال فلقد رأيتني إذ ذاك ربع الاسلام.

ويذكر مستدلاً برواية رابعة على رواياته السابقة قال:

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي قال حدثناعمرو بن أبي سلمة قال حدثنا صدقة عن نصر بن علقمة عن أخيه عن ابن عائذ عن جبير بن نفير قال كان أبو ذر وابن عبسة كلاهما يقول لقد رأيتني ربع الاسلام ولم يسلم قبلي الا النبي وأبو بكر وبلال كلاهما لايدري متى أسلم الآخر.

ويؤكد الروايات برواية أخرى عن ابن عباس بقوله: وقال آخرون أول من أسلم من الرجال أبو بكر رضي الله عنه. ذكر من قال ذلك.

حدثنا سهل بن موسى الرازي قال حدثنا عبدالرحمن بن مغراء عن مجالد عن الشعبي قال قلت لابن عباس من أول الناس إسلاماً؟ فقال أما سمعت قول حسان بن ثابت

اذا تذكرت شجوا من أخي ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بـما فـعلا

خـير البـرية أتـقاها وأعـدلها ... بعد النبي وأوفـاها بـما حـملا

الثاني التالي المحمود مشهده وأول الناس منهم صدق الرسلا

وفي روايات أُخر ينقل الطبري: ان اول من اسلم هو زيد بن حارثة بقوله: « وقال آخرون: كان اول من آمن واتبع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الرجال زيد بن حارثه مولاه» ثم يذكر من قال ذلك بنقل عدة روايات كما يلي:

حدثنا الحارث قال حدثنا محمد بن سعد قال قال الواقدي حدثني ابن أبي ذؤيب قال سألت الزهري من أول من أسلم قال من النساء خديجة ومن الرجال زيد بن حارثة * حدثني الحارث قال حدثني محمد بن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنا مصعب بن ثابت عن أبي الاسود عن سليمان بن يسار قال أول من أسلم زيد بن حارثة.

وفي صفحات أخرى من تاريخه يروي الطبري روايات أخر تصرح أن أول من أسلم وأول من آمن واول من صلى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو علي بن أبي طالب عليه السلام

حدثنا ابن المثنى قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم قال أول من أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب.

حدثنا ابن حميد قال حدثنا ابراهيم بن المختار عن شعبة عن أبي بلج عن عمرو ابن ميمون عن ابن عباس قال أول من صلى عليٌ [١٥].

* * *

كان هذا فيض من غيض من كيفية تأريخ الوقائع من صدر الاسلام وكيفية تدوين كتب التاريخ لاسيما كتب تاريخ الاسلام وكذلك سيرة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم ونحن – مع مامرّ – بصدد البحث في موضوع مشاورة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اصحابه في غزوتي بدر وأحد وقبل ان نخوض في هذا البحث يجدر بنا في هذا المقام ان نبين معنى المشاورة والاستشارة لغة، ثم نرى كيف كانت مشورة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اصحابه في هاتين الغزوتين.

المشاورة: مصدر شاور يشاور، من باب المفاعلة، ويقال: شاوره في الأمر مشاورة: طلب رأيه فيه. وفي باب الاستفعال استعمل في نفس المعنى فيقال: استشار فلاناً في الامر أي شاوره.[١٦] إذن المشاورة: هي طلب رأي الآخرين في أمر ما. وقد جاءت مادة

الشورى في اربع آيات من آيات القرآن الكريم

١ – لفظ (تشاور) في موضوع الزواج والطلاق: ﴿...فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا...﴾ [١٧] وهذه اللفظة من مادة (شور) لاعلاقة لها بموضوع البحث

٢ – لفظ (أشارت) في قصة مريم ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً﴾ [١٨] ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً﴾ [١٩]، ولفظة (أشارت) من هذه المادة – أيضا – ليست محل البحث.

٣ – لفظ (شورى) في الاية الكريمة ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [٢٠] وهذه الآية استعملت هذه هذا الآية في الأمور والشؤون العامة.

٤ – لفظ (شاورهم) في الاية الكريمة: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [٢١] وهذه اللفظة من مادة (شور) محل بحثنا الذي نحن بصدده. واذا رجعنا الى الاية الكريمة نرى أن في الاية أمر من الرب الجليل الى رسوله الكريم بالمشاورة، مشاورة اصحابه.

ولسائل أن يسأل: هل كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قاصرا في الفكر يحتاج في بعض الامور أن يستشير الاخرين ليرشدوه الى الرأي الصحيح والرأي القويم؟! لكي يأتي الامر من الله سبحانه وتعالى باستشارة اصحابه؟!؟!

وقبل ان نبحث عن الجواب الكافي الشافي في هذا المقام نقول: معاذ الله أن نتصور أن رسولنا الاكرم كان بحاجة الى استشارة غيره في أي أمر ذي بال وفي أي موضوع كان. الرسول العظيم الذي كان اكمل انسان على وجه الارض عقلاً وخَلقاً وخلقاً، الرسول الاكرم الذي قال في وصفه الرب الجليل ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ [٢٢].

وقال في وصفه الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام):

«ولقد قرن الله منذ أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يعلمه مكارم أخلاق العالم...» [٢٣].

فهل بعد هذا الوصف وهل بعد هذا التقييم لرسولنا الكريم يصح أو يجوز لقائل أن يقول أن الرسول الكريم كان بحاجة الى مشاورة احد من الناس كائناً من كان ؟!!

فاذا ثبت ذلك وهو كذلك: اذن فما المقصود من الامر بالمشاورة والاستشارة من الرب الجليل لرسوله العظيم ؟!؟!

للوصول الى حقيقة الامر والوقوف بجلية على هذا (الأمر) يجب علينا الرجوع الى كتب التفسير وكتب التاريخ لمعرفة شأن نزول الاية والظروف التي أدت الى نزول الآية الكريمة.

وعندما نرجع الى كتب التفسير نرى ان المفسرين يختلفون في تفسير الآية كما يقول الطبري:

اختلف أهل التأويل في المعنى الذي من أجله أمر تعالى ذكره نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم أن يشاورهم، وما المعنى الذي أمره أن يشاورهم فيه. فقال بعضهم: أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [٢٤] بمشاورة اصحابه في مكايد الحرب وعند لقاء العدو، وتطييباً منه بذلك أنفسهم وتألفاً لهم على دينهم وليروا أنه صلى الله عليه وآله وسلم يسمع منهم ويستعين بهم، وإن كان الله عزّ وجلّ قد أغناه بتدبيره له أموره وسياسته إياه وتقويمه أسبابه عنهم.

وقال آخرون: إنما أمره الله بمشاورة أصحابه فيما أمره بمشاورتهم فيه، مع إغنائه بتقويمه إيّاه وتدبيره أسبابه عن آرائهم، ليتبعه المؤمنون من بعد فيما حزبهم من أمر دينهم ويستنوا بسنته في ذلك ويحتذوا المثال الذي رأوه يفعله في حياته من مشاورته في أموره مع المنزلة التي هو بها من الله، أصحابه واتباعه في الأمر ينزل بهم من أمر دينهم ودنياهم فيتشاوروا بينهم ثم صدوا عما اجتمع عليه ملؤهم لأن المؤمنين اذا تشاوروا في أمور دينهم متبعين الحق في ذلك لم يخلهم الله عزّ وجلّ من لطفه وتوفيقه للصواب من الرأي والقول فيه قالوا وذلك نظير قوله عزّ وجلّ الذي مدح به أهل الايمان وأمرهم شورى بينهم [٢٥].

ثم يعقب الطبري على ذلك بقوله:

وأولى الاقوال بالصواب في ذلك أن يقال ان الله عزّ وجلّ أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه فيما حزبه من أمر عدوه ومكايد حربه تألفا منه بذلك من لم تكن بصيرته بالاسلام والبصيرة التي يؤمن عليه معها فتنة الشيطان وتعريفا منه أمته ما في

الامور التي تحزبهم من بعده ومطلبها ليقتدوا به في ذلك عن النوازل التي تنزل بهم فيتشاوروا فيما بينهم كما كانوا يرونه في حياته صلى الله عليه وسلم يفعله فأما النبي (ﷺ) فان الله كان يعرّفه مطالب وجوه ما حزَّ به من الامور بوحيه أو الهامه اياه صواب ذلك، وأما أمته فانهم اذا تشاوروا مستنين بفعله في ذلك على تصادق وتآخ للحق وارادة جميعهم للصواب من غير ميل الى هوى ولا حيد عن هدى فالله مسددهم وموفقهم.[٢٦]

وقال القرطبي ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ يدل على جواز الاجتهاد في الامور والاخذ بالظنون مع إمكان الوحي؛ فإن الله أذن لرسوله (ﷺ) في ذلك. واختلف أهل التأويل في المعنى الذي أمر الله نبيه (عليه السلام) أن يشاور فيه أصحابه ؛ فقالت طائفة: ذلك في مكائد الحروب، وعند لقاء العدوّ، وتطييباً لنفوسهم، ورفعا لاقدارهم وتألفاً على دينهم، وان كان الله تعالى قد أغناه عن رأيهم بوحيه. روى هذا عن قتادة والربيع وابن اسحاق والشافعي. قال الشافعي: هو كقوله «والبكر تستامر» تطييباً لقلبها ؛ لا أنه واجب. وقال مقاتل وقتادة والربيع: كانت سادات العرب اذا لم يتشاوروا في الامر شق عليهم: فأمر الله تعالى؛ نبيه عليه السلام أن يشاورهم في الأمر: فان ذلك أعطف لهم عليه وأذهب لأضغانهم، روى ذلك الحسن البصري والضحاك قالا: ماأمر الله تعالى نبيه بالمشاورة لحاجة منه الى رأيهم، وانما أراد أن يعلمهم ما في المشاورة من الفضل، ولتقتدي به أمته من بعده. وفي قراءة ابن عباس «وشاورهم في بعض الامر»[٢٧].

وكذلك قال الطبرسي ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ أي استخرج آراءهم واعلم ما عندهم واختلفوا في فائدة مشاورته إياهم مع استغنائه بالوحي عن تعرف صواب الرأي من العباد على أقوال (أحدها) أن ذلك على وجه التطييب لنفوسهم والتألف لهم والرفع من أقدارهم ليبين أنهم ممن يوثق بأقوالهم ويرجع الى آرائهم عن قتادة والربيع وابن اسحاق (وثانيها) أن ذلك لتقتدي به أمته في المشاورة ولم يروها نقيصة كما مدحوا بأن أمرهم شورى بينهم عن سفيان بن عينية (وثالثها) أن ذلك ليمتحنهم بالمشاورة ليتميز الناصح من الغاش (وخامسها) أن ذلك في أمور الدينا ومكائد الحرب ولقاء العدو وفي مثل ذلك يجوز أن

يستعين بآرائهم عن أبي علي الجبائي[٢٨].

* * *

كان ذلك ماذكره المفسرون في تفسير معنى «﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ أمّا اذا رجعنا الى الاية نفسها ونظرنا الى محلها من السياق التي جاءت فيها وتدبرنا موضعها من الايات التي قبلها وبعدها نجد إنّ هذه الآية التاسعة والخمسين بعد المائة من سورة آل عمران قد وردت ضمن سلسلة من آيات ١٣٩ ـ ١٦٦ منها، وكلّها في أمر غزوات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكيف نصرهم الله فيها، وفي بعضها يخاطب المسلمين وخاصة الغزاة منهم ويعظهم، وفي بعضها يخاطب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم خاصة ومن ضمنها هذه الآية: ﴿ فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ القَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلىٰ اللّهِ إنَّ اللّهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ ﴾.[٢٩]

يظهر جليّاً أنّ الأمر بالمشاورة في هذه الآية كان بقصد الملاينة معهم والرحمة بهم، ولم يكن أمراً بالعمل برأيهم، بل قال له: فإذا عزمت فتوكّل واعمل برأيك. ويفهم من المجموع أيضاً أنّ مقام المشاورة الراجحة إنّما هو في الغزوات، وما ذكره من مشاورة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه أيضاً كانت في الغزوات[٣٠].

إذن فان مشاورة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه كانت في الغزوات فقط كما صرح بذلك الصحابي ابو هريرة، بقوله:

فلم أر أحداً كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانت مشاورته أصحابه في الحرب فقط[٣١] وأشهر مشاورة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع اصحابه كانت في غزوتي بدر وأحد، كما سنبينه في مايلي:

اولاً – مشاوره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة بدر

ندب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه للتعرّض لقافلة قريش التجارية الراجعة من الشام بقيادة أبي سفيان وخرج معه ٣١٣ شخصاً ممّن استعدّ للاستيلاء على القافلة التجارية وليس للقتال، وبلغ الخبر أبا سفيان فانحرف في سيره عن الطريق، واستصرخ قريشاً بمكّة فخرجت مستعدّة للقتال في جيش يقارب الألف محارب، وأفلت أبو سفيان

والقافلة، فكان الرسول ﷺ أمام خيارين: التراجع إلى المدينة بسلام، أو مقاتلة جيش قريش المتأهّب للقتال بجيشه غير المتكافىء عدداً وعدّة.

تفصيل الخبر:

روى ابن هشام في سيرته وقال:

وأتاه الخبر عن قريش ومسيرهم ليمنعوا عيرهم، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن، ثمّ قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، ثمّ قام المقداد[٣٢].

ثمّ ذكر ما قاله المقداد وما قالته الأنصار، بينما لم يذكر ما قاله أبو بكر ثمّ عمر!

وفي صحيح مسلم:

فتكلّم أبو بكر فأعرض عنه، ثمّ تكلّم عمر فأعرض عنه، فقام المقداد...[٣٣].

إنّ مسلماً هكذا ذكر أيضاً، ولم يذكر ما تكلّم به أبو بكر، وكلاهما لم يتمّا ذكر الخبر، ونحن ننقل تمام الخبر من مغازي الواقدي وإمتاع الأسماع للمقريزي واللفظ للأوّل قال: قال عمر:

يا رسول الله، إنّها والله قريش وعزّها، والله ما ذلّت منذ عزّت، والله ما آمنت منذ كفرت، والله لا تسلم عزّها أبداً، ولتقاتلنّك، فاتّهب لذلك أُهبَته وأعدّ لذلك عُدّته. ثمّ قام المقداد بن عمرو فقال:

يا رسول الله، إمضِ لأمر الله فنحن معك؛ والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيّها: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هٰهُنا قاعِدُون﴾[٣٤]، ولكن اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون؛ والذي بعثك بالحقّ لو سرت بنا إلىٰ بِرك الغِماد لسرنا معك ـ وبِرَك الغماد من وراء مكّة بخمس ليال من وراء الساحل ممّا يلي البحر، وهو علىٰ ثماني ليالٍ من مكّة إلى اليمن ـ فقال له رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له بخير.

ثمّ قال رسول الله ﷺ: «وأشيروا عليّ أيّها الناس!» وإنّما يريد رسول الله ﷺ الأنصار، وكان يظنّ أنّ الأنصار لا تنصره إلّا في الدار، وذلك أنّهم

شرطوا له أن يمنعوه ممّا يمنعون منه أنفسهم وأولادهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أشيروا عليّ!» فقام سعد بن معاذ فقال:

أنا أُجيب عن الأنصار؛ كأنّك يا رسول الله تريدنا! فقال: «أجل». قال:

إنّك عسىٰ أن تكون خرجت عن أمر قد أُوحي إليك في غيره، وإنّا قد آمنّا بك وصدّقناك، وشهدنا أنّ كلّ ما جئت به حقّ، وأعطيناك مواثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة؛ فامضِ يا نبيّ الله؛ فوَالذي بعثك بالحقّ لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما بقي منّا رجل؛ وصِل من شئت، واقطع من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وما أخذت من أموالنا أحبّ إلينا ممّا تركت. والذي نفسي بيده، ما سلكت هذا الطريق قطّ، وما لي بها من علم، وما نكره أن يلقانا عدوّنا غداً؛ إنّا لصُبُرٌ عند الحرب. صُدُقٌ عند اللقاء، لعلّ الله يُريك منّا ما تَقَرّ به عينك.

حدّثنا محمد قال: حدّثنا الواقدي قال: فحدّثني محمد بن صالح، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد قال: قال سعد:

يا رسول الله، إنّا قد خلّفنا من قومنا قوماً ما نحن بأشدّ حباً لك منهم، ولا أطوع لك منهم، لهم رغبة في الجهاد ونيّة؛ ولو ظنّوا يا رسول الله أنّك ملاقٍ عدوّاً ما تخلّفوا، ولكن إنّما ظنّوا أنّها العير. نبني لك عريشاً فتكون فيه ونعدّ لك رواحلك، ثمّ نلقىٰ عدوّنا، فإن أعزّنا الله وأظهرنا علىٰ عدوّنا كان ذلك ما أحببنا، وإن تكن الأُخرىٰ جلست علىٰ رواحلك فلحقت مَن وراءنا.

فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم خيراً، وقال: «أو يقضي الله خيراً من ذلك يا سعد!».

قالوا: فلمّا فرغ سعد من المشورة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«سيروا علىٰ بركة الله. فإنّ الله قد وعدني إحدى الطائفتين. والله، لكأنّي أنظر إلىٰ مصارع القوم». قال: وأرانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مصارعهم يومئذ؛ هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، فما عدا كلّ رجل مصرعه. قال: فعلم القوم أنّهم يُلاقون القتال، وأنّ العِير تُفلت، ورجَوا النصر لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم [٣٥].

كانت استشارة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا المقام: أنّه استشار أصحابه في ماذا

يفعلون، بعد أن أخبره الله سبحانه وتعالىٰ بأنّهم سيقاتلون وينتصرون، وأخبره بمصارع القوم والرسول ﷺ أيضاً أخبر أصحابه بمصارع القوم بعد أن وافقوه على القتال، فهو إذ يستشيرهم لا يريد الاستفادة من رأيهم، وإنّما هو نوع من الملاينة وإخبار بإفلات عير قريش وتغيير الأمر من الاستيلاء علىٰ مال التجارة إلى القتال ليستعدّوا للقتال.

ثانياً – مشاورة الرسول ﷺ في غزوة أحد

كانت تلكم مشاورة الرسول ﷺ أصحابه في غزوة بدر. وفي ما يلي قصّة مشاورة الرسول أصحابه في غزوة أُحد وفي هذه المشاورة عمل رسول الله ﷺ برأي أصحابه، كما ورد في مغازي الواقدي وإمتاع الأسماع للمقريزي[٣٦]، قالا:

إنّ رسول الله ﷺ صعد على المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال:

«أيّها الناس، إنّي رأيت في منامي رُؤياً: رأيت كأنّي في درع حصينة، ورأيت كأنّ سيفي ذا الفقار انقصم[٣٧] من عند ظُبّته[٣٨]، ورأيت بقراً تذبح؛ ورأيت كأنّي مُردِفٌ كبشاً».

فقال الناس: يا رسول الله ﷺ، فما أوّلتها؟ قال:

«أمّا الدرع الحصينة فالمدينة، فامكثوا فيها. وأمّا انقصام سيفي من عند ظبّته فمصيبة في نفسي. وأمّا البقر المذبّح فقتلىٰ في أصحابي. وأمّا إنّي مردف كبشاً فكبش الكتيبة نقتله إن شاء الله».

وفي رواية:

«وأمّا انقصام سيفي فقتل رجل من أهل بيتي». وقال: «أشيروا عليّ» ورأىٰ رسول الله ﷺ ألّا يخرج من المدينة فوافقه عبد الله بن أُبيّ والأكابر من الصحابة مهاجروهم وأنصارهم، وقال عليه السلام: «امكثوا في المدينة واجعلوا النساء والذراري في الآطام، فإن دُخِل علينا قاتلناهم في الأزقّة – فنحن أعلم بها منهم – ورُمُوا من فوق الصياصي والآطام»[٣٩]. وكانوا قد شبّكوا المدينة بالبنيان من كلّ ناحية فهي كالحصن، فقال فتيان أحداث لم يشهدوا بدراً وطلبوا الشهادة وأحبّوا لقاء العدوّ: أُخرج بنا إلىٰ عدوّنا. وقال حمزة، وسعد بن عبادة، والنعمان بن مالك ابن ثعلبة، في طائفة من الأنصار: إنّا نخشىٰ يا

رسول الله أن يظنّ عدوّنا أنّا كرهنا الخروج إليهم جُبناً عن لقائهم، فيكون هذا جرأة منهم علينا؛ وقد كنت يوم بدر في ثلاثمائة رجل فظفرك الله عليهم، ونحن اليوم بشر كثير؛ قد كنّا نتمنّىٰ هذا اليوم وندعو الله به، فساقه الله إلينا في ساحتنا. ورسول الله ﷺ لِما يرىٰ من إلحاحهم كاره؛ وقد لبسوا السلاح. وقال حمزة: والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم اليوم طعاماً حتّىٰ أُجالدهم[٤٠] بسيفي خارجاً من المدينة، وكان يوم الجمعة صائماً ويوم السبت صائماً. وتكلّم مالك بن سنان والد أبي سعيد الخُدري، والنعمان بن مالك بن ثعلبة، وإياس بن أوس بن عتيك، في معنى الخروج للقتال. فلمّا أبَوا إلّا ذلك صلّىٰ[٤١] رسول الله ﷺ الجمعة بالناس وقد وعظهم وأمرهم بالجدّ والجهاد؛ وأخبرهم أنّ لهم النصر ما صبروا. ففرح الناس بالشخوص[٤٢] إلىٰ عدوّهم، وكره ذلك المخرج كثير. ثمّ صلّىٰ رسول الله ﷺ العصر بالناس وقد حشدوا، وحضر[٤٣] أهل العوالي[٤٤] ورفعوا النساء في الآطام، ودخل ﷺ بيته ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فعمّماه ولبّساه. وقد صفّ الناس له ما بين حجرته إلىٰ منبره، فجاء سعد بن معاذ وأُسيد بن حُضير فقالا للناس: قلتم لرسول الله ﷺ ما قلتم واستكرهتموه على الخروج، والأمر ينزل عليه من السماء، فردّوا الأمر إليه فما أمركم فافعلوه، وما رأيتم فيه له هوىً أو رأي فأطيعوه. فبينا هم علىٰ ذلك إذ خرج رسول الله ﷺ قد لبس لأمته[٤٥]، ولبس الدرع فأظهرها وحزم وسطها بمِنْطَقَة[٤٦] من أدم[٤٧] من حمائل سيف، واعتمّ، وتقلّد السيف. فقال الذين يلحّون: يا رسول الله، ما كان لنا أن نخالفك، فاصنع ما بدا لك، فقال: «قد دعوتكم إلىٰ هذا الحديث فأبيتم، ولا ينبغي لنبيّ إذا لبس لأمته أن يضعها حتّىٰ يحكم الله بينه وبين أعدائه، انظروا إلىٰ ما أمرتكم به فاتّبعوه، امضوا على اسم الله فلكم النصر ما صبرتم».

إذن مما مرّ وبينا يمكن القول بأن الحكمة في استجابة الرسول (ﷺ) لالحاح أصحابه في الخروج في أنه: لو لم يستجب الرسول ﷺ، لأثر في نفوسهم تأثيراً سيئاً، ولو لذّ الضعف والاستكانة في نفوسهم بدل الاقدام والشجاعة. كان هذا سبب استشارة الرسول (ﷺ) أصحابه في غزوتي بدر وأحد والحمد لله رب العالمين.

المصادر

١ – القرآن الكريم

٢ – نهج البلاغة جمع الشريف الرضي ضبط نصه الدكتور صبحي الصالح، بيروت ١٣٨٧ – ١٩٦٧.

٣ – مغازي الواقدي محمد بن عمر بن واقد (ت: ٢٠٧ هـ) ط. جامعة اكسفورد سنة ١٩٦٦ م تحقيق الدكتور مارسدن جونيس.

٤ ـ سيرة ابن هشام ـ السيرة النبوية تأليف أبي محمد عبد الملك بن هشام الحميري (ت ٢١٣ أو ٢١٨ هـ و ٨٣٣ م) تحقيق محمد محيي الدين.

٥ – صحيح مسلم، للامام أبي الحسين بن الحجّاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١ هـ) تحقيق وتعليق محمّد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الاولى سنة ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٦ م.

٥ ـ تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت: ٣١٠ هـ و ٩٢٢ ـ ٩٢٣ م) ط. مصر ١٣٥٨ هـ إلىٰ ص ١٣٢ من الكتاب وبعدها. ط. ليدن. وط. مصر الأُولىٰ بالمطبعة الحسينية أحياناً. رجعنا إلىٰ ط. ليدن في التصحيح وقد نشير إليه بـ ط. أوربا.

٦ – تفسير الطبري: له، بيروت، دار المعرفة، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م

٧ ـ دلائل النبوة ـ لأبي نعيم الحافظ أحمد بن عبدالله الأصبهاني (ت: ٤٣٠ هـ) ط. حيدرآباد سنة ١٣٢٠ هـ.

٨ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، لأمين الدين او امين الإسلام، ابو عليّ الفضل ابن الحسن بن الفضل الطبرسي السبزواري (ـ ٥٤٨ هـ)، انتشارات ناصر خسرو – طهران ١٤٢٥ هـ.

٩ ـ الكامل في التاريخ ـ لابن الأثير عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت: ٦٣٠ هـ و ١٢٣٢ م) ط. القاهرة ١٣٤٨ ـ ١٣٥٤ هـ، ودار صادر – دار

ومكتبة الهلال ٢٠٠٣ م.

١٠ - لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن المكرم الانصاري المصري، معروف بابن منظور (ت: ٧١١ هـ)، نشر دار بيروت ودار صادر (د. ت) اوفسيت على الطبعة البيروتية، ١٣٧٦ هـ و طبعة دار صادر ١٤١٧- ١٩٩٧م.

١١ ـ عيون الأثر ـ لفتح الدين أبي الفتح محمد بن محمد بن عبدالله الشافعي اليعمري الأندلسي الأشبيلي المصري المشهور بابن سيد الناس (ت: ٧٣٤ هـ) نشر مكتبة القدسي بالقاهرة عام ١٣٥٦ هـ.

١٢ ـ إمتاع الأسماع ـ المقريزي تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي الشافعي (ت: ٨٤٥ هـ و ١١٤١ م).

١٣ - الدر المنثور: لعبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي(ت: ٩١١ هـ)، مصر، المكتبة التجارية الكبرى مطبعة السعادة.الطبعة الثالثة ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م.

١٤ - معالم المدرستين، العسكري سيد مرتضى، مطبعة صدر الطبعة الخامسة سنة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

الهوامش :

١. سورة الرحمن / ١ - ٣.
٢. سورة البقرة / ٣٠.
٣. سورة آل عمران ١٩
٤. سورة آل عمران / ٨٥.
٥. سورة الحجرات / ١٣.
٦. سورة البقرة / ٢١٣.
٧. سورة الروم / ٤٢.
٨. سورة الروم / ٩.
٩. سورة سبأ / ٢٨.
١٠. نهج البلاغة الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٧٨ هـ الخطبة القاصعة، الخطبة رقم ١٩٢،ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية الدكتور صبحي الصالح.
١١. سورة القلم / ٤.
١٢. سورة الاحزاب / ٢١.
١٣. تاريخ الرسل والملوك، في ذكره حوادث سنة ٣٦ هـ ط. اوربا، ٣٢٤٨/١.
١٤. الكامل في التاريخ في ذكره حوادث سنة ست وثلاثين، ط بيروت دار ومكتبة الهلال، ٢٧٣/٣.
١٥. تاريخ الرسل والملوك ١ / ١١٥٩ - ١١٦٩ ط. اوربا.
١٦. لسان العرب، مادة: شور.
١٧. سورة البقرة / ٢٣٣.
١٨. سورة مريم / ٢٧.
١٩. سورة مريم / ٢٩
٢٠. سورة الشورى / ٣٨.
٢١. سورة آل عمران / ١٥٩.
٢٢. سورة النجم / ٣ - ٦.
٢٣. نهج البلاغة الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٧٨ هـ الخطبة القاصعة، الخطبة رقم ١٩٢،ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية الدكتور صبحي الصالح.
٢٤. سورة آل عمران / ١٥٩.
٢٥. تفسير جامع البيان في تفسير القرآن لابي جعفر محمد بن جرير الطبري المعروف بتفسير الطبري، سورة آل عمران / ١٥٩، ج ٤ / ١٠١، الطبعة الثانية اعيد طبعه اوفسيت سنة ١٣٩٢ ط دار المعرفة بيروت.
٢٦. نفس المصدر السابق.

٢٧. الجامع لاحكام القرآن لابي عبدالله محمد بن احمد الانصاري القرطبي المعروف بتفسير القرطبي، سورة آل عمران / ١٥٩، ج ٤ / ٢٥٠، بتفسير الاية،طبعة دار الكتاب العربي سنة ١٣٨٧ هـ الطبعة الثانية.

٢٨. مجمع البيان في تفسير القرآن، سورة آل عمران / ١٥٩، ج ٢ / ٨٦٩، ط السابعة ١٤٢٥، طبع مطبعة امير. بتفسير الاية.

٢٩. سورة آل عمران / ١٥٩.

٣٠. معالم المدرستين للعلامة العسكري، ج ١ / ٢٢٦، الطبعة الخامسة سنة ١٤١٦ هـ مطبعة صدر.

٣١. كتاب المغازي للواقدي ٢ / ٥٨٠، تحقيق الدكتور مارسدن جونس.

٣٢. سيرة ابن هشام ٢ / ٢٥٣.

٣٣. صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر ٣ / ١٤٠٣.

٣٤. سورة المائدة / ٢٤.

٣٥. مغازي الواقدي، ط. اكسفورد ١ / ٤٨ ـ ٤٩. وعيون الأثر لابن سيّد الناس ١ / ٢٤٧. ودلائل النبوّة للبيهقي ٢ / ٣٧٧. وإمتاع الأسماع للمقريزي / ٧٤ ـ ٧٥. وتفسير الدر المنثور ٣ / ١٦٦.

٣٦. مغازي الواقدي / ٢٠٨ ـ ٢١٤. وإمتاع الأسماع للمقريزي / ١١٣ ـ ١١٨.

٣٧. انقصم : تكسّر وتثلّم.

٣٨. الظبّة : حدّ السيف من قبل ذبابه وطرفه.

٣٩. الصياصي جمع صيصية : وهي الحصون، والآطام جمع أطم : وهي بيوت من حجارة كانت لأهل المدينة.

٤٠. جالد بالسيف : ضرب به كأنّه يجلد بسوط لسرعة ضربه وتتابعه.

٤١. في الأصل : (صلّى اللّه).

٤٢. الشخوص : الخروج.

٤٣. في الأصل : (حضرو).

٤٤. العوالي : ضيعة بينها وبين المدينة ثلاثة أميال.

٤٥. اللأمة : أداة الحرب ولباسها، كالرمح والبيضة والسيف والنبل.

٤٦. المنطقة والنطاق، كلّ ما يشدّ به الوسط كالحزام.

٤٧. الذي بين المعقوفتين كان في الأصل بعد قوله : (حمائل سيف)، وهذا حقّ موضعه.

دور الرّسول الأعظم في تفسير القرآن الكريم

الدكتور مرتضى الايرواني النّجفي

استاذ مشارك ـ قسم علوم القرآن والحديث

كليّة الهيّات ـ جامعة الفردوسي مشهد

ملخّص المقال :

تناول البحث موضوع دور الرسول «ﷺ» في التفسير، وقد تركز البحث في المقدار الذي شمله تفسير النبي «ﷺ» من النص القرآني. فذهب بعضهم إلىٰ أنّ الرسول «ﷺ» لم يفسّر إلّا قدراً يسيراً من القرآن الكريم، بينما ذهب آخرون إلىٰ أنّ تفسيره شمل القرآن كلّه، وذهب آخرون إلىٰ غير ذلك، كما تعرض البحث إلى أوجه بيان السنّة للقرآن الكريم وظهر من البحث أنّ الأوجه التي ذكرت لا تستوعب كل السنّة المفسّرة إلّا بشيء من التكلّف، فالأولىٰ استقراء الأوجه بدراسة جديدة.

الكلمات الرئيسة : التفسير، نصّ الوحي، السنّة، بيان، الفهم الإجمالي.

المقدّمة:

شغل تفسير الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» بال العلماء قديماً وحديثاً، ودرج المحقّقون على بحث الموضوع عند حديثهم عن التفسير في عصر الرسالة هذا عند المحدثين. أما القدماء فإنّهم أشاروا إلى الموضوع في مقدمات كتب التفسير. وهناك من عرض للموضوع في كتب علوم القرآن.

ويضمّ الموضوع نقطتين اساسيتين هما: القدر الذي تناوله النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» بالتفسير من القرآن الكريم، وأوجه تفسير النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» للقرآن. ونحاول في بحثنا هذا عرض الأقوال المطروحة في المسألة وانتخاب الرأي الذي تدعمه الأدلّة المقبولة.

للنبيّ «صلى الله عليه وآله وسلم» دور في تفسير القرآن لا يمكن تغافله أو صرف النظر عنه رغم الموروث الكبير للنقول التفسيرية التي حفلت بها كتب التفسير، وغيرها ممّا نُقل عن أئمّة أهل البيت «عليهم السلام» والصحابة والتابعين. وإذا ضمّ الموروث التفسيري أقوالاً لغير النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» أكثر ممّا نُقل عن الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» فهذا لا يعني أنّ دور غيره أكبر من دوره، فهناك عوامل متعدّدة أدّت إلىٰ ذلك.

وقد كان النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» يفسّر ما أبهم من ألفاظ القرآن، ويُبيّن ما أجمل من أحكامه، ويكمل ما احتاج إلى تكميل في مطالبه الفقهيّة، ويتمّم ما جاء مختصراً في قصصه، وغير ذلك. وقد أُعدّ الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله وسلم» لذلك كما أُعدّ لغيره ليُحدث التغيير المنشود.

وقد تعرّض العلماء قديماً وحديثاً إلى هذا الموضوع، وتطرقوا إلى جوانبه المختلفة. ونحاول فيما يأتي بيان الأقوال في ذلك، وذكر الرأي المختار. ويقع البحث في محورين رئيسين هما: المقدار الذي فسّره النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» من القرآن، وأوجه بيان تفسير الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» للقرآن الكريم.

وقبل الحديث عن هذين المحورين نشير إلى موضوع تفاوت الصحابة في فهم القرآن الكريم استكمالاً للبحث.

تفاوت الصحابة في فهم القرآن وتفسيره:

لم يكن صحابة رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» على مستوىً واحد في فهم القرآن من جهة، ولا في الاهتمام بتفسيره والسؤال عنه.

وتفاوت الصحابة في النقطة الأولىٰ أمر طبيعي لاختلاف المستوىٰ الفكري للأفراد من جهة، ولتباين ملازمتهم للرسول «صلى الله عليه وآله وسلم»، كما أنّ إحاطتهم بالملابسات التي أحاطت نزول الآيات ورافقتها لم تكن واحدة رغم اطلاعهم على معظم مفردات النص القرآني وتوفّر الفهم الاجمالي للقرآن الكريم.

أمّا السؤال عن القرآن والإهتمام بالوصول إلى معانيه وأغراضه، فيستفاد من النصوص الواردة أنّ الصحابة لم يكونوا على مستوىً واحد في ذلك.

فقد ورد عن سهل بن حنيف أنّ أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» كانوا يرون أنّ الله ينفعهم بالاعراب ومسائلتهم النبي «صلى الله عليه وآله وسلم». فقد ذكر أنّ أعرابياً قال لرسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» إنّ الله ذكر شجرة مؤذية في القرآن الكريم، ولم أكن أرىٰ شجرة مؤذية في الجنّة. فسأله رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» عن الشجرة فقال: هي شجرة السدر، فإنّ لها شوكاً. فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: «في سدر مخضود (الواقعة / ٢٢) يخضد الله شوكه فيجعل مكان كلّ شوكة ثمرة، وتتفتّق كلّ ثمرة عن اثنين وسبعين لوناً، ما فيها لون يشبه الآخر». (الحاكم النيسابوري: ٢/٤٦٧)

وورد في نقل آخر أنّ أميرالمؤمنين «عليه السلام» قال: ليس كل أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» كان يسأله ويستفهمه، حتىٰ كانوا ليحبّون أنْ يجيء الاعرابي أو الطارىء فيسأله حتىٰ يسمعوا. قال: وكان لا يمرُّ من ذلك شيء إلّا سألت عنه وحفظته.

فهذان النّصان وغيرهما يدلان على:

الف ـ أنّ الصحابة لم يكونوا على شاكلة واحدة في سؤالهم النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» وسعيهم في استثمار الفرص لكسب معاني القرآن ومقاصده.

ب ـ أنّ أميرالمؤمنين علي «عليه السلام» كان له النصيب الأوفر في فهم معاني القرآن لأنّه لم يكن كغيره منتظراً مجيء أعرابيّ كما تدلّ الروايتان، بل كان يسأل بنفسه عن ذلك،

ويؤيّده ما نُقل عنه أنّه قال: «واللهِ ما نزلت آية إلّا وقد علمت فيم نزلت، وأين نزلت، وإنّ ربي وهب لي قلباً عقولاً، ولساناً سئولاً» (ابونعيم، ١/٦٧) ولذلك قال بحق: «سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلّا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلّا وأنا أعلم أبليلٍ نزلت أم بنهار، أم في سهل، أم في جبل». (المصدر السابق نفسه)

وما تقدم يعطينا صورة عن الجو الذي كان المسلمون يعيشونه وهم معاصرون لنزول الوحي والنبي «ﷺ» بين ظهرانيهم.

المقدار الذي فسّره النبي من القرآن:

اختلف العلماء في القدر الذي فسّره النبي «ﷺ» من القرآن الكريم، مع اتّفاقهم على الدور الريادي الذي كان يقوم به من تفسير كلام الله تعالى، والكشف عن أهدافه العالية، وتقريبه إلى مستوىٰ الناسِ كلّ حسب قابليّاته الفكريّة واستعداده الخاص، وتحديد معطياته، وحلّ ما يعترض المسلمين من مشاكل في فهم النص القرآني. ويبدو من تتبّع كلام العلماء أنّ جذور هذا الموضوع كان ضارباً في أعماق القرون الأولىٰ على الرغم من أنّ أوّل من يُطرح اسمه في هذا الميدان ابن تيميّة، ثمّ تتابع كلام العلماء بعده. والدليل على ما نراه أنّ الطبري وهو يوجّه ما نُقل من أنّ رسول الله «ﷺ» ما كان يفسّر آياً إلّا بعدد علّمه تفسيرهنّ جبريل، قال: «ولو كان تأويل الخبر عن رسول الله «ﷺ» انه كان لا يفسر من القرآن شيئاً إلّا آياً تعدّ هو ما يسبق إليه أوهام أهل الغباء من أنّه لم يكن يفسّر من القرآن إلّا القليل من آيه واليسير من حروفه ...» (الطبرى: ١/٣٠) فهذا يدل على أنّه كان من يعتقد أنّ رسول الله «ﷺ» فسّر القليل من القرآن، لذا ردّ عليه الطبري بأنّه فسّر أكثره.

وباستقراء أقوال المحقّقين في ما فسّره الرسول «ﷺ» تبدو عدة أقوال هي:

الف ـ فسّر الرسول «ﷺ» قليلاً من القرآن الكريم.

ب ـ شمل تفسير الرسول «ﷺ» الكثير من القرآن الكريم.

ج ـ فسّر الرسول «ﷺ» كلّ القرآن الكريم.

د ـ شمل تفسير النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» جميع ما في القرآن الكريم. «أمّا بياناً بالنص أو ببيان تفاصيل أصول الشريعة وفروعها، ولا سيّما إذا ضممنا إليه ما ورد عن الأئمّة من عترته». (معرفة: ١/١٧٩)

والفرق بين هذا وما قبله ـ مع أنّهما يجعلان تفسير النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» شاملاً القرآن الكريم جميعه ـ أنّ الأخير يصرّح بجعل السنة التي تناولت أصول الشريعة والأحكام مفسّرة للقرآن، بينما لم يشر ما قبله إلى هذا. وإذا لم يكن رأي ابن تيميّة ومن تبعه ناظراً إلى جعل هذه السنة مفسّرة جاز اعتبار ما ذكره الاستاد معرفة رأياً يختلف عمّا قبله.

هـ ـ كان تفسير النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» القرآن علىٰ نمطين:

نمط لعامة المسلمين، ونمط للخاصة منهم كأميرالمؤمنين «عليه السلام»، وقد تناول الثاني القرآن كلّه بالتفصيل.

وسنفصّل القول في كلّ مورد من هذه الموارد حسبما يقتضيه المقام.

الرأي الأوّل:

وهو الذي يذهب إلى أنّ النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» فسّر بعض معاني القرآن الكريم، وعلى حدّ تعبير بعضهم «لم يبيّن إلّا القليل» (الذهبي: ١/٥١). وقد ذهب إلى هذا السيوطي، ومن قبله الخويي. (المصدر السابق: ١/٤٩) ويستند هذا الرأي إلى:

١ ـ ما نُقل عن عائشة أنّها قالت: «ما كان رسول الله يفسّر شيئاً من القرآن إلّا آياً تعدّ علّمه إيّاهن جبريل.» (الطبري: ١/٢٩). وفي رواية «بعدد» (القرطبي: ١/٣١) وهذا يدلّ على أنّ النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» فسّر بعض الآيات التي علّمه جبريل تفسيرهنّ وترك الباقي.

وقد تناول العلماء هذا الحديث وتكلّموا فيه بما يُخرجه عن مجال الاستشهادبه على المدّعىٰ، ويقع كلامهم في محورين: السند والمتن (الدلالة).

أمّا سند الحديث فقد جاء فيه محمّد بن جعفر الزبيري الذي تكلّموا فيه، ولم يرضوا حديثه. (الطبري: ١/٣٠؛ الذهبي: ١/٥٢)

أمّا دلالته فقد حُمل الحديث على وجهين:

الأوّل: أنّ المراد منه مغيّبات القرآن وبيان مجمله، ونحو ذلك ممّا لا سبيل إليه إلّا بتوفيق من الله. (ابن عطيّة: ١/٢٩؛ القرطبي: ١/٣١؛ أبوحيان: ١/٢٥). وعلى حدّ تعبير بعضهم «أنّ من تأويل القرآن ما لا يُدْرك علمه إلّا ببيان الرسول ﷺ» (الطبري: ١/٣٠).

الثاني: أنّ الحديث ناظر إلى جانب رعاية الترتيب في تفسير النبي «ﷺ» للقرآن، أو ترتيب نزول القرآن وتفسيره. بعبارة أخرىٰ أنّ المراد من الحديث أنّ رسول الله «ﷺ» ما كان يفسّر القرآن إلّا جزءاً جزءاً بعد مجيء جبريل بالتفسير، وهذا يعني رعاية جانب الترتيب في تعليم القرآن الكريم.

ويبدو أنّ الوجه الثاني أقرب إلى القبول إن أريد الاستدلال بالحديث.

والذي نراه أنّ الاستناد إلى الحديث للدلالة على أنّ النبي «ﷺ» لم يفسّر القرآن كلّه غير صحيح على فرض صحة سنده، لأنّ «كان» إذا كان خبرها مضارعاً دلّت على الاستمرار والدوام، ومعنىٰ الحديث على هذا: أنّ دأب النبي «ﷺ» كان عدم تفسير القرآن إلّا بعد مجيء جبريل بتفسير آيات قليلة ثمّ يفسّر آيات قليلة أخرىٰ بعد مجيء جبريل بتفسيرها، هكذا.

٢ ـ لم يأمر الله نبيّه بتفسير الآيات بالنص في جميع الآيات ليتدبر المسلمون في آيات الله وكتابه. بعبارة أخرىٰ أنّ الله أمر نبيّه اجمالاً ببيان القرآن، ولم يأمره بتفسير كلّ آية قولاً وفعلاً.

وأورد على هذا بأنّ النبيّ «ﷺ» مأمور بالبيان بنص قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل: ٤٤) كما أنّه إنْ أشكل القرآن كلّه على الصحابة ما كان للنبيّ «ﷺ» أنْ يمتنع عن تفسير آية آية بمقتضىٰ أمر الله نبيّه بالبيان.

والذي نراه أنّ الاستدلال بهذا غير مقبول، لأنّ النبي «ﷺ» مادام مأموراً بالبيان بنص الآية المتقدّمة، فهذا يكفي لأنْ يؤدّي مهمته أنْ يبيّن القرآن كلّه.

ويبدو أنّ هذا الدليل لم يكن مستقلاً في نفسه، بل جاء توجيهاً وردّاً علىٰ من قال إنّ

النبيّ «صلى الله عليه وآله وسلم» مأمور ببيان القرآن كلّه.

٣ ـ واستدلوا بأنّ تفسير كلّ معاني القرآن الكريم متعذّر، ولا يمكن ذلك إلّا في آيات قليلة، وما بقي يستنبط بأمارات ودلائل أخرىٰ.

وردّ هذا بأنّه دعوىٰ غير مسلّمة.

والذي نراه أنّ هذا الاستدلال غير موجّه؛ لأنّه ما المانع العقلي من تفسير الآيات عند نزولها من قبل النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» وتفسير الآية عبارة فعبارة غير لازم.

٤ ـ وممّا استدلّوا به على أنّ النبيّ «صلى الله عليه وآله وسلم» لم يفسّر القرآن كلّه دعاؤه لابن عبّاس: «اللهمّ فقّهه في الدين وعلّمه التأويل»، (أبونعيم، ١/٣١٦ وفيه: اللهمّ أعطه الحكمة وعلّمه التأويل) بتقرير أنّه لو كان النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» بيّن معاني القرآن كلّها لما كان في اختصاص دعائه لابن عباس فائدة لاستواء الجميع في معرفة القرآن ومعانيه.

ويمكن الاجابة عن هذا بأنّ بيان معاني القرآن لا يلزمه تساوي الجميع في المعرفة والاستنباط، كطلاب الصف الواحد، فإنّهم لا يتساوون في فهم الدرس على الرغم من أنّ الكتاب واحد والمعلّم واحد، فكذلك الحال بالنسبة إلى معاني القرآن. هذا إذا سلّمنا بصحة هذا الدعاء، ونسبته للرسول «صلى الله عليه وآله وسلم». على أنّ بعضهم اعترض على هذا بأنّه مع التسليم بأنّ النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» لم يفسّر كلّ القرآن فلا يدلّ على أنّه فسّر القليل النادر منه. (الذهبي: ١/٥٢)

الرأي الثاني:

وهو الرأي القائل إنّ الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» فسّر الكثير من معاني القرآن ولم يفسّره كلّه. (المصدر السابق: ١/٥٣) والدليل على ذلك:

الف ـ اختلاف الصحابة في تأويل بعض آيات القرآن. ولو كان الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» بيّن كل معاني القرآن ما اختلفوا فيه.

ويمكن للمخالف أنْ يردّ هذا بأنّ الاختلاف جاء من قبل الرواة، وليس من الصحابة أنفسهم، أو من الصحابة لإظهار شخصيّتهم ومكانتهم العلميّة. أمّا مسألة عدالة الصحابة

فلها مكان آخر تُبحث فيه. يُضاف إلى ذلك أنّ هذا الاستدلال بعد التسليم به يدلّ على عدم تفسير القرآن كلّه، ولا يدلّ على عدم تفسير القليل. ومعلوم أنّ الذهبي ردّ القولين كليهما واختار أنّ الرسول «ﷺ» فسّر الكثير، ونسبَ أصحاب الرأيين إلى المغالاة.

ب ـ الاستناد إلى وجود المتشابه الذي لا يعلمه إلّا الله، بالإضافة إلى ما نُـقِل عـن ابن عباس في تقسيم معاني القرآن الكريم إلى أربعة أقسام: قسم تعرفه العرب من كلامها، وقسم لا يُعذر أحد بجهالته، وقسم تعرفه العلماء، وقسم لا يعلمه إلّا الله. ومعلوم أنّ النبي «ﷺ» لم يفسّر الأوّل والثاني والرابع، لأنّ الأوّل لا يحتاج إلى تفسير، لنزول القرآن بلغة العرب، ولا الثاني لأنّ الافهام تتبادر إلى فهمه، ولا يعذر أحد بجهالته ولا الرابع لأن الله استأثر بعلمه، ولم يطلع رسوله «ﷺ» فكيف يبيّنه لهم. وما فسّره يندرج تحت القسم الثالث وهو الذي تفسّره العلماء وهو ما يـمكن للـعلماء مـعرفته، ويـرجـع إلى اجتهادهم، كبيان المجمل، وتخصيص العام، وتوضيح المشكل، وما شابهه من كل مـا خفيَ معناه والتبس المراد به، وكذلك يشـمل بـعض المـغيبات التـي أخـفاها الله عـن المسلمين وأطلع رسوله «ﷺ» عليها، وأمره ببيانها لهم. (المصدر السابق نفسه)

ولا يمكن التسليم بهذا، لعدم وجود ما استأثر الله بعلمه في القرآن الكريم، وعـدم قبول التفسير القائل إنّ المتشابه ما استأثر الله بعلمه، كما أنّ القسم الأوّل وهو الذي تعرفه العرب من كلامها لا يستوي الجميع فيه، لما روي من أنّ بعض الصحابة لم يفهم المقصود من كلام الله مع ظهوره، كما نقل عن عدي بن حاتم من أنّه لم يفهم المقصود من قوله تعالى ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾، فسأل رسول الله «ﷺ» فبيّنه له. (الطبري: ٢/١٠٠؛ البخاري: ٢/٢٣١) وتـذهب بـعض النقول التفسيريّة إلى مدىً أبعد، فيفهم منها أنّ المعاصرين للوحي كانوا لا يعرفون معاني بعض الالفاظ المفردة، واستمرت الحال بهم إلى ما بعد حياة الرسول «ﷺ» كما نقل في تفسير «فاطر» و«الأبّ» و«التخوّف» وما نقل عن الحسن البصري وهو تـابعي فـي «الأريكة» أدهىٰ وأمر.

ويحقّ لسائل أنْ يسأل فيقول: إذا كان الرسول «ﷺ» بيّن هذا وفسّره فما موقف

العلماء في هذا؟ هل ردّدوا ما قاله الرسول «ﷺ» أو اجتهدوا في ذلك؟ فإن كان الأوّل فكيف نوفق بينه وبين استدلاله «تفسره العلماء» والعلماء بما فيهم الصحابة لم تفسره، وإنّما ردّدت ما قاله الرسول «ﷺ» وإنْ كان الثاني فكيف اجتهد العلماء مع مجيء التفسير من النبي «ﷺ»؟ يضاف إلى ذلك اختلاف الصحابة والتابعين في كثير من المسائل المجملة والمغيّبات.

والذي نراه أنّ الذهبي لم يكن مبتكر هذا الرأي وصاحبه، ولا أوّل من قاله، بل سبقه الطبري إلى ذلك وهو يتحدّث عن «ذكر بعض الإخبار التي غلط في تأويلها منكر والقول في تأويل القرآن» ومنها القول المروي عن عائشة. (الطبري: ١/٢٩) ويدلّ على لذلك:

الف ـ تصريحه بأنّ في القرآن ما استأثر الله بعلمه.

ب ـ وصفه الذين فهموا قول عائشة إنّ النبي «ﷺ» فسّر القليل من آيات القرآن بأنّهم من أهل الغباء.

فعند الجمع بين هذين تكون النتيجة أنّ النبي «ﷺ» فسّر الكثير من القرآن الكريم.

ولم يكتف الطبري بهذا بل جعل كلاًّ من الآية التي أمر الله بها نبيّه بالبيان، وقيام الحجة على أنّ النبي «ﷺ» قد بيّن، وصحة الخبر المنقول عن ابن‌مسعود في كيفيّة تعلّم القرآن (ما ينبيء عن جهل من ظنّ أو توهّم أنّ معنىٰ الخبر الذي ذكرنا عن عائشة عن رسول الله «ﷺ» أنّه لم يكن يفسّر من القرآن شيئاً إلّا آياً تعد هو أنّه لم يكن يبيّن لأمّته من تأويله إلّا اليسير القليل». (الطبري: ١/٣٠)

الرأي الثالث:

وهو رأي من ذهب إلى أنّ النبي «ﷺ» بيّن القرآن كلّه وفسّره، ونسب هذا الرأي إلى ابن تيميّة. (الذهبي: ١/٤٩؛ معرفة: ١/١٧٦) والذي يبدو لي ـ والله أعلم ـ أنّ ما نسب لابن تيميّة لا يوافق ما جاء في كتابه الذي استُند إليه «مقدّمة في أصول التفسير» والدليل علىٰ ذلك:

الف ـ إطلاق عبارته وعدم تقييدها بما يدل على تفسير كلّ القرآن حيث قال: «فصل في أنّ النبي «ﷺ» بيّن لأصحابه معاني القرآن يجب أنْ يُعلم أنّ النبي «ﷺ» بيّن لأصحابه معاني القرآن، كما بيّن لهم ألفاظه، فقوله تعالىٰ ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ يتناول هذا وهذا». (مقدمة في أصول التفسير: ٣٥)

ب ـ يبعد أنْ يخرج ابن تيميّة وهو الملقب بشيخ الاسلام عن مذهب السلف وجمهور أهل السنة في أن تأويل المتشابه مما اختص الله بعلمه، ولم يُطلع أحداً عليه. فإذا ضممنا إلى هذا ما نقله عن ابن جرير الطبري عن ابن عباس في تقسيم التفسير إلى أربعة أقسام منها تفسير لا يعلمه إلّا الله، وقبوله كأحد المسلّمات، لأنّه لم يعلّق عليه من جهة، وذكره وهو يتحدّث عن تحرّج بعض السلف عن تفسير القرآن تبيّن ما يراه ابن تيمية.

وذكر الذهبي أربعة أدلة تمسّك بها القائلون بذلك، ورد الاوّلان منها في رسالة ابن تيميّة:

الف ـ قوله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل: ٤٤) والبيان يتناول معاني القرآن كما يتناول ألفاظه، بعبارة أخرىٰ أنّ التبيين الواجب يشمل بيان الألفاظ للناس وتبليغها إيّاهم ويشمل بيان مقاصده ومعانيه، ولو لم يبيّن معانيه كان مقصّراً بالبيان الذي كلّفه الله به.

وهذه الآية لا تدلّ نصّاً وقطعاً على أنّ وظيفة النبي «ﷺ» بيان القرآن كلّه حتى يكون في حالة عدم بيان القرآن كلّه مقصّراً في وظيفته، بل هو مأمور بالبيان عند السؤال.

ب ـ ما روي عن ابن مسعود في كيفيّة تعلّم القرآن الكريم وحفظه، وأنّ المسلمين كانوا يحفظون القرآن عشر آيات فعشراً ولا يجاوزونها حتّىٰ يتعلمون معانيها وما فيها من العمل.

وهذا لا يدل على المدّعىٰ، لأنّ غاية ما يفيده كيفيّة حفظ القرآن تعلّمه من جهة، وأنّهم ما كانوا يجاوزون ما حفظوه حتّىٰ يفهموا المراد منه، وهذا لا يعني أنّه من النبي «ﷺ» حتماً، فقد يكون كذلك، وقد يكون بالتدبّر في الآيات.

ح ـ إنّ العادة تمنع أنْ يُقرأ كتابٌ ويُتعلّم ما فيه دون تعلّمه واستشراحه، ككتب الطبّ

والحساب وغيرهما، فكيف بالقرآن الكريم، وفيه سعادتهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة.

وفيه أنّه لا يدلّ على أنّ التفسير كان بالرجوع إلى النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» بل قد يكون بالتدبّر فيه.

د ـ ما روي من أنّ آخر ما نزل آية الربا، وقد توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» قبل أن يفسّرها وهذا يدلّ على أنّه كان يفسّر كل ما نزل، وإلّا لما كان لهذا التخصيص وجه.

ويمكن أن يُجاب عن هذا بأنْ هذه الآية مما أشكل معناها على الصحابة وكانت بحاجة إلى تفسير، ولكن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» توفي قبل تفسيرها وبيان المقصود منها.

الرأى الرابع:

وذهب صاحب هذا الرأي إلى «أنّه «صلى الله عليه وآله وسلم» بيّن لأمّته وأصحابه بالخصوص جميع معاني القرآن الكريم، وشرح لهم جلّ مراميه ومقاصده إمّا بياناً بالنصّ أو ببيان تفاصيل أصول الشريعة وفروعها، ولا سيّما إذا ضممنا إليه ما ورد عن الائمّة «عليهم السلام» من عترته في بيان تفاصيل الشريعة ومعاني القرآن». (معرفة: ١/١٧٩)

ويحمل المتن المتقدم مستنده فيه، وهو أنّ تفاصيل أصول الشريعة الواردة عن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» تُعدّ تفسيراً وإن لم تذكر عند تفسير آية ما، يضاف إلى ذلك ما ورد عن عترته الطاهرة «عليهم السلام» وهو كثير جداً.

وقد يستغرب البعض من وجود قلّة التفسير المأثور عن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» بالنص. (المصدر السابق نفسه) وأجاب عن ذلك بوفرة الوسائل لفهم النص حينذاك، يضاف إلى ذلك أنّ جلّ بيان الشريعة يُعدّ تفسيراً لمبهمات القرآن وتفصيلاً لما أُجمل فيه.

ويمكن تلقّي هذا الرأي بالقبول إذا أخذنا بنظر الاعتبار أنّ المعصوم «عليه السلام» قرآن ناطق، فيكون كلامه كلّه تفسيراً، كما أنّ حديث العترة هو حديث جدّهم، ولا فرق في ذلك بينه وبين الحديث الوارد عن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» من حيث الحجيّة كما هو معتقد الشيعة. ولكن محل النزاع هنا ما ورد بالنص لتفسير آية ابتداءً أو جواباً لسؤال سائل.

الرأي الخامس:

وهو الرأى الذاهب إلىٰ أنّ النبي «ﷺ» على مستويين أو نمطين، الأوّل لعامة المسلمين والثاني للخاصة. (الحكيم: ٦٩)

ويقوم هذا الرأي على أساس وجود تناقض بين رأيين في حدود التفسير الذي مارسه رسول الله «ﷺ». الرأي الأول يذهب إلىٰ أنّ الرسول «ﷺ» لم يفسّر إلّا آياً قلائل والدليل على ذلك: ما ورد عن عائشة. ولندرة ما صح عن صحابة النبي «ﷺ» من التفسير المنسوب إليه، يضاف إلى ذلك أنّ الكثرة الكاثرة منهم تحيّروا في معنىٰ آية، أو كلمة من القرآن الكريم، وغاب عنهم حتّىٰ المدلول اللفظي للنص القرآني.

ويقابله الرأي الثاني الذي يذهب إلىٰ أنّ الرسول «ﷺ» كان يقوم بعملية تفسير شامل للقرآن الكريم. بدليل قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (البقره: ١٥١)، وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٤٤). ثمّ أنّ طبيعة الأشياء تدلّ على أنّ النبي «ﷺ» فسّر القرآن تفسيراً شاملاً كاملاً لعدم كفاية الفهم الإجمالي للقرآن لتفهّم النص فهماً شاملاً دقيقاً من جهة، ولأنّ القرآن الكريم ما كان في حياة المسلمين مجرد كتاب يُتلىٰ في عباداتهم، وإنما كان الوسيلة لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وبناء الشخصيّة الكاملة، ولا يمكن ذلك إلّا بشرحه شرحاً كاملاً شاملاً يصل به المسلمون إلى روحه، ويندمجون في أهدافه ومفاهيمه، وفي غير هذه الصورة تتحكم في تفسيره الرواسب والمسبقات الذهنيّة التي كانت تتحكم في كثير من الأذهان حينذاك.

والحلّ المنطقي للخروج من هذا التناقض القول بأنّ النبي «ﷺ» فسّر القرآن على مستويين: المستوى الاوّل عام في حدود الحاجة، ومتطلبات الموقف، ولهذا لم يستوعب القرآن كلّه. والمستوىٰ الثاني خاص شامل بهدف ايجاد من يحمل تراث القرآن حملاً يتيح له أنْ يكون مرجعاً للأمّة في التفسير كما يكون مرجعاً في الفقه وغيره. وهذا التفسير على المستوىٰ الخاص يتفق ومسؤولية النبي «ﷺ» في ضمان فهم الأمّة

للقرآن، وصيانة المجتمع الاسلامي من الانحراف.

والذي نراه أنّ هذا الرأي أقرب إلى المنطق وألصق بالواقع الاسلامي من غيره، لأنّ لأميرالمؤمنين «عليه السلام» موقعاً خاصّاً في الفكر الإسلامي لم يبلغه أحد غيره من صحابة رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم». ويمكن الاستدلال على مكانة الإمام علي «عليه السلام» العلميّة بما يأتي:

الف ـ لم يحفظ التاريخ أنّ عليّاً «عليه السلام» وقف عاجزاً أمام سؤال في تفسير القرآن كما نقل غيره.

ب ـ اعتراف ابن‌عبّاس وغيره بالدور الريادي للإمام علي «عليه السلام» في التفسير، وأن نسبة علمه بالقرآن إلى علم علي «عليه السلام» كالغدير إلى البحر. (ابن أبي‌الحديد: ١/١٩)

ج ـ قوله في خطبته الشقشقيّة: «ينحدر عنّي السيل ولا يرقىٰ إليّ الطير». (نهج البلاغه، الخطبة الشقشقيّة)

د ـ قوله: «فما نزلت على رسول الله آية من القرآن إلّا أقرأنيها، وأملاها عليّ، فكتبتها بخطي، وعلّمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها وخاصّها وعامّها». (الكليني، كتاب فضل العلم، باب اختلاف الحديث)

هـ ـ قوله في قسم آخر من كلامه: «كُنتُ أوّل داخل على النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» وآخر خارج من عنده، وكنت إذا سألتُ أُعطيت، وإذا سكتُّ أُبتديت، وكنت أدخل على رسول الله في كلّ يوم دخلة، وفي كل ليلة دخلة وربّما كان ذلك في بيتي، يأتيني رسول الله أكثر ذلك في منزلي. فإذا دخلت عليه في بعض منازله أخلىٰ بي وأقان نساءه، فلم يبق عنده غيري، وإذا أتاني لم يُقم فاطمة ولا أحداً من ولدي، وإذا سألته أجابني، وإذا سكتُّ ونفدت مسائلي ابتدأني». (المصدر السابق نفسه؛ الاسكافي: ٣٠٠)

وقد حوت المصادر نماذج أخرىٰ تدلّ على دور الامام علي «عليه السلام» في فهم القرآن الكريم، ولم نذكرها اكتفاء بما تقدّم.

وما ذكرناه يدلّ على تقدّم أميرالمؤمنين «عليه السلام» ودوره الريادي في تفسير القرآن الكريم من جهة، وعلى أنّ ثمة عناية خاصة من قبل رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» بعلي «عليه السلام»

تؤكد ما قلناه في أنّه «صلى الله عليه وآله وسلم» كان يعدّه ليكون مرجعاً للأمّة في تفسير القرآن والوصول إلى أهدافه ومقاصده. ويدلّ النص الأخير بوضوح أنّ هذا الدور المنشود لم يكن منحصراً بعلي «عليه السلام» بل كان النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» يعد أهل البيت لذلك أيضاً، فلم يكن يخرجهم إذا دخل علىٰ عليّ «عليه السلام» كما كان يفعل بنسائه عند دخول علي «عليه السلام» عليه.

فالنبي «صلى الله عليه وآله وسلم» فسّر القرآن الكريم على مستويين: للعامة وللخاصّة وجعل الثاني كاملاً شاملاً لتحمّل أعباء بيان القرآن وتفسيره بشكل صحيح بعد الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم».

حجم التفسير المأثور عن الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم»

اختلف العلماء في حجم التفسير المأثور عنه «صلى الله عليه وآله وسلم» وكميّته، فذهب بعضهم إلى قلّة الوارد منه. وقد ذكر السيوطي في كتابه الاتقان ما أمكنه جمعه مما صُرّح بنسبته إلى الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» فكان ما يقارب المائتين وخمسين مورداً عدا الأباطيل والموضوعات حسب قوله. وما جمعه يشمل الصحيح والحسن والضعيف والمرسل والمعضل كما قال. (الاتقان: ٤/٢٩٨) وهذا المقدار ضئيل بالجملة. فهناك موارد لم يذكرها السيوطي وقد ذكرها آخرون. فالحاكم الحسكاني ذكر في كتابه شواهد التنزيل موارد كثيرة من التفسير المصرّح برفعه إلى الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم»، ولو رحنا نتتبّع بقية الكتب لوجدنا موارد أُخرىٰ لم يذكرها السيوطي. ولو ضممنا إلى هذا ما ورد عن طريق أهل البيت «عليهم السلام» لكان العدد يفوق ما جاء في الاتقان كثيراً.

ويعلّل الاستاذ معرفة قلة التفسير الوارد بالنص عن الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» بـ:

الف ـ وفرة الوسائل لفهم معاني القرآن في عصر الرسالة.

ب ـ أنّ جلّ بيانات الشريعة كانت تفسيراً لما أُبهم من القرآن وتفصيلاً لما أُجمل فيه. (التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ١/١٧٩)

ومن يراجع كتب التفسير يلاحظ أنّ التفسير المنسوب للرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» ورد بأشكال مختلفة:

الف ـ قسم منه يمثّل السيرة العمليّة للرسول «صلى الله عليه وآله وسلم». وبما أنّ سنّة النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»

مفسّرة لنص الوحي ذكرت عند تفسير الآية. ومثاله ما رواه محمّد بن يعقوب عن علي بن ابراهيم القمي عن أبيه عن حماد عن حريز عمّن أخبره عن أبي‌عبدالله «عليه السلام» قال: مرّ رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» على كعب بن عجرة والقمل يتناثر من رأسه وهو محرم، فقال له: أتؤذيك هوامك؟ فقال: نعم. فأنزلت هذه الآية: ﴿فَمَن كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ (البقرة: ١٩٦)، فأمره رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» أنْ يحلق وجعل الصيام ثلاثة أيّام والصدقة على ستة مساكين لكلّ مسكين مدّان والنسك شاة. قال أبوعبدالله «عليه السلام»: وكلّ شيء في القرآن أو فصاحبه بالخيار ويختار ما شاء، وكلّ شيء في القرآن فمن لم يجد كذا فالإولى الخيار. (البحراني: ١/١٩٤)

ب ـ قسم منه يمثّل موارد أخلاقيّة وتربوية واجتماعية ذكرها النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» للناس واستشهد بآية أو آيات، فذكرها المفسرون عند تفسير آية. ومثاله ما ذكر عند تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلّهِ وإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة: ١٥٦). فقد روي عن اسماعيل بن زياد السكوني عن جعفر بن محمّد عن آبائه «عليهم السلام» قال، قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: أربع من كنّ فيه كتبه الله من أهل الجنّة: من كانت عصمته شهادة أنْ لا إله إلّا الله، ومن إذا أنعم الله عليه النعمة قال: الحمد لله، ومن إذا أصاب ذنباً قال: استغفر الله، ومن إذا أصابته مصيبة قال: إنّا لله وإنا إليه راجعون. (العياشي: ١/٦٩) ومثله ما رواه معاوية بن عمار الدهني، قال: سمعت أباعبدالله «عليه السلام» يقول، قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: من أراد أن يظلّه الله في ظلّ عرشه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه فلينظر معسراً وليدع له من حقّه. (المصدر السابق: ١/١٥٣)

ج ـ قسم يدلّ نصّاً على أنّ رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» فسّر الآية. وهو قليل في الواقع.

المحور الثاني: بيان الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» للقرآن

ذكرنا فيما تقدّم أنّ القرآن الكريم أُجمل في أكثر موارده، وأنّه بحاجة إلى تفسير الكثير من عباراته، وبيان أهدافه ومقاصدها رغم الفهم الإجمالي الذي كان المسلمون يتمتعون به. فكانت أقواله المنبع الأوّل للتفسير، كما أنّ سيرته العطرة وحياته الاجتماعية كانتا

تمثّلان النموذج الكامل والمصداق المتميّز للقرآن الكريم وأهدافه، وقوله «صلّوا كما رأيتموني أُصلّي»، وقوله: «خذوا عنّي مناسككم» يؤيّدان ما ذكرناه. فكانت السنّة مفسّرة للقرآن الكريم، ومبيّنة لمقاصده. ولا أدلّ على ذلك من الصلاة، فلم ترد في القرآن كيفيّة الصلاة، ولا أنواعها باستثناء صلاة الخوف، وعدم الجهر بها وأوقات الصلاة بشكل مجمل. وما بقي ورد في السنة الشريفة وقد أشار الإمام الصادق «عليه السلام» إلى ذلك حيث قال: «إنّ الله أنزل على رسوله الصلاة ولم يسمّ لهم ثلاثاً ولا أربعاً، حتّىٰ كان رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» هو الذي فسّر ذلك لهم وأنزل الحجّ فلم ينزل طوفوا اسبوعاً، حتىٰ فسّر ذلك لهم رسول الله». (العياشي: ١/٢٤٩)

أشكال بيان النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» القرآن للمسلمين:

يمكن تصور تفسير الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» القرآن للمسلمين بالاشكال التالية:

الف ـ الجواب عمّا كان يثور في أذهان بعض المسلمين من إشكال، وإزالة ما علّق في تصوّرات بعض الصحابة من تساؤلات لا يمكنهم حلّها كالسؤال الذي سأله أحد الأعراب عن السدر، فقد أشكل عليه أنْ يكون في الجنّة شيئاً يؤذي، فوضح له النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» ذلك. (الحاكم النيسابوري: ٢/٤٧٦)

وجاء به في رواية: «قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٧) فقام رجل من هُذيل فقال: يا رسول الله، من تَركه فقد كفر؟ قال: مَنْ تركه لا يخاف عقوبة ولا يرجو ثوابه». (السيوطي: ٤/٢٥٠)

فهذان يدلّان على أنّ ثمّة إشكالاً حصل في ذهن بعض الصحابة فسأل رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» عن ذلك، فبيّنه له بما أزال إشكاله.

ب ـ الجواب على ما كان يثور في أذهان المسلمين من معاني بعض مفردات النص أو عبارات قرآنيّة. فقد جاء عن عدي بن حاتم «سألت النبيّ «صلى الله عليه وآله وسلم» عن قول الله جلّ وعزّ غير المغضوب عليهم، قال اليهود». (الطبري: ١/٦١)

ونقل عن أبي سلمة بن عبدالرحمن أنّه قال: «جاء رجل إلى النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» يسأله

عن الكلالة، فقال: أما سمعت الآية التي أنزلت في الصيف: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾ (النساء: ١٧٦) فمن لا يترك ولداً ولا والد فورثته كلالة». (السيوطي: ٢٥٢/٤)

ج ـ تصحيح الاستنباط الخاطىء الذي مارسه بعض الصحابة، وفهمه من النص القرآني. فبعض الروايات يدلّ على أنّ الصحابة رغم اطلاعهم على مفردات اللغة لم يستوعب معنى النص، فاشتبه الأمر عليه، فلما ذكر ذلك للنبي «صلى الله عليه وآله وسلم» أزال خطأه فقد نُقل عن عدي بن حاتم قال: «أتيت رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» فعلّمني الاسلام ونعت لي الصلوات كيف أصلّي كلّ صلاة لوقتها، ثمّ قال إذا جاء رمضان فكل واشرب حتّىٰ يتبيّن لك الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثمّ أتمّ الصيام إلى الليل ولم أدر ما هو، ففتلت خيطين من ابيض واسود فنظرت فيهما عند الفجر فرأيتهما سواء فأتيت رسول الله «صلّى الله عليه وآله» فقلت يا رسول الله كلّ شيء أوصيتني قد حفظت غير الخيط الابيض من الخيط الاسود، قال: وما منعك يا بن حاتم وتبسّم كأنّه قد علم ما فعلت. قلت فتلت خيطين من أبيض وأسود فنظرت فيهما من الليل فوجدتهما سواء فضحك رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» حتىٰ رؤى نواجذه، ثم قال: ألم أقل لك من الفجر، إنّما هو ضوء النهار وظلمة الليل. (الطبري: ١٠٠/٢)

والمثال الآخر ما رواه زرارة عن أبي جعفر «عليه السلام» قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» ذات يوم لعمّار في سفر له: يا عمار، بلغنا أنّك أجنبت، فكيف صنعت؟ قال: تمرّغت يا رسول الله في التراب، قال، فقال له: كذلك يتمرّغ الحمار، أفلا صنعت كذا؟ ثمّ أهوىٰ بيده إلى الأرض فوضعهما على الصعيد ثمّ مسح جبينيه بأصابعه وكفيه إحداهما بالأخرىٰ ثمّ لم يعد ذلك. (الصدوق: ١٠٤/١)

وروى عن علي بن ابراهيم عن محمّد بن عيسىٰ عن يونس عن أبي أيوب الخزاز عن أبي عبدالله «عليه السلام» قال: سألته عن التيمّم، فقال: إنّ عمار بن ياسر أصابته جنابة فتمعّك كما تتمعّك الدابة، فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: يا عمّار تمعّكت كما تتمعّك الدابة. (الكليني، كتاب الطهارة، باب صفة التيمم، ح ٤)

د ـ وفي كثير من الموارد تدلّ الرواية المنقولة عن الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» على أنّها لم تكن جواباً لسؤال، بل كان تفسيره «صلى الله عليه وآله وسلم» ابتداءً دون سبق سؤال. ففي قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ (الرعد: ١٣) جاء أخبرنا أبويحيىٰ الحيكاني، قال: أخبرنا أبوالطيب محمّد بن الحسن بالكوفة، قال: حدثنا علي بن العباس بن الوليد، قال: حدثنا جعفر بن محمّد بن الحسن، قال: حدّثنا حسن بن حسين، قال: حدّثنا معاذ بن مسلم الفراء، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لمّا نزلت ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ أشار رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» بيده إلى صدره فقال: أنا المنذر، ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ ثمّ أشار بيده إلى عليّ فقال: يا عليّ بك يهتدي المهتدون بعدي. (الحاكم الحسكاني: ١/٣٨٣).

وجاء في رواية أخرىٰ: حدّثني أبوالحسن الفارسي ... عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن آبائه: عن عليّ قال: قال رسول الله: يا عليّ فيكم نزلت هذه الآية: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنىٰ أُولٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ (الانبياء: ٢١) (المصدر السابق: ١/٥٠٠)

أوجه بيان السنة للقرآن:

تناول بعض المحقّقين التفسير الوارد عن الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» بالدراسة والتحليل لمعرفة أنواع تفسير السنة للقرآن ومحاورها، بعبارة أخرىٰ: هل اختصت السنّة المفسِّرة بتبيين المعنىٰ اللغوي للنصّ القرآني أو شملت موارد أخرىٰ غيره.

وقد ذكر الذهبي خمسة أوجه هي: الف ـ بيان المجمل في القرآن، وتوضيح المشكل، وتخصيص العام، وتقييد المطلق. ب ـ بيان معنىٰ اللفظ أو متعلّقه. ج ـ بيان أحكام زائدة على ما جاء في القرآن الكريم. د ـ بيان النسخ. هـ ـ بيان التأكيد. (التفسير والمفسّرون: ١/٥٥ ـ ٥٧)

أمّا محمّدهادي معرفة فإنّه ذكر أوجهاً تشترك مع ما سبق في أكثر الموارد وإن اختلفت العبارة: الف ـ ما ورد في القرآن بصورة تشريعات كليّة، لا تفصيل فيها ولا تبيين عن

شرائطها وأحكامها. ب ـ عمومات ذات تخصيص جاء العام في القرآن، وكانت موارد تخصيصه في السنة، وهكذا مطلقات ذوات تقييدات. ج ـ ما إذا ورد عنوان خاص في القرآن وكان متعلّقاً لتكليف أو قيداً في عبادة مثلاً... د ـ موضوعات تكليفيّة تعرض لها القرآن من غير استيعاب ولا شمول... اما الاستقصاء والشمول فالسنة موردها. هـ ـ بيان الناسخ من المنسوخ.

والملاحظ على هذا التقسيم أنّ الأمثلة التي ذكرت لذلك لم يصرّح فيها بنسبة المفسِّر للرسول «صلى الله عليه وآله وسلم»، كما أنّ التفسير في بعضها منسوب للعترة «عليها السلام»، والبحث في موضوع «التفسير في عهد الرسالة».

والشيعة وإن اعتقدوا أنّ كلام الائمة الاثني عشر «عليهم السلام» كلام رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» لكنّ محل النزاع التفسير الوارد عنه «صلى الله عليه وآله وسلم» وليس الوارد عن غيره. ولو كان البحث في تفسير القرآن بمطلق السنة لاستقام ما قاله الاستاذ معرفة.

أمّا الأمثلة التي سبقت علىٰ هذه الأوجه فهي:

١ ـ بيان المجمل، وتوضيح المشكل، وتخصيص العام، وتقييد المطلق. فهذه أربعة موارد تحت عنوان واحد. والموردان الاول والثاني من تقسيم الاستاذ معرفة يوافقان ما جاء عند الذهبي، باستثناء توضيح المشكل، فإن الاستاذ معرفة لم يذكره البتة.

بيان المجمل: أمثلة كثيرة، وأشهرها بيان النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» لمواقيت الصلوات الخمس وعدد ركعاتها، وكيفيّتها وشروطها، وما يرتبط بذلك، كلّه تفسير قوله تعالى: ﴿أَقِيمُوا الصَّلاة﴾ (البقرة: ٤٣) وهكذا الأمر بالنسبة للزكاة وغيرها.

توضيح المشكل: فقد ذكر فيه تفسير النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» الخيط الابيض من الخيط الاسود في قوله: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ (البقرة: ١٧٨) بأنّ المراد منه بياض النهار وسواد الليل، لا كما فهمه عدي بن حاتم، ويمكن أنْ يضاف إليه ما فعله عمّار بن ياسر في التيمّم بدلاً من الغسل كما تقدّم.

تخصيص العام: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ (الانعام:

٨٢) فقد فهم منه بعض الصحابة مطلق الظلم، فبيّن النبي «ﷺ» أنّه خصوص الشرك وليس مطلق الظلم، لأنّ من يشرك فقد ظلم نفسه.

تقييد المطلق: قوله تعالى في آية السرقة: ﴿ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ (المائدة: ٣٨) قيّدته سنّة النبي «ﷺ» باليد اليمنىٰ لا مطلق اليد.

٢ ـ بيان معنىٰ اللفظ أو متعلّقه: ولم يذكره الاستاذ معرفة في بحثه.

بيان معنىٰ اللفظ: ومثاله تفسير النبي «ﷺ» قوله تعالىٰ: ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينْ ﴾ (الفاتحة: ٧) باليهود والنصارىٰ.

والذي نراه أنّ «بيان معنىٰ اللفظ» يشمل كثيراً من الأمور، فإن ما فسّره النبي «ﷺ» يمكن درجه تحت عنوان بيان المراد من اللفظ، ولو جعله من تخصيص العام لكان أوجه. لأنّ المغضوب عليهم كثيرون، ولكنّ المراد هنا خصوص اليهود منهم وكذلك الضالّين. والمثال الذي تطمئنّ النفس إليه ما جاء في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءَ ﴾. (النساء: ٦٩) فقد روىٰ حذيفة بن اليمان (قال: دخلت على النبي «ﷺ» ذات يوم وقد نزلت عليه هذه الآية ﴿ فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ فأقرأنيها «ﷺ» فقلت: يا نبي الله فداك أبي وأمّي من هؤلاء إنّي أجد الله بهم حفيّا! قال: يا حذيفة أنا من النبيّين الذين أنعم الله عليهم، أنا أوّلهم في النبوة وآخرهم في البعث، ومن الصدّيقين عليّ بن أبي‌طالب ولمّا بعثني الله عزّوجل برسالته كان أوّل من صدّق بي، ثمّ من الشهداء حمزة وجعفر، ومن الصالحين الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، وحسن أولئك رفيقاً المهدي في زمانه. (الحسكاني: ١/١٩٩)

بيان متعلّق اللفظ: قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾ (البقرة: ٢٥) فقد ورد أنّها مطهرة من الحيض والبزاق والنخامة. فالتفسير يشمل متعلّق الطهارة.

٣ ـ بيان أحكام زائدة على ما جاء في القرآن الكريم: ويشترك هذا مع ما جاء في كلام

الاستاذ معرفة. ومثاله محرّمات النكاح، فإنّ الآية التي تعرضت لبيان المحرمات لم تشمل حرمة نكاح المرأة على عمتها وخالتها. وقد بيّنت السنة الشريفة ذلك.

٤ ـ بيان النسخ: وذكر فيه الذهبي: «كأن يبيّن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» أنّ آية كذا نسخت آية كذا، أو أنّ حكم كذا نسخ بكذا ويبدو أن في العبارة تسامحاً، لأنّ المثالين اللذين ساقهما لم يصرّح النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» فيهما بأنّ آية كذا نسخت آية كذا، بل مفاد كلامه «صلى الله عليه وآله وسلم» يدلّ على أنّ الآية منسوخة به. ولو كانت العبارة: حديثه «صلى الله عليه وآله وسلم» ناسخ لحكم الآية ومبيّن لنسخها لكان أحسن. ثمّ أنّ مثال نسخ الوصية للوارث بقوله: «لا وصيّة لوراث» لا ينطبق على العنوان، لأنّ «لا وصيّة لوارث» بعد ثبوت صحته خبر آحاد، وخبر الآحاد لا يثبت به النسخ، كما أنّه مخصّص لعموم الآية وليست ناسخاً لها.

أمّا المثال الثاني: «البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام»، فليس ناسخاً لآية حبس الزواني بل الناسخ قوله تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُمَا مَائَةَ جَلْدَة ﴾ (النور: ٢) كما هو مفصّل في موضعه. أمّا أمثلة النسخ عند الاستاذ معرفة فهي روايات عن الائمّة «عليهم السلام».

٥ ـ بيان التأكيد: كأنْ تكون السنة مؤكّدة للحكم الذي جاء في القرآن الكريم ومقوية له. فقول النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»: «لا يحلّ مال امرىء مسلم إلّا بطيب نفس منه». يوافق قوله تعالىٰ: ﴿ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ (النساء: ٢٩)

وهناك موارد أخرىٰ يمكن إضافتها لما تقدّم منها:

١ ـ بيان المصداق: روي عن علي «عليه السلام» عن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»: «أنّه تلا هذه الآية: ﴿ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيها خَالِدُونَ ﴾ قيل يا رسول الله من أصحاب النار؟ قال: من قاتل علياً بعدي فأولئك أصحاب النار مع الكفار فقد كفروا بالحق لمّا جاءهم ألا وإنَّ علياً بضعة منّي فمن حاربه فقد حاربني واسخط ربّي ثمّ دعا عليّاً فقال يا عليّ حربك حربي وسلمك سلمي وأنت العلم فيما بيني وبين أمّتي». (البحراني: ١/ ١٢٠)

٢ ـ بيان الجانب التاريخي: وفي هذا يبدو ما روي عن الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» يتناول

التاريخ في حال لا تشير الآية إليه أبداً. ففي قوله تعالى ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ... وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِين ﴾ (البقرة: ٣٥ ـ ٣٦) روي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» قال: انّما كان لبث آدم وحوّا في الجنّة حتّىٰ أُخرجا منها سبع ساعات من أيّام الدنيا حتّىٰ أهبطهما الله من يَومهما. (البحراني: ١/ ٨٢)

٣ ـ يُلاحظ في بعض الموارد أنّ ما روي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» ليس تفسيراً لآية، وإنّما هو جواب عن سؤال ما، فأجاب «صلى الله عليه وآله وسلم» بجواب ثمّ تلا آية. كما روي عن الحسن السبط «عليه السلام» عن جدّه «صلى الله عليه وآله وسلم» في مسائل سئل[1] عنها اليهود منها ما قال اليهودي: يا محمّد فأخبرني لأي شيء فرض الله الصومَ على أمّتك بالنهار ثلاثين يوماً وفرض على الامم أكثر من ذلك. قال النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»: انّ آدم لما أكل من الشجرة بقي في بطنه ثلاثين يوماً ففرض الله على ذريّته الجوع والعطش ثلاثين يوماً والذي يأكلونه تفضّل من الله عزّوجل عليهم وكذلك كان على آدم ففرض الله عزّوجل على أمتي ذلك، ثمّ تلا رسول الله هذه الآية: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُم تَتَّقُون أَيَّاماً مَعْدِودَات ﴾ (البحراني: ١/ ١٨٠) فرسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» لم يرد تفسير هذه الآية، ولكنّ جوابه جاء مرتبطاً بها، ومبيّناً جانباً منها.

ولا تنحصر أوجه بيان السنّة للقرآن فيما ذكرناه، فهناك موارد أخرىٰ من تفسير النبيّ «صلى الله عليه وآله وسلم» لا يمكن عدّها ضمن أحد الموارد السابقة إلّا بمشقّة لا حاجة إليها. ومن يراجع النماذج التي ذكرها الاستاذ معرفة في خاتمة بحثه ـ وهي قليلة ـ تؤيّد ما ذكرناه. فالأولىٰ إعادة النظر في ذلك لاستخلاص أوجه بيان السنة للقرآن بنحو يمكن معه بسهولة تقسيم موارد التفسير عن أساسها.

١. كذا في الأصل ويبدو أنّ الصحيح «سأل».

نتائج البحث :

تبيّن من البحث المتقدّم :

١ ـ أنّ المرأى الذي تؤيّده الشواهد المنطقيّة أنّ الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» فسّر القرآن الكريم على مستويين للعامة والخاصّة ، والثاني منهما كان شاملاً القرآن كلّه .

٢ ـ أنّ الفهم السائد للقرآن في عصر الرسالة كان ساذجاً وإجماليّاً .

٣ ـ قلّة التفسير الوارد عن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» نصّاً .

٤ ـ أنّ كثيراً من الروايات التفسيريّه عن الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» ذكرها المفسرون عند تفسير الآية ، وهي ليست تفسيراً بالنص .

المصادر:

- ابن أبي الحديد، عزّ الدين بن عبدالحميد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمّد أبوالفضل ابراهيم، ط ٢ دار احياء التراث العربي، بيروت ١٣٨٥ ق - ١٩٦٥ م.
- ابن تيمية، احمد بن عبدالحليم، مقدمة في أصول التفسير، الترقّي، دمشق، ١٩٣٩م.
- ابن عطية، عبدالحق الغرناطي، المحرّر الوجيز، تحقيق أحمد صادق الملاح، القاهرة، ١٣٩٤ ق.
- ابوحيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق صدقي محمد جميل، دارالفكر، بيروت ١٤١٢ ق.
- أبونُعيم، أحمد بن عبدالله الاصفهاني، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، ط ١ نشر السعادة، مصر، ١٣٥١ ق - ١٩٣٢ م.
- الاسكافي، محمد بن عبدالله، المعيار والموازنة، تحقيق محمدباقر المحمودي، ط ١، ١٤٠٢ ق - ١٩٨١ م.
- البحراني، سيّد هاشم، البرهان في تفسير القرآن، تصحيح محمود بن جعفر الموسوي، اسماعيليان، قم.
- البخاري، محمّد بن اسماعيل، الجامع الصحيح، دارالفكر، بيروت، ١٤٠١ ق - ١٩٨١م.
- الحاكم الحسكاني، محمّد بن محمّد، المستدرك على الصحيحين، يوسف المرعشي، دار المونة، بيروت ١٤٠٦ ق.
- الحاكم النيسابوري، عبيدالله بن عبدالله، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، تحقيق محمّدباقر المحمودي، مؤسسة الطبع والنشر، ١٤١١ ق - ١٩٩٠ م، طهران.
- الحكيم، سيّد محمّدباقر، علوم القرآن، المجمع العلمي الاسلامي، طهران ١٤٠٣ ق.
- الذهبي، محمّدحسين، التفسير والمفسرون، ط ٢، دار الكتب الحديثة، القاهرة،

١٣٩٦ ق ـ ١٩٧٦ م.
ـ السيوطي، جلال الدين بن عبدالرحمن، الاتقان في علوم القرآن، ط ٢، منشورات الرحمن، قم، ١٣٦٣ ش.
ـ الشريف الرضي، محمد بن الحسين الموسوي، نهج البلاغة، تحقيق محمّد محيى الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٩ ق.
ـ العياشي، محمد بن مسعود السمرقندي، كتاب التفسير، تحقيق السيّد هاشم الموسوي المحلاتي، المكتبة العلميّة الإسلاميّة، تهران.
ـ القرطبي، محمد بن احمد الانصاري، الجامع لاحكام القرآن، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٥ ق.
ـ الكليني، محمّد بن يعقوب، الاصول من الكافي، تصحيح على اكبر غفاري ط ٣ دار الكتب الاسلامية تهران ١٣٨٨ ق.
ـ معرفة، محمّدهادي، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ط ١، منشورات الجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية، مشهد، ١٤١٨ ق.

النبيُّ الأكرمُ في الشعر العربي المعاصر

بقلم : الدكتور محمّد صالح شريف عسكري

تمهيد

حظيت شخصيّة النبيّ الأكرم ﷺ باهتمام بالغ، وعناية فائقة عند الشعراء، منذ بزوغ فجر الإسلام[1]. واستمرّت هذه العناية على مرّ العصور، في توهج عاطفي، وفيض وجداني صادقين يعكسان مدى حُبِّ المسلمين للنبيِّ الأكرم ﷺ.

وغَدا المديحُ النبويُّ غَرضاً لا يكاد يخلو منه شعر شاعر؛ لأنّه صار لوناً من التعبير عن العواطف الإيمانيّة، وباباً مِن الأدب الرفيع، يَصْدرُ عن قلوبٍ مُفْعَمة بالصدق والإخلاص.

وقد توالت أشعار المسلمين في النبيّ الأكرم ﷺ، في شتّى العصور، من العصر الإسلامي الأوّل، الأموي، والعبّاسي، والدويلات... حتّى العصر الحديث. وأصبحنا نجد في العصور التالية خاصّة، نزعة عارمة عند الشعراء للتغنّي بشخصيّة النبيّ ﷺ، والتعريف بسجاياه وفضائله الحميدة، باعتباره المثل الأعلى، والإنسان الكامل، وأفضل الخلق، ورسول الله تعالى، الذي بعثه رحمةً للعالمين، ومنقذاً وهادياً للإنسانيّة جمعاء.

و في أسطر المقال الآتي إطلالة متواضعة عَلَى هذا اللون الشعري العبق بالمديح النبوى.

بين الريادة و الإزدهار

و لا شك انَّ رائد هذا الميدان ـ كما يحدّثنا التاريخ ـ أبو طالب عليه السلام عَمَّ النبيّ ﷺ[2]

فله أوّل قصيدة استحضرت شخصية النبيّ ﷺ وأشادت بفضائلها، يوم كان المسلمون يخوضون قبل الهجرة المباركة، معركة الكلمة الفاصلة، والقول السديد، ويوم كان الشعر يمثّل السلاح القولي الذي شهره المسلمون بوجه الكفّار والمشركين، دفاعاً عن الإسلام ونبيّهم المصطفى ﷺ. ونجد في ديوان أبي طالب عليه السلام شعر كثير في الدفاع عن الإسلام والنبيّ ﷺ، والراية الأُولى التي رفعت في هذا الميدان، من شعره لاميته المشهورة التي يقول فيها:

وأبيضُ يُستَسقى الغمام بوجهه ... ربيع اليتامىٰ عصمة للأرامل
يلوذ به الهُلّاكُ مِنْ آلِ هَاشمٍ ... فَهمْ عِندَهُ في نِعْمةٍ وفَواضلِ[٣]

ومن شعره داليته التي يقول فيها:

ألا إنّ خَير الناسِ نَفْساً وَوالِداً ... إذا عُدَّ سَاداتُ البريَّة أَحمدُ
نَبِيُّ الاله والكريمُ بأَصْلِهِ ... وأَخلاقهِ وهو الرشيدُ المؤَيَّدُ
حَزِيمٌ علَى جُلِّ الأُمورِ كأَنَّهُ ... شِهابٌ بكفَّيْ قابسٍ يتوقَّدُ[٤]

وشهدت الفترة التي تلت أواخر القرن الرابع الهجري ازدهار فنّ المدائح النبويّة، (وأصبح أحد الأغراض الشعريّة المعروفة... لأسباب عديدة منها: اضطراب الحياة السياسيَّة في معظم الأحيان بسبب النزاع بين السلاطين والأُمراء. وسوء الحياة الاجتماعيَّة في مختلف مظاهرها، وتدهور الأوضاع الاقتصاديّة... وجثوم الخطر على البلاد من قِبَلِ الأعداء الطامعين في الشرق والغرب، إذ إنّ هذا العصر كان عصر الحروب الصليبيَّة والتتريَّة، وهي حروب دينيّة مريرة، وقد وقف الشعراء يدافعون عن الإسلام ومقدّساته أمام الديانات الأُخرى... هذه العوامل جعلت الناس يتشفّعون بالرسول الكريم؛ ليدفعوا عن أنفسهم ما يحلّ بهم)[٥].

ولم يكن تَغَنّي الشعر والشعراء بفضائل النبيّ الكريم ﷺ وصفاته الحميدة، وتَباريهم في ذلك بِدَعاً من القول والعمل، بَعْدَ أَنْ سَبَقَهُمُ القرآنُ الكريمُ إلى ذلك. وهو كتاب الله العزيز، ووحيه المنزل، وبعد الثناء عليه بقوله تعالى ـ عَزَّ مِنْ قائل ـ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ

حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

جاء في تفسير جامع الجوامع للطبرسي في ذيل الآيتين المباركتَيْن[٦]:

اسْتَعْظَم ـ سبحانه ـ خُلُقَه لِقَرْطِ احتمالِه المُمِضَّاتِ... وحُسنِ مُخَالَقَتِهِ (٤: ٣٣٥).

والقول لا زال للطبرسي: «لو كُنْتَ فَظاً: أيْ جَافياً سَيِّئَ الخلقِ، غَلِيظَ القلبِ قاسيَه ﴿ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾: لَتَفَرَّقُوا عنكَ، لا يبقى حَوْلَك أحدٌ منهم (١: ٢١٦).

النبيّ الأكرم ﷺ في النثر العربي:

ولم يكن الشعراء وحدهم الذين أَدْلوا بدلوهم في هذا الميدان، فأَشادوا وشادوا روائع الكلم، في النبيّ ﷺ، ونهلوا ما نهلوا من وَحي خُلُقِه الكريم وفضائله السامية ما وسعهم. فالكُتّابُ والضَّالعون في الكلام المنثور وفنونه استلهموا أيضاً مِن هذا المعين الثرِّ ما وَسِعَهم؛ تَأَثُّراً بتكريم القرآن الكريم للرسول ﷺ، فتحدّثوا بشيءٍ من التفصيل في فضائله الحميدة، وبسطوا الكلام في سيرته العطرة، وما تخللها من أحداث وحديث، وما رافقها من مواقف كانت ولا زالت قدوة للمسلمين، في كلّ حادث وحديث.

كما لم تكن المساحة التي شغلها النثر العربي، في مضمار الحديث حول القيم والمعطيات التي تشع عن الشخصيّة النبويّة الكريمة بأقلّ ممّا شغله الشعر وفنونه، بما صنَّفهُ الكُتّاب، وما انتجته قرائح الأُدباء من أعمال قصصية ومسرحية، ومقالات متنوعة[٧].

و بما أنّنا آثرنا الوقوف عند الشعر المعاصر خشية الاطالة نعود إلى جهود الشعراء.

أشعار المعاصرين:

تتلقانا أشعار المعاصرين في الرسول الأعظم ﷺ بثلاثة أنماط هي:

١ ـ معارضات شعريَّة لقصائد مشهورة.

٢ ـ ملاحم شعريَّة، تتناول حياة النبيِّ، وفضائله، وشمائله.

٣ ـ قصائد، ومقاطع مستقلّة، في موضوعها وقالبها.

أ ـ المعارضة الشعريّة:

ويراد بهذا المصطلح الأدبي: الإتباع والتقليد في الموضوع والوزن والقافية والمعاني؛ سببها تأثّر الشاعر المعارِض بقصيدة الشاعر المعارَض من ناحية الوزن والموسيقى والموضوع[٨].

والملاحظ: أنّ المدلول الأدبي قريب جدّاً من المدلول اللغوي. أَوْرَدَ الزنجاني في معجم «ترويح الأرواح في تهذيب الصحاح»: وعارَضْتُه في المسير، أي سِرْتُ حيالَه. وعارضْتُ كِتابي بِكِتابِه، أي قابلته[٩]. وجاء في لسان العرب، لابن منظور الأفريقي تحت مادة (عارض): «وفلان يعارضني، أي يباريني»[١٠].

والمعارضة ـ أصلاً ـ نوع من التحدّي والتطاول والمبارزة الشعريّة من الشاعر المعارِض؛ ليأتي بما يسمو على الأثر الذي يعارضه، وليثبت للمَلإ أنّه قادر عَلَى مجاراة الشاعر المُعَارَض نظماً وفنّاً[١١]، ولكن هذا النمط الشعري اختفى أو كادَ أنْ يختفي في الشعر المعاصر، بعد أنْ أصبح تقويم الشعر والشاعر على أساس الإصالة والإبداع، لا التقليد.

وقد كثرت المعارضات الشعريّة لقصيدتي (بانت سعاد) لكعب بن زهير[١٢]، و(البردة) للبوصيري[١٣]، نتيجة لإعجاب الشعراء بهما وأثر وحيهما في نفسيتهم.

يقول أمير الشعراء أحمد شوقي معترفاً بما للبوصيري من فضل على الشعراء في المديح النبوي:

المادِحُون وأَربابُ الهوى تَبَعٌ لِصَاحبِ البردةِ الفيحاءِ ذي القِدَمِ

وقد سمّى قصيدته التي عارض فيها (البردة) بـ«نهج البردة»[١٤] ومطلعها:

رِيمٌ عَلَى القاع بَيْنَ البانِ والعَلَمِ أحَلَّ سفْكَ دَمِي في الأَشْهرِ الحُرمِ

ويقول بعد مقدمة غزلية تربو على العشرين بيتاً، يقول مادحاً النبيّ الأكرم ﷺ:

لزمت باب أمير الأنبياء ومن يمسكْ بمفتاح باب الله يغتنم

فكلّ فضل وإحسانٍ وعارفةٍ ما بين مستلم منه وملتزم

عَلقت من مدحه حبلاً أعزّ به في يوم لا عزّ بالأنساب واللّحم

يزري قريظي زهيراً حين أمدحه ... ولا يقاس إلى جودي ندى هرم
محمّد صفوة الباري ورحمته ... وبغية الله من خلْقٍ ومن نَسَم
وصاحب الحوض يوم الرُّسْل سائلة ... متى الورود وجبريل الأمين ظمي
سناؤه وسناه الشمسُ طالعة ... فالجِرم في فلكٍ والضوء في علم
قد أخطأ النجم ما نالت أبوّته ... من سؤددٍ باذخٍ في مظهر سنِم
نُموا إليه فزادوا في الورى شرفاً ... ورُبّ أصل لفرعٍ في الفخار نُمي
حواه في سُبحات الطّهر قبلهمُ ... نورانِ قاما مقام الصّلب والرّحِم
لمّا رآه بحيرا قال نعرفه ... بما حفظنا من الأسماء والسِّيم
سائلْ حراءَ وروح القدس هل علما ... مصون سرّ عن الإدراك منكتم
كم جيئةٍ وذهاب شرّفت بهما ... بطحاء مكّة في الإصباح والغسم
ووحشةٍ لابنِ عبدالله بينهما ... أشهى من الأُنس بالأحباب والحشم
يسامر الوحي فيها قبل مهبطه ... ومن يبشَّرْ بسيما الخير يتّسم
لمّا دعا الصّحب يستسقون من ظمإٍ ... فاضت يداه من التسنيم بالسَّنم
وظلّلته فصارت تستظلّ به ... غمامة جذبتها خيرة الدِيم
محبّة لرسول الله أُشربها ... قعائد الدير والرّهبان في القمم
إنّ الشمائل إن رقّت يكاد بها ... يُغرى الجماد ويغرى كلّ ذي نَسم
ونودي اقرأْ تعالى الله قائلها ... لم تتّصل قبل من قيلت له بفم
هناك أذّن للرحمن فامتلأت ... أسماع مكّة من قدسيّة النّغم
فلا تسلْ عن قريشٍ كيف حيرتها ... وكيف نُفرتها في السهل والعلم
تساءلوا عن عظيمٍ قد ألمّ بهم ... رمى المشايخ والوِلدان باللّمم
يا جاهلين على الهادي ودعوته ... هل تجهلون مكان الصادق العلم
لقّبتموه أمين القوم في صغَرٍ ... وما الأمين على قول بمتَّهَم
فاق البدور وفاق الأنبياء فكم ... بالخَلْق والخُلْق من حُسْنٍ ومن عظَم
جاء النبيّون بالآيات فانصرمت ... وجئتنا بحكيم غير منصرم

آياته كلّما طال المدى جددٌ ... يزينهنّ جلال العِتق والقِدم
يكاد في لفظة منه مشرّفة ... يوصيك بالحقّ والتقوى وبالرحم
يا أفصح الناطقين الضاد قاطبةً ... حديثك الشهد عند الذائق الفهم
حليتَ من عَطلٍ جيدَ البيان به ... في كلّ منتشر في حُسن منتظم

ثمّ يختم شوقي قصيدته (نهج البردة) التي تزيد على (١٩٠) بيتاً بأبيات يخاطب فيها الرسول الأعظم ﷺ متوسّلاً به، فيقول:

وصلّ ربّ على آلٍ له نُخبٍ ... جعلت فيهم لواء البيت والحرم
بيض الوجوه ووجه الدهر ذو حلكٍ ... شمّ الأُنوف وأنف الحادثات حَمي
وأهدِ خير صلاة منك أربعة ... في الصحب صحبتهم مرعيّة الحرَم
الراكبين إذا نادى النبيّ بهم ... ما هال من جَلَلٍ واشتدّ من عَمَم
الصابرين ونفس الأرض واجفة ... الضاحكين إلى الأخطار والقُحَم
يا ربّ هبّت شعوب من منيّتها ... واستيقظت أممٌ من رقدة العَدَم
سعدٌ ونحسٌ وحكمٌ أنت مالكه ... تديل من نعمٍ فيه ومن نِقم
رأى قضاؤك فينا رأي حكمته ... أكرمْ بوجهك من قاضٍ ومنتقم
فالطفْ لأجل رسول العالمين بنا ... ولا تزدْ قومه خسْفاً ولا تسُم
يا ربّ أحسنت بدء المسلمين به ... فتمّم الفضل وامنح حُسْنَ مختَتم

ومن معارضات شوقي الشهيرة أيضاً، قصيدته الهمزيَّة النبويَّة، التي أنشدها بمناسبة المولد النبوي الشريف، وهي من البحر الكامل، ومطلعها:

وُلِدَ الهُدى فالكائناتُ ضِياءُ ... وَفَمُ الزَّمانِ تَبَسُّمٌ وثَناءُ

ويعارض فيها قصيدة البوصيري الهمزيّة التي مطلعها:

كيف ترقى رقيك الأنبياءُ ... يا سماءً ما طاولتها سماءُ

وهمزيّة أحمد شوقي هي:

وُلِدَ الهُدى فالكائناتُ ضِياءُ ... وَفَمُ الزَّمانِ تَبَسُّمٌ وثَناءُ
الروح والملأ الملائك حوله ... للدين والدنيا به بشراء

والعرش يزهو والحظيرة تزدهي والمنتهى والسدرة العصماء[١٥]
وحديقة الفرقان ضاحكة الرُّبى بالترجمان شذيّه غنّاء
والوحي يقطر سلسلاً من سلسل واللوح والقلم البديع رواء
نظمت أسامي الرسل فهي صحيفة في اللوح واسم محمّد طغراء[١٦]
اسم الجلالة في بديع حروفه ألفٌ هنالك واسم طه الباء[١٧]

* * *

يا خير من جاء الوجود تحيّة من مرسلين إلى الهدى بك جاءوا
بيت النبيّين الذي لا يلتقي إلّا الحنائف فيه والحنفاء[١٨]
خير الأُبوّة حازهم لك آدم دون الأنام وأحرزت حوّاء
هم أدركوا عزّ النبوّة وانتهت فيها إليك العزّة القعساء[١٩]
خُلقت لبيتكَ وهو مخلوقٌ لها إنّ العظائم كفؤها العظماء
بك بشّر الله السماء فزيّنت وتضوّعت مسكاً بك الغبراء[٢٠]
وبدا محيّاك الذي قسماته حقّ وغرّته هدى وحياء
وعليه من نور النبوّة رونق ومن الخليل وهديه سيماء[٢١]
أثنى المسيح عليه خلف سمائه وتهلّلت واهتزّت العذراء
يوم يتيه على الزمان صباحه ومساؤه بمحمّد وضّاء
الحقّ عالي الركن فيه مظفّر في الملك لا يعلو عليه لواء
ذعرت عروش الظالمين فزلزلت وعلت على تيجانهم أصداء
والنار خاوية الجوانب حولهم خمدت ذوائبها وغاض الماء
والآي تترى والخوارق جمّة جبريل روّاح بها غدّاء
نعم اليتيم بدت مخايل فضله واليتم رزق بعضه وذكاء[٢٢]
في المهد يستسقي الحيا برجائه وبقصده تستدفع البأساء
بسوى الأمانة في الصبا والصدق لم يعرفه أهل الصدق والأُمناء

يا من له الأخلاق ما تهوى العلى ... منها وما يتعشّق الكبراء
لو لم تقم ديناً لقامت وحدها ... ديناً تضيء بنوره الآناء
زانتك في الخلق العظيم شمائل ... يغرى بهنّ ويولع الكرماء
أمّا الجمال فأنت شمس سمائه ... وملاحة الصدّيق منك إياء[٢٣]
والحسن من كرم الوجوه وخيره ... ما أُوتي القوّاد والزعماء
وإذا سخوت بلغت بالجود المدى ... وفعلت ما لا تفعل الأنواء
وإذا عفوت فقادراً ومقدّراً ... لا يستهين بعفوك الجهلاء
وإذا رحمت فأنت أُمّ أو أب ... هذان في الدنيا هما الرحماء
وإذا غضبت فإنّما هي غضبة ... في الحقّ لا ضغن ولا بغضاء
وإذا رضيت فذاك في مرضاته ... ورضى الكثير تحلّم ورياء
وإذا خطبت فللمنابر هزّة ... تعرو النديّ، وللقلوب بكاء[٢٤]

ثمّ يتوجّه شوقي في ختام همزيّته النبويّة إلى الرسول الأعظم ﷺ متوسّلاً ومتضرّعاً، فيقول:

ما جئتُ بابَك مادحاً بل داعياً ... ومنَ المديح تضرّعٌ ودعاء
أدعوكَ عن قوم الضّعافِ لأزمةٍ ... في مثلِها يُلقى عليك رجاء
أَدَرى رسولُ الله أنّ نفوسَهم ... ركبت هواها والقلوب هواء
متفكّكون فيما تضمّ نفوسهم ... ثقةٌ ولا جمع القلوبَ صفاء
رقدوا وغرَّهمُ نعيمٌ باطلٌ ... ونعيمُ قومٍ في القيود بلاء
ظلموا شريعتَك التي نلنا بها ... ما لم ينل في رومةِ الفقهاء
مشت الحضارة في سناها واهتدى ... في الدين والدنيا بها السُّعَداء
صلّى عليكَ اللهُ ما صحبَ الدُّجى ... حادٍ وحنّت بالفلا وجناء[٢٥]
واستقبل الرضوانَ في غرفاتهم ... بجنان عدنٍ آلُك السمحاء[٢٦]
خير الوسائل من يقعْ منهم على ... سببٍ إليكَ فحسبيَ الزهراء[٢٧]

ب ـ الملاحم الشعريَّة:

الملحمة في اللغة: تعني الحرب وإنّما سمّيت بذلك لأمرين: أحدهما تلاحم الناس، أي تداخلهم بعضهم في بعض، والآخر أنّ القتلى كاللحم الملقىٰ.

يقول ابن منظور في لسان العرب تحت مادة (لحم): الملحمة: الوقعة العظيمة القتل، وقيل القتال، وألحمت القوم، إذا قتلتهم حتّى صاروا لحماً. وألحم الرجل الحاماً واستلحم استلحاماً، إذا نشب في الحرب فلم يجد مخلصاً...، والجمع الملاحم، مأخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لحمة الثوب بالسدىٰ[٢٨].

والملحمة في المصطلح الأدبي، تمثّل نوعاً خاصّاً من الشعر القصصي البطولي، الذي لم تعرف العربية شبيهاً له، من حيث البناء القصصي الكامل، والحجم العددي للأبيات التي تبلغ الآلاف[٢٩].

وقد شهد العصر الحديث لأوّل مرّة ظهور هذا اللون الشعري في الأدب العربي، وظهرت منه أعمال ومحاولات مُمَيَّزة نذكر منها عَلَى سبيل المثال لا الحصر، ملحمة الشاعر العراقي الشيخ كاظم الأُزري، المعروفة بالأُزريَّة في مدح الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وذكر فضائله، ومعجزاته، والتي تبلغ ألف بيت، أكلت الأُرْضَةُ جملةً من أبياتها وبقي منها (٥٨٠) بيتاً، ومطلعها[٣٠]:

لِمَن الشمسُ في قباب قباها شف جِسْمَ الدُّجى بروح ضِيَاها

ومن الملاحم المهمّة التي ظهرت في مطلع العصر الحديث، القصيدة العلويّة المباركة لعبدالمسيح الأنطاكي، التي بلغ عدد أبياتها (٥٥٩٥) بيتاً ومطلعها:

أزينُ مَلْحَمتي الغَرَّا وأحليها بِحَمْدِ رَبي فَلْيَحْمِدْهُ قارِيها[٣١]

وكذلك ملحمة الشاعر بولس سلامة المعروفة بعيد الغدير، وهي مؤلفة من (٣٠٨٥) بيتاً، ومطلعها:

يا مَليكَ الحياةِ أَنْزِلْ عَلَيَّا عَزْمَةً مِنْكَ تَبْعَثُ الصَّخْرَ حيّا[٣٢]

ومن الملاحم الشعريّة المميَّزة في هذا العصر، ملحمة الشاعر الشيخ عبدالمنعم الفرطوسي، وتزيد على أربعين ألف بيت، وتشمل حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وجهاده،

وفضائله، ومولده. منها:

ولد المصطفى محمّد يمنا ... ألف أهلاً بخاتم الأصفياءِ
وتجلّى والنور يشرق منه ... بجبين كالكوكب الوضّاءِ
بَيْنَ كتفيه للنبوَّة خَتْمٌ ... وظهور للشامةِ السوداءِ
قد رآه حبر اليهود فأَفْضَى ... لقُرَيش بأعظم الأنباء
وبحيرا في الدير بَشَّرَ فيه ... حين وافاهُ سَيِّدُ البَطْحاءِ

ومنها:

نفحات للقدس هبتْ رُوَيْداً ... فروياً في مشرق من بهاء
وضجيج من التهاليل يعلو ... بدَوِيٍّ يميدُ بالأرجاء
وزحام ضاقت به الأرض صدرا ... من سرايا الحجيج في البيداء
أيّ ركب أطلّ بالنور والخصب ... مُشعاً في مجدب الغبراء
هو ركب النبيّ وافى مُغداً ... بعد حجّ الوداع بالصحراء
وإذا بالأمين جبريل يتلو ... بنداء للوحي بعد نداءِ

ويتحدّث عن يثرب وقد غمرتها البهجة والسرور بقدوم النبيّ ﷺ ويقول:

هذه يثرب وهذا ثراها ... وهو مهد الشريعة الغرّاء
والمروج الخضراء تزهو ابتهاجاً ... والرُّبى تضوع بالأشذاء
وعذارى النخيل تهتزّ بشراً ... من رفيفِ الجدائل الزرقاء
والصبايا وهي الأقاحي ثغوراً ... تتهادى بفرحة وازدهاء
والأغاريدُ بالمسرّات تشدو ... فتعجّ الأجواء بالأصداء[٣٣]

ومن الملاحم المُمَيَّزة أيضاً، بخصائصها القيمة، الملحمة الشعريّة المعروفة بالإلياذة الإسلاميّه للشاعر المصري الشهير أحمد محرم.

ومن المفيد أن نذكر هنا أنّ هذه الملحمة تبتعد عن الطابع الأُسطوري الذي طبع الملاحم اليونانيّة مثل الإلياذة، والأُديسة لهوميروس والانياذة لفرجيل، ومثل الشاهنامه للشاعر الفارسي الكبير الفردوسي.

يقول شوقي ضيف حول إلياذة أحمد محرم، وظهور هذا النوع من الفن الأدبي في العصر الحديث:

وما زال شُعراؤنا يتطلّعون إلى مجاراة هذا العمل ومحاكاته، حتّى نهض أحمد محرم يُحَقِّق لهم الأمل المنشود، فاختار حروب الرسول ﷺ، موضوعاً لإلياذاته أو ملحمته الإسلاميّة[٣٤].

وتتألف الإلياذة الإسلاميّة من عدّة فصول نقتطف منها ما يناسب المقال، وتبدأ بخطاب النبيّ ﷺ:

إمْلأ الأرضَ يا محمّدُ نوراً ... واغْمرِ الناسَ حكمةً والدهورا
حجبتك الغيوبُ سِرّاً تَجَلّى ... يكشف الحجب كُلّها والستورا
صبَّ سيلُ الفساد في كلّ واد ... فتدفَّقْ عليه حتّى يغورا
جئتَ ترمي عُبابه بعُبابٍ ... رَاحَ يطوي سيوله والبحورا
يُنقذ العالم الغريقَ ويحمى ... أُممَ الأرض أن تذوق الثُّبُورا
زاخرٌ يشمل البسيطة مَدّاً ... ويَعُمُّ السبعَ الطباقَ هديرا
أنتَ معنى الوجود بل أنت سرٌّ ... جَهل الناس قبله الإكسيرا
أنتَ أنشأت للنفوس حياةً ... غَيَّرتْ كلّ كائن تغييرا
أَنجبَ الدهرُ في ظلالك عصرا ... نابه الذكر في العصور شهيرا
كيف تجزي جميل صنعك دنيا ... كنتَ بعثاً لها وكنت نشورا
ولدتْك الكواكبُ الزُّهرُ فجرا ... هاشميَّ السنا وصبحاً منيرا
يصدع الغيهب المجلَّل بالوَحْـ ... ـي الملقَّى ويكشف الديجورا
منطق القدرة التي ترهق القا ... در عجزاً والعبقريَّ قصورا
خرَّتِ العُرْبُ من مشارفها العلـ ... ـيا تُوَالى هُويَّها والحدورا
أنكر الناسُ ربّهم وتولوا ... يحسبون الحياة إفكاً وزورا
تلك أربابهم أتملك أن تنـ ... ـفع مثقال ذرّة أو تضيرا
ما لدى اللّات أو مناة أو العُـ ... ـزّى غناءٌ لمن يقيس الأُمورا

جاءدينُالهدى وهبّ رسولاللّـ ـــه يحمي لواءه المنشورا[٣٥]

ج ـ القصائد المطوّلة والمقاطع المتفرّدة:

تَوَهَّجَتْ شعلة المديح النبويِّ عند أغلب الشعراء المعاصرين، وتَحَوَّلَتْ إلى قصائد مطولة ومقاطع شعريّة تطفح بالحبِّ والودِّ لنبيّهم الكريم ﷺ، وهم يصفون فضائله ومناقبه بأفضل العبارات وأرقِّ الكلمات المُشِعَّة المشَبَّعة بالوفاء والولاء، ولسان حالهم يقول:

ما أحْلَى المديح فيكَ يا رسول الله وأَلَذّ تكراره.

خذ بيدي يا رحمةً للعالمين، يا رسول الله.

وإليك قارئي العزيز هذه القطوف العطرة، من بساتين الود، وتغاريد المحبّة النبويّة.

يقول شاعر لبنان، آية الله العلّامة محمّد حسين فضل الله، في مجموعته الشعريَّة (يا ظلال الإسلام) تحت عنوان: يا رسول الله[٣٦]:

يا رسولَ السّلامِ ينبضُ بالروحِ حياةً ورحمةً وجَمالا
أنتَ أطلقتَهُ ليُنعمَ فيه الكونُ لُطفاً ونعمةً وظِلالا
مِن جلالِ الوحيِ العظيم، مِن الوحيِ السماويِّ دعوةً وابتهالا
مِن هُداكَ السمحِ الطَّهورِ يضُمُّ الحبَّ والخيرَ روعةً وجَلالا

* * *

أنتَ روح السلامِ.. أيّ سلامٍ لم يفِضْ وحيه من الينبوعِ
مِن ربيع المشاعر البيضِ، في روح النبوّاتِ، من جمالِ الربيع
مِن صفاء الأعماقِ في هَدْهداتِ الحبِّ، من يقظةِ الضمير المَريعِ
مِن نَجاوى الرُّوح التي تتلاقى في تسابيحها نَجاوى الجُموعِ

* * *

يا رسولَ الأخلاقِ.. تمتدُّ في الروحِ كما امتدَّ بالشعاعِ النهارُ
يتمنّى أن يَغْمُر الكون، كُلَّ الكون، لطفٌ من الضّحى مَوّارُ

ورخـــاءٌ تـــرتاح فـــي ظـلّه الدنـيا وتـجري عـلى اسـمهِ الأنـهارُ
وســـماحٌ يـــفيضُ بـــالحبِّ والنُّـــعمى وتـهفو ـ لصـفوه الأسـحارُ

* * *

وحـــيكَ: الرحـــمةُ التـي تُـنبتُ القـلب حـناناً وتـملأ الأرضَ بِـرّاً
وتـــهزُّ الأعـــماقَ بـالأرْيحيّاتِ العَـذارى تـفوحُ ـ كـالزَّهْرِ ـ عِـطرا
فـــهيَ فـــي السِّـــلم دمـــعةٌ للـــيتامى تـتلظّى حـزناً لتـدفعَ ضُـرّا
وهي في الحرب روعةُ العدل في الإنسان تستنزف المشاعر طُهرا

* * *

خُـــلُقٌ تُـومِضُ الوداعـةُ فـي عـينيه كـالفجر فـي عُـيونِ الشـروقِ
قـلبه الرَّحبُ.. فـي رحـابته الدنـيا، بـما امـتدَّ مـن سـماحٍ رفـيق
حســـبه: أنّـــه يـــمُدُّ إلى كُـــلِّ يـــدٍ للسَّـــلامِ، كـــفَّ الصَّـــديقِ
ويُـــنيرُ القـــلوبَ، بـــالكلمِ الطـيِّبِ، إن أظـلمتْ نـجاوى الطّـريقِ

ولشاعر العراق الشيخ صالح التميمي[٣٧] قصيدة طويلة في مدح النبيّ ﷺ يـقول فيها:

أبوالقـاسم النـور المـبين ومـن بـه تشـرَّف عـدنان بأشـرف مَـولدِ
نبيّ الهـدى لولاه لم يـعرف الهـدى ولا لفـظ تـوحيد بـدا مـن مـوحِّدِ
بـــراه إله العـرش مـن نـور قـدسه وأودعـــه فـي صـلب بـدر وفـرقدِ
فكـان خـياراً مـن خـيار فـصاعداً إلى آدم مـــن ســـيِّد بـعد ســـيِّدِ

ثمّ يتحدّث عن غزوات الرسول ﷺ وانتصاراته ومعجزاتـه وينتقل إلى ذكـر المدينة المنوّرة مستشفعاً بالنبيّ المختار ﷺ ويقول:

إذا أنت شـــارفت المـدينة فـابلغن تـــحيّة مـــلهوف لأكـــرم مُـــنْجِدِ
وقـل يـا شـفيع المـذنبين اسـتغاثة وشكوى أَتت مـن عـبد رقٍّ لِسـيِّدِ
ألا يـــا رســـول الله دعـوة صـارخ ونـــدبة عـــانٍ بـــالذنوب مـــقيّد

ألا يـا رسـول الله دعـوة ضـارع فكن سامعاً شكواه يـا خـير مـنجدِ
ألا يـا رسـول الله دعـوة خـائف صُروفُ الرَّدَى فـانظر لشـمل مُـبَدَّدِ
كليب يغيث المستجير فكـيف مَـنْ بـمولى كُـليبٍ غَـوث كـلّ مُـصَفَّدِ
يلوذ فهل يخشى مـن الدهـر غـارة ويحذر مِنْ خَطب من الدهـر أنكـدِ
عليكَ سلام الله يا خـير مَـنْ مشـى على الأرض ما راعَى الكواكب مهتدِ

ولصلة الرسول المصطفى ﷺ بالقرآن الكريم، والبعثة النبويّة الشـريفة، تـناول أغلب الشعراء موضوع المـبعث النـبوي، وأَوْلَـوه أهـميةً كـبيرة، وأشـاروا إلى عـظمة المبعوث ﷺ وفضائله، وقالوا فيه قصائد متفرِّدة تمدح وتذكر عظمة الكتاب العزيز المنزل عليه.

يقول أحمد محرم في ذلك:

بُـعثَ الصـادقُ الأمـينُ رسـولاً يـهدمُ الشـركَ ديـنه فـيبيدُ
بكـتابٍ فـيه الشـرائعُ تـهدي النـاسَ أعـلامَها وفـيها الحـدودُ
ما حياة الشعوب في الشرك فوضى (م) الحـياة الإيـمان والتـوحيدُ[٣٨]

ويصف الرسولَ ﷺ في قصيدة أُخرى، والملائكة تحفُّ به، وهي ترتّل آيـات الكتاب العزيز:

رسـولُ الله يـؤذنُ بـالإياب ويرجِعُ بـالأحبّة والصـحابِ
يسير مِن الجلالةِ في ركـابٍ تـدين لعـزِّهِ غُـلْبُ الرقـابِ
تسـايرهُ بآيـاتِ الكـتابِ مُـرَتِّلةٍ بأَنـغامٍ عـذابِ
صفوفٌ مِـنْ مـلائكةٍ طـرابٍ تـظلّلهُ بأجـنحةٍ رِطـابِ[٣٩]

وينشد الشاعر محمّد علي اليعقوبي في مولد النبي الأكرم ﷺ، متغنّياً بصفاته التي صدح بها القرآن الكريم، وكذلك قبله الإنجيل:

وافـى بـنعتِ صـفاتهِ القـرآنُ أنّـىٰ يـحيطُ بـها فـمٌ ولسـانُ
نـطقتْ بـه التـوراةُ قـبلُ وبشَّـرَ الإنـجيلُ فـيه وصـدَّق الفـرقانُ
مـا مَـرَّ ذكـرٌ للـنبيينَ الأُلى إلّا وذكـرُ المـصطفى عـنوانُ

ما معجزاتهمُ التي سَلفتْ سوى خبرٌ ومعجزةُ العظيم عيانُ
هذا الكتاب فهل أتتْ في آيةٍ من مثلِه إنسُ الورى والجانُ[٤٠]

ويقول بدوي الجبل في مولد الرسول الأعظم ﷺ:

هنا الكعبة الزهراءُ والوحيُ والشذا هنا النورُ فافني في هواهُ وذوبي
فإن كانَ سرُّ الله فوقَ غمامةٍ تظلّ وماءٌ سائغٌ لشروبِ
ففي معجز القرآن والدولة التي بناها عليه مُقنعٌ للبيبِ[٤١]

ويصف حافظ إبراهيم الرسول الأكرم ﷺ والملائكة تحيط به:

يماشيه جبريلٌ وتسعى وراءهُ وملائكةٌ ترعى خطاهُ وتخفرُ
بيسراهُ برهانٌ من الله ساطعٌ هَدْيٌ بيمناهُ الكتابُ المطهَّرُ[٤٢]

ويتغنّى عمر أبو ريشة بذكر سيّد الأنبياء ويقول:

وأتى طودهُ الموشّحُ بالنور وأغفى في ظلّ غارِ حِراءِ
وبجفنَيْهِ من جلالِ أمانيه طيوفٌ علويّةُ الإسراءِ
وإذا هاتفٌ يصيحُ به «اقرأْ» فيذوي الوجودُ بالأصداءِ
وإذا في خشوعهِ ذلك الأُمّي يتلو رسالة الإيحاءِ
وإذا الأرضُ والسَّماءُ شفاهٌ تتغنّى بسيّدِ الأنبياءِ[٤٣]

صفوة القول:

وصفوة القول في الشعر الذي أُنشِدَ في النبيّ الأكرم ﷺ، أنّه في الكثرة والتنوّع ما يفوق قدرة الألفاظ والأسطر.

فقد تناول الشعراء عبر التاريخ وخلال الفترة المعاصرة حياة النبيّ ﷺ منذ مولده المبارك حتّى وفاته، وتحدّثوا عن كلّ ما تخلّل ذلك من أحداث ووقائع، وصفوا جهاده، وخلقه وفضائله، وشمائله بأرقّ الألفاظ وأعذب العبارات.

وقد صُنِّفت كتب عديدة تناولت موضوع المديح النبويّ بنمطيه الشعري والنثري نذكر منها على سبيل المثال: كتاب «المدائح النبويّة في الأدب العربي» تأليف الدكتور زكي

مبارك، وكتاب «أصداء الدين في الشعر العربي الحديث» للجيزاوي، وكتاب «محمّد في الأدب العربي» لفاروق خورشيد، وكتاب «في المديح النبوي» تأليف غازي شبيب، وغيرها من الكتب والأبحاث المستفيضة.

ثمّ أيطيبُ لي أن أَختتم مقالتي ولا أتمثّل بقول ابن معتوق الموسوي متوسلاً بالنبيّ الكريم وآله الطاهرين:

يا سيّدي يا رسول الله خذ بيدي ... فقد تحمّلت عبئاً فيه لم أقُمِ
أستغفر الله ممّا قد جنيتُ على ... نفسي ويا خجلي منه ويا ندمي
إن لم تكن لي شفيعاً في المعاد فمن ... يجيرني من عذاب الله والنقمِ
عليكم صلوات الله ما سَكِرَتْ ... أرواح أهل التُّقى في راح ذِكْرهمِ[٤٤]

* * *

المصادر

١ ـ أبوطالب حامي الرسول وناصره، تأليف العلّامة نجم الدين العسكري، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٥٩ م.

٢ ـ الإشعاع القرآني في الشعر العربي، محمّد عبّاس الدراجي، عالم الكتب، بيروت، ط/١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٣ ـ أنساب الأشراف، للبلاذري، تحقيق الشيخ محمّد باقر المحمودي، منشورات مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ط / ١، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤ م.

٤ ـ البديعيّات في الأدب العربي، نشأتها، تطوّرها، أثرها، أعداد: علي أبو ريدة، عالم الكتب، بيروت ط/١، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.

٥ ـ تاريخ الأدب العربي ـ العصر الإسلامي، شوقي ضيف، دار المعارف بمصر ـ بلات.

٦ ـ تاريخ الأدب العربي في بلاد الشام، الدكتور عمر موسى باشا، دار الفكر المعاصر ـ بيروت ط/١، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م.

٧ ـ تاريخ الأدب العربي في العصر العثماني، الدكتر عمر موسى باشا، دار الفكر المعاصر ـ بيروت ط/١، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م.

٨ ـ تاريخ الأدب العربي في العصر المملوكي، الدكتور عمر موسى باشا، دار الفكر المعاصر ـ بيروت ط/١ ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩ م.

٩ ـ ترويح الأرواح في تهذيب الصحاح، العلّامة محمود بن أحمد الزنجاني (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق الدكتور محمّد صالح شريف عسكري (قيد الطبع).

١٠ ـ تفسير جوامع الجامع، تأليف أمين الدين أبوالفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) ـ تحقيق الدكتور أبوالقاسم گرجي، نشر: دانشگاه تهران، ١٣٧٧ هـ ش.

١١ ـ دراسات في الأدب العربي المعاصر، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط/٤، بلات.

١٢ ـ ديوان أبي طالب بن عبدالمطّلب، صنعة أبي هفان المهزمي البصري (ت ٢٥٧ هـ)،

وصنعة علي بن حمزة البصري التميمي (ت ٣٧٥ هـ)، تحقيق الشيخ محمّد حسن آل ياسين، منشورات دار ومكتبة الهلال ط/١، سنة ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م.

١٣ ـ ديوان الذخائر، محمّد علي اليعقوبي، مطبعة دار النشر والتأليف، النجف ١٩٥٠م.

١٤ ـ ديوان مجد الإسلام، أحمد محرم، مكتبة دار المعرفة، مصر ١٩٦٣ م.

١٥ ـ الشوقيات، أحمد شوقي، دار الشروق، مصر ـ بلات.

١٦ ـ الطليعة من شعراء الشيعة، تأليف العلّامة المؤرخ الشيخ محمّد السماوي، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار المؤرّخ العربي، بيروت ط/١، ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م.

١٧ ـ فنّ المديح النبوي في العصر المملوكي، غازي شبيب، المكتبة العصريّة، بيروت، ط/١، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨ م.

١٨ ـ لسان العرب، ابن منظور الأفريقي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت ط/١ ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.

١٩ ـ المعجم الأدبي ـ جبور عبدالنور، دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٨٤ م.

٢٠ ـ ملحمة أهل البيت، الشيخ عبدالمنعم الفرطوسي، بيروت، دار الزهراء ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م.

٢١ ـ موقع العترة الطاهرة على الانترنت.

٢٢ ـ موقع www.inciraq.com.

٢٣ ـ يا ظلال الإسلام، تأليف آية الله السيّد محمّد حسين فضل الله، دار الملاك، ط/٣ بيروت ١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م.

الهوامش:

١. يراجع أنساب الأشراف للبلاذري، تحقيق الشيخ محمّد باقر المحمودي، منشورات مؤسسة الأعلمي - بيروت. ط/١ سنة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م. ج٢: ٢٣. وللتوسع يراجع كتاب: أبوطالب حامي الرسول وناصره، تأليف آية الله العلّامة نجم الدين العسكري. مطبعة الآداب - النجف الأشرف ١٩٥٩ م.

٢. يراجع البديعيّات في الأدب العربي، نشأتها - تطوّرها - أثرها. إعداد: علي أبو ريدة. عالم الكتب - بيروت ط/١، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ص١٨.

٣. يراجع ديوان أبي طالب بن عبدالمطّلب، صنعة أبي هفان المهزمي البصري، المتوفى (سنة ٢٥٧ هـ). وصنعة علي بن حمزة البصري التميمي (ت ٣٧٥ هـ) بتحقيق الشيخ محمّد حسن آل ياسين. منشورات دار ومكتبة الهلال، ط/١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ص٧٥.

٤. السابق، ص٩٠.

٥. يراجع الأدب في بلاد الشام، الدكتور عمر موسى باشا. دار الفكر المعاصر، بيروت، ط/١، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، ص٤٦٦.

٦. يراجع: تفسير جوامع الجامع، تأليف أمين الدين أبوالفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ). تحقيق الدكتور أبوالقاسم گرجي، نشر دانشگاه تهران، ١٣٧٧ هـ.ش. المجلد/١، ٤.

٧. يراجع وحي القلم - مجموعة مصطفى صادق الرافعي - بيروت، دار الكتاب العربي، بلات، ج٣: ٣٧٢.

٨. يراجع (فن المديح النبوي في العصر المملوكي) تأليف غازي شبيب، المكتبة العصرية - بيروت. ط/١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، ص٥١.

٩. يراجع: معجم (ترويح الأرواح في تهذيب الصحاح) للعلّامة اللغوي محمود بن أحمد الزنجاني (ت ٦٥٦ هـ). تحقيق د. محمّد صالح العسكري، الجزء الأول مادة (عرض).

١٠. يراجع لسان العرب، ابن منظور الأفريقي، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط/١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، مادة (عرض).

١١. يراجع: فنّ المديح النبوي، شبيب، ٥١.

١٢. يراجع تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي - شوقي ضيف - دار المعارف بمصر، بلات، ٨٣، أيضاً، تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، دار العلم للملايين - بيروت، ط/٥ سنة ١٩٨٤ م، ص٢٨٢.

١٣. يراجع تاريخ الأدب العربي - العصر المملوكي - الدكتور عمر موسى باشا - دار الفكر المعاصر - بيروت ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، ص١٦٨، ١٨٤.

١٤. الشوقيات، ٢: ٥٠٦.

١٥. سدرة المنتهى: اسم المكان الذي وصل إليه الرسول ﷺ لمّا عُرج به إلى السماء. وهو أعلى مكان وصل إليه.

١٦. الطغراء: علامة كانت تنقش عليها المناشير والمسكوكات السلطانيّة زمن العثمانيّين.

١٧. طه: اسم النبي ﷺ.

١٨. الحنفاء: المتبتّلون المنقطعون إلى العبادة.

١٩. القعساء: الرفيعة.
٢٠. الغبراء: صفة للأرض.
٢١. الخليل: أي النبي إبراهيم، خليل الرحمن وصفيّه.
٢٢. مخايل: علامات.
٢٣. إياء: جمع إياة، وهي النور.
٢٤. الندي: النادي وجماعته.
٢٥. الوجناء: صفة للناقة القويّة الشديدة.
٢٦. الرضوان: هو رضوان اسم الملك، خازن الجنان.
٢٧. الزهراء: أي فاطمة الزهراء بنت النبيّ ﷺ.
٢٨. لسان العرب ج ١٢، مادة (لحم)، ص ٢٥٢.
٢٩. يراجع المعجم الأدبي، جبور عبدالنور ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٨٤ م، ص ٢٦٤.
٣٠. يراجع: الطليعة من شعراء الشيعة، العلّامة المؤرّخ الشيخ محمّد السماوي، تحقيق كامل سلمان الجبّوري، دار المؤرخ العربي، بيروت ط ١/، ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م. ج ٢/: ١٣٦، أيضاً: موقع العترة الطاهرة على الانترنيت.
٣١. موقع www.inciraq.com
٣٢. السابق.
٣٣. يراجع للتوسع: ملحمة أهل البيت، عبدالمنعم الفرطوسي، دار الزهراء، بيروت ط ١/، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م ج ١: ١٣٦ فما بعد.
٣٤. يراجع دراسات في الشعر المعاصر العربي ـ الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط ٧/، بلات، ص ٤٧.
٣٥. السابق.
٣٦. يراجع: يا ظلال الإسلام، تأليف آية الله السيّد محمّد حسين فضل الله، دار الملاك، ط ٣/، بيروت ١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م، ص ١٦٩ فما بعد.
٣٧. يراجع: الطليعة من شعراء الشيعة ج ١: ٤١٠.
٣٨. ديوان مجد الإسلام، أحمد محرم، دار المعرفة، مصر ١٩٦٣.
٣٩. السابق، ص ٦٣.
٤٠. ديوان الذخائر، محمّد علي اليعقوبي، مطبعة دار النشر، النجف ١٩٥٠، ص ٥١.
٤١. الإشعاع القرآني، عبّاس الدراجي، نقلاً من ديوان بدوي الجبل، ص ٦١.
٤٢. السابق، عن ديوان حافظ إبراهيم، ص ٦٠.
٤٣. السابق، عن ديوان عمر أبو ريشة، ص ٥٠١، ٥٠٢.
٤٤. تاريخ الأدب العربي في العصر العثماني، الدكتور عمر موسى باشا، ص ٣٥٧، ٣٧٥.

المرأة في حياة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)

الدكتور محمود شكيب انصاري

استاذ جامعة شهيد چمران اهواز

الملخّص

رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الأُسوة والمثل الاعلى في روحه السامية وفكرة النير ومنطقه القويم وسلوكه الانساني الرفيع، كان ولداً باراً بأمه وامهاته في الرضاعة وزوجاً وفياً ودوداً في حياته الزوجية، وأباً رحيماً عطوفاً بابنائه.

في هذا المقال سنتطرق اولاً الى حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) منذ ولادته وموقفه من امه وامهاته المراضع، ثم نعرّج على حياته الزوجية وتعامله مع زوجاته العديدات، بعد ذلك سنشير الى مواقفه ازاء اولاده واهتمامه بهم وتربيته لهم. مع نقد لبعض آراء المستشرقين، وبعض الروايات الموضوعة.

الكلمات الرئيسة: محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، امهات، زوجات، بنات

امهات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم):

امه التي ولدته آمنة بنت وهب، وامهاته في الرضاعة ثويبية الاسلمية، وام ايمن بركة بنت ثعلب، وحليمة السعدية، اما آمنة فهي بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة، وامها برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة[1].

يروى ابن اسحاق انهم زعموا ان عبد الله (والد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)) دخل عليها حين

املكها (نكحها) مكانه، فوقع عليها فحملت بمحمد رسول الله (ﷺ)[٢]، فلما وضعته امه، ارسلت الى جده عبد المطلب انه قد ولد لك غلام فانظر اليه. فاتاه عبد المطلب فنظر اليه، ثم اخذه فدخل به الكعبة فقام يدعو الله ويشكر له ما اعطاه ثم خرج به الى امه فدفعه اليها. وفي رواية اخرى ان عبد المطلب عوذه بشعر منه:

الحمد لله الذي اعطاني هذا الغلام الطيب الاردان
قد ساد في المهد على الغلمان اعيذه بالبيت ذي الاركان[٣]

والتمس لرسول الله محمد (ﷺ) الرضعاء (المراضع) حسب عادة اهل مكة قال ابن اسحاق: فاسترضع له امرأة من بني سعد بن بكر يقال لها حليمة السعدية وهي ابنة ابي ذويب. وكان اخوته من الرضاعة: عبد الله بن الحارث وانيسة بنت الحارث وحذاقة بنت الحارث وهي الشيماء. ويقال: إن اول من ارضعته (ﷺ) كانت ثويبة الاسلمية، ارضعته بلبن ابن لها يقال له مسروح اياما قبل ان تقدم حليمة وكان محمد رسول الله (ﷺ) يعرف ذلك لثويبة ويصلها من المدينة. فلما افتتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروح فاخبر انهما ماتا، وسأل عن قرابتها فلم يجد احداً منهم حياً. كما يقال انه (ﷺ) رضع ايضاً من غير هاتين المرأتين[٤] ولعل الراوي يعني بذلك ام ايمن بركة بنت ثعلب[٥] قال ابن اسحاق: حدثني جهم بن ابي جهم مولى الحارث بن حاطب الجمحي عن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب (رض) قال: كانت حليمة بنت ابي ذويب السعدية ام رسول الله (ﷺ) التي ارضعته تحدث:

انها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير (عبد الله بن الحارث)، ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر تلتمس الرضعاء، قالت: وذلك في سنة شهباء، لم تبق لنا شيئاً. قالت فخرجت على أتان (حمارة) قمراء (بيضاء كدرة)، بمعنى شارف (ناقة مسنة) لنا، والله ما تبض بقطرة (ما ترشح بقطرة لبن) وما ننام ليلنا اجمع من صبينا الذي معنا، من بكائه من الجوع، وما في ثديي ما يغنيه وما في مشارفنا ما يغذيه. فخرجت على اتاني تلك، فلقد ادمت بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعجفاً (وقد تأخرت عن الركب، فاضطر الركب الى التوقف فطالت عليهم المسافة، وذلك لضعفي وهزالي)، حتى قدمنا مكة

نلتمس الرضعاء فما منا امرأة إلّا وقد عرض عليها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فتأباه، اذا قيل لهم انه يتيم، وذلك انا كنا نرجو المعروف من ابي الصبي، فكنا نقول: يتيم! وما عسى ان تصنع امه وجده! فكنا نكره لذلك، فما بقيت امرأة قدمت معي إلّا اخذت رضيعاً غيري. فلما اجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي: والله اني لاكره ان ارجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً، والله لاذهبن الى ذلك اليتيم فلآخذنه، قال: لا عليك ان تفعلي، عسى الله ان يجعل لنا فيه بركة.

قالت: فذهبت اليه فاخذته، وما حملني على اخذه إلّا اني لم اجد غيره وقالت: فلمّا اخذته رجعت به الى رحلي، فلما وضعته في حجري اقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روى، وشرب معه اخوة حتى روى، ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي الى شارفنا (ناقتنا المسنة) تلك، فاذا انها لحافل (تدر لبناً)، فحلب منها ما شرب وشربت معه حتى انتهينا رياً وشبعاً، فبتنا بخير ليلة، قالت: يقول صاحبي (زوجي) حين اصبحنا: تعلّمي (اعلمي) والله يا حليمة لقد اخذت نسمةً مباركةً، قالت: فعلت: والله اني لأرجو ذلك قالت: ثم خرجنا وركبت اتاني (حمارتي) وحملته عليها معي فوالله لقطعت بالركب، ما يقدر عليها شيء من حمرهم، حتى ان صواحبي ليقلن لي: يا بنت ذؤيب، ويحك اربعي (انتظري) علينا، أليست هذه اتانك التي كنت خرجت عليها، فاقول لهنّ: بلى والله، إنها لهي هي فيقلن: والله إن لها لشأناً. قالت: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما اعلم ارضا من ارض الله اجدب منها، فكانت غنمي تروح على حين قدمنا به (رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)) معنا شباعاً لبناً، فنحلب ونشرب، وما يحلب انسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت ابي ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعاً ما تبض (ما تدر) بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعاً لبناً فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته. وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفراً (شديداً). قالت: فقدمنا به على امه ونحن احرص شيء على مكنه فينا، لما كنا نرى من بركته. فكلّمنا امه وقلت لها: لو تركت بني عندي يغلظ، فاني اخشى عليه وباً (امراض مكة)، قالت: فلم نزل بها حتى

ردته معنا. قالت حليمة السعدية: فرجعنا به، فوالله انه بعد مقدمنا به بأشهر مع اخيه لفي بهم لنا خلف بيوتنا، إذ اتانا اخوه يشتد، فقال لي ولابيه: ان اخي القرشي قد اخذه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه، فشقا بطنه فهما يسوطانه. قالت حليمة: فخرجت انا وأبوه نحوه، فوجدنا قائماً منتقعاً وجهه، قالت: فالترمته والتزمه أبوه، فقلنا له: ما لك يا بني، قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاني وشقا بطني، فالتمسا فيه شيئاً لا ادري ما هو. قالت حليمة السعدية: فرجعنا به الى خبائنا.[٦] وينقل ابن اسحاق رواية اخرى عن ثور بن يزيد عن بعض اهل العلم ان نفراً من اصحاب رسول الله (ﷺ) قالوا له: يا رسول الله: اخبرنا عن نفسك؟ فذكر رسول الله تلك الحادثة مع تغيير هو: أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوء ثلجاً، ثم اخذاني فشقا بطني، واستخرجا قلبي فشقاه، فاستخرجا منه علقه سوداء وفطرحاها، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى انقياه، ثم قال احدهم زنه بعشرة من امته فوزنني بهم فوزنتهم، ثم قال: زنه بمئة من امته فوزنني بهم فوزنتهم، ثم قال: زنه بألف من امته فوزنني بهم فوزنتهم، فقال دعه عنك فوالله لو وزنته بامته لوزنها.

قال ابن اسحاق: وكان رسول الله (ﷺ) يقول لاصحابه: انا اعربكم، انا قرشي واسترضعت في بني سعد بن بكر[٧].

وكان رسول الله (ﷺ) مع امه آمنة بنت وهب وجده عبد المطلب بن هشام في كلاءه الله وحفظه، ينبته الله نباتاً حسناً لما يريد به من كرامته، فلما بلغ رسول الله (ﷺ) ست سنين، توفيت امه آمنة بنت وهب. قال ابن اسحاق: حدثني عبد الله بن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: ان أم رسول الله (ﷺ) آمنة توفيت ورسول الله (ﷺ) ابن ست سنين بالأبواء، بين مكة والمدينة، وكانت قد قدمت به على اخواله من بني عدي بن النجار تزيره اياهم، فماتت وهي راجعة به الى مكة[٨].

في هذه الروايات والحكايات دلالات ثقافية واجتماعية نستخلص منها ما يلي:

اولاً: اهتمام العرب بمعرفة الانساب، واثر تلك المعرفة في تكوين شخصية الانسان: يقول امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام):

«فإن العرق دساس وهذا ما ايده العلم الحديث في تأثير الجينات بما تحمله من صفات وراثية من جيل الى جيل. فنسب عبد الله والد محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ونسب امه آمنة يدلان على اصالة المحتد بين القبائل العربية.

ثانياً: إن التماس العرب في الحجاز المراضع لاطفالهم، له طابع حضاري، متقدم. فسكان الحضر كانوا يرسلون اطفالهم الى البادية ليترعرعوا في هوائها النقي الخالي من لوث المدينة، وما فيها من اوباء ولينشأوا بين عرب البادية فصحاء، سليمي اللغة والبيان.

ويبدو أن قدامى ملوك الفرس ايضاً كانوا على مثل هذه العادة؛ يبعثون أبناءهم الى البادية لينشأوا اقوياء أصحاء، فقد جاء في تاريخ ايران القديم أن يزدجرد الاول بن شابور الثالث الذي تسنم العرش عام ٣٩٩ للميلاد كان قد أرسل نجله بهرام جور الى بلاد الحيرة شرقي الجزيرة العربية عند النعمان بن المنذر احد ملوك اللخميين، فترعرع هناك، وتعلم العربية ونظم الشعر فيها، وتميز بشجاعته وبسالته الفائقة خلال حروبه العديدة مع قبائل الهون والروم[٩].

ثالثاً: ونزعة انسانية اصيلة في حياة العرب قبل الاسلام، وهي أن المرضعات كن يعاملن من يرضعن من اطفال الآخرين معاملة اطفالهن الحقيقيين، ويعتبرن ازواجهن آباء هؤلاء الاطفال، وابناءهن اخواناً لهم، كما رأينا في حديث حليمة السعدية عن محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

رابعاً: إن كرامات محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت قد ظهرت منذ ولادته، وذلك من خلال نزول الخير والبركة على اسرة مرضعته حليمة السعدية، وازدياد لبنها وتحسن معيشتها. وليس ذلك على الله بعسير. فهو الذي اعتنى بالنبي موسى (عليه السلام) واعاده الى امه لتقر عينها. وكل ما جرى لرسولنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كان بإذن الله، وتمهيداً لرسالته الكبرى ومسؤوليته العظمى.

خامساً: إن وفاة والده (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو في بطن امه، ثم وفاة امه وهو في السادسة من عمره لم تؤثر سلباً على شخصيته وفكره فقد نشأ على ملة ابراهيم (عليه السلام) حنيفاً لم يسجد لصنم، ولم يرض عما كان سائداً في مجتمعه من مظالم، فكان أن حضر قبل البعثة حلف

الفضول. وفي حياته هذه اقوى دليل على خطأ ما طرحه سيجموند فرويد من نظريات عن الايمان بالله، واوعزه الى عقدة اوديب والغريزة الجنسية لدى المؤمنين بالله، إذ أن محمداً رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد ولد بعد وفاة والده.

سادساً: اما قصة شق البطن في سن الثانية او الثالثة من عمره فلا تتفق مع العقل، وليس لها اي مبرر البته. وهي حكاية اختلقها الوضاعون مثلما اختلقوا الكثير من القصص والحكايات في تاريخ رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) خاصة، وتاريخ الاسلام عامة، فقد كان (صلى الله عليه وآله وسلم) قد اختاره الله سبحانه وتعالى شأنه من بين مئات الآلاف من بني الانسان المؤمنين بالله قولاً وعملاً، وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) تقياً ورعاً، صادقاً، اميناً، شجاعاً، صبوراً، واعياً وفكّيراً. ينتسب الى تلك الشجرة الطيبة التي تتصل بأبي الانبياء ابراهيم (عليه السلام)، والله يعلم حيث يجعل رسالته.

فما الحاجة لشق البطن واستخراج القلب وغسله بماء الثلج! والله القادر على كل شيء دون حاجة الى تلك العملية الجراحية. وامره اذا اراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون.

واقع الأمر ان القول في أن مركز الفكر والعواطف هو القلب الموجود في الصدر فكرة يونانية قديمة قال بها فلاسفة اليونان مثل ارسطو. اما الذين اختلقوا حكاية «شق البطن» فإنهم لم يفطنوا الى أن القلب ليس في التجويف البطني، بل في الصدر وغالب الظن أن فكرة القلب مركز الفكر والعاطفة قد تسربت الى الثقافة العربية قبل الاسلام من قبل اهل الاديان الذين كانت لهم وشائج تصلهم بالروم واليونان الذين كانوا يحكمون في بلاد الشام حينذاك. ولتثبيت وتأييد تلك الاسطورة، اعادوها مرة ثانية نقلاً عن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه، وبلفظ شق البطن، ويبدوا أنهم فطنوا بعد ذلك الى أن القلب ليس في البطن بل في الصدر فصححوا الرواية بشق الصدر! ولكي يحكموا ما اختلقوه من اكذوبة، جاؤوا برواية اخرى ذكرها مسلم في الجامع الصحيح نقلاً عن انس بن مالك بأن الرجلان شقا صدره، وغسلا قلبه بماء زمزم وفي طست من ذهب![١٠] في حين أن الذهن هو وسيلة الفكر ومركز العواطف والاحاسيس لهيمنته على الجهاز العصبي وأدوات التصور والتصديق، وردود الفعل المختلفة في جسم الانسان، أما القلب فليس سوى

مضخة تستقبل الدم من سائر انحاء الجسم، ثم تضخه الى اجهزة التصفية والتنقية، وتعيده مرة اخرى محمّلاً بالاوكسجين وما تحتاجه الخلايا من مواد غذائية. وهكذا يعمل القلب في دورتين دمويتين كبرى وصغرى.

ثم إن تسامي رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فوق كل الرذائل والمساوى، وتعاليه الى ذلك المستوى الرفيع من السلوك الانساني القويم حيث وصفه الله تعالى شأنه قائلاً: ﴿إنك لعلى خلق عظيم﴾ (القلم / ٤)، كان كل ذلك بجهده وجهاده، وهداية رب العالمين؛ ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ (العنكبوت / ٦٩)، ولا حاجة حينئذ للعملية الجراحية التي أخطأت الصدر الى البطن بحثاً عن القلب لغسله بماء الثلج في تلك الرمضاء!

سابعاً: ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان في منتهى الرأفة والعطف والرحمة مع امه آمنة بنت وهب. ففي عام صلح الحديبية مرّ (صلى الله عليه وآله وسلم) بمنطقة الأبواء (بين مكة والمدينة) وتذكر امّه الحنون، فحنّ اليها وزار قبرها، وبكى عند القبر، فبكى المسلمون معه، ثم أصلح ما درس من القبر، وقال: تذكرت عطفها وحبها لي فبكيت[11]. هذا ولم ينس رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أمهاته واخواته في الرضاعة، وكان يتواصل مع الجميع، يكرمهن ويحسن اليهن.

زوجات رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم):

ام المؤمنين خديجة (رض)

قال ابن هشام: فلما بلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خمساً وعشرين عاماً، تزوج خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب. وكانت خديجة (رض) امرأة تاجرة ذات شرف ومال. تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم. وكانت قريش قوماً تجاراً فلما بلغها عن رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ما بلغها من صدق حديثه، وعظم امانته وكرم اخلاقه بعثت اليه، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها الى الشام تاجراً وتعطيه افضل ما كانت تعطي غيره من التجار،

مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبل منها رسول الله محمد (ﷺ)، وخرج معه ميسره حتى قدم الشام.

ثم باع رسول الله (ﷺ) سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتري، ثم اقبل قافلاً الى مكة ومعه ميسرة فلما قدم مكة على خديجة (رض) بمالها، باعت ما جاء به بضعفٍ أو قريبا...

وكانت خديجة (رض) امرأة حازمة شريفة لبيبة، مع ما أراد الله بها من كرامته، فلما اخبرها ميسرة بما اخبرها به عن الرسول (ﷺ) بعثت الى رسول الله (ﷺ) فقالت له: يابن عم إني قد رغبت فيه لقرابتك، وسطتك (وشرفك) في قومك وأمانتك وحسن خلقك، وصدق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها (الزواج). وكانت خديجة يومئذ اوسط نساء قريش نسباً، واعظمهن شرفاً، واكثرهن مالاً، كل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه.

فلما قالت ذلك لرسول الله (ﷺ) ذكر ذلك لاعمامه، فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب (رض) حتى دخل على خويلد بن اسد فخطبها اليه فتزوجها.

قال ابن هشام: وأصدقها رسول الله (ﷺ) عشرين بكرة من الابل. وكانت خديجة (رض) اول امرأة تزوجها رسول الله (ﷺ)، ولم يتزوج عليها غيرها حتى وفاتها (رض)[١٢].

قال ابن اسحاق: فولدت لرسول الله (ﷺ) ولده كلّهم إلّا ابراهيم: القاسم، وبه كان يكنّى (ﷺ)، والطاهر، والطيب، وزينب ورقية وام كلثوم وفاطمة عليهم السلام.

وأما ابراهيم فأمه مارية القبطية التي كانت سريّة النبي (ﷺ) التي اهداها اليه المقوقس من حفن من كوره أنصنا[١٣].

مبعث الرسول (ﷺ) واسلام خديجة (رض)

قال ابن اسحاق: وكان رسول الله (ﷺ) يجاور (يعكف) في حراء من كل سنة شهراً وكان ذلك مما تحنث (تتبرر) به قريش في الجاهلية... حتى إذا كان الشهر الذي أراد

الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته، من السنة التي بعثه الله تعالى فيها وذلك شهر رمضان، خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى حراء كما كان يخرج لجواره، حتى كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته، ورحم العباد بها، جاءه جبريل (عليه السلام) بأمر الله تعالى: ويضيف ابن اسحاق نقلاً عن وهب بن كيسان عن عبيد بان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: رجعت بعد أن جاءني جبريل وقرأ عليّ: ﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق، إقرأ وربك الاكرم الذي علّم بالقلم علّم الانسان ما لم يعلم﴾ رجعت الى اهلي حتى اتيت خديجة فقالت (رض): اين كنت يا أبا القاسم، اين كنت؟ فحدثتها بالذي رأيت، فقالت: إبشر يابن عم واثبت، فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الامة[١٤] وآمنت به خديجة (رض) وصدقت بما جاءه من الله، وآزرته على امره، وكانت اول من آمن بالله وبرسوله، وصدقت بما جاء منه. فخفف الله بذلك عن نبيه، لا يسمع شيئاً مما يكرهه من ردّ عليه وتكذيب له، فيحزنه ذلك إلّا فرج الله عنها بها إذا رجع اليها، تثبته وتخفف عليه، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس. قال ابن اسحاق نقلاً عن هشام بن عروه عن ابيه عروة بن الزبير عن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب (رض) ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «امرت أن ابشر خديجة ببيت من قصب (اللؤلؤ)، لا صخب فيه ولا نصب»[١٥]، وهذا الحديث مرسل، رواه مسلم متصلاً عن هشام بن عروه عن ابيه عن عائشة (رض) قالت: ما غرت على خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بثلاث سنين، ولقد أمر أن يبشرها ببيت من قصب (لؤلؤ) في الجنة[١٦].

وكان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يعزّ خديجة (رض) في حياتها وبعد مماتها. يذكرها بعد وفاتها ويبكي لذكراها ويقول: لم يرزقني الله افضل واحسن منها، آمنت بي عندما كان الناس كافرين وصدقت بنبوتي عندما كذب الناس، ووهبتني اموالها عندما حرمني الناس، وقد رزقني الله منها اولاداً» ولد سمّي العام الذي توفيت فيه خديجة (رض) بعام الحزن[١٧].

هكذا كانت حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وام المؤمنين خديجة (رض) غامرة بالحب والوداد، والايثار والوفاء.

روى عن ابن عباس (رض) أن رسول الله (ﷺ) قال: افضل نساء اهل الجنة خديجة بنت خويلد (رض) وفاطمة بنت محمد (ﷺ) ومريم ابنة عمران (رض) وآسية ابنة مزاحم (رض) امرأة فرعون[١٨].

وروى الترمذي عن انس قال: قال رسول الله (ﷺ): حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران (عليها السلام) وخديجة بنت خويلد (رض) وفاطمة بنت محمد (ﷺ) وآسية امرأة فرعون (رض)[١٩].

أم المؤمنين سودة بنت زمعة

هي سودة بنت زمعة بن قيس، كانت امرأة السكران بن عمر من بني عامر. هاجرت مع زوجها الى الحبشة[٢٠] ويذكر ابن اسحاق انهما عادا الى مكة، وقد توفى السكران بن عمر قبل الهجرة الى المدينة بمكة، فبقيت سودة بعد وفاته وحيدة لا يمكنها العودة الى اهلها، إذ أنهم لم يسلموا بعد. وعودتها اليهم كانت تعني العودة الى عبادة الاصنام. فتزوجها الرسول محمد (ﷺ) لينقذها من هذه الورطة، وهي اول زوجة له (ﷺ) بعد خديجة (رض)، وكان ذلك في السنة العاشرة للبعثة النبوية، وكانت سودة قد طعنت في السن. توفيت (رض) سنة ٥٤ للهجرة، ودفنت في مقابر البقيع[٢١].

في رواية عن ابن سيرين أن سودة بنت زمعة قالت: حججت واعتمرت، فأنا اقر في بيتي، كما أمرني الله عز وجل[٢٢].

أم المؤمنين عائشة بنت ابي بكر (رض)

عائشة بنت ابي بكر بن ابي قحافة (رض)، ولدت في مكة تزوجها الرسول (ﷺ) في نفس السنة التي عقد عليها سودة بنت زمعة (رض) إلّا أنها دخلت بيته في السنة الثانية للهجرة في المدينة المنورة وذلك لصغر سنها[٢٣] وكانت (رض) محدثة، فقيهة تروي الكثير من الاحاديث النبوية. وقد وقعت خلال حياتها مع الرسول (ﷺ) وبعد وفاته الكثير من الحوادث المؤسفة منها حكاية المغافير التي نسجت بين عائشة ونصيراتها حين رأته

يتأخر في طوافه اليومي على بيوت نسائه إذ يلبث عند زينب بنت جحش أطول مما يجلس عند غيرها، فعلمت إنها تتبقيه لتسقيه عسلاً وكان يحب ذلك، فاتفقت مع صويحباتها أذا دنا الرسول منهن أن يقلن له ألكت مغافير؟ (ثمر كريه الرائحة). وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يكره أن يوجد منه رائحة كريهة، فلما أخبرهن أنه إنما يشرب عسلاً، قلن له أو قال بعضهن. لعله رعى زهر نبات المغافير.

فحرم على نفسه ذلك العسل. كذلك يوم أن جاءت حفصة فوجدت مارية القبطية في بيتها فغضبت حتى استرضاها بأن حرم مارية على نفسه، واستكتمها الامر فأبلغته الى عائشة، فأنبأ الله نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) بالامر وفرض له تحلة يمينه كما في اول سورة التحريم، زجرهن الله أن يفعلن ذلك على ما كان لهن من منزلة عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهددهن بالطلاق وأن يبدله خيراً منهنّ، وهجرهن النبي جميعاً شهراً وأنزل الله في شأنهن هذا قوله سبحانه: ﴿**يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم واذ اسر النبي الى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال: نبأني العليم الخبير إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكنّ مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وإبكاراً**﴾ [٢٤] وأخبر النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالغيب عن ربه فقال لأزواجه: أيتكن صاحبة الجمل الأديب يقتل حولها قتلى كثير، وتنجو بعد ما كادت. قال ابو عمر في هذا الحديث: وهذا الحديث من اعلام نبوته (صلى الله عليه وآله وسلم) [٢٥] وذلك لأن ما اخبر به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تحقق على عهد امير المؤمنين علي بن ابي طالب «عليه السلام».

وروى الامام احمد عن قيس قال: لمّا أقبلت عائشة وبلغت مياه بني عامر ليلاً نبحت الكلاب فقالت: أي ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوأب، قالت: ما أظنّني إلّا راجعة. فقال بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمون، فيصلح الله ذات بينهم. قالت: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لها ذات يوم «كيف باحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب. [٢٦] وأخرج ابن

سعد عن القاسم قال: كانت عائشة استقلت بالفتوى في عهد ابي بكر وعمر وعثمان (رض)[٢٧] وفي حرب الجمل روى البيهقي عن الحسن البصري: أن الاحنف بن قيس قال لأم المؤمنين عائشة: يا أم المؤمنين هل عهد اليك رسول الله (ﷺ) هذا المسير؟ قالت: اللهم لا. قال: فهل وجدته في شيء من كتاب الله جل ذكره؟ قالت: ما نقرأ إلّا ما تقرأون. فقال: فهل رأيت رسول الله (ﷺ) استعان بشيء من نسائه إذا كان في قلة والمشركون في كثرة؟ قالت: اللهم لا فقال الاحنف: فاذاً ما هو ذنبنا؟[٢٨] وروى أن أبا الاسود الدؤلي قال لها: ما أنت من السوط والسيف، إنما أنت حبيس رسول الله (ﷺ)، امرك الله أن تقري في بيتك، وتتلي كتاب ربك، وليس على النساء قتال. وليس لهن الطلب بالدماء وأن امير المؤمنين علي بن ابي طالب (رض) لأولى بعثمان منك، وأحسن رحماً، فانهما إبنا عبد مناف. قالت عائشة : لست بمنصرفة حتى أمضي لما قدمت إليه[٢٩] وعن ذكوان مولى عائشة قال: قدم درج من العراق فيه جواهر الى الخليفة عمر بن الخطاب (رض) فقال لاصحابه: أ تدرون ما ثمنه؟ فقالوا: لا. ولم يدروا كيف يقسمونه.

فقال: أتأذنون أن أرسل به الى عائشة بحبّ رسول الله (ﷺ) أياها؟ قالوا: نعم، فبعث به اليها[٣٠].

وأخرج ابن سعد عن مصعب بن سعد قال: فرض عمر (رض) لأمهات المؤمنين عشرة آلاف، وزاد عائشة ألفين[٣١] وفي عهد معاوية بن أبي سفيان تعهد معاوية أم المؤمنين (رض) بالعطايا.

روى عن عروة أن معاوية بعث الى عائشة بمائة الف[٣٢] ومما يذكر عن سلوكها في الحج ما أخرجه ابن سعد عن القاسم بن محمد قال: إن عائشة كانت تلبس الاحمر المذهب والمعصفر وهي محرمة[٣٣] وكانت تحدث عن رسول الله (ﷺ) الكثير من الاحاديث والسنن النبوية. وتتصدق على الفقراء والمساكين، حتى توفاها الله عز وجل عام ٥٧ للهجرة. وصلى عليها ابو هريرة، ودفنت في البقيع[٣٤].

ام المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب (رض)

ولدت حفصة (رض) في مكة قبل البعثة بخمس سنين، تزوجها خنيس بن حذافة، فكانت عنده حتى هاجرت معه الى المدينة، فمات عنها بعد الهجرة[٣٥] وقال ابو عمر: تزوجها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في سنة ثلاث من الهجرة[٣٦] وروى عن سعيد عن ابن عباس (رض) عن عمر بن الخطاب (رض): إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) طلّق حفصة، ثم راجعها[٣٧] توفيت حفصة سنة ٤٥ للهجرة في خلافة معاوية، وصلّى عليها مروان بن الحكم وهو يومئذ عامل المدينة[٣٨].

أم المؤمنين ام سلمة (رض)

هي هند بنت ابي أمية، كانت (رض) قبل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عند أبي سلمة عبدالله بن عبد الأسد، فولدت له سلمة وعمر وزينب. ثم توفى عنها، مخلف عليها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[٣٩].

وروى الحاكم عن مصعب بن عبد الله قال: كانت ام سلمة هي اول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة وكانت قبل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عند ابي سلمة. وهو اول من هاجر الى أرض الحبشة وشهد بدراً، وتوفى على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[٤٠].

وعن أبي جعفر أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دخل على أم سلمة حين توفى ابو سلمة، فذكر ما اعطاه الله وما قسم له وما فصله. فمازال يذكر ذلك ويتحامل على يده، حتى أثر الحصير في يده مما يحدثها[٤١] وروى الحاكم: لما انقضت عدة ام سلمة خطبها ابو بكر فردته، وخطبها عمر فردته[٤٢] وروى ابن سعد عن ام سلمة أنها قالت: لما خطبني رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قلت: إني في خلال لا ينبغي لي أن أتزوج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، إني إمرأة مسنة، وإني أم ايتام، وإني شديدة الغيرة.

قالت: فأرسل الي رسول الله أما قولك إني امرأة مسنة فأنا أسن منك. ولا يعاب على المرأة أن تتزوج أسن منها، واما قولك إني ام ايتام فان كلهم على الله وعلى رسوله. واما قولك إني شديدة الغيرة فإني ادعو الله أن يذهب ذلك عنك. قالت: فتزوجني رسول

الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأنتقلني فأدخلني بيت زينب بنت خزيمة أم المساكين بعد أن ماتت فإذا حرة، فاطلعت فيها فاذا فيها شيء من شعير واذا رخى وبرمه وقدر. فنظرت فاذا فيها كعب من أهاله. قالت: فاخذت الشعير فطحنته ثم عصدته في البرمة واخذت الكعب من الاهالة فأدمته به. قالت: فكان ذلك طعام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وطعام اهله ليلة عرسه[٤٣].

وروى الامام احمد عن عطاء بن رياح أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان في بيت ام سلمة فأتته فاطمة فقال أدعي زوجك وابنيك فجاء علي والحسن والحسين عليهم السلام فدخلوا عليه فجلسوا على دثار. وكان تحته كساء خيبري. قالت ام سلمة وأنا اصلي في الحجرة. فأنزل الله عز وجل ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهير﴾ فأخذ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فضل الكساء فغشاهم به ثم اخرج يده فألوى بها الى السماء ثم قال: «اللهم هؤلاء اهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) قالت ام سلمة: فأدخلت رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال: لا (إنك الى خير إنك الى خير)[٤٤].

وقال صاحب الاصابة: كانت ام سلمة موصوفة بالعقل البالغ والرأي الصائب، وإشارتها على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الحديبية تدل على وفور عقلها وصواب رأيها[٤٥] وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لاصحابه بعد ما كتب كتاب الصلح يوم الحديبية: انحروا بُدنكم وأحلقوا رؤوسكم فامتنعوا وقالوا: كيف ننحر ونحلق ولم نطف بالبيت ولم نسع بين الصفا والمروة، فاغتم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وشكا ذلك لام سلمة فقالت: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنحر أنت وأحلق، فنحر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وحلق، فنحر القوم[٤٦].

روى عن عبد الله بن رافع قال: كانت ام سلمة تحدث أنها سمعت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول على المنبر وهي تمتشط: أيها الناس، فقالت لما شطتها: لفي رأسها قالت الماشطة: فديتك إنما يقول أيها الناس، قالت ام سلمة: ويحك أولسنا من الناس. فلفت رأسها وقامت في حجرتها فسمعته يقول: أيها الناس بينما أنا على الحوض جيء بكم زمراً فتفرقت بكم الطرق. فناديتكم. ألا هلموا الى الطريق فناداني مناد من بعدي فقال إنهم قد بدلوا بعدك، فقلت ألا سحقاً، سحقاً[٤٧].

قال ابن حيان: توفيت ام سلمة سنة احدى وستين بعدما جاءها نعي الحسين بن علي (عليه السلام)[٤٨] وقال ابو نعيم: توفيت سنة اثنين وستين، وهي آخر أمهات المؤمنين موتاً[٤٩] ودفنت في البقيع[٥٠].

أم المؤمنين زينب بنت جحش (رض)

زينب بنت جحش بن رباب بن يعمر، وامها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم عمة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أخرج ابن سعد عن عمر بن عثمان عن ابيه قال: قدم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة، وكانت زينب بنت جحش ممن هاجر معه الى المدينة فخطبها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على زيد بن حارثة، فقالت: يا رسول الله لا أرضاه لنفسي وأنا أيم قريش. قال: فإني رضيته لك فتزوجها زيد بن حارثة[٥١] وروى أن زيداً كان يقال له زيد بن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان اهل الجاهلية يعتقدون أن الذي يتبنى غيره يصير ابنه، فلما نزل قوله تعالى: **﴿أدعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله﴾** وقوله تعالى: **(ماكان محمد أبا أحد من رجالكم...** الآية)، وطلاقها من زيد وزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بزينب بنت جحش انتفى ما كانوا يعتقدونه في الجاهلية. وقد اشار القرآن الكريم الى قصة الزواج هذه في سورة الاحزاب[٥٢] واخرج ابن سعد عن ابن عباس قال: لما اخبرت زينب بتزويج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لها سجدت[٥٣] وقال المسعودي: وكان تزويجه (صلى الله عليه وآله وسلم) من زينب بنت جحش سنة خمس من الهجرة، واخرج ابن سعد عن عائشة (رض) قالت: قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأزواجه، يتبعني أطولكن يداً، قالت عائشة: فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نمدُّ أيدينا في الجدار نتطاول، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش، وكانت امرأة قصيرة، ولم تكن أطولنا، فعرفنا حينئذ أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إنما أراد بطول اليد الصدقة. قالت عائشة (رض) وكانت زينب امرأة صناع اليد فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق في سبيل الله[٥٤].

واخرج ابن سعد عن عمر بن عثمان عن ابيه: ما تركت زينب بنت جحش درهماً ولا ديناراً. كانت (رض) تتصدق بكل ما قدرت عليه. وكانت مأوى المساكين[٥٥].

توفيت زينب بنت جحش في خلافة عمر بن الخطاب (رض) سنة عشرين وهي بنت ثلاثة وخمسين ودفنت في البقيع[٥٦].

أُم المؤمنين رملة بنت ابي سفيان

هي رملة بنت ابي سفيان بن حرب بن أمية، وأمها صفية بنت ابي العاص بن أمية. تزوجها عبيد الله بن جحش، فولدت له حبيبة فكنيت بها. وقد اسلمت (رض) وهاجرت وزوجها مع من هاجر من المسلمين الى الحبشة زوجها عبيد الله بن جحش قد تأثر بالدعاية النصرانية فارتد عن الاسلام ودخل النصرانية لكنّ ام حبيبة ثبتت على دينها. مثلما لم تتأثر حتى بديانة أبيها ابي سفيان بن حرب الذي بقى مشركاً حتى فتح مكة تزوجها الرسول (ﷺ) وهي بالحبشة وكالةً[٥٧] وعادت ام حبيبة في السنة السابعة للهجرة الى المدينة المنورة[٥٨].

يروى أن ابا سفيان بن حرب والد ام حبيبة بعد نقض صلح الحديبية من قبل قريش، ذهب الى دار ابنته ام حبيبة زوج الرسول (ﷺ)، وأراد ان يجلس على بساط كان قد فرش في الدار، فسحبته ام حبيبة من تحته، ولم تسمح له أن يجلس عليه، وقالت له: هذا بساط رسول الله (ﷺ)، ولا ينبغي لك الجلوس عليه، لأنك مشرك نجس[٥٩].

توفيت سنة اربع واربعين. في المدينة المنورة[٦٠].

أم المؤمنين جويرية بنت الحارث

هي جويرية بنت الحارث بن ابي ضرار بن مالك بن خزيمة. وهو المصطلق من خزاعة. تزوجها مسافع بن صفوان فقتل يوم المريسيع[٦١].

وكانت جويرية قد أسرت في غزوة بني المصطلق، وأثر زواج الرسول (ﷺ) بجويرية على الحرب مع المشركين الذين كانوا يعتمدون على بني المصطلق اذ كانوا حلفاء لأبي سفيان بن حرب على رسول الله (ﷺ). وكانوا ذوي تأثير كبير على من حولهم من القبائل[٦٢] وزواج الرسول من جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق كان قد

صدّع جبهة ابي سفيان وحلفائه. روى الطبري أن جويرية قد اسلمت، ثم خطبها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من ابيها الحارث فزوجه إياها[٦٣] وروى أنّ خبر زواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ذاع بين الناس فأرسل المسلمون ما بأيديهم وأعتقوا نحو مائة اهل بيت من اسرى بني المصطلق، وقالوا أصهار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) توفيت جويرية عام ستة وخمسين[٦٤] وقيل أنها عاشت خمساً وستين سنة[٦٥].

ام المؤمنين صفية بنت حي بن اخطب

هي صفية بنت حي بن أخطب، وأمها برّة بنت سموال من بني قريضة[٦٦] جاء في الاصابة أنها من سبط لاوي بن يعقوب، ثم من ذرية هارون بن عمران (عليه السلام) أخي موسى (عليه السلام)[٦٧]. أما أبوها فكان حي بن اخطب وأسّرت صفية، وقد خيرها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في أن تسلم ويتزوجها، أو تبقى على يهوديتها ويطلق سراحها، فأسلمت وتزوجها (صلى الله عليه وآله وسلم).

وأخرج الترمذي عن صفية أنها قالت: بلغني عن حفصة وعائشة أنهما قالتا: نحن اكرم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من صفية، نحن ازواجه وبنات عمه، فشكوت ذلك لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: ألا قلت فكيف تكونان خيراً مني، وزوجي النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبي هارون (عليه السلام) وعمّي موسى[٦٨] توفيت صفية سنة خمسين[٦٩] وكانت لها دار تصدقت بها في حياتها (رض)[٧٠].

ام المؤمنين زينب بنت خزيمة بن الحارث

قال ابن سعد: وهي ام المساكين وكانت تسمّى بذلك في الجاهلية. وكانت عند الطفيل بن الحارث بن المطلب، فطلقها ثم تزوجها عبيدة بن الحارث فقتل يوم بدر شهيداً[٧١] وروى عن محمد بن قدامة عن أبيه قائلاً: خطب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) زينب بنت خزيمة الهلالية ام المساكين، فجعلت أمرها إليه فتزوجها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأشهد وأصدقها اثنتي عشرة اوقية ونشاً. وكان تزويجه إياها في شهر رمضان على رأس إحدى وثلاثين

شهراً من الهجرة[٧٢] أخرج ابن سعد عن محمد بن قلامة عن أبيه قال: مكثت زينب عند رسول الله (ﷺ) ثمانية أشهر، وتوفيت في آخر شهر ربيع الآخر على رأس تسعة وثلاثين شهراً من الهجرة، وصلى عليها رسول الله (ﷺ) ودفنها بالبقيع[٧٣].

أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث

هي ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير، واخواتها لأبيها وأمها: ام الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث زوج العباس بن عبد المطلب. ولبابة الصغرى بنت الحارث زوج الوليد بن مغيرة وهي ام خالد بن الوليد.

وعصماء بنت الحارث، وكانت زوج أبي بن خلق الجهمي فولدت له إبنان، وعزة بنت الحارث كانت زوج زياد بن عبد الله بن مالك، أما اخواتها لأمها فهنّ: أسماء بنت عميس كانت زوج جعفر بن أبي طالب فولدت له عبد الله وعوناً ومحمداً، ثم خلق عليها ابو بكر (رض) فولدت له محمد، ثم خلف عليها علي بن أبي طالب، وسلمى بنت عميس أخت اسماء كانت زوج حمزة بن عبد المطلب فولدت له أمه الله ثم خلف عليها بعده شداد بن اسامة فولدت له عبد الله وعبد الرحمن[٧٤] وهكذا فإنّ للمصاهرة بين القبائل اثر بالغ في المجتمع العربي واخرج ابن سعد: أن مسعود بن عمرو بن عمير الثقفي كان قد تزوج ميمونة في الجاهلية، ثم فارقها، فخلف عليها أبو رهم بن عبد العزى بن أبي قيس، فتوفى عنها، وتزوجها الرسول (ﷺ) وكانت آخر امرأة تزوجها الرسول (ﷺ) وذلك سنة سبع للهجرة وعن مجاهد قال: كان اسم ميمونة برة فسماها رسول الله (ﷺ) ميمونة[٧٥].

ام المؤمنين مارية القبطية:

هي مارية بنت شمعون. عن عروة عن عائشة (رض) قالت: اهدى ملك من بطارقة الروم (صاحب الاسكندرية) يقال له المقوقس جارية من بنات الملوك يقال لها مارية الى رسول الله (ﷺ)، وولدت له مارية ابراهيم الذي توفى وهو ابن ثمانية عشر شهراً[٧٦].

وقد بكى الرسول (ﷺ) على ولده ابراهيم وبكى المسلمون حوله ثم

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يغضب الرب، وإنّا عليك يا ابراهيم لمحزونون»[٧٧] وكانت مارية من النساء المحدّثات، وذكرها ابن الاثير في زمرة اصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)[٧٨].

روى أن مارية (رض) توفيت سنة عشر للهجرة ودفنت بالبقيع[٧٩].

ام المؤمنين ريحانة بنت زيد (رض)

هي ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة من بني النضير. قال ابن سعد: وكانت متزوجة رجلاً من بني قريضة يقال له الحكم فنسبها بعض الرواة الى بني قريضة[٨٠] روى عن محمد بن كعب قال: كانت ريحانة مما أفاء الله على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلمّا قتل زوجها وقعت في السبى، فكانت صفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم بني قريضة. فخيرها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بين الاسلام وبين دينها فأختارت الاسلام، فاعتقها وتزوجها، توفيت ريحانة بعد حجّة الوداع، في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ودفنت بالبقيع[٨١].

تعدد زوجات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

لقد طعن بعض المستشرقين في حياة الرسول الزوجية، وتعدد زوجاته ونعتوه بالشهواني الذي نكح اكثر من عشرة نساء. وقد نسوا أو تناسوا أنّ تعدد الزوجات في زمن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقبله كان شائعاً وطبيعياً. ثم إنّ تعدد زوجات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حدث قبل التحديد وكانت له اهداف اجتماعية انسانية واخرى مصالح اسلامية. واول زواج للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان في سنّ الخامسة والعشرين، وفي ذروة شبابه، تزوج امرأة أرملةً تبلغ الأربعين من عمرها، وهي السيدة خديجة (رض) التي عاش معها ولم يتزوج غيرها حتى توفيت (رض) بعد خمسة وعشرين عاماً من عمره الشريف. فلو كان شهوانياً شبقاً لتزوج الفتيات الباكرات أوان شبابه. ولم يكن ذلك حينئذ بدعاً، ولم تمنعه الاعراف من ذلك. لكنّ تعدد زوجاته جاء بعد بلوغه الخمسين واكثر من ذلك. اما الأوربيون الذين يسخرون من تعدد الزوجات الذي اجازه الاسلام بشروط وعقود ومسؤولية، الاوربيون

يسمحون لانفسهم باتخاذ عشرات الخليلات والعشيقات بلا قيد ولا شرط ولا ضمان ويتفاخرون بذلك! ورسول الله (ﷺ) كما رأينا قد تزوج بعض النساء الطاعنات في السنّ لاغراض انسانية، إذ كان قد استشهد ازواجهن خلال الدفاع عن الاسلام والجهاد في سبيله. وبقين بلا معيل وبلا قوّام يحميهن اقتصادياً واجتماعياً فتزوجهن ليعوض عما فقدنه في ذلك الظرف الاجتماعي الخاص.

كما حدث مع زينب بنت حزيمة وام سلمة، او تزوجهنّ لاقامة وشائج قربى وتوثيق صلات مع بعض القبائل والاديان الاخرى مثلما فعل بالنسبة لأم المؤمنين جويرية بنت حي بن اخطب احد زعماء اليهود، وكانت في سبى خيبر، كذلك مارية القبطية أو كان زواجه تكريماً لبعض صحابته كما حدث بالنسبة لقبوله الزواج بأم المؤمنين عائشة، وام المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب عندما لم يقبل عثمان (رض) بالزواج منها عندما عرضها أبوها على ابي بكر (رض) فلم يستجب له، ثم عرضها على عثمان (رض) فلم يقبل ذلك، فذهب عمر (رض) الى الرسول (ﷺ) وشكى اليه صمت ابي بكر ورفض عثمان، فواساه النبي (ﷺ) مبتسماً وقال: «يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة»[٨٢].

ثم كان زواجه من ام المؤمنين زينب بنت جحش بعد أن طلقها زيد بن حارثة مولى الرسول (ﷺ) ومتبناه ليبطل بأمر الله عرفاً كان سائداً في الجاهلية بتحريم زوجة الابن بالتبني على أبيه الذي تبناه[٨٣].

كذلك زواجه من أمّ حبيبة بنت ابي سفيان التي هاجرت مع زوجها الى الحبشة، وارتد زوجها هنالك عن الاسلام ومات في الحبشة فكان زواجه بها تكريماً لها وجبراً لخاطرها وصلة قربى بزعيم مكة لعلها تخفف من عداوته.

وهكذا فإنّ كل زواج قام به الرسول (ﷺ) كان لهدف انساني او اجتماعي ولمصلحة الدين الحنيف، باذن الله وعلمه[٨٤]، حتى أن نزلت الآية الكريمة: ﴿لا يحلُّ لك النساء من بعد، ولا أن تبدل بهنّ من أزواج...﴾[٨٥].

وكان الرسول (ﷺ) مع انشغاله بأمر الدعوة وقيادة الغزوات والتخطيط للسرايا

وادارة الحكم والتعبد والتبتل كان يهتم بأزواجه. ويعدل بينهنّ ويجهز لهنّ ما يحتجنَ اليه من طعام وكساء بقدر المستطاع. وكان يقع بين ازواجه الخلاف والحسد، فيصلح بينهنّ بالمعروف، او تقع اخطاء فيستغلها المنافقون للتشهير بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأزواجه كما وقع لأم المؤمنين عائشة فأحزنت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كثيراً حتى نزلت آية الافك[٨٦] فحسمت الامر، ورفعت الشك وأخزت المنافقين.

بنات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

زينب (رض) بنت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد تزوجت بابن خالتها ابي العاص بن الربيع بن عبد العزى وأمه هالة بنت خويلد شقيقة السيدة خديجة، وولدت له عليّ بن أبي العاص. أما علي فقد توفى في سن المراهقة.

وأما أمامة فقد تزوجها علي بن ابي طالب (عليه السلام) بعد وفاة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بزمن. ومن بعده تزوجها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ولم يكن لها عقب[٨٧].

وكان ابو العباس مع قريش في معركة بدر الكبرى، وقد أُسّر فيها فأرسلت زينب بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في فدائه عقداً لها أهدته اليها أمها خديجة (رض) في يوم عرسها، فلما رآه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تذكر زوجته الحبيبة الوفية ورقّ رقة شديدة وقال لاصحابه الذين اجتمعوا حوله: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا» واستجاب الجميع لذلك وأطلق سراح ابي العباس وشرط عليه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يرسل زوجته زينب (رض) الى أبيها في المدينة المنورة، وقد فعل[٨٨].

لكن قريشاً تعرضت لها عند خروجها من مكة، وكان كنانة بن الربيع أخو زوجها يقود بعيرها.

وكان أشدّ الناس وقاحة في ذلك التعرض «هابر بن الاسود»، و«نافع بن عبد قيس»، فنخس هبار البعير وروع زينب (رض) بالرمح فسقطت من هودجها وكانت حاملاً فسقط جنينها. وتصدى كنانة لهبار ونثر سهامه بين يديه متحدياً إياه، ورأى كنانة زوجة اخيه

تنزف دماؤها، وقد ألقت جنينها فرجع بها وبقيت عند ابي العاص أياماً ثم رحلت الى المدينة[٨٩] اقامت زينب بنت رسول الله (ﷺ) بالمدينة حتى كان شهر جمادي من العام السادس للهجرة، ولقيت خيل المسلمين عيراً لقريش يسعى بها ابو العاص (زوج زينب) فأغاروا عليها وغنموا منه، لكنه أعجزهم هرباً، وانتظر حتى حلّ الظلام فسعى الى بيت زينب (رض) واستجار بها، فخرجت والمسلمون في صلاة الفجر خلف أبيها (ﷺ)، وصاحت تسمعهم أجمعين: «أيها الناس إني أجرت أبا العاس ابن الربيع».

فلما أنهى الرسول (ﷺ) صلاته التفت الى أصحابه وقال لهم: «ايها الناس هل سمعتم ما سمعت؟» قالوا: نعم يا رسول الله (ﷺ). فقال: «أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعتم ما سمعت، وأنه يجير على المسلمين أدناهم وقد أجرنا من أجارت».

ثمّ دخل على ابنته وعندها ابو العاص فقال لها: «أكرمي مثواه، ولا يخلصنّ اليك فإنك لا تحلّين له». وأسلم بعد ذلك ابو العاص، وخرج من مكة مهاجراً، فرد عليه رسول الله زوجته زينب بنكاحها الاول الصحيح...[٩٠].

روت عائشة (رض) أن الرسول (ﷺ) أهديت اليه قلادة من جزع فقال لأرفعنها الى أحد من اهلي، فقالت النساء ذهبت بها ابنه ابي قحافة، لكن الرسول (ﷺ) دعا أمامة بنت زينب فأعلقها في عنقها[٩١] توفيت زينب (رض) في العام الثامن للهجرة، فصلّى عليها الرسول (ﷺ)، وبقيت من بعدها ابنتها أمامة يدللها الرسول (ﷺ) ويعطف عليها[٩٢].

رقية (رض) بنت الرسول (ﷺ)

تزوجت رقية (رض) عتبة بن ابي لهب، وأمه ام جميل بنت حرب بن أمية أخت ابي سفيان. وبعد مبعث الرسول (ﷺ) ومخالفة ابي لهب وزوجته للدين الحنيف ونبيه الكريم، أمر ابو لهب ولده عتبة واخاه عتيبة الذي تزوج ام كلثوم (رض) بنت الرسول (ﷺ) أن ينفصلا عن ابنتي الرسول (ﷺ) إغاظة وكرهاً له.

فانفصلت رقية (رض)، ثم تزوجت عثمان بن عفان (رض) وهاجرت معه الى الحبشة وولدت لعثمان عبد الله الذي توفى في عامه السادس. ثم هاجرت مع زوجها الى المدينة المنورة، ومرضت هي في زمن غزوة بدر، وتخلف لهذا عثمان (رض) بأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليمرض زوجته رقية (رض) لكنها توفيت قبل ان تسمع خبر انتصار المسلمين في بدر ودفنت بالبقيع[٩٣].

ام كلثوم (رض) بنت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

عاشت ام كلثوم (رض) بعد أن طلقها عتيبة بن ابي لهب في بيت أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) ومع امها خديجة (رض)، اما ابو لهب فقد نزلت فيه سورة المسد: ﴿**تبّت يدا ابي لهب وتبّ. ما اغنى عنه ماله وما كسب. سيصلى ناراً ذات لهب. وامرأته حمّالة الحطب. في جيدها حبل من مسد**﴾. وكان عتيبة أسوأ الاخوين وقد دعا عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يسلط الله عليه كلباً من كلابه، فكان ابوهُ وقومه يحرسونه في حله وترحاله خشية تحقق دعوة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وذات مرة كان في سفر ونام اصحابه وقد جعلوه وسطهم حتى لا يصل اليه ما يؤذيه، فأرسل الله أسداً تخطاهم من حوله وافترسه من دونهم[٩٤].

ولما توفيت رقية (رض)، تزوج عثمان بن عفان (رض) اختها ام كلثوم (رض)، وكان ذلك في العالم الثالث للهجرة[٩٥].

عاشت ام كلثوم (رض) مع عثمان (رض) سنة اعوام وتوفيت في العام التاسع للهجرة النبوية[٩٦].

فاطمة الزهراء (عليها السلام) بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

فاطمة (عليها السلام) وأمها خديجة (رض) وهي آخر بنات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد شهدت وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم). ثم هي زوجة علي بن ابي طالب (عليه السلام) ابن عم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وام سبطيه الحسن والحسين (عليهما السلام).

هؤلاء الذين نزلت فيهم آية التطهير: ﴿**إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت**

ويطهركم تطهيراً﴾. (الاحزاب / ٣٣) والذين أكرمهم الله بأن جعل الصلاة عليهم واجبةً في كل صلاةٍ. ومن لم يصلّ عليهم لا صلاةَ له.

أخرج الحاكم والترمذي وآخرون عن سعد بن ابي وقاص (رض) قال: لما أنزل الله آية المباهلة: ﴿فقل تعالوا ندع ابناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وأنفسكم...﴾ آل عمران/٦١) دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وقال: «اللهمَّ هؤلاء أهلي»[٩٧].

وروى الامام احمد (رض) والترمذي عن امّ سلمة (رض) أنه لما نزلت آية التطهير أدار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كساءه على عليّ وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) فقال: اللهمّ هؤلاء اهل بيتي»[٩٨].

وروى مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم أنه قال: «خطبنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بماء يدعى (غدير خم) بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكّر ثم قال: «أما بعد ألا ايها الناس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب، وأنا تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله... وأهل بيتي، أذكركم الله في اهل بيتي، أذكّركم الله في اهل بيتي، أذكركم الله في اهل بيتي[٩٩].

وعن مسلم واحمد والترمذي، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما[١٠٠].

فكيف ياترى خلفوا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في كتابه وعترته اهل بيته (عليهم السلام)؟

لقد أوذيت وروعت فاطمة (عليها السلام) وتوفيت حزناً وتألماً من سوء المعاملة التي لقيتها من بعض المسلمين! ثم اغتيل امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) وهو يصلي في المحراب، وأغرى معاوية بن ابي سفيان جعدة بنت الاشعث زوج الحسن بن علي (عليه السلام) فدسّت له السمّ في الطعام.

وبأمر من يزيد بن معاوية بن ابي سفيان وعامله على الكوفة عبيد الله بن زياد بن ابيه وقعت فاجعة كربلاء التي استشهد فيها الحسين بن علي سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيد

شباب اهل الجنة ثم داست عليه الخيول وسبي اهله وعياله. هكذا خلفوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في اهل بيته! أذكركم الله بأهل بيتي!

نتيجة البحث:

لقد احسن توماس كارلايل الانجليزي الاسكتلندي في كتابه الابطال اذ وصف رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ببطل الابطال. فقد تحمّل هذا النبي العظيم مسؤوليات جسام، فأدى الامانة، وبلّغ الرسالة، قام بأعباء الدعوة الى دين الله، قاد الجيوش من اجل اعلاء كلمة الله، وحكم بين الناس بالقسط والعدل، والى جانب مسؤولية القيادة والحكومة والدعوة كان (صلى الله عليه وآله وسلم) إبناً باراً بامهاته، وشفيقاً بأخوته في الرضاعة، ثم كان زوجاً ودوداً رحيماً وفياً لخديجة (رض) التي كانت تكبره بخمسة عشر عاماً.

وبعد وفاة زوجه الحنون، وزواجه من أمهات المؤمنين مستهدفاً مصالح الدين الحنيف والأمة الفتية، كان الزوج الكريم الذي يقضي بالعدل ويعاملهنّ بالانصاف. وقد تحمّل الهموم الكبيرة صابراً محتسباً مثلما وقع له في حادثة الافك وغيرها من الاحداث.

واخيراً كان رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الأب الحنون الذي يهتم ببناته الأربع كأحسن ما يكون عليه الآباء مع بناتهم وفلذات اكبادهم، في افراحهنّ وأتراحهنّ. وهو الذي اطلق على المرأة اسم الريحانة، ودعا المسلمين الى الرفق بالقوارير، وقال خيركم خيركم لعياله. صلى الله تعالى على رسول الله محمد وآله الأطهار وصحابته الابرار وسلّم تسليماً كثيراً.

أهم المصادر والمراجع:

١ ـ ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث، دار المعارف (١٩٨١) القاهرة.
٢ ـ ابن الحجاج، مسلم، الصحيح، ط احياء التراث، بيروت.
٣ ـ ابن حجر، الاصابة في تمييز الصحابة، طبع مصطفى محمد (١٩٣٩) القاهرة.
٤ ـ ابن حنبل، احمد، المسند، شرح احمد محمد شاكر، دار المعارف (١٩٤٩) القاهرة.
٥ ـ ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، (١٣٨٠).
٦ ـ ابن عبد البر، الاستيعاب، على هامش الاصابة لابن حجر.
٧ ـ ابن قتيبة، الامامة والسياسة. طبع بيروت.
٨ ـ ابن كثير، البداية والنهاية، طبع دار المعارف، القاهرة (١٩٨١).
٩ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، مطبعة الحلبي (١٩٣٦)، القاهرة.
١٠ ـ ابو نعيم، حلية الاولياء، طبع القاهرة بمصر (١٣٥١).
١١ ـ احمد بن حنبل، الفتح الرباني، ترتيب مسند احمد، احمد البنا، طبع دار التراث، بيروت.
١٢ ـ ايوب، سعيد، زوجات النبي (ص)، دار الهادي، بيروت (١٩٩٧).
١٣ ـ الترمذي، سنن الترمذي، طبع الحلبي، (١٣٥٦)، بمصر.
١٤ ـ الحاكم النيسابوري، المستدرك، طبع دار الفكر، بيروت.
١٥ ـ رضائي، عبد العظيم، تاريخ ده هزار ساله ايران، طبع طهران (١٣٧٥).
١٦ ـ الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، انتشارات اسلامي قم.
١٧ ـ الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، دار المعارف بمصر.
١٨ ـ عبده يماني، محمد، علموا اولادكم محبة اهل بيت النبي، طبع جدة، المملكة العربية السعودية.
١٩ ـ منصور ناصف، التاج الجامع للاصول، طبع دار الفكر بيروت.
٢٠ ـ الهيثمي، مجمع الزوائد، مطبعة القدس، القاهرة.
٢١ ـ اليعقوبي، احمد، تاريخ اليعقوبي، النجف، ١٣٥٨.

الهوامش:

١ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١١٥.
٢ . المصدر السابق، ص ١٦٥.
٣ . المصدر السابق، ص ١٦٩.
٤ . المصدر السابق، ص ١٧٠.
٥ . المصدر السابق.
٦ . ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٧٥.
٧ . المصدر السابق، ص ١٧٦.
٨ . المصدر السابق، ص ١٧٧.
٩ . رضائي، عبد العظيم، تاريخ ده هزار ساله ايران، ص ٤٢ الى ٤٢.
١٠ . ابن الحجاج، مسلم، الجامع الصحيح، ج ١، ص ١٠١.
١١ . ابن سعد ـ الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١١٦.
١٢ . ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٠١.
١٣ . المصدر السابق، ص ٢٠٢.
١٤ . المصدر السابق، ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤.
١٥ . المصدر السابق، ص ٢٥٧.
١٦ . اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي (الترجمة الفارسية)، ج ١، ص ٣٩٤.
١٧ . رواه احمد وابو يعلى والطبراني، كتاب الزوائد، ج ٩.
١٨ . رواه الترمذي بسند صحيح والنسائي والحاكم، التاج الجامع للاصول، ج ٣، ص ٣٧٩.
١٩ . ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ٣٥٢.
٢٠ . ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٨، ص ٤٣.
٢١ . المصدر السابق، ج ٧، ص ٥٥.
٢٢ . المصدر السابق، ج ٨، ص ٤٦.
٢٣ . ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث، ج ٣، ص ٢١٨ و٢٧٢.
٢٤ . سورة التحريم، الآيات ١ ـ ٥.
٢٥ . ابن عبد البر، الاستيعاب، هامش الاصابة لابن حجر ج ٤، ص ٣٦١.
٢٦ . رواه احمد، وقال في الفتح الرباني، قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح (الفتح الرباني ج ٢٣، ص ١٣٧).
٢٧ . ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٨، ص ٣٧٥.
٢٨ . ابن عبد البر، الاستيعاب، هامش الاصابة لابن حجر، ج ٤، ص ٣٦٠.
٢٩ . ابن عبد البر، العقد الفريد، ج ٢، ص ٢٧٨ الامامة والسياسة لابن قتيبة، ج ١، ص ٦٠.

٣٠. الحاكم، المستدرك، ج ٤، ص ٨ وسير اعلام النبلاء، ج ٢، ص ٦٧.
٣١. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٨، ص ٦٧.
٣٢. ابو نعيم، الحلية، ج ٧، ص ٤٧ وسير اعلام النبلاء، ج ٢، ص ١٣١.
٣٣. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٨، ص ٦٧.
٣٤. المصدر السابق، ج ٨، ص ٧٦ و٧٧.
٣٥. المصدر السابق، ج ٧، ص ٨١.
٣٦. ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ٣٦٩.
٣٧. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٨٤.
٣٨. المصدر السابق، ج ٧، ص ٨٤.
٣٩. رواه الطبراني، الزوائد، ج ٩، ص ٢٤٥.
٤٠. الحاكم، المستدرك، ج ٤، ص ٦ والاستيعاب، ج ٤، ص ٤٥٤.
٤١. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٩١.
٤٢. الحاكم، المستدرك، ج ٤، ص ١٧.
٤٣. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٩١.
٤٤. رواه الامام احمد، ورواه الحاكم، وأقرّه الذهبي (الفتح الرباني، ج ١٨، ص ٣٢٨).
٤٥. ابن حجر، الاصابة في تمييز الصحابة، ج ٤، ص ٤٥٩.
٤٦. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٨، ص ٢٦٨.
٤٧. رواه الامام احمد واسناده جيد (الفتح الرباني، ج ١، ١٩٧).
٤٨. ابن حجر، الاصابة في تمييز الصحابة، ج ٤، ص ٤٦٠.
٤٩. المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٦٠.
٥٠. ابن عبد البر، الاستيعاب، هامش كتاب الاصابة، ج ٤، ص ٤٢٢.
٥١. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ١٠١.
٥٢. سورة الاحزاب آية ٣٧ الى ٤١.
٥٣. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ١٠٢.
٥٤. المصدر السابق، ج ٧، ص ١٠٨ (رواه الشيخان).
٥٥. المصدر السابق، ج ٧، ص ١١٤.
٥٦. المصدر السابق، ج ٧، ص ١١١.
٥٧. ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ٤٤١.
٥٨. المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٠٦.
٥٩. المصدر السابق نهاية الارب، ج ٣، ص ١٦٥.
٦٠. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٨، ص ٧٨.
٦١. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٥، ص ٢٩٥.

٦٢. ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٢٤٦.
٦٣. ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ٢٦٠.
٦٤. المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٦١.
٦٥. ابن حجر، الاصابة في تمييز الصحابة، ج ٤، ص ٢٦٦.
٦٦. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ١٢٠.
٦٧. ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ٣٤٦.
٦٨. رواه الترمذي بسند صحيح (التاج الجامع، ج ٣، ص ٣٨٥).
٦٩. ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ٣٤٩.
٧٠. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ١٢٨.
٧١. المصدر السابق، ج ٧، ص ١١٥.
٧٢. ابن حجر، الاصابة في تمييز الصحابة، ج ٤، ص ٣١٦.
٧٣. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ١١٥.
٧٤. ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ٤٠٤.
٧٥. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ١٣.
٧٦. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٥، ص ٣٠٤.
٧٧. المصدر السابق، ج ٥، ص ٣٠٩.
٧٨. ابن حجر، الاصابة في تمييز الصحابة، ج ٤، ص ٤٠٥.
٧٩. ابن حجر، مجمع الرجال، ج ٧، ص ١٧٨.
٨٠. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٨، ص ١٢٩.
٨١. ابن حجر، الاصابة في تمييز الصحابة، ج ٨، ص ٨٨.
٨٢. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٨، ص ٣٠.
٨٣. عبده يماني، محمد، علموا اولادكم محبة آل بيت النبي (ص)، ص ١٩٤.
٨٤. سورة الاحزاب، آية ٣٧.
٨٥. سورة الاحزاب، آية ٥٠.
٨٦. سورة الاحزاب، آية ٦.
٨٧. سورة النور آية ١١ وراجع شرح الواقعة في تفسير في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٥٤.
٨٨. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٨، ص ٣٠.
٨٩. الحاكم، كتاب المستدرك ج ٣، ص ٢٣٦ واحمد في المسند، ج ٦، ص ٢٧٦.
٩٠. ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٩٧.
٩١. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٨، ص ٤٠.
٩٢. المصدر السابق، ج ٨، ص ٤٠.
٩٣. رواه مسلم في الحديث رقم (٥٤٣)، وابو داود في الحديث رقم (٩١٧).

٩٤ . الحاكم، كتاب المستدرك، ج ٤، ص ٤٧ و٤٨.

٩٥ . المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٣٩.

٩٦ . ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٨ ص ٣٨.

٩٧ . الحاكم، كتاب المستدرك، ج ٤، ص ٤٨ وابن سعد في الطبقات، ج ٨، ص ٣٨.

٩٨ . رواه الحاكم في المستدرك، ج ٣، ص ١٥٠ والترمذي برقم (٢٩٩٩) في التفسير باب «ومن سورة آل عمران»، ج ٥، ص ٢١٠ ورواه مسلم برقم (٢٤٠٢) في فضائل الصحابة، ج ٤، ص ١٨٧.

٩٩ . رواه احمد في المسند، ج ١، ص ٣٣١ وج ٣، ص ٢٥٩ والترمذي برقم (٣٢٠٥) و(٣٧٨٦) في التفسير، والحاكم في المستدرك، ج ٣، ص ١٤٦.

١٠٠ . رواه مسلم برقم (٢٤٠٨) من فضائل الصحابة، واحمد في المسند، ج ٢، ص ١١٤، وج ٤، ص ٣٦٦ وص ٣٦٧ والطبراني في المعجم الكبير، ج ٥، ص ١٨٥.

١٠١ . صحيح مسلم الحديث رقم (٢٤٠٨) والترمذي الحديث رقم (٣٧٨٦) واحمد في المسند، ج ٣، ص ١٤ و١٧ و٢٦.

معجزات النبيّ محمّد (ﷺ)

الدكتور علي اوسط ابراهيمي
استاذ مشارك بجامعة تربيت معلم (اعداد المعلمين)

خلاصة البحث :

يبدأ هذا البحث بتعريف المعجزة وبيان شروطها والفرق بينها وبين كرامات الأئمّة واستدراج الكفّار (العمل الخارق للعادة. الصادر عن الكفّار). تعرّف المعجزة بأنّها العمل الخارق للعادة الّذي اختصّ به الأنبياء من أجل اظهار نور الحقيقة وتبليغ رسالة الله الى النّاس.

وقد اختص الله بمعجزاته أنبياءه تأييداً لما أرسلهم به من تبليغ رسالة الوحدانيّة والألوهيّة الى النّاس ويحتوي هذا البحث أيضاً على مقارنة بين معجزات النبيّ محمّد(ﷺ) وبين معجزات الأنبياء (عليهم السلام) نوح وابراهيم وهود وصالح ولوط وموسى وعيسى وغيرهم من أنبياء الله ورسله. وكذلك يحتوي البحث على شرح لمعجزات النبي (ﷺ) مثل مجيء الشجرة اليه وحنين الجذع وحديث شاة امّ معبد وغيرها. وتناول هذا البحث المتواضع أهمّ معجزات الرّسول محمّد (ﷺ) وهي معجزة القرآن الكريم ويأتي في آخر البحث بايراد النتيجة والهدف منه.

الكلمات الهامّة.

المعجزة – خارق العادة – الكرامة – ريح صرصرعاتية – قاع صفصف.

معجزات النبيّ محمّد (ﷺ)

يدرك كلّ عالم ومحقق في نهاية محاولاته العلميّة في العالم البشريّ بأنّه لا حقيقة ثابتة وخالدة الّا القرآن الكريم ومعجزاته.

هذه تواريخ السادة والطّاهرين من الأنبياء والحكماء والأبطال والمصلحين والعبقريين والمفكرين الكائنة في متناول كلّ شخص. وقد ملأت آثارهم الماديّة والمعنويّة كلّ آفاق الحضارة العالميّة ونلاحظ أنّه لا أحد منهم قد خلد شيئاً من صفة الاعجاز والخلود معاً. بمعنى آخر أنّهم لم يتركواعملاً باقياً أو أثراً باستثناء النبيّ المصطفى الرسول الأيدي للعالم ونبيّ الرحمة للعالمين (ﷺ).

وبناء على ذلك في هذه المقالة بتعريف المعجزة بداية من المصادر المتنوّعة ثمّ أفصّل معجزات النبي (ﷺ) وكيفية حدوثها.

المعجزة MIRacle, prodigt

اسم فاعل من الاعجاز وهي في الشرع امر خارق للعاده من ترك او فعل مقرون بالتحدّي مع عدم المعارضة، وانما أخذ أحد الأمرين لأنّ المعجزة كما تكون اتياناً بغير المعتاد كذلك قد تكون منعاً عن المعتاد مثل أن يمسك عن الفوت مدّة غير معتادة مع حفظ الصحّة والحياة والتحدي هو طلب المعارضة في شاهد دعواه من النبوّة، فلابدّ أن يكون الخارق موافقاً للدعوى، اذ لا شهادة بدون الموافقة فخرج الدّهانة كنطق الجماد بأنّه مفترٍ كذّاب لأنّها لا تكون موافقة للدّعوى، وكذا خرج الارهاص والكرامة لعدم اقترانهما بالدّعوى وأما قولهم كرامة الولي معجزة لنبيّه مع عدم كونها مقروناً بالدّعوى فمبني على التشبيه لا على أنّها معجزة حقيقة اذ يشترط في المعجزة أن تكون ظاهرة على يد مدّعي النبوّة وبقيد عدم المعارضة خرج الاستدراج والسحر والشعبدة. مع أنّ الحق أن السحر والشعبدة ليسا من الخوارق وايضاً لا يخلق الله تعالى الخارق الموافق للدّعوى في يد الكاذب في دعوى الرسالة بحكم العادة ولا نقض بالفرضيات اذ مادّة النقض في التعريفات، يجب أن تكون من الواقعات.

وبالجملة والمعجزة أمر خارق يظهر على يد مدّعي النبوّة موافقاً لدعواه، وقد سبق بيانها في لفظ الخارق ايضاً[١].

ماهي المعجزة؟

المعجزة: عبقريّة وعمل خارق للعادة الّذي يصدر من قبل النبيّ ويدهش عيون الناظرين، ويحث الحيرة والدّهشة لكافّه الناس، فلا يجدون بدّاً الّا الاعتراف بها والمعجزة التّي توصف بهذه اللّغة تسمى آية النبي أو أسلحة الأنبياء وتعتبر عامّة الخلق تلك علامة بين المخلوقين والخالق وبذلك يعرف النبي عن المتنبّي[٢].

اذا صدر فعل خارق العادة من النبي الّذي يكون بقية الخلق عاجزين عن اتيان مثله يقال له معجزة واذا ظهر فعل خارق للعادة من وليّ يقال له كرامة، واذا صدر فعل خارق للعادة من كافر يسمى له، استدراجاً[٣].

وجاء في موسوعة ناظم الأطبّاء: أنّ الشيء الذي يكون الخلق عاجزين عن اتيان فعل خارق للعادة ثمّ يصدر عن الانبياء، يسمّى محيراً ومعجباً.

ويقول الجرجاني: امر خارق للعادة مقروناً بالتحدي مع عدم المعارضة وأصل الخير والسعادة لأنّ المعجزة كما تكون اتياناً بغير المعتاد كذلك قد تكن منعاً عن المعتاد.[٤]

وجاء في كشاف اصطلاحات الفنون «إعلم أنّ للمعجزة سبعة شروط الأوّل أن يكون فعل الله أو ما يقوم مقامه من التروك، لأن التصديق منه تعالى لايحصل بما ليس من قبله، وقولنا أو ما يقوم مقامه ليتناول التعريف مثل ما اذا قال معجزتي أن أضع يدي على رأسي وأنتم لاتقدرون عليه ففعل وعجزوا فانّه معجز ولا فعل له. ثمّة إذ عدم خُلق القدرة ليس فعلاً، ومن جعل الترك وجوديّاً بناءً على أنّه الكفّ حذف هذا القيد لعدم الحاجة اليه. الثاني أن يكون المعجز خارق للعادة، اذ لا اعجاز بدونه وشرط قوم في المعجز أن لا يكون مقدوراً للنبي اذ لو كان مقدوراً له كصعوده على الهواء ومشيه على الماء لم يكن نازلاً منزلة التصديق من الله وليس بشيء، لأنّ قدرته مع عدم قدرة غيره عادة معجزة. الثالث أن يتعذّر معارضته فانّ ذلك حقيقة الاعجاز الرابع أن يكون ظاهراً على يد

مدّعي النبوّة ليعلم أنّه تصديق له وهل يشرط التصريح بالتحدّي وطلب المعارضة كما ذهب اليه البعض، ألحقّ أنّه لايشترط بل يكفي قرائن الأحوال مثل أن يقال به إن كنت نبيّاً فاظهره معجزاً ففعل. الخامس أن يكون موافقاً للدعوى، فلو قال معجزتي أن أحيي ميتاً ففعل خارقاً آخر لم يدل على صدقه لعدم تنزّله منزلة تصديق الله اياه. السادس أن لا يكون المعجز مكذّبا له فلو قال معجزتي أن ينطق هذا الضَّبُّ فقال انّه كاذب لم يدلّ على صدقه بل ازداد اعتقاد كذبه لأن المُكذّب هو نفس الخارق. اما اذا قال معجزتي أن أحيي هذا الميت فأحياه فكذّب الميت له ففيه احتمالان، والصحيح انّه معجزه لأنّ المعجزة هي احياؤه وهو غير مُكذّب له، والحيّ بعد الحيوة يتكلّم باختياره ما يشاء.

وقيل عدم كونه مُعجزة إنّما هو اذا عاش بعد الإحياء زماناً واستمرّ على التكذيب ولو خرّ ميتاً في الحال بطل الاعجاز لأنّه كان أحيى للتكذيب فصار كتكذيب الضبّ والصّحيح أنّه لا فرق لوجود الاختياري في الصورتين والظّاهر أنّه لايجب تعيين المُعجز بل يكفي أن يقول أنا آتي بخارقٍ من الخوارق ولايقدر أحد أن يأتي بواحد منها. وفي الكلام الآمدي أنّ هذا متّفق عليه. قال فاذا كان المعجز معيّنًا فلابدّ في معارضته من المماثلة واذا لم يكن معيّناً فأكثر الأصحاب على أنّه لابد فيها من المماثلة، وقال القاضي لا حاجة اليها وهو الحقّ لظهور المخالفة فيما ادعاه وهو انا آتي بخارق الخ، فاذا أتى غيره بخارق وان لم يكن مماثلاً لما أتاه فقد ظهر المخالفة فيما ادّعاه وتحقّق المعارضه. السابع أن لايكون المعجز متقدّماً على الدعوى بل مقارناً لها لأن التصديق قبل الدّعوى لا يعُقل فلو قال معجزتي ما قد ظهر على يدي قبلُ لم يدل على صدقه ويُطالب بالاتيان بعد الدعوى. فلو عجز كان كاذباً قطعاً وأمّا المتأخّر عن الدعوى فامّا أن يكون تأخّره بزمان يُسير معتادٍ مِثله، فظاهرٌ أنّه دالّ على صدقه، او بزمان متطاول مثل أن يقول معجزتي أن يحصل كذا بعد شهر فحصل فاتّفقوا على أنّه معجز، لكن اختلفوا في وجه دلالته، فقيل اخباره عن الغيب فيكون المعجز مقارناً للدّعوى لكن تخلّف عنها علمنا بكونه معجزاً وقبل حصوله فيكون متأخّراً عن الدّعوى وقيل يصير قوله أن اخباره معجزاً عند حصول الموعود به فيكون المعجز على هذا القول متأخراً باعتبار صفته أعني كونه معجزاً والحق

أنّ المتأخر هو حكماً بكونه معجزاً.

فائدة:

اختلفوا في كيفيّة حصولها. المذهب عندنا معاشر الأشاعرة أنّه فعل الفاعل المختار وهو الله سبحانه يظهرها على يد من يريد تصديقه وقال الفلاسفة انّها تنقسم الى تركٍ وقولٍ وفعلٍ. أمّا الترك فمثل أن يمسك عن القوت المعتاد برهةً من الزمان بخلاف العادة وسببه انجذاب النفس الزكية عن الكدورات البشريّة إمّا لصفاء جوهرها في أصل فطرتها وامّا لتصفيتها بضرب من المجاهدة وقطع العلائق متعلق بالانجذاب الى عالم اقدس واشتغالها بذلك عن تحليل مادّة البدن، فلا يحتاج الى البدن كما يشاهد في المرضى من أنّ النفس لاشتغالها بمقاومة المرض تمنع عن التحليل فتمسك عن القوت مدّة. وامّا القول فكالاخبار بالغيب وسببه انجذاب نفسه التقيّة عن الشواغل البدنيّة الى الملائكة السماوية وانتقاشها بما فيها من الصور، وانتقال الصورة الى المتخيلة والحسّ المشترك وامّا الفعل فبأن يفعل فعلاً لايفي به قوه غيره من نتف جبل وشق بحر، وسببه أن نفسه لقوتها تتصّرف في مادة العناصر كما تتصرف في اجزاء بدنه.

فائدة

اختلفوا في كيفيّة دلالتها على صدق مدّعي النبوّة فعند الأشاعرة أجراه الله تعالى عادته بخلق العلم بالصدق عقيبه فان اظهار المعجزة على يد الكاذب وان كان ممكناً عقلاً فمعلوم انتفاؤه عادةً كسائر العاديات وقالت المعتزلة خلقها على يد الكاذب مقدور لله تعالى لكنه ممتنع وقوعه في حكمته لأن فيه ايهام صدقه وهو اضلال قبيح من الله وقال الشيخ وبعض اصحابنا إنّه غير مقدور في نفسه لأنّ للمعجزة دلالة على الصدق قطعاً فلابدّ لها من وجه دلالة وان لم نعلم الوجه بعينه فان دلّ المخلوق على يد الكاذب على الصدق كان الكاذب صادق وهو محال والا انفك المعجز عما يلزمه وقال القاضي اقتران ظهور المعجزة بالصدق ليس لازماً عقلاً بل عادةً فاذا جوزنا انخراق العادة جاز اخلاء المعجزة

عن اعتقاد الصدق وحينئذ يجوز اظهاره على يد الكاذب وامّا بدون ذلك التجويز فلا، لأنّ العلم يصدق الكاذب بحال.

فائدة:

من الناس من أنكر امكان المعجزة في نفسها ومنهم من أنكر دلالتها على الصدق ومنهم من انكر العلم بها وان شئت التفصيل فارجع الى شرح المواقف وشرح الطوالع وغيرهما[٥].

مابين النبّي والمعجزة

بين النبي والمعجزة الّتي بين يديه الى الناس صلة وثيقة لا تنفصل ابداً في نظر الناظرين الى المعجزة وفي تصور هم لها ومشاعرهم نحوها.

وكيف يكون الأمر على غير هذا فيما بين النبي ومعجزته؟ والنّاس يرون النبي والمعجزة كياناً واحداً بل وانهم ليرون المعجزة في ظلّ النبي ويشهدونها على مسرح أفعاله وأقواله فلا تكون المعجزة الا مع نبيّ ولا تتخلّق أو تظهر في الحياة الا على يديه، وفي صحبته!

هكذا شهدت الحياة معجزات الانبياء نوح وابراهيم وهود وصالح ولوط وموسى وعيسى وغيرهم من انبياء الله ورسله... حيث يقوم كلّ نبي على معجزة يجلّى عنها، ويتحدّى بها، ثم يجمع الحصاد الذي يجيء منها...

فسفينة نوح معجزة قاهرة صنعها هو بيده وأعدّها ليوم الطوفان المنتظر ولو لم يجيء هذا اليوم لما كان لسفينة نوح حديث في النّاس ولا اثر في الحياة ولكنها حين جاءت ساعة العسرة كانت أشبه بعصا موسى حين ضرب بها البحر فأقام له ولقومه طريقاً يبساً فيه!

انّها من صنع يد النبي، رآها النّاس تبنى بيد نوح ومن معه... لم تكن شيئاً نزل من السماء او خرج على مألوف الحياة في قليلٍ أو كثير.

ثمّ انظر بعد هذا...

معجزة «هود» عليه السلام ... كانت ريحاً صرصراً عاتية... أهلك الله بها «عادا» قوم هود بعد أن عصوا رسول ربّهم وكذبوه، وبهتوه... فارسل الله عليهم هذه الرّيح، على غير انتظار... : «فلما رأوه عارضاً مستقبل اوديتهم، قالوا هذا عارض ممطرنا، بل هو ما استعجلتم، بـه ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربّها، فاصبحوا لايرىٰ الّا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين وأين هود من هذه المحنة وهذا البلاء العظيم؟

لقد نجاه الله ومن آمن معه، فلم يصل اليهم من هذه الريح شيء بل كانت برداً وسلاماً عليهم، كما كانت النار على ابراهيم[٦].

وقد بين القرآن الزمن الذي استغرقه هذا العذاب فهو سبع ليال وثمانية أيّـام... قـال تـعالى: ﴿**وامّا عاد فأهلكوا بريح صرصرعاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايّام حسوماً، فترى القوم فيها صرعى، كأنهم اعجار نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية**﴾[٧].

ومعجزة صالح... ناقة أشبه بسفينة نوح، لايظهر وجه المعجزة فيها حتّى تجيء الساعة الموقوتة... فقد قال صالح لقومه: هذه ناقة الله لكم آيـةً، فـذروها تأكـل فـي أرض الله ولاتمسوها بسوء... فيأخذكم عذاب قريب» آنها آية لا ينكشف ما فيها من اعجاز الّا اذا حركوا هذه الآية وأثاروها وآذوها! عندئذ تحل بهم النقمة وياخذهم العذاب ﴿**فعقروها، فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيّام ذلك وعد غير مكذوب**﴾[٨].

وانظر كيف كان طوفان نوح مفاجئاً كما كانت ريح عاد مفاجئة أيضاً على حين أن صاعقة ثمود قد أنذروا قبلها بثلاثة ايّام!

ماذا يفهم من هذا!

اننا نرى في وجه تلك المعجزات السماوية أثر الزمن في سير الحياة الانسانية وفي تقدم خطأ الانسان نحو النضج العقلي وبلوغ الرشد.

فكلما تقدم الزمن بالانسان زادت معارفه، وارتفعت مفاهيمه... ومن معجزات الرسل نرى الشواهد التي تشهد للعقل الانساني وللمنزلة التي بلغها من الادراك والفهم في سيره مع الزمن وتقدمه الى الأمام خطوة خطوة[٩].

فهذا نوح يتحدّث الى قومه بهذه المواد التي يصنع منها سفينة وينذرهم بعذاب الله ان هم لم يستجيبوا له، فلايجد منهم أذناً صاغية، ولا قلباً واعيا ثمّ لكي يريهم أنّ الأمر جدلا هزل - يأخذ في الاعداد لصنع سفينة كما أمره الله بذلك، ويظل هكذا زمناً طويلاً يقيم بناء السفينة ويسوّي أجزاءها ويمر به قومه هازئين ساخرين... كما حكى القرآن عنهم: ﴿ويصنع الفلك وكلّما مرّ عليه ملامن قومه سخروا منه قال ان تسخروا منّا فانا نسخر منكم كما تسخرون، فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه، ويحل عليه عذاب مقيم﴾ [١٠].

فهم يسخرون من نوح اذ يشغل نفسه ويكدّها بالعمل في صنع السفينة، التي يقول عنها انها ستكون مركب النجاة له ولمن يدخل معه في الايمان بالله وأن الذين يتخلفون عن اجابة دعوته سيهلكهم الله ويهلك حرثهم ونسلهم بطوفان عظيم، يأتي على كل شيء! أفلا يزيد هم ذلك الا عناداً وضلالاً وسخرية به انّه عقل مازال في دور الطفولة هذا العقل الذي تمثل له العبر والعظات في هذه الصور المادية التي تصدم حواسه، غادية رائحة، ثم لاينتفع بها ولا يمرّ بها الا عابثاً لاهيا ﴿وكأيٍّ من آية يمرّون عليها وهم عنها معرضون لاهيه قلوبهم﴾ [١١].

ونلحظ في هذه المعجزات الثلاث معجزة نوح وهود وصالح - أنّها لم تكشف عن وجهها ولم تبن عن آثارها الّا حين تطلع طلعتها المباغتة لتأتي على القوم الظالمين انها تجارب في حقل الانسانية غايتها تنقية المجتمع الانساني من هذه البثور الخَبِيْثة التي تنجم بين الحين والحين وفي أماكن متفرقة في جسد هذا المجتمع الكبير... ولهذا كان من تدبير الحكيم الخبير أن يقتلع هذه البثور اقتلاعاً وأن يجتثها من أصولها بعد أن يبعث اليها بالدّواء الذى ينجع في علاجها فلا تتقبّله، ولا تستجيب له، فلم يكن بعد هذا الاحسم الدّاء ببتره واقتلاعه من جذوره، ليكون في ذلك وقاية للجسد كله من أن يستشري فيه الداء ويفتك به...

ومن أجل هذا كانت دعوات الرسل وهم أساة الانسانيّة وأطبّاؤه - متناثرة في أجزاء متفرّقة من الجسد الانساني وفي أزمان مختلفة من الحياة الانسانيّة حيث تظهر هذه البثور

الخبيئة ومن أجل ذلك أيضاً كانت معجزات الرسل في تلك المرحلة المبكرة من حياة الانسانية تحمل الابادة الجماعية تأتي على القوم المنذرين، الذين هم تلك البثرة الخبيئة التي ظهرت في الجسد البشري والتي هي ليست شيئاً في هذا الجسد الكبير، وفي القضاء عليها صلاح هذا الجسد وسلامته.

فهذه المعجزات بهذا الوجه معجزات «سلبيّة» لا يتعامل معها الناس كمعجزات الّا في اللحظة الاخيرة من حياتهم، حين توردهم موارد الهلاك، فلا ينتفعون بها، ولا يتلقّونَ عنها العبرة واللحظة... اذ أنّ الانسان في هذا الدور من حياة لم يجاوز الطفولة بعدنا وهيهات أن ينتفع بمواقع العظات والعبر.

وتمضي الايام والسنون ويجي ابراهيم عليه السلام، قد قطعت الانسانيّة مرحلة طويلة نحو النضج والرّشد... فلا يكون ابراهيم هو الذي يأتي بالمعجزة متحدّيا وانّما يصنع قومه مادّة المعجزة بأيديهم فيوقدون ناراً ويؤججونها، ثم يلقون ابراهيم فيها وهنا تخرج المعجزة من هذه النار التي أوقدوها بايديهم... وينظر القوم فاذا نارهم هذه قد صارت برداً وسلاماً على ابراهيم لم يمسسه منها سوء!

ولا تنتهي هذه المعجزة بما انتهت به المعجزات السابقة حيث كانت تقف على اطلال القوم الهالكين... بل يظل القوم بعدها، ينظرون في اعقابها ويتدبرون عظاتها... في القوم عقول قادرة على أن تتذكّر وتتدبّر!

فهنا تبدأ مرحلة جديدة من مراحل الدعوات السماوية حيث لا تقع المهلكات الجماعية والابادة الشاملة وانما تلتقط رؤوس الضلال وائمّة الضالين.

ثم تجي دعوة موسى وعيسى وقد أشرفت الانسانيّة على دور المراهقة والتمييز من حياتها فتجيء المعجزات من قبل النبي متحدّية قاهرة تطلع على الناس مرّة ومرّة يشهدها أكبر عدد منهم، وليكون فيها عبرة وذكرى لمن يتذكر ويعي فيؤمن بها كثير، ويجحد بها كثير.

وانظر اثر الفارق الزمني بين موسى وعيسى تجد أن لهذا الفارق أثره في صورة المعجزات هنا وهناك.

فمعجزات موسى تنطلق من عصاه، اؤمن يده!... مادّة محسوسة ملموسة امّا معجزات عيسى ففي نفخة من فمه، أو كلمة من بين شفتيه فتتخلق المعجزة وتأخذ مكانها في الحياة وتعمر عمر الذين شهدوها، وعاشوا معها.

وها انت ذا ترى الزمن يخطو حثيثاً الى تلك المعجزة التي تخلد على الحياة، وتصحب الوجود الانساني كلّه على امتداد الزمن... اذ لم يعد بعد ذلك الّا المعجزة التي تعيش في اجيال النّاس، بعد أن ظهرت المعجزات التي تعيش جيلاً من أجيالهم.

هكذا يقضي المنطق الذّى رأينا فيه سير الحياة والمعجزات او قد كان فكانت المعجزة الخالده معجزة نبي الاسلام. عليه صلوات الله وسلامه[١٢]. انشاءالله سنتكلم فيها قريباً.

امّا المعجزات الباهرة الدالة على نبوته باستثناء القرآن فهي كثيرة:

فمنها مجيء الشجرة اليه ذكرها اميرالمؤمنين (عليه السلام) في خطبته القاصعة قال: لقد كنت معه (صلى الله عليه وآله وسلم) لما اتاه الملأ من قريش فقالوا له: يا محمد انك قد ادعيت عظيماً لم يدعه آباؤك ولا أحد من بيتك ونحن نسألك امراً ان انت أجبتنا اليه واريتناه علمنا انك نبي ورسول وان لم تفعل علمنا انّك ساحر كذاب فقال لهم وما تسألون؟ قالو تدعو لنا هذه الشجرة فان فعل الله ذلك بكم[١٣] أتُؤمنونَ وتشهدون بالحّق؟ قالوا: نعم قال فإني سأريكم ما تطلبون وإني لأعلم أنكم لاتفيؤن الى خير وان فيكم من يطرح في القليب ومن يحزّب الأحزاب ثمّ قال: أيتّها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين أنّي رسول الله فانقلعي بعروقك حتى تقضي بين يديّ باذن الله والذّي بعثه بالحّق لانقلعت بعروقها وجاءت ولها دويّ شديد وقصف كقصف[١٤] أجنحة الطيّر حتى وقفت بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مرفرفة وألقت بغصنها الأعلى على رأس رسول الله وببعض أغصانها على منكبي وكنت عن عينه صلى الله عليه وآله وسلم. فلما نظر القوم الى ذلك قالوا علوّاً واستكباراً: فمُرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها فأمرها بذلك، فأقبل اليه نصفها كاعجب اقبال وأشدّه دوياً، فكادت تلتفّ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقالوا –كفراً وعتوّاً فمر هذا النصف فليرجع الى نصفه كما كان فأمره صلى الله عليه وآله وسلم فرجع، فقلت انا لا اله الّا الله، فانّي اوّل مؤمن بك يا رسول الله وأوّل من أقر بأنّ الشجرة ما فعلت بأمر الله تصديقا بنبوّتك واجلالاً لكلمتك.

فقال القوم كلّهم بل ساحر كذّاب، عجيب السّحر خفيف فيه وهل يصدقك في أمرك غير هذا؟[١٥] يعنونني.[١٦]

ومنها، خروج الماء بين أصابعه وذلك انهم كانوا معه في سفر فشكو أن لا ماء معهم وأنهم بمعرض التلّف وسبيل العطب[١٧] فقال: كلاّ ان معي ربّي عليه توكلّت ثمّ دعا بركوة فَصَبَّ فيها ماء كان ليروى ضعيفا وجعل يده فيها فنبع الماء من بين أصابعه فصيح في النّاس فشربوا وسقوا حتى نهلوا وعلّوا وهم الوف وهو يقول أشهد أنّي رسول الله حقا[١٨].

ومنها حنين الجذع الذي كان يخطب عنده صلوات الله عليه وذلك أنّه كان في مسجده بالمدينة فيستند الى جذع فيخطب النّاس فلما كثر الناس اتخذوا له منبراً فلما صعده حَنَّ الجذع حنين الناقة حين فقدت ولدها فنزل رسول الله ﷺ فضمه اليه فكان يأنّ أنين الصبيّ الذي يسكت[١٩].

ومنها: حديث شاة امّ معبد وذلك انّ النبيّ ﷺ لمّا هاجر من مكة ومعه أبوبكر وعامربن فهيرة ودليلهم عبدالله بن أريقط الليثي فمرّوا على امّ معبد الخزاعيّة وكانت امراة برزه تحتبي[٢٠] وتجلس بفناء الخيمة فسألوا تمراً ولحماً ليشتروه فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك واذا القوم مرمّلون فقالت: لو كان عند ناشي ما أُعوزكم القرى فنظر رسول الله ﷺ في كسر خيمتها[٢١] فقال: ما هذه الشاة يا ام معبد؟ قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم، فقال: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك قال: أتاذنين لي أحلبها، قالت: نعم بأبي أنت وامّي ان رأيت بها حلباً فاحلبها فدعا رسول الله ﷺ بالشاه فمسح ضرعها وذكر اسم الله وقال: اللّهم بارك في شاتها فتفاجت[٢٢] ودرّت فدعا رسول الله باناءلها يريض الرّهط[٢٣] فحلب فيه ثجّا حتى علته الشمال[٢٤] فسقاها فشربت حتّى رويت ثم سقى أصحابه فشربوا حتّى رووا فشرب عليه السلام آخرهم وقال ساقي القوم آخرهم شرباً فشربوا جميعاً علاً بعد نهل حتّى أرضوا[٢٥] ثمّ حلب فيه ثانياً عوداً على بدأ فعادوا عندها ثم ارتجلوا منها، فقلما لبث أن جاء زوجها أبومعبد يسوق عنزاً عجافاً هزلى[٢٦] مخهن[٢٧] قليل. فلما رأى اللبن قال: من أين لكم هذا والشاة غازب[٢٨] ولا حلوبه في البيت، قالت: لا والله الا أنه مرّ بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت الخبر بطوله[٢٩] ومنها: خبر سراقة بن جعشم[٣٠]

الذي اشتهر في العرب يتقاولون فيه الأشعار ويتعاوضونه في الدّيار أنه تبعه وهو متوجّه الى المدينة طالباً لعزته ليحظى بذلك عند قريش حتى اذا امكنته الفرصة في نفسه وأيقن أن قد ظفر ببغيته ساخت قوائم فرسه[٣١] حتى تغيبت بأجمعها في الأرض وهو بموضع حدب وقاع صفصف[٣٢] فعلم أن الذي أصابه سماوتي فتادى يا محمّد ادع ربّك يطلق لي فرسي وذمه الله على ان لا أدل عليك أحداً، فدعا له فويت جواده كانّه أفلت من انشوطه وكان رجلاً داهية وعلم بما أرى انّه سيكون له تبأ فقال اكتب لي أماناً فكتب له وانصرف.

قال محمدبن اسحاق ان أباجهل قال في أمر سراقه ابياتاً فأجا به سراقة.

أبا حكم والله لو كنت شاهداً ... لأمر جوادي اذ تسيخ قوائمه

علمت ولم تشكّ بأن محمّداً ... نبيٌّ ببرهان فمن ذا يكاتمه

عليك بكف النّاس عني فانّني ... أرى أمره يوماً ستبدوا معالمه

وروي أن النبّي ﷺ كان يقول لأبي بكر: أله النّاس عني فانه لا ينبغي لنبي أن يكذب وكان ابوبكر اذا سئل ما أنت؟ قال: باغ فاذا قيل من معك؟ قال هاد يهديني[٣٣] ومنها حديث الغار وانّه عليه وآله والسّلام لمّا أوى الى غار بقرب مكّه يعتوره النزال ويأوى اليه الرّعاء متوجّه الى الهجزة فخرج القوم في طلبه فعمى الله اثره وهو نصب أعينهم وصدّهم عنه وأخذ بأبصارهم دونه وهم دهاة العرب وبعث سبحانه العنكبوت فنسجت في وجه النبّي ﷺ فسترته وآيسهم ذلك من الطلب فيه وفي ذلك يقول السيد الحميري في قصيدته المعروفة بالمذهبة:

حتى اذا قصدوا الباب مغاره ... ألقو عليه نسيج غزل العنكب

صنع الاله له فقال فريقهم ... ما في المغار مطالب من مطلب

ميلو اوصدّهم المليك ومن يرد ... عنه الدفاع مليكه لم يعطب[٣٤]

وبعث الله حمامتين وحشيّتين فوقعتا بفم الغار فاقبل فتيان قريش من كل بطن رجل بعصيّهم وهراواهم[٣٥] وسيوفهم حتى اذا كانوا من النبي بقدر أربعين ذراعاً، فعجّل رجل منهم لينظر من في الغار فرجع الى اصحابه فقالوا له: ما لك لا تنظر في الغار؟ فقال: رأيت حماماً بفم الغار فعلمت أن ليس فيه أحد وسمع النبّي(ﷺ) ما قال، فدعا لهن

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وفرض جزاء هن فانحدرت في الحرم[٣٦].

وجاء في كتاب حياة محمّد «نسيج العنكبوت والحمامتان والشجرة تلك هي المعجزة التّى تقصّ كتب السيرة في أمر الاختفاء بغار ثور. ووجه المعجزة فيها أن هذه الاشياء لم تكن موجودة حتى اذا لجأ النبي وصاحبه الى الغار أسرعت العنكبوت الى نسيج بيتها تستر به من في الغار عن الأعين وجاءت الحمامتان فباضتا عند بابه ونمت الشجرة ولم تكن نامية وفي هذه المعجزة يقول المستشرق در منجم:

«هذه الأمور الثلاثة هي وحدها المعجزة التى يقصّ التاريخ الاسلامي الجدّ نسيج عنكبوت وهوىّ حمامة ونماء شجيرة وهي أعاجيب ثلاث لها كل يوم في ارض الله نظائر»[٣٧].

ومنها كلام الذئب وذلك أن رجلاً كان في غنمه يرعاها فأغفلها سويعة من نهاره فعرض ذئب فأخذ منها شاة فأقبل يعدو خلفه فطرح الذئب الشاة ثمّ كلمه بكلام فصيح فقال: تمنعني رزقاً ساقه الله الي فقال الّرجل: يا عجباً الذئب يكلم فقال: أنتم أعجب وفي شأنكم للمعتبرين عبرة هذا محمد يدعو الى الحق ببطن مكّة وانتم عنهم لاهون فأبصر الرّجل رشده وأقبل حتى أسلم وأبقى لعقبه شرفاً لاتخلقه الأيام يفخرون به على العرب والعجم يقولون انا بنو مكلم الذئب ومنها: كلام الذّراع وهو أنه أُوتي بشاة مسمومة أهدتها له إمرأة من اليهود بخيبر وكانت سالت ايّ شيء أحبّ الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الشاة؟ فقيل لها الذّراع فسمّت الذّراع فدعا صلى الله عليه اصحابه اليه فوضع يده، ثم قال ارفعوا فانها تخبرني بأنها مسمومة ولو كان ذلك لعلة الارتياب باليهوديّة لما قبلها بدأً ولا جمع عليه أصحابه وقد كان (صلى الله عليه وآله وسلم) تناول منها أقل شيء قبل أن كلمته وكان يعاوده كل سنة حتى جعل الله ذلك سبب الشهادة وكان ذلك بابا من التمحيص ليعلم أنّه مخلوق[٣٨].

ومنها: أن اصحابه صلوات الله عليه وآله أرملوا وضاق بهم الحال وصاروا بمعرض الهلاك لفناء الأزواد يوم الأحزاب فدعاه رجل من أصحابه الى طعامه فاحتفل القوم معه[٣٩].

فدخل وليس عند القوم الاّ قوت رجل واحد او رجلين فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) غطوا

اناءكم ثمّ دعا وبرّك عليه وقدّمه والقوم ألوف فأكلوا وصدروا كان لم يسغبوا قط شباعاً ورواء والطعام بحاله لم يفقدوا منه شيئاً[٤٠].

ومنها، أنّه اجتمع اليه فقراء قومه وأصحابه في غزوة تبوك وشكوا الجوع فدعا بفضلة زاد لهم فلم يوجد لهم الا بضع عشرة تمرة وطرحت بين يديه فاحتفل القوم فوضع يده عليها وقال: كلوا بسم الله، فأكل القوم حتى شبعوا وهي بحالها يرونها عياناً.

ومنها أنه ﷺ ورد في هذه الغزاة على ماء لا يبل حلق واحد والقوم عطاش فشكوا ذلك اليه فأخذ سهماً من كنانة فدفعه الى رجل من اصحابه ثم قال له أنزل فاغرزه في الرّكيّ فنزل فغرزه فيه ففار الماء وطما الى أعلى الرّكى[٤١] فارتوى للمقام والظعن[٤٢] وهم ثلاثون ألفاً ورجال من المنافقين حضور الأبدان غائبو العقول.

ومنها ظبيّة كلمته حين وقع في شبكة فقالت يا رسول الله انّ لي طفلاً يحتاج الى لبن وانّي قد وقعت في هذه الشبكة فخلّني حتى أرضعه فقال ﷺ كيف أخلّيك وصاحب الشبكة غائب، قالت: انّي ارجع وخلّاها وجلس حتى رجعت الظبيّة وجاء صاحبها فشفع رسول الله ﷺ حتى خلّى سبيلها فاتخذ القوم من ذلك الموضع مسجداً[٤٣].

ومنها أن قوما شكوا اليه ملوحة مائهم وأنّهم في جهد من الظماء وبعد المياه وأنّ لا قوة لهم على شربه فجاء معهم في جماعة أصحابه حتى أشرف على بئرهم فتفل فيها ثم انصرف وكانت مع ملوحتها غائرة فانفجرت بالماء العذب الفرات فها هي يتوارثها أهلها ويعدّونها أسنى مفاخرهم وأجل مكارمهم وأنّهم لصادقون وكان ممّا أكّد الله به صدقه، أنّ قوم مسيلمة سألوه مثلها لمّا بلغهم ذلك فأتى بئراً فتفل فيها فعادت ماؤها ملحا أجاجاً كبول الحمير وهي الى اليوم بحالها معروفة الأهل والمكان.

ومنها: أن امراة أتته بصبيّ لها ترجو البركة بأن يمسه ويدعو له وكانت به عاهة فرحمها والرحمة صفته ﷺ فمسح يده على رأس الصبيّ واستوى شعره وبرىء داءه وبلغ ذلك أهل اليمامة فأتت مسيلمة امرأة بصبيٍ لها فمسح يده على رأسه فصلع وبقى نسله الى يومنا هذا صلعا[٤٤].

ومنها أنّ قوماً من عبدالقيس أتوه بغنم لهم فسالوه أن يجعل لها علامة يذكر بها فغمز

إصبعه في اصول آذانها فابيضّت فهي الى اليوم معروفة النسل ظاهرة الامر.

ومنها: حديث الاستقاء وأنّ أهل المدينة مطروا حتى أشفقوا من خراب دورها وانهدام بنيانها فقال صلى الله عليه وآله وسلم: اللهّم حوالينا ولا علينا[٤٥] فانجاب السحاب عن المدينة وأطاف حولها مستديراً كالاكليل والشمس طالعة في المدينة والمطر يهطل على ما حولها يرى ذلك ظاهراً مؤمنهم وكافرهم فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى بدت نواجده وقال: لله درّ أبي طالب لو كان حيّاً قرّت عيناه، من ينشدنا قوله؟ فقام اميرالمؤمنين عليه السلام فقال: يا رسول الله كانّك أردت قوله.

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل[٤٦]

يطوف به الهُلّاك من آل هاشم فهم عنده في نعمه وفواضل[٤٧]

ومنها: أنّه أخذ يوم بدر ملأكفّه من الحصاة فرمى بها وجوه المشركين وقال: شاهت الوجوه فجعل الله سبحانه لتلك الحصاة شأناً عظيماً لم يترك من المشركين رجلاً الّا ملأت عينيه وجعل المسلمون والملائكة يقتلنّهم ويأسرونهم ويجدون كل رجل منهم منكباً على وجهه لا يدري أن يتوجّه يعالج التراب ينزعه من عينيه[٤٨].

ومنها: أمر ناقته حين افتقدت فأرجف المنافقون وقالوا ينبئنا بخبر السماء وهو لا يدري أين ناقته، فلما خاف صلوات الله عليه وآله على المومنين وساوس الشيطان دلّهم عليها ووصف لهم حالها والشجرة التي هي متعلقة بها، فأتوها فوجدوها كما وصف.

ومنها: أن القمر إنشقّ له بنصفين بمكة في أوّل مبعثه وقد نطق به القرآن وقد صحّ عن عبدالله بن مسعود أنّه قال: إنشق القمر حتّى صار قرقتين فقال كفّار أهل مكة هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة[٤٩]، أنظروا السفّار فان كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق وإن كانوا لم يروا ما رأيتم فهو سحر سحركم به قال فسئل السفّار وقد قدموا من كلّ وجه فقالو رأيناه استشهد الخيارى في الصحيح بهذا الخبران ذلك كان بمكّة.

ومنها: أن رجلاً من أصحابه أصيب با حدى عينيه في بعض مغازيه فسالت الدم حتى وقعت على خدّه فأتاه مستغيثاً به فاخذها بيده فردها مكانها فكانت أحسن عينيه وأصحّهما وأحَدَّهما نظراً.

ومنها: أن أبا براء ملاعب الأسنّة كان به استسقاء فبعث اليه لبيد بن ربيعة ووأهدى له فرسين ونجائب، فقال ﷺ لا أقبل هديّة مشرك، قال لبيد وما كنت أرى أنَّ رجلاً من مضر يرد هدية ابي براء فقال ﷺ لو كنت قابلاً هدية من مشرك، لقبلتها قال: فإنّه يستشفيك من علّة أصابته في بطنه فأخذ بيده حثوة من الأرض فتفل عليها ثم أعطاه وقال: دفها بماء ثم اسقه ايّاه فأخذها متعجبا يرى انّه قد استهزء به، فأتاه فشربه وأطلق من مرضه كان أنشط من عقال.

ومنها: شكوى البعير اليه عند رجوعه الى المدينة من غزاة بني ثعلبة فقال: أتدرون ما يقول هذا البعير؟ قال جابر: قلنا الله ورسوله أعلم قال: فانّه يخبرني أن صاحبه عمل عليه حتّى اذا أكبره وادبره [٥٠] وأهزله أراد نحره وبيعه لحماً، يا جابر اذهب معه الى صاحبه فأتني به قال: قلت: والله ما اعرف صاحبه قال: هو يدلك قال: فخرجت معه حتّى انتهيت الى بني حنظلة أو بني واقف، قلت أيّكم صاحب هذا البعير؟ قال بعضهم: أنا قلت أجب رسول الله ﷺ فجئت أنا وهو والبعير الى رسول الله ﷺ فقال: بعيرك هذا يخبرني بكذا وكذا قال: قد كان ذلك يا رسول الله قال: فبعنيه، قال هو لك (ﷺ)، قال: بل بعنيه، فاشتراه رسول الله صلى الله عليه ثم ضرب على صفحته فتركه يرعى في ضواحي المدينة فكان الرّجل منا اذا اراد الروحة والغدوة منحه رسول الله ﷺ قال جابر: فرأيته وقد ذهبت دبرته ورجعت اليه نفسه.

ومنها: أنّ أبا جهل عاهد الله أن يفضخ [٥١] رأسه صلى الله عليه بحجر اذا سجد في صلاته فلما قام رسول الله ﷺ يصلي وسجد وكان اذا صلّى بين الرُكنين: الأسود واليماني وجعل الكعبة بينه وبين الشام احتمل أبوجهل الحجر، ثم أقبل نحوه حتّى اذا دنا منه رجع مستنقعاً لونه [٥٢] مرعوباً. قد يبست يداه على حجره حتى قذف الحجر من يده وقام اليه رجال من قريش فقالوا: مالك يا أبا الحكم قال: عرض لي دونه فحل من الابل ما رأيت مثل هامته وقصرته [٥٣] ولا أنيابه لفحل قط فهمّ أن يأكلني.

ومنها: أن أبا جهل اشترى من رجل طارى [٥٤] بمكّة، ابلاً فبخسه أثمانها، ولو ابحقّه [٥٥] فأتى الرّجل نادى قريش مستجيراً بهم وذكّر هم حرمة البيت فأحالوه على النبي ﷺ

استهزاء به فأتاه مستجيراً به فمضي معه ودقّ الباب على أبي جهل فعرفه فخرج منخوب العقل[٥٦] فقال: أهلا بأبي القاسم، فقال له أعط هذا حقَّه قال: نعم فأعطاه من فوره فقيل له في ذلك، فقال: اني رأيت ما لم تروا، رايت والله على رأسه تنيناً فاتحاً فاه والله لو أبيت لالتقمني[٥٧].

ومنها: ما روته أسماء بنت أبي بكر قالت لمّا نزلت «تبّت يدا أبى لهب» أقبلت العوراء أمّ جميل بنت حرب ولها ولولة وهي تقول: مدمّما أبينا وديـنه قـلينا، وأمـره عـصينا والنبّي صلى الله عليه وآله وسلم جالس في المسجد ومعه أبوبكر فلما أبوبكر قال يا رسول الله قد أقبلت وأنا أخاف أن تراك، قال رسول الله لن تراني وقرأ قرآناً فاعتصم به كما قال، وقرأ ﴿واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذّين لايؤمنون بالاخرة حجاباً مستوراً﴾[٥٨] فوقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله فقالت يا أبابكر أخبرت أن صاحبك هجاني، فقال: لا وربّ البيت مـا هجاك فولّت وهي تقول: قريش تعلم أني بنتُ سيّدها.

ومنها: ما رواه الكلبيّ عن ابي صالح عن ابن عباس أنّ ناساً من بني مخزوم تواصوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ليقتلوه منهم أبوجهل والوليد بن المغيرة ونـفر مـن بـني مـخزوم، فـبينا النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائم يصلّي اذ ارسلوا اليه الوليد ليقتله، فانطلق حتى انتهى الى المكان الذي كان يصلي فيه، فجعل يسمع قراءته ولا يراه. فانصرف اليهم فأعلمهم ذلك فأتاه من بعده أبوجهل والوليد ونفر منهم فلما انتهوا الى المكان الذّي يصلّي فيه سمعوا قراءته وذهبوا إلى الصّوت، فاذا الصّوت من خلفهم فيذهبون اليه فيسمعونه ايضاً من خلفهم فانصرفوا ولم يجدوا اليه سبيلاً فذلك قـوله سـبحانه: ﴿وجعلنا من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً فاغشيناهم فهم لايبصرون﴾[٥٩].

ومنها: أنّه كان في غزاة الطائف ومسيره ليلاً على راحلته بوادي بقرب الطائف يقال له: نجيب ذو شجر كثير من سدر وطلح، فغشى وهو في وسن النوم سدرة في سواد اللـيل فانفرجت السدرة له بنصفين فمرّ بين نصفها وبقيت السدرة منفرجة على ساقين الى زماننا هذا وهي معروفة مشهور أمرها هناك وتسمى شجر سدرة النـبي صلى الله عليه وآله وسلم أورده الشـيخ أبوسعيد الواعظ في كتاب شرف النبي، ولو عدّدنا جميع معجزاته وأعلامه صـلوات الله

عليه وآله التي روتها المحدّثون في كتبهم لطال الكتاب فان نبيّنا ﷺ أكثر الأنبياء أعلاماً وقد ذكر بعض المصنفين أن اعلامه تبلغ ألفاً فالاولى الاقتصار على الاختصار وسنذكر بعض آياته وأعلامه ومعجزاته ﷺ فيما يأتي من أخبار مبعثه الى هجرته وغزواته وقدوم الوفود عليه الى وقت وفاته على سبيل الايجاز ان شاء الله تعالى وامّا آياته صلوات الله عليه وآله في اخباره بالغائبات والكوائن بعده فاكثر من أن تحصى وتعدّ[٦٠].

على أن اشراف قريش وأمجادها وأبا لهب وأبا سفيان أشراف المال وأمجاد اللهو، بدأوا يشعرون بما في دعوة محمد من خطر على مكانتهم، فرأوا بادىء الرأي أن يحاربوه بالحطّ من شأنه وبتكذيبه فيما يزعم من نبوته. وكان اوّل ما صنعوا من هذا أن اغروا به شعراءهم أباسفيان الحارث وعمروبن العاص وعبدالله بن الزبعري يهجونه ويقارعونه وتولت طائفة من شعراء المسلمين الرّد على هؤلاء من غير أن يكون محمد(ﷺ) في حاجة الى مساجلتهم. هنالك تقدم غير الشعراء يسألون محمداً عن معجزاته الّتي يثبت بها رسالته، معجزات كمعجزات موسى وعيسى. فما بالله لا يحيل الصفا والمروة ذهباً. ولا ينزل عليه الكتاب الذي يتحدث عنه مخطوطاً من السماء! ولم لا يبدو لهم جبريل الذي يطول حديث محمد عنه! ولم لا يُحيي الموتى ولا يسيّر الجبال حتى لا تظل مكّة حبيسة بينها! ولم لا يفجر ينبوعاً أعذب من زمزم ماءً وهو أعلم بحاجة أهل بلده الى الماء ولم يقف أمر المشركين عند التهكم بالمسألة في هذه المعجزات بل كانوا يزدادون تهكما ويسألونه لم لا يوحي اليه ربّه أثمان السلع حتّى يضاربوا على المستقبل وطال بهم اللجاج فرد الوحي لجاجهم بما انزل على محمد من قوله تعالى. ﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرّاً الّا ماشاءالله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مَسَّني السوء ان انا الّا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾[٦١].

نعم! ما محمّد الّا نذير وبشير فكيف يطالبونه بما لا يقبل الفعل وهو لا يطلب اليهم الا ما يقبله العقل بل يمليه ويحتمه؟! وكيف يطلبون اليه ما تأنف منه النفس الفاضلة وكيف يطلبون اليه المعجزات وهذا الكتاب الذي يوحي اليه والذي يهدي الى الحق معجزة

المعجزات؟! وما يطلبون اليه اثبات رسالته بالخوارق ليتردّدوا من بعد ذلك أيتبعونه أم لا يتبعونه، وهذه التي يزعمونها آلهتهم ليست الّا حجارة أو خشباً مسندة أو أنصاباً قائمة في عُرْض الفلاة لا تملك لهم نفعاً ولاضرّاً، وهم مع ذلك يعبدونها دون أن يطلبوا اليها ما يثبت ألوهيتها؟! ولو أنّهم طلبوه لظلّت خشباً أو حجارة لا حياة فيها ولا حركة لها، لا تستطيع لنفسها ضّراً ولا نفعاً ولا تستطيع اذا حطمها محطم عن نفسها دفعاً.

وباداهم محمّد بذكر الهتهم، وكان من قبل لا يذكرها، وعابها، وكان من قبل لا يعيبها، هنالك عظم الأمر على قريش وحزّفي صدور هم؛ وبدؤا يفكرون التفكير الجّد في أمر هذا الرجل وما هو لاق منهم وما هم لاقون منه[٦٢].

وسأذكر أهم معجزاته وهي القرآن الكريم.

محمّد ... والقرآن

ومعجزة محمّد ﷺ – هي القرآن.. هي هذا الكلام المقروء المسموع الذى يعرف النّاس مادّته، في افرادها وتركيبها، قبل أن تنتظم منها آيات القرآن وسوره والسؤال هنا هو ما شأن محمّد مع تلك المعجزة؟ أو بمعنى آخر ما مكانه منها وما أثره فيها؟ وهل لاتقوم تلك المعجزة الّا به، ولا تظهر الّا معه؟

والحّق أنّ المعجزة القرآنية تختلف اختلافاً واضحاً عن جميع ما سبقها من معجزات الأنبياء من حيث هي في شكلها ومضمونها ثم من حيث الصلة التى بينها وبين صاحبها الذي جاء بها..

فقد رأينا في المعجزات السابقة أنّها كانت صوراً وأنماطاً مختلفة يمكن أن نجملها فيما يلي: أوّلاً أنّها لا تعيش في الحياة، ولا تصحب الناس الا لحظات عابرة حين تهجم عليهم بما تحمل من تدبير واهلاك وافناء فلا يستقبلون منها الّا هذا الوجه المكفهرّ الذي يسوقهم سوقاً عنيفاً الى الهلاك والرّدىٰ.

وثانياً: أن أطول المعجزات عمراً كانت تلك المعجزات التي تقدمت المعجزة القرآنية، وقامت بين يديها، وهي معجزات موسى وعيسى (عليهما السلام) وأن عمر تلك المعجزات لا

يتجاوز جيلاً من أجيال النّاس، ممّن شهدوا مطلعها، وعاينوا ظهورها... أمّا مَن بعدهم فانّهم يصحبون عقيدتهم على ما وجدوا آباء هم عليه، دون أن يكون مع العقيدة المعجزة القاهرة الّتي تشهد لها.

وثالثاً: أن تلك المعجزات جميعها كانت تحت سلطان الرّسول، يصرفها كيف يشاء، فيكشف عنها في الزمان أو المكان المقدور... بمعنى أنّ أيّة معجزة منها لا يمكن أن تكون، أو تقع؛ الّا اذا كان الرّسول هو الّذي يجلّيها، ويكشف عن وجهها، فاذا ذهب الرّسول ذهبت المعجزة ثم لا يرى لها الناس أو الحياة وجها بعد ذهابه أبداً.

المعجزه القرآنيّة معجزة ذاتيّة:

وليس كذلك المعجزة القرآنية... انها ذات وجود ذاتي مستقل... تظهر وتتجلّى حيث يلقاها الناس أو تلتقي هي بالنّاس في أيّ زمان وفي أيّ مكان ودون أن يكون النبي معها.

فحيث يكون في النّاس من يفهم العربيّة، ويتعرف على مواطن الجمال والروعة في الكلام، فانّه يستطيع أن يستدعي اليه المعجزة أو المعجزات التّي تنطوي عليها كلمات القرآن الكريم وآياته... وأن يشهدها حاضرة عتيدة في مجلى بصيرته، كلما تلا آيات من كتاب الله، أو استمع الى ما يُتلى مِنهُنَّ وليس ذلك فحسب، بل انّه يستطيع أن يحمل هذه المعجزات الى النّاس وأن يعرضها معرض المحاجّة في الدّعوة إلى الله وإلى الايمان به، وبرسله وبالكتاب الّذي أنزل عليه.

ومن هنا نستطيع أن نفهم هذا المرمىٰ البعيد الكريم الّذي تشير اليه الآية الكريمة في قوله تعالى عن القرآن ﴿وانّه لذكر،لك ولقومك وسوف تسألون﴾ [٦٣] فالعرب وحدهم وبصفة خاصّة هم المطالبون بأداء هذا الحق للقرآن وبالدّعوة لرسالته وهم مسؤولون مع النبي – عن أيّ تقصير في هذا الأمر... لأنّهم هم الّذي يملكون القدرة اللغوية، والملكة البيانيّة على الوقوع على ما في القرآن الكريم من إعجاز ومعجزات... وبهذا يكون القرآن في صحبتهم أشبه بتلك المعجزات الماديّة الّتي كانت تصحب الأنبياء والّتي كانوا يستدعون منها المعجزات، فتظهر وتبهر!. وهنا نذكر الحديث النبوي. «علماء أمّتي كأنبياء

بني اسرائيل» نذكره ونذكر معه قوله تعالى: ﴿تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما يعقلها الّا العالمون﴾ [٦٤].

وليس قوم النبي ـ المشار اليهم في الآية ـ هم العرب من حيث هم عرب وانّما من حيث أنهم يتكلمّون العربيّة ويحسنون الفهم عنها، والافهام بها... فكل من تكلّم العربيّة فهو عربي «ذلك أنّ اعتياد اللغة يؤثر في العقل، والخلق والدين، تأثيراً قوياً بيّناً، كما يؤثر أيضاً في مشابهة صدر هذه الامّة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والخلق والدين» [٦٥]... وقد قيل: انّ المرء باصغريه: قلبه ولسانه واللّسان لغة واللغة ترجمان ما في القلب من مشاعر وأحاسيس... ولهذا يقول النبي ﷺ «انّ العربيّة ليست لأحدكم بأبٍ ولا أمّ، انّما هي لسان، فمن تكلّم بالعربيّة فهو عربي [٦٦]».

وعلى هذا نستطيع أن نقول: إنّ المعجزة الاسلاميّة لها ذاتيتها وشخصيّتها المستقلة عن الرّسول الذي جاء بها، ومن هنا كان لها هذا البقاء الممتدّ مع الزمن، والمتتابع مع أجيال النّاس جيلاً بعد جيل، مادامت الانسانيّة تحيا في هذه الحياة، ومادام في الانسانيّة من يعرف اللسان العربي، ويذوق طعوم اللغة العربية، ويميّز بين مذاقاتها [٦٧].

ويقول الجرجاني: اذا قلت انّ التحدّى وقع في القرآن الى أن يؤتى بمثله على جهة الابتداء ما تغني به؟ أتعني أنّه يأتي في ألفاظ غير ألفاظ القرآن بمثل الترتيب والنسق الذّي تراه في الفاظ القرآن؟ فان قال ذلك أعني: قيل له أعلمت أنّه لا يكون الإتيان بالأشياء بعضها في أثر بعض على التوالي نسقاً وترتيباً حتى تكون الأشياء مختلفة في أنفسها، ثم يكون الذى يجيء بها مضموماً بعضها الى بعض غرض فيها ومقصود لايتم ذلك الغرض وذلك المقصود الّا بأن يتخيّر لها مواضع فيجعل هذا أولا وذاك ثانياً؟ فان هذا ما لا شبهة فيه على عاقل.

واذا كان الأمر كذلك لزمك أن تبين الغرض الذي اقتضى أن تكون الفاظ القرآن منسوقة النسق الذي تراه، ولا مخلص له من هذه المطالبة لانّه اذا أبى أن يكون المقتضى والموجب للذي تراه من النسق المعاني وجعله قد وجب لأمر يرجع الى اللفظ لم تجد شيئاً يحيل الاعجاز [٦٨] في وجوبه عليه البتّة، اللهّم الّا أن يجعل الاعجاز في الوزن ويزعم

أن النسق الذي تراه في ألفاظ القرآن انما كان معجزة من أجل أن كان قد حدث عنه ضرب من الوزن يعجز الخلق عن أن ياتوا بمثله. في فصاحته وبلاغته لأن الوزن ليس هو من الفصاحة والبلاغة في شيء اذ لو كان له مدخل فيهما لكان يجب في كلّ قصيدتين اتّفقتا في الوزن أن تتفقا في الفصاحة والبلاغة فان دعا بعض النّاس طول الالف لما سمع من أن الاعجاز في اللفظ الى أن يجعله في مجرد الوزن كان قد دخل في امر شنيع وهو أن يكون قد جعل القرآن معجزاً لا من حيث هو كلام ولا بما به كان لكلام فضل على كلام، فليس بالوزن ما كان الكلام كلاماً ولابه كان كلام خيراً من كلام.

وهكذا السبيل ان زعم زاعم أن الوصف المعجز هو الجريان والسهولة ثم يعني بذلك سلامته من أن تلتقي فيه حروف تثقل على اللسان لأنه ليس بذلك كان الكلام كلاماً ولا هو بالذي يتناهى أمره ان عدّ في الفضيلة الى أن يكون الأصل والى أن يكون المعوّل عليه في المفاضلة بين كلام وكلام. فما به كان الشاعر مفلقاً والخطيب مصقعاً والكاتب بليغاً... ورأينا العقلاء حيث ذكروا عجز العرب عن معارضة القرآن قالو إنّ النبيّ (ﷺ) تحدّاهم وفيهم الشعراء والخطباء والذين يدلون بفصاحة اللسان، والبراعة والبيان وقوّة القرائح والاذهان والذين أوتو الحكمة وفصل الخطاب، ولم نرهم قالو إنّ النبى (ﷺ) تحدّاهم وهم العارفون بما ينبغي أن يصنع حتّى يسلم الكلام من أن تلتقى فيه حروف تثقل على اللسان، ولما ذكروا معجزات الأنبياء(عليهم السلام) وقالوا إنّ الله تعالى قد جعل معجزة كلّ نبي فيما كان أغلب على الذين بعث فيهم وفيما كانوا يتباهون به وكانت عوامهم تعظم به خواصهم، قالوا: انّه لما كان السّحر الغالب على قوم فرعون ولم يكن قد استحكم في زمان استحكامه في زمانه جعل تعالى معجزة موسى(عليه السلام) في إبطاله وتوهينه، ولما كان الغالب على زمان عيسى(عليه السلام) الطب جعل الله تعالى معجزته في إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ولما انتهوا الى ذكر نبيّنا محمد(ﷺ) وذكر ما كان الغالب على زمانه لم يذكروا الّا البلاغة والبيان والتصرّف في ضروب النظم[٦٩] وقد ذكرت في الذي تقدم عين ما ذكرته هنا مما يدلّ على سقوط هذا القول وما دعاني الى اعادة ذكره الّا أنّه ليس تهالك الناس في حديث اللفظ والمحاماة على الاعتقاد الذي اعتقدوه

فيه وظن أنفسهم به الى حدّ[٧٠] فأجبت لذلك أن لا أدع شيئاً مما يجوز أن يتعلق به متعلق ويلجأ اليه لاجيء ويقع منه في نفس سامع شك الّا استقصيت في الكشف عن بطلانه.

وها هنا أمر عجيب وهو أنه معلوم لكّل من نظر أن الألفاظ من حيث هي الفاظ وكلم ونطق لسان لا تختصّ بواحد دون آخر، وانّها تختصّ اذا توخى فيها النظم، واذا كان كذلك كان من رفع النظم من البين وجعل الاعجاز بجملته في سهولة الحروف وجريانها جاعلاً له فيما لايصح اضافته الى الله تعالى، وكفى بهذا دليلاً على عدم التوفيق. وشدّة الضلال عن الطريق[٧١].

وامّا آياته:

وأمّا آياته صلوات الله عليه وآله في اخباره بالغائبات والكوائن بعده أكثر من أن تحصى وتعّد.

فمن ذلك: ما روى عنه في معنى قوله تعالى: ﴿ليظهره على الدين كلّه ولوكره المشركون﴾[٧٢].

وهو ما رواه أبيّ بن كعب أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: بشّر هذه الأمة بالسناء والرفعة والنصرة والتمكين في الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب. وروى بريدة الاسلمي انّه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ستبعث بعوث فكن في بعثٍ يأتي خراسان ثمّ أسكن مدينة مرو فانّه بناها ذوالقرنين ودعا لها بالبركة وقال: لا يصيب أهلها سوء وروى أبو هريرة: قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لا تقوم الساعة حتّى يقاتلوا خوزا وكرمان وقوم من الأعاجم حمر الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين، كأن وجوههم المجان المطرقة[٧٣].

وروى، أنس بن مالك قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذات ليلة فيما يرى النائم كان في دار عقبة بن رافع فأتينا برطب من رطبان طاب فأوّلت الرفعة لنا في الدنيا والعافية في الآخرة وأنّ ديننا قد طاب.

ومن ذلك اخباره بما يحدث أمتّه بعده نحو قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) لترجعوا بعدي كفّارا، يضرب

بعضكم رقاب بعض رواه البخاري في الصحيح مرفوعاً الى ابن عمر.

قوله ﷺ فيما رواه شعبة عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم أن عائشة لمّا أتت على الحو أب[٧٤] سمعت نباح الكلاب فقالت: ما أظنّني الّا راجعة سمعت النبي ﷺ قال لنا: أيتكنّ تنبح عليها كلاب الحَوْأب؟ فقال الزبير لعلّ الله أن يصلح بك بين الناس[٧٥].

وقوله ﷺ للزبير لما لقيه وعلياً عليه السلام في سقيفة بني ساعدة فقال أتحبّه يا زبيراً قال: وما يمنعني؟ قال: فكيف بك اذا قاتلته وأنت ظالم وعن أبي جروة المازني قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول للزبير نشدتك الله أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: انّك تقاتلني وأنت ظالم لي؟ قال: بلى ولكنّي نسيت.

وقوله ﷺ لعمار بن ياسر: تقتلك الفئة الباغية أخرجه مسلم في الصحيح وعن أبي البحتري أن عمّاراً أتى بشربة من لبن فضحك فقيل له: ما يضحكك؟ قال: انّ رسول الله ﷺ أخبرني وقال: هو آخر شراب أشربه حين أموت. وقوله ﷺ في الخوارج: ستكون في امّتي فرقة يحسنون القول ويسيؤون الفعل يدعون الى كتاب الله وليسوا منه في شيء يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يرجعون اليه حتى يرتد على فُوقه[٧٦] هم شرّ الخلق والخليقة طوبىٰ لمن قتلوه طوبى لمن قتلهم، ومن قتلهم كان أولى بالله منهم قالوا: يا رسول الله فما سيماهم؟ قال: التحليق – رواه أنس بن مالك عنه ﷺ.[٧٧]

وقوله ﷺ عليه لأميرالمؤمنين علي عليه السلام: الأمة ستغدر بك بعدي. وقوله (ﷺ): تقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين.

ومن ذلك، إخباره بقتل معاوية حجراً وأصحابه فيما رواه ابن وهب عن أبي لهيعة عن أبي الأسود قال: دخل معاوية على عائشة فقالت: ما حملك على قتل أهل عذراء حجراً وأصحابه فقال: يا أمّ المؤمنين إني رأيت قتلهم صلاحاً للأمّة وبقاءهم فساداً للأمّة، فقالت سمعت رسول الله ﷺ قال: سيقتل بعذراء أناس يغضب الله لهم وأهل السماء[٧٨].

وروى ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد، عن عبدالله رزين الغافقي، قال سمعت علياً عليه السلام يقول: يا أهل العراق سيقتل سبعة نفر بعذراء مثلهم كمثل اصحاب الأخدود فقتل حجربن عدي وأصحابه.

فمن ذلك، اخباره بقتل الحسين بن علي عليه السلام، روي أبو عبدالله الحافظ باسناده عن ام سلمة أن رسول الله اضطجع ذات يوم للنوم فاستيقظ وهو خاثر ثم اضطجع[٧٩] فرقد ثم إستيقظ وهو خاثر دون ما رأيت منه في المرة الأولى: ثم اضطجع واستيقظ وفي يده تربة حمراء يقبلها فقلت: ما هذه التربة يا رسول الله؟ قال: أخبرني جبرئيل أن هذا يقتل بأرض العراق - وأشار الى الحسين عليه السلام - فقلت يا جبرئيل أرني تربة الارض التي يقتل بها، فهذه تربتها.[٨٠]

وعن أنس بن مالك قال استأذن ملك المطر أن يأتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأذن له فقال لأمّ سلمة إحفظي علينا الباب لايدخل احد فجاء الحسين بن علّي عليه السلام فوثب حتّى دخل فجعل يقع على منكب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال الملك أتحبّه؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: نعم، قال: أمّتك ستقتله وان شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه؟ فضرب يده فأراه تراباً أحمر فأخذته امّ سلمة فصيّرته في طرف ثوبها فكنا نسمع أن يقتل بكربلا.

ومن ذلك، اخباره بمصارع أهل بيته عليه السلام، روى الحاكم أبوعبدالله الحافظ باسناده، عن سيدالعابدين علي بن الحسين عليه السلام، عن أبيه عن جده قال: زارنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعملنا له خزيرة[٨١]. وأهدت له امّ ايمن قعباً من ثريد وصحفة من ثمر، فأكل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأكلنا معه ثم توضأ رسول الله فمسح رأسه ووجهّه بيده واستقبل القبلة فدعا الله ماشاء ثم أكبّ على الأرض بدموع غزيرة مثل المطر فهبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نساله فوثب الحسين فأكبّ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يا أبت رأيتك تصنع ما لم تصنع مثله قطّ؟ قال: يا بنيّ سررت بكم سروراً لم أسرّ بكم مثله وانّ حبيبي جبرئيل أتاني فأخبرني أنكم قتلى ومصارعكم شتّى فأحزنني ذلك ودعوت الله لكم بالخير، فقال الحسين عليه السلام فمن يزورنا على تشتّتنا وتبعّد قبورنا؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) طائفة من

أمتّي يريدون به برّي وصلتي، اذا كان يوم القيامة زرتها بالموقف وأخـذت بأعـصارها فأنجيتها من أهواله وشدائده.

ومن ذلك إخباره عن قتل أهل الحرّة فكان كما أخبر روى عن أيوب بن بشير، قال: خرج رسول الله صلى الله في سفر من أسفاره فلمّا مر بحرّة زهرة وقف فاسترجع فساء ذلك من معه فظنوا أنّ ذلك من أمر سفرهم، فقال عمر بن الخطّاب: يا رسول الله ما الذّي رأيت؟ فقال رسول الله ﷺ امّا انّ ذلك ليس من سفركم، قالوا: فما هو يا رسول الله قال: يقتل بهذه الحرّة خيار امّتي بعد أصحابي.

قال أنس بن مالك: قتل يوم الحرّة سبعمائة رجل من حملة القرآن فـيهم ثـلاثة مـن أصحاب النبي وكان الحسن يقول: لما كان يوم الحرّة قتل أهل المدينة حتى كاد لا ينفلت أحد وكان فيمن قتل ابنا زينب ربيبة رسول الله وهما ابنان من زمعة بن عبدالأسود وكانت وقعة الحرّة يوم الاربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين.

ومن ذلك قوله ﷺ في ابن عبّاس: لن يموت حتّى يذهب بصره ويؤتي علماً فكان كما قال.

وقوله ﷺ في زيد بن أرقم وقد عاده من مرض كان به: ليس عليك من مرضك بأس ولكن كيف بك: اذا عمّرت بعدي فعميت؟ قال: اذاً أحتسب وأصبر، قال: اذاً تدخل الجنّة بغير حساب.

والروايات في هذا الفن من الآيات كثيرة لا يتّسع لذكر جميعها في هذه المقالة وفيما أوردناه كفاية لذوي الألباب[٨٢].

النتيجة :

كما بيّنا سابقاً ووجدنا أنّ معجزة نبيّنا محمد ﷺ تختلف عن معجزات اخـرى وأنّها تكون عقلية وحسيّة امّا معجزات الأنبياء الآخرين قـد تكـون حسـيّة أو عـقلية ومعجزته (ﷺ) تبقى في كلّ الزمان امّا معجزات الأنبياء الآخرين ربّما تبقى في زمان

معيّن واذا مات نبي قد يفني أثر معجزته في الازمنة الآتية. أمّا معجزة نبيناً تبقى في عصور مختلفة وازمنة مديدة وتكون باقية ودائمة وأنّ أطول المعجزات عمراً كانت تلك المعجزات التي تقدمت المعجزة القرآنيّة وقامت بين يديها وهي معجزات موسى وعيسى(عليهما السلام) وأن عمر تلك المعجزات لا يتجاوز جيلاً من أجيال النّاس، ممّن شهدوا مطلعها وعاينوا ظهورها...

فهرست المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.
٢- اسدالغابة في معرفة الصحابة للامام العلّامة لابن الأثير دار احياء التراث العربي بيروت لبنان بدون تاريخ.
٣- اعجاز القرآن - عبدالكريم الخطيب، دارالمعرفة للطباعة والنشر - بيروت لبنان الطبعة الثانيه ١٩٧٥ م - ١٣٩٥ هـ
٤- اعجاز القرآن وبلاغة محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) مصطفى صادق الرافعي، ترجمة عبدالحسين ابن الدين، الطبعة الثانية، الربيع ١٣٦١ هـ ش. مؤسسة القرآن.
٥- اعلام الورى بأعلام الهدى، تأليف امين الاسلام أبى على الفضل بن الحسن الطبرسى صحّحة علي اكبر الغفاري، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م.
٦- أعيان الشيعة - الامام السيّد محسن الأمين - حقّقه واخرجه حسن الأمين - دار التعارف للمطبوعات بيروت ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.
٧- تاريخ الاسلام السيّاسي والديني والثقافي والاجتماعي تأليف الدكتور حسن ابراهيم حسن مدير جامعة أسيوط وأستاذ التاريخ الاسلامي بجامعة القاهره الطبعة السابعة بيروت، ١٩٦٤ - مكتبة النهضة المصرية دار احياء التراث العربي.
٨- تاريخ اسلام، دراسته جامعة كمبريج، الكابتون آ-ج-آربرى - برتولد اسيدولر، آى - ك سى لمبتون، پى ام - هولت آى، ك، س لمبتون، ترجمه احمد آرام، موسسة النشر لامير كبير طهران - ١٣٧٧ هـ
٩- تاريخ الطبري المعروف بتاريخ الامم والملوك للامام ابي جعفر محمدبن جرير الطبري مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت لبنان ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م الطبعة الخامسة.
١٠- تاريخ اليعقوبي - أحمد بن أبي يعقوب بن وهب ابن واضح، المعروف باليعقوبي - دار بيروت بدون تاريخ.

١١- التنبيه والاشراف تأليف أبي الحسن علي بن حسين المسعودي - ترجمه ابي القاسم بايندە، شركة النشر العلمي، الطبعة الثانية ١٣٦٥ هـ.
١٢- تنزيه تنزيل، تأليف السيد هبة الدين محمد علي الحسيني الشهرستاني - ترجمة عليرضا ميرزا حكيم الخسروي خرداد ١٣٣١، شهر الصيام، ١٣٧١، مطبعة حيدري.
١٣- حياة محمّد، تأليف محمدحسين هيكل - مكتبه النهضة المصرية، ١٩٦٨ م.
١٤- دلائل الاعجاز في علم المعاني تأليف الامام عبدالقاهر الجرجاني، دارالكتب العلميّة بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ١٩٩٨ م.
١٥- الكامل في التاريخ لعزالدين أبي الحسين عليّ بن ابي الكريم الشيباني المعروف (٥٤٤-٦٠٦) بابن الأثير - دار احياء التراث العربى - بيروت لبنان ١٤٠٨ هـ ١٩٨٩ م.
١٦- لغتنامه دهخدا، تأليف علي اكبر دهخدا تحت رعاية الدكتور معين. للنشر جامعة طهران.
١٧- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تصنيف ابي الحسن علي بن حسين بن علي المسعودي متوفّى ٣٦٤ - دارالأندلس، بيروت، لبنان ١٣٦٥ هـ - ١٩٦٥ م.
١٨- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبدالباقى - القاهرة مطبعة دارالكتب المصرية، ١٣٦٤ هـ.
١٩- موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم - للباحث العلّامة محمد علي التهانوي - د. رفيق العجم، مكتبة لبنان - بيروت ١٩٩٦، الجز، الثانى.
٢٠- نهج البلاغة - الدكتور صبحى الصالح - بيروت سنة ١٣٨٧ هـ وطبع بالافست في ايران سنة ١٣٩٥ هـ - اشراف مركز البحوث الاسلاميّة.

الهوامش:

١. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم - تأليف علامة محمد علي التهانوي رفيق الحجم ١٩٩٦ بيروت ١٥٧٥-١٥٧٧.

٢. كتاب تنزيه التنزيل، ص ١١٥.

٣. «اندارج ـ غياث اللغات».

٤. لعتنامه تأليف دهخدا ذيل كلمة المعجزة.

٥. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون ص ١٥٦، ١٥٧.

٦. سورة الأحقاف، آية ٢٥.

٧. سورة الحاقة، الآيات ٦-٨.

٨. سورة هود، آية ٦٥.

٩. اعجاز القرآن، عبدالكريم الخطيب ص ١١٠-١١٧.

١٠. سورة هود، ٣٨ و٣٩.

١١. سورة يوسف / ١٠٥.

١٢. اعجاز القرآن ص ١١٨ - ١٢٠.

١٣. نهج البلاغه «لكم ذلك».

١٤. الدوي صوت ليس بالعالي كصوت النحل ونحوه وقصف الرعد وغيره قصيفاً اشتدّ صوته.

١٥. نهج البلاغة: الّا مثل هذا.

١٦. نهج البلاغة: الدكتور صبحي الصالح ص ٣٠١ و٣٠٢ واعلام الورى باعلام الهدى، للطبري ص ٣١ و٣٢ وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، ص ٢٩ - ٣٠

١٧. العطب هو الهلاك.

١٨. اسد الغابة في معرفة الصحابة ص ٢٩ واعلام الورى ص ٣٢ والتنبيه والاشراف تأليف المسعودي ص ٢٠٧.

١٩. أسد الغابه، ص ٢٩ واعلام الورى، ص ٣٣.

٢٠. الاحتباء: الاشتمال بالثوب.

٢١. كسر خيمة: جانبها.

٢٢. فتفاجت: اي فتح ما بين رجليها ووسعته.

٢٣. يريضى الرهط: اي يرويهم بعض الرّي.

٢٤. اي لبناً سائلاً والثمال: جمع ثمالة وهي الرّغوة.

٢٥. أراضوا من أراضي الحوض اذا استنقع فيه الماء اي نقعوا بالرّي مرّة بعد أخرى.

٢٦. العجف: الهزال والأعجف، الهزول.

٢٧. وفي التهاية مخاخهّن قليل والمخاخ جمع مخ.

٢٨. غازب: بعيد.

٢٩. راجع مفصل هذا الحديث تاريخ الخميس للديار بكري.
٣٠. شرافه بن مالك بن جعشم هو الذي تعرض لرسول الله (ﷺ) حين خرج من الغار وتوجّه الى المدينة.
٣١. ساخت قوائم فرسه اي غاصت في الأرض.
٣٢. المستوى من الأرض.
٣٣. اعلام الورى ص ٣٣ و٣٤.
٣٤. عطب يعطب - هلك.
٣٥. عصاً غليظة وقصيرة.
٣٦. اعلام الورى ص ٣٥.
٣٧. ارجع للتوضيح المفصل بكتاب حياة محمد تأليف محمدحسين هيكل ص ٢١٠-٢١٤ وأعيان الشيعة للامام السيد محسن الامين المجلد الأول ص ٢٣٦ - ٢٣٩.
٣٨. اعلام الورى ص ٣٥.
٣٩. الاحتفال الاجتماع ومنه المحفل اي مجتمع الناس.
٤٠. التنبية والاشراف للمسعودي ص ٧-٢ واعلام الورى ص ٣٦.
٤١. طما الماء: ارتفع وملاء النهر والرّكيه: البئر ذات الماء جمعها ركايا، وركى وغريز الابرة في الشيء ادخلها فيه.
٤٢. الظعن: الرحال والسفر.
٤٣. اعلام الورى ص ٣٦.
٤٤. ايضاً نفس المصدر ص ٣٧.
٤٥. يريد اللهم انزل الغيث في مواضع النبات لافي مواضع الأبنية وانجاب اجاب اي انكشفت.
٤٦. الثمال: بكسر الثاء الغياث والذي يقوم بأمر القوم.
٤٧. الهلّاك: كجهال الصعاليك والمنتجعون الذين قد ضلوا الطريق، التنبيه والاشراف ص ٢٠٧.
٤٨. نكب عن الطريق «عدل وتنحّى، وعن الشيء» نحّاه.
٤٩. قال الطريحي: كان المشركون ينسبون النبي ﷺ الى أبي كبشة وكان ابو كبشة رجلا من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الأوثان فلما خالفهم النبي ﷺ في عبادة الاوثان شبّهوه به وقيل: هو نسبة الى جد النبي لامّه فأرادوا أنه نزع اليه في الشبه.
٥٠. الدبر: بالتحريك: الجرح الذي يكون في ظهر البعير وقيل: هو ان يقرح خف البعير (النهاية).
٥١. فضخ الشي كسره والرأس: شدخه أي كسره.
٥٢. استنقع لونه: تغيّر والماء اصفرّ.
٥٣. القَصَرة محركة: العنق واصل الرقبه اذا غلظت.
٥٤. الطارى: الغريب مطلقاً أو الغريب الذي يأتي عن قريب.
٥٥- لوا برأسه: أماله وأعرض والنادي: المجلس ومحل اجتماع القوم.
٥٦. منخوب العقل: جبان لا فؤادله.

٥٧- التنين: كسكيّن: الحية العظيمة، والتقمه أي ابتلعه. اعلام الورى ص ٣٩-٤٠.

٥٨. اسراء: ٤٥.

٥٩. يس / ٩.

٦٠. التنبيه والاشراف، ص ٢٠٧، وأسد الغابة، ص ٣٠، واعلام الورى، ص ٤١.

٦١. سورة الاعراف، آية ١٨٨.

٦٢. حياة محمّد، ص ١٤٤-١٤٥.

٦٣. سورة الزخرف / ٤٤.

٦٤- سورة البقرة، الآية ٢٥٢، العنكبوت، الآية ٤٣.

٦٥. انظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيميّة ص ٢٥٧.

٦٦. المصدرالسابق ص ١٦٩.

٦٧. اعجاز القرآن ص ١٢٢-١٢٣.

٦٨. أي لم تجد في اللفظ شيئاً يقول العاقل انّ الاعجاز قد كان له ووجب لأجله.

٦٩. هذه الكلمة مشهورة وهي انما تصح في هذا الضرب من اعجاز القرآن ولاعجازه ضروب أخرى أعلاها:

١- مافيه من العلوم العالية إلهية وإجتماعية وشرعية.

٢- ماله من سلطان الهداية في النفوس من الطريق الفطري.

٣- موافقة أصوله لكل زمان وكل مكان.

٤- اخباره عن الغيب الماضي والمستقبل الخ.

٧٠. الى حدّ خبر ليس.

٧١. دلائل الاعجاز، ص ٣٦٣-٣٦٦.

٧٢. سورة الفتح، الآية ٣٨.

٧٣. الفطس: انخفاض قصبة الأنف وانفراشها وقال: «المجان المطرقه» المجان، جمع مجن أي الترس التي في البيت العقب شيئا فوق شيء.

٧٤. منزل بين البصرة ومكة الذي نزلته عائشة لما جاءت الى البصرة في وقعة الجمل.

٧٥. راجع كتاب الاختصاص للشيخ المفيد ص ١١٦.

٧٦. ذوقه: بالضم، موضع الوتر من السهم.

٧٧. التنبيه والاشراف ص ٢٠٧ واعلام الورى ص ٤١-٤٣.

٧٨. العذراء: مدينة النبي وبلالام موضع على بريد من دمشق وقرية بالشام؟ (القاموس).

٧٩. الخاثر اي ثقيل النفس غير طيب ولا نشيط. (النهاية).

٨٠. كذا.

٨١. الخزيرة به لحم يقطع صغاراً ويصب عليه ماء كثير فأذا نضج ذر عليه الرقيق فان لم يكن فيها لحم فهي عتيدة.

٨٢. اعلام الورى ص ٤٤-٤٦.

كُتاب السّيرة النبوية الأوائل وحكاية سيرة ابن اسحاق

الدكتور صادق آئينه‌وند

استاذ تاريخ الاسلام

جامعة اعداد المدرسين ـ طهران

عندما تُوفي رسول الله(ﷺ) ودبَّ الخلاف والتنازع بين قبائل البادية وسكان المُدن والقُرىٰ وحُكّام المدينة المنوّرة، وظهرت آفاق جديدة في الإدارة والعادات والتقاليد والثقافة ممّا أدّىٰ الى ظهور فكرة السيرة ووجوب تدوينها.

وكان دافع المسلمين في تدوين السيرة هو حفظ التجربة التأريخية للرسالة المحمديّة وصيانة أُسس الحكومة الاسلامية النموذجية واقتباس العادات الحسنة ونبذ الآداب الرديئة السائدة لدى الشعوب الأُخرىٰ والاستعانة بما جاء به الوحي، والتوسل بالسيرة العملية للرسول الأعظم بشكل مدوّن وجاهز مُعدّ ومتاح لكافة ابناء الأمّة الاسلامية.

وخلاصة القول أنَّ «السيرة» مثل بقيّة العلوم الاسلامية بدأ تدوينها في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري.

ومما يدعو الى الأسف أنَّ آثار الجيل الأوّل من علماء السيرة لا أثر لها في عالمنا الراهن، وكُلّ ما تجده في المكتبة الاسلامية يعود الى الجيل الثاني والجيل الثالث من هؤلاء العلماء، مثل:

١ ـ وهب بن منبه (١١٠ هـ).

٢ ـ أبان بن عثمان بن عَفّان (١١٤ هـ).

٣ ـ عُروة بن الزبير بن العوّام (٩٣ هـ).

٤ ـ شُرَحْبيل بن سعد (١٢٣ هـ).

٥ ـ عبدالله بن أبي بكر بن حَزم (١٣٥ هـ).

٦ ـ عاصم بن عُمر قَتادة (١٢٧ هـ).

٧ ـ محمد بن مُسْلم بن شهاب الزُّهري (١٢٤ هـ).

٨ ـ موسىٰ بن عُقبة المدني (١٤١ هـ).

٩ ـ هِشام بن عُروة بن الزُّبير (١٤٦ هـ).

١٠ ـ محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي (١٥١ هـ).

١١ ـ مُعْمَر بن راشد بن أبي عمرو الأزدي (١٥٣ هـ).

ويمكننا أنْ نعتبر موسىٰ بن عُقبة، ومحمد بن اسحاق، من كُتّاب السيرة المثاليين الممتازين في فترة المرحلة الثانية من كتابة السيرة، فنرىٰ موسىٰ بن عُقبة قد استعمل النسق الزمني والتاريخ في كتاباته كما استفاد من الإسناد في إخباره وروايته، حيث اعتمد في عمله من طريقة أُستاذه «الزُّهري».

أمّا ابن اسحاق فكان عمله في تدوين «السيرة» عملاً اساسياً أثيلاً يتضمّن آراء ونظريات اساتذته وشيوخه. منظماً حسب التاريخ مع مفاهيم حديثة، لذا قال فيه ابن حبّان: لم يكن أحد في المدينة يُقارب ابن اسحاق في عمله أو يوازيه في جمعه، وهو من أحسن الناس سياقاً للأخبار. فهو شيخ واستاذ علماء السيرة بلا منازع. وروي أنَّ كُلّ مَنْ عملَ في السيرة فهو عيال على ابن اسحاق.

لهذا نشاهد بعد عدّة قرون نهض مؤرخ مثل محمد بن محمد ابن سيد الناس اليعمري (٦٧١ ـ ٧٣٤هـ)، فدافع في كتاب «عيون الأثر في فُنون المغازي والشمائل والسّير» دفاعاً يتّسم بالشهامة والجرأة كي تبقى السيرة النبوية الشريفة شامخة ولا تضحىٰ عرضة للتطاول والإهمال.

ولد ابن اسحاق سنة ٨٥ هـ بالمدينة المنورة وأدرك بعض الصحابة ولكنه كان من اصدقاء ورفقاء وجلساء التابعين من ابناء الصحابة.

رحل الى مصر سنة ١١٩ هـ وزار مدينة الاسكندرية ثُمَّ عادَ الى المدينة حيث اشتهر بها وطار صيته في الآفاق.

وفي تلك البرهة حصلت له مع عالمي المدينة المنورة «هشام بن عُروّة بن الزبير ـ ١٤٦هـ» و«مالك بن أنس ـ ١٧٩هـ» مُشاحنة ومُشادّة كلامية.

وكان ابن اسحاق يروي عن فاطمة بنت المنذر زوجة هشام بن عروة بن الزبير، فكذّبه هشام على رؤوس الاشهاد فقال أين رآها كي ينقل عنها. وربما كان تكذيبه هذا تحطيماً للمركز العملي الذي حازه ابن اسحاق وهو من الموالي كما نعرف. حيث جاء في الأخبار أنّ خالد بن الوليد قد سيطر على مدينة عين التمر في بلاد الرافدين وأسر جماعة في معبد بينهم «يسّار» جدّ ابن اسحاق.

والظاهر أنّ تبحر ابن اسحاق ومعرفته الواسعة بأخبار أهل الكتاب وإجادته اللغة السريانيّة بقايا محيط عائلته وجدّه يسّار، ولكن بعض المؤرخين ذكروا أنّ ابن اسحاق تعلّم السريانيّة عندما كان بمصر.

كما ذُكر أنّ مشاحناته ومشاداته الكلامية مع هشام بن عروة ومالك بن أَنس كانت نتيجة حسادات أصحاب الاختصاص المشترك في زمان ومكان مشترك وقد اشار اليها التُّراث الاسلامي بعنوان «رحجاب المعاصرة».

واعتبر المؤرخون والرجاليون الإعادات الباطلة والتباغض القائم بين اصحاب الاختصاص المشترك والأوان الواحد هزيلة باطلة لا أساس لها ولا اعتبار. وقالوا أنت أقوالهم حجة في كافة المجالات إلا في التباغض والحسد والخصام الشخصي.

قال سفيان الثوري:

«لا يجوزُ شهادةُ العالم على العالمِ لأَنَّهم أَشدُّ النَاسِ تحاسُداً وتباغضاً».

ونُقل عن ابن عبّاس:

«آستَمِعُوا عِلْمَ العُلماءِ ولا تُصَدّقُوا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ».

ونُقل عن مالك بن دينار:

«يُـؤْخَذُ بِقَولِ العُلماءِ والقُرّاءِ في كُلِّ شيءٍ إلا قَوْلَ بعضهمْ عَلَىٰ بَعْضٍ».

وقد أَتَيْنَا بهذه الأقوال لنُبَيّنَ للقُرّاءِ الكرام إنّ مثلَ هذا يحدثُ بين العلماء وذوي الاختصاص، ويجب علينا عدم الاعتماد على قولِ بعضِهمْ في بعضٍ.

كان ابنُ اسحاقَ يقُولُ:

«إعرِضوا عَلَيَّ عِلْمَ [حديثَ] مالكٍ وأنا بَيْطَارُهُ» أي أُخرج لكم وَهْنَهُ وضَعْفَهُ.

وقال مالك:

«وما ابنُ اسحاقَ؟! إنَّما هو دَجّالٌ من الدَّجاجِلَةِ! نحنُ أخرجناهُ منَ المدينةِ».

وهنا لا يجب اشعال نار الوطيس وطرح المشاكل السياسية وبيان السرائر النفسية والضغائن العاطفية تجنباً وتعفّفاً وتفادياً لِمَ لا تُحمدُ عُقباهُ.

والمهم في هذا الأمر أنَّ «مدرسة تاريخ ابن اسحاق» قد تجاوزت مجال السنّة المتعارف عليه بين اصحاب الحديث وكان لهذا الأمر صدىً شديد الأثر ثقيلاً صعباً لا تستحسنه الطبائع والعادات.

فعندما عاد ابن اسحاق من مصر، استقبله مالكٌ بتهمة الزندقة، وكان هذا أُسلوب ونمط الأمويين في محاربة مناوئيهم كي يُشوّهوا مشروعيّة نضالهم.

وكان ابنُ اسحاق نصيراً للحركات المضادة للأمويين وكان الأمويون وزبانيتهمْ يتهمون التنظيمات المعارضة بالزندقة والإلحاد، وكانت المعارضة في تلك الفترة تتمثل بالقُرّاء والقدرية وكانت نقطة الإئتلاف تتمركز في هدف واحد يجمع المعارضين بكافة آرائهم ومبادئهم وميولهم هو مخالفة بني أمية وحكمهم الاستبدادي.

وفي ذلك العصر كان أكثر كُتّاب السيرة من المغضوب عليهم لدىٰ قصر الخلافة الأمويّة لانّ السيرة لسان حال الهاشميين وانصارهم وصحيفة مخازي الأمويين وحكومتهم.

وقد اشار الزبير بن بكار في كتاب «المُوفّقيات» الى أنَّ عبدالملك بن مروان كان يرصد الكُتّاب كي لا تمتد تحريراتهم الى السيرة وفضائل آل البيت.

نعم لقد كتب ابنُ اسحاق «السيرة»، وعرضها بشكل يتحلّىٰ بصبغة لا يرضاها آل سفيان ومروان، ولهذا وصفه دارسو السيرة بالإنصاف وممّن لم يُساير بني أُميّة واعتبره البعض من انصارِ التشيّعِ.

وقال ياقوتُ الحموي في «معجم الأُدباء»: «كان محمدُ بنُ اسحاقَ، والحسنُ بنُ ضُمرة، وابراهيمُ بنُ محمدٍ، يتشيّعون ويُقدّمون علياً علىٰ عثمان»، وقال الشاذكاني (ومن المحتمل انّه من اهالي شادگان ايران): «كانَ محمد بن اسحاقَ يتشيّعُ».

ابنُ اسحاق ومراحلُ تدوين السيرة:

كان ابنُ اسحاق خلال الفترة ١٣٦ ـ ١٤٥ هـ في مدينة الكوفة حين ولاية «المنصور»، وفي مدينة «الحيرة» دوّن ابنُ اسحاق كتاب «السيرة» استجابة لأمر «المنصور»، والقرائن تهدينا الى أنَّ ابن اسحاق والمنصور كانا يعملان خفيّة ضد حكومة الأمويين، وكان على اتصال بالمنصور قبل فوز وانتصار بني العباس.

والظاهر أنَّ ابن اسحاق قد كتب «السيرة» أو قسماً منها في المدينة المنوّرة، ودققها ثمّ درّسها في الكوفة، ثُمّ نقل هذا الدرس والبحث الى مدينة السلام بغداد.

رواة سيرة ابن اسحاق:

وكما ذكرنا انَّ ابن اسحاق قد دوّن السيرة أو قسماً منها في المدينة المنوّرة، ثُم جاء بها الى العراق وفي العراق دوّن نسخة من السيرة تتلاءم وما يقتضيه الحال السائد في تلك الفترة، وفي بغداد دوّن السيرة مرّة أخرىٰ ووفق ما أمر به الخليفة العباسي الفائز الظافر.

إنّ نسخة بغداد «سيرة» رسميّة كما ارادها العباسيون وتحت اشراف «المنصور» مباشرة، حتى أنَّ قسماً منها قد حُذف قبل ان يراه ولي العهد «المهدي». كما دوّن ابن اسحاق قسماً من «السيرة» اثناء سفره الى مدينة الريّ بمعيّة «المهدي العباسي».

علىٰ هذا فانَّ نسخ «السيرة» لابن اسحاق تنحصر بثلاث نُسَخٍ:

١ ـ نسخة المدينة المنوّرة (وهي أحسن النُّسخِ).

٢ ـ نسخة الكوفة.

٣ ـ نسخة بغداد.

فاذا طابقنا نسخة المدينة ونسخة الكوفة مع نسخة بغداد يتبيّن لنا أنّ المنصور قد طلب

من ابن اسحاق ان يؤكّد على دور العباسيين في السيرة النبوية الشريفة، ويُرجّح لهم كفّة القسطاس.

أمّا رواة السيرة، فهم:

أ ـ زياد بن عبدالله البَكّائي (١٨٣ هـ).

ب ـ محمد بن سلمة الحرّاني، أو حسب رواية بعضهم: سلمة بن الفضل (١٩١هـ).

جـ ـ يونس بن بُكير (١٩٩ هـ).

وذكر الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد السُّهيلي المتوفىٰ سنة ٥٨١هـ في كتابه «الروض الأنف في شرح غريب السير»، أنَّ رواة سيرة ابن اسحاق، هم:

- محمد بن فُليح
- ابراهيم بن عبدالرحمن بن عوف
- عبدالله بن ادريس

ولم يذكر عن هؤلاء معلومات ترشدنا الى البحث والدراسة.

وكانت رواية «محمد بن سلمة الحراني» تمثل الشكل الثالث أو الرواية البغداديّة. ورواية زياد البكّائي تمثل الشكل الثاني أو الرواية الكوفية. ورواية يونس بن بُكير تمثل الشكل الأول أو الرواية المدنية.

وكانت رواية يونس اصداءَ الحقائق التاريخية وبصبغة شيعيّة ساطعة لأنّها تروىٰ بزمنٍ إنهار فيه الأمويون وتلألأ في سمائِهِ نجمُ العباسيين ودوّن الكاتب تاريخه وروايته بحريّة تامّة دون رقيب وغريم وخصيم.

وجاءَ فيها عن الصحابي الجليل سلمان الفارسي (رضي الله عنه) رواية عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وسبطي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«يقولُ الرّسولُ: إنّ علياً خيرُ الوصيين، وسبطيه خيرُ الأسباطِ».

وفي رواية «محمد بن سلمة» حول نصّ الآية ٦٩ من سورة الانفال:

﴿يا أيُّها النبيُّ قُلْ لِمَنْ في أيديكم من الأَسْرىٰ إنْ يَعْلَم اللهُ في قُلوبكم خيراً يؤتِكُمْ

خيراً مِمّا أُخذ مِنْكُمْ ويغفِرْ لكُمْ واللهُ غفورٌ رحيمٌ﴾.

قال: هي حول العبّاس. وتقولُ هذه الرواية: قالَ العباس: عندما أسلمت على يدي رسول الله (ﷺ) طلبت منه أن يرجع لي عشرين صاعاً كانت قد أُخذت منّي فدية. فنزلت هذه الآية المباركة.

وهنا تظهر الغاية من هذه الرواية وهدفها هو تجليل وتبجيل العباس ومكانته الدينيّة. وخصوصاً في هذا الزمن الذي اشتد فيه الخصام بين «الحسنيين» والمنصور، حيث شمتوا ببني العباس واعتبروا العباس مشركاً وقع أسيراً بيد جُند الله.

قايس بين هذه الرواية ورواية النسخة المدنية حيث جاء فيها عن الرسول (ﷺ): أَرخوا رباط رجل العباس (حيث كان العباسُ أسيراً بين الأسرىٰ) كي يأخذ الناسُ قسطاً منَ الراحة!!

نعم رواية البكائي لم تَصِلْ الينا بشكل كامل، لكنّ ابن هشام جعلها نسخة الأساس في بحثه، لذا تجد فيها الجرح والتعديل والتهذيب.

ابن هشام و«السيرة» لابن اسحاق:

عبدالملك بن هِشام، حميري، بصري الأصل، مصري المنشأ والوفاة، وكانت وفاته كما ذكر السُّهيلي سنة ٢١٣هـ.

ولا نعلم كيف حصل ابنُ هِشام رواية البكّائي، هل أخذها عن طريق السماع، أو النقل والإجازة، كما أنّ ابن هشام نفسه لم يُشر الى ذلك.

ومهما كان فانّ ابن هشام قد كشف الستار عمّا عمله وقال بشجاعة كاملة: «تاركٌ بعضَ ما ذكَرَهُ ابنُ اسحاق في هذا الكتاب، مما ليس لرسول الله ـ ﷺ ـ فيه ذكرٌ، ولا نزل فيه من القُرآن شيءٌ، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب، ولا تفسيراً لهُ، ولا شاهداً عليه، لما ذكرت من الإختصار، وأشعاراً ذكرها لم أَرَ أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء بعضها يَشْنُعُ الحديث به، وبعضٌ يسوءُ بعضَ الناسِ ذكرُهُ، وبعضٌ لمْ يقرَّ لنا البكّائي

بروايته». [السيرة النبوية، ابن هشام].

واذا لاحظنا ما ذكره ابنُ سعد في كتابه «الطبقات الكبرىٰ» نقلاً عن ابن اسحاق، وما ذكره ابن هشام يتبيّن مقدار ما حُذف وما أُضيف الى النصّ الحقيقي، وأما الاختلاف فحدّث ولا حرج. كما أنّ بعض ما جاء به ابنُ هشام من الأخبار لا يمكن ذكرها لكونها شنيعة قبيحة مستهجنة، أو داعية الى التكدير والازعاج، وبعضها الآخر لا يؤيّد «البكّائي» صحّتها.

من المؤكّد أنّ التاريخ يستند على حقائق مجرّدة ولا محاباة في التاريخ الى أيّ كائن من كان. ولكن مع الأسف نرىٰ ابن هشام (على الرغم من أنّهُ استند على رواية البكائي الكوفية المتسمة بالملاءمة واللطافة والنعومة وجعلها نسخة الأساس) قد انحرف عن الصراط وثلم الحقائق التاريخية واطلق لقلمه العنان فحذف ما شاء واختصر ما رغب، وثبّت ما أراد.

ومما يؤخذ عليه هو أنّه أهمل رواية «يُونس بن بكير» رغم صحتها والإجماع علىٰ توثيقها.

وممّا حذف وازال ابن هِشام من حقائق الوقائع أخبار بعض الأصحاب وكبار الرجال مثل العباس بن عبدالمطلب وغيره، وأحاديث في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، مثل:

- قتل عمرو بن عبد ودّ العامري بيد الامام علي (عليه السلام).
- خبر عبيدالله بن عمر حول خلافة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والذي يؤيّده «الأنصار».
- روايات عديدة حول فضائل ابن أبي طالب (عليه السلام).

ومن أجل بيان حجم ومقدار ما حُذف نرجو مراجعة شرح كتاب «نهج البلاغة» لابن أبي الحديد.

ولم يكتفِ ابنُ هشام بقطف ورُود حدائق الأخبار المحمدية الاسلامية فقط بل امتدت يداه الى مراتع الأدب الجاهلي وحصد ما شاء من الأشعار والأخبار.

شارحو السيرة النبوية لابن هشام:

وعلىٰ كُلّ حالٍ فانَّ ما كُنّا نرغبه هو أنْ تصلنا «السيرة» لابن اسحاق كوديعة سالمة من القطف والحصاد ولكن هذا لم يحدث، والكتاب الأوحد الذي حلَّ محل سيرة ابن اسحاق هو سيرة ابن هشام، وعلى سيرة ابن هشام شروح هي:

١ ـ الروض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، كتبها أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن أبي الحسن الخَثْعَمِي المعروف بالسُّهيلي (٥٠٨ ـ ٥٨١هـ).

٢ ـ شرح السيرة النبوية، لأبي ذرّ بن محمد بن مسعود الخُشني المعروف بابن أبي الركب (احتمالاً ٥٣٥ ـ ٦٠٤ هـ).

٣ ـ عيون الأثر في فنون المغازي والشَّمائل والسير، لابن سيد الناس اليَعْمُرِي (محمد بن محمد ـ المتوفىٰ سنة ٧٣٤ هـ)، وقد دافع في شرحه هذا عن ابن اسحاق دفاعاً علمياً مدروساً صان به مكانة ابن اسحاق وحفظ شأن كتابه «السيرة» حيث يُمكننا الاشارة الى انه من مدافعي ابن اسحاق.

المصادر:

١ ـ السيّر والمغازي، محمّد بن اسحاق المُطَّلِبي (المتوفى سنة ١٥١ هـ)، تحقيق الدكتور سهيل زكّار، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٨.

٢ ـ السيرة النبوية، لإبن هشام (المتوفىٰ سنة ٢١٨هـ) حقّقها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها، مصطفى السّقا، إبراهيم الأبياري، عبدالحفيظ شلبي بدون ناشر، بدون تاريخ.

٣ ـ الطّبقات الكُبرى، ابن سعد (المتوفىٰ سنة ٢٣٠ هـ)، طبعة الدكتور إحسان عبّاس، بيروت، دار صادر ودار بيروت، ١٩٦٠م.

٤ ـ الطبقات الكبرى، ابن سعد، طبعة لجنة نشر الثّقافة الاسلامية، القاهرة، ١٣٥٨هـ.ق.

٥ ـ الرّوض الأُنُف في تفسير السيرة النبويّة، عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد أبي الحسن الخثعمي السُّهيلي (المتوفىٰ سنة ٥٨١هـ).

قدم له وعلّق عليه وضبطه، طه عبدالرؤوف سعد، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٩م.

٦ ـ مُعجم الأدباء، ياقوت الحَمَوي (المتوفىٰ سنة ٦٢٦هـ)، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٠م.

٧ ـ شرح نهج البلاغة، إبن أبي الحديد (المتوفىٰ سنة ٦٥٦ هـ)، تحقيق محمّد أبوالفضل ابراهيم، مصر، دار إحياء الكتب، العربية ١٣٧٨هـ.

٨ ـ عُيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسّير، أبو الفتح محمّد بن محمّد بن سيّد النّاس اليَعْمُري (المتوفىٰ سنة ٧٣٤ هـ)، تحقيق الدكتور محمّد العيد الخطراوي ومحييّ الدين مستوفي المدينة، مكتبة دار التراث، دمشق، دار ابن كثير، ١٩٩٢م.

٩ ـ شرح السّيرة النبوية، أبوذرّ بن محمّد بن مسعود الخُشَني، المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، اسطانبول ـ تركيا، ١٣٢٩م.

١٠ ـ مُعجم ما أُلّف عن رسول الله، الدكتور صلاح الدّين المنجّد، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢م.

١١ ـ رُواة محمّد بن إسحاق بن يسار في المغازي والسّير وسائر المرويات، مُطاع الطّرابيشي، بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤م.

١٢ ـ علم تاريخ در گُستره تمدن اسلامي، صادق آئينه وند، تهران پـژوهشگاه علوم انساني ومطالعات فرهنگى، ١٣٧٧، (بالفارسيّة).

شخصية العدد

حبيب الرسول الأعظم
سيد الشهداء الامام الحسين (عليه السلام)

لجنة التأليف في مؤسسة البلاغ ـ طهران*

بعد حول من ميلاد الحسن السبط (عليه السلام)، وفي اليوم الثالث من شهر شعبان المبارك، السنة الرابعة من الهجرة، زُفّت البشرى الى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بميلاد الحسين (عليه السلام) فأسرع الى دار علي والزهراء (عليهما السلام)، فقال لأسماء بنت عميس:

[(يا أسماء هاتي ابني)، فحملته إليه، وقد لُفّ في خرقة بيضاء، فاستبشر (صلى الله عليه وآله وسلم) وضمّه اليه وأذّن في أُذنه اليمنى وأقام في اليسرى، ثم وضعه في حِجره وبكى، فقالت أسماء: فداك أبي وأُمي ممّ بكاؤك؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (مِن ابني هذا). قالت: إنه ولد الساعة. قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (يا أسماء تقتله الفئة الباغية من بعدي، لا أنالهم الله شفاعتي) ثم قال: (يا أسماء لا تخبري فاطمة فانها حديثة عهد بولادته)][1].

ثم أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعلي (عليه السلام): (أي شيءٍ سميت ابني؟). فأجابه علي (عليه السلام): (ما كنت لأسبقك باسمه يا رسول الله). وهنا نزل الوحي المقدّس على حبيب الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حاملاً اسم الوليد من الله تعالى، واذ تلقّى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر الله بتسمية وليده الميمون، إلتفت الى علي (عليه السلام) قائلاً: (سمّه حسيناً).

وفي اليوم السابع أسرع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الى بيت الزهراء (عليها السلام)، فعقّ عن الحسين

---

* . اعداد مدير تحرير المجلة ـ قيس آل قيس.

كبشاً، وأمر بحلق رأسه، والتصدّق بزنة شعره فضّة، كما أمر بختنه، وهكذا أجرى للحسين (عليه السلام) ما أجرى لأخيه الحسن (عليه السلام) من مراسيم إسلامية.

منزلة الحسين (عليه السلام)

لأبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، مكانة عظمى، لا يرقى اليها سوى جدّه وأبيه وأُمّه وأخيه السبط والأئمة من ولده عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام، ولو بذل المؤرخ وسعاً، لتتبّع ما يحظى به الحسين (عليه السلام)، من مقام رفيع، بلغ القمة السامقة في دنيا المسلمين، لخرج بسفر جليل في هذا المضمار، وبقدر ما تسمح به المحاولة التي بين أيدينا سنشير الى بعض المنطلقات الأساسية التي تبرز مكانة الحسين (عليه السلام) في معيار الشريعة الالهية.

فالقرآن الكريم ـ الوثيقة الالهية العظمى ـ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، يعرب في العديد من آياته الكريمة عن الشوط البعيد الذي قطعه الحسين (عليه السلام) من درجات الرفعة عند الله تعالى، فهو واحد من أهل البيت الذين نزل في حقهم قوله تعالى:

﴿إنَّما يُريدُ اللهُ ليُذهِبَ عنكُمُ الرِّجْسَ أهلَ البيتِ وَيُطَهِّرَكُم تَطهيراً﴾. (الأحزاب/٣٣)

ومن الذين ذكروا في آية المباهلة:

﴿.. فَمَن حاجَّكَ فيه مِنْ بعدما جاءكَ من العِلم فقُل تعالوا ندعُ أبناءَنا وأبناءكُم ونساءَنا ونساءكُم وأنفُسنا وأنفُسكم، ثمَّ نبتهل فنجعل لعنةَ الله على الكاذبين﴾[٢].

وفي آية المودّة:

﴿قُل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودَّة في القُربى﴾[٣]. (الشورى / ٢٣)

فمن خلال هذه الآيات الكريمة تتجلّى مكانة الحسين (عليه السلام) وأهل البيت (عليهم السلام) ومنزلتهم السامية عند الله تعالى، إلّا أنّه من نافلة القول أن نشير الى بعض النصوص التي وردت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بشأن الحسين (عليه السلام) لابراز المكانة الرفيعة التي يمثلها في دنيا الرسالة والأمّة:

١ ـ في صحيح الترمذي عن يعلي بن مرة، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):
(حسينٌ مني وأنا من حسين، أحبَّ الله من أحب حسينا، حسينٌ سبطٌ من الأسباط)[٤].

٢ ـ عن سلمان الفارسي: قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يقول:
(الحسن والحسين ابناي من أحبَّهما أحبَّني ومن أحبني أحبَّه الله ومن أحبه الله أدخله الجنة، ومن أبغضهما أبغضني ومن أبغضني أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله النار على وجهه)[٥].

٣ ـ عن البراء بن عازب قال:
(رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حاملاً الحسين بن علي على عاتقه وهو يقول: (اللهم اني أحبه فأحبه)[٦].

٤ ـ وعن عبد الله بن مسعود قال:
(انّ رسول الله قال في الحسن والحسين (صلى الله عليه وآله)، (هذان ابناي فمن أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني).

٥ ـ وعن علي بن الحسين عن أبيه عن جده (عليه السلام): ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أخذ بيد الحسن والحسين وقال:
(من أحبني وأحب هذين وأباهما كان معي في درجتي يوم القيامة)[٧].

ملامح شخصية الامام الحسين (عليه السلام)

١ ـ علاقته بالله تعالى

بمقدورنا أن نستجلي عمق علاقة الحسين (عليه السلام) بربّه الأعلى سبحانه، اذا أخذنا بنظر الاعتبار كونه قد تعاهده الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالانشاء الروحي والفكري جنباً الى جنب مع علي والزهراء (عليهما السلام)، لتحديد اطار شخصيته ومسارها في الحياة.

* فقد قيل له يوماً ما أعظم خوفك من ربك!؟ فقال: (لا يأمن من يوم القيامة إلّا من خاف الله في الدنيا).

* وكان (عليه السلام) اذا توضّأ تغيّر لون وجهه، وارتعدت مفاصله، فقيل له في ذلك، فقال:

(حق لمن وقف بين يدي الملك الجبار أن يصفّر لونه وترتعد مفاصله)[٨].

* في ليلة العاشر من محرم الحرام، طلب الامام الحسين (عليه السلام) من الجيش الأموي أن يمهله تلك العشيّة قائلاً: (انّا نريد أن نصلي لربّنا الليلة ونستغفره، فهو يعلم أني أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار).

* وفي أرهب الساعات وأحرجها، تحل صلاة الظهر في نهار العاشر من المحرم، فيطلب الحسين من المعتدين أن يوقفوا عنهم الزحف حتى يصلّوا لله تعالى. ان هذا السلوك يعكس لنا عمق العلاقة التي تربط الحسين بالله سبحانه، ومدى حبّ الحسين لله تبارك وتعالى.

* وكان يدعو ربّه تعالى بهذا الدعاء:

(اللهم ارزقني الرغبة في الآخرة حتى أعرف صدق ذلك في قلبي بالزهادة منّي في دنياي، اللهم ارزقني بصراً في أمر الآخرة حتى أطلب الحسنات شوقاً، وأفرّ من السيئات خوفاً يا رب)[٩].

هذه بعض مصاديق العلاقة الروحية بين الحسين وربّه سبحانه وتعالى وسوف نتحدّث بشيء من التفصيل عن هذه العلاقة بالذات في مجال ثورة الحسين وتضحيته البطولية الفذّة في سبيل الله تعالى.

٢ ـ علاقته بالناس

حين نتطلّع الى الجانب الخلقي من شخصية الامام الحسين (عليه السلام) نلمس مدى تفاعله مع الأمّة بمختلف قطّاعاتها باعتباره قدوتها المثلى، ولا نقصد بحال أن الحسين (عليه السلام) يباين سواه من الأئمة (عليهم السلام) في طبيعة التفاعل مع الجماهير، فان لون التفاعل مع الأمّة وطبيعته بالنسبة للأئمة (عليهم السلام) تحدّدها رسالة الله تعالى والتي يمثل الأئمة صورتها التطبيقية في دنيا الواقع.

ولكننا حين نشير الى الجانب الأخلاقي من شخصية الامام الحسين (عليه السلام)، فانما نطرح بعض المصاديق لذلك التفاعل السامي المشرق:

أ ـ تواضعه (عليه السلام)

إنّه مرَّ بمساكين وهم يأكلون كسراً لهم على كساء، فسلّم عليهم، فدعوه الى طعامهم، فجلس معهم، وقال:

(لولا أنه صدقة لأكلت معكم) ثم قال (عليه السلام): (قوموا الى منزلي)، فأطعمهم وكساهم وأمر لهم بدارهم)[١٠].

وبمقدورنا أن نكتشف مدى تواضعه وعمقه من خلال هذا المصداق العملي الذي ذكرناه، اذا أعدنا الى الأذهان ما يتمتّع به الحسين (عليه السلام) من مستوى قيادي في الامة، فهو مرجعها الفكري والقيادي، وامامها المنصوص عليه من الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ومكانته الاجتماعية لا يرقى اليها رجل في عصره قط، حتى أنّ ابن عباس الصحابي الجليل ـ وهو أسن منه ـ كان يمسك له الركاب حتى يركب فرسه اجلالاً له واعظاماً[١١].

ولعظم منزلته كان الناس اذا التقوا به أثناء مسيره الى الحج ماشياً، ينزلون عن ركائبهم اجلالاً طالما هو يسير.

أقول انّ ادراكنا لمكانة الحسين (عليه السلام) الاجتماعية في دنيا المسلمين، يجعلنا ندرك مدى تواضعه، اذا ألفيناه يتعامل مع أبسط الناس في المجتمع بذلك السلوك الانساني الرفيع.

ومن المصاديق العملية على تواضعه (عليه السلام) كذلك، أنه مرَّ على مساكين يأكلون في الصفّة، فدعوه للطعام، فنزل (عليه السلام) وقال:

(ان الله لا يحب المستكبرين) ثم تناول معهم الطعام وقال لهم: (قد أجبتكم فأجيبوني)، قالوا: نعم، فمضى بهم الى منزله، وقال للرباب: (اخرجي ما كنت تدخرين))[١٢].

ومما يدل على مدى تفاعله الايجابي مع الناس، ورعايته لشؤون الأمّة ما رواه شعيب بن عبدالرحمن، قال:

(وجد على ظهر الحسين بن علي يوم الطف أثر، فسألوا زين العابدين عن ذلك. فقال: (هذا مما كان ينقل الجراب على ظهره الى منازل الأرامل واليتامى والمساكين))[١٣].

الأمر الذي يشير الى تواضع منقطع النظير، واهتمام بشؤون الامة ووعي للمسؤولية

وشعور عميق بها لا نظير له.

ب ـ عفوه عن المسيء

ارتكب غلام له ما يستوجب التأديب، فأراد تأديبه، فقال له الغلام:

(يا مولاي: (والكاظمين الغيظ)، قال الامام: (خَلو عنه). قال الغلام: (والعافين عن الناس)، فقال الامام: (قد عفوت عنك). قال: يا مولاي (والله يحب المحسنين)، قال (عليه السلام): (وأنت حر لوجه الله، لك ضعف ما كنت أعطيتك))[١٤].

هذه نتف يسيرة استلهمنا من خلالها الجانب الخلقي في شخصيته (عليه السلام).

٣ ـ ملامح فكر الامام

من المناسب أن نذكر طرفاً من نشاطته الفكرية الرائدة كمصاديق عملية على ما يتمتّع به من علو شاهق في مستواه العقلي الذي صقله منهج الله وحدد مساره ومنهاجه:

أ ـ قال له نافع بن الأزرق ـ زعيم الأزارقة من الخوارج ـ:

صف الي الهك الذي تعبده، فرد عليه الامام بقوله:

(يا نافع من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر في الالتباس، مائلاً اذا كبا عن المنهاج، ظاعناً بالاعوجاج، ضالاً عن السبيل، قائلاً غير الجميل، يا ابن الأزرق: أصف الهي بما وصف به نفسه، لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، قريب غير ملتصق، وبعيد غير مستقصى، يوحد ولا يُبعض، معروف بالآيات، موصوف بالعلامات لا اله إلّا هو الكبير المتعال). فبكى ابن الأزرق وقال: ما أحسن كلامك)[١٥].

ب ـ قال عليه السلام عند مسيره الى كربلاء وهو يقوّم الموقف العام، ويحدّد مدى الانحراف الذي آلت اليه الأوضاع، ويشير الى عزمه على كسب الشهادة من أجل الحق:

(إن الدنيا قد تغيرت وتنكرت، وأدبر معروفها، واستمرت جداً فلم يبق منها إلّا صبابة كصبابة الاناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أن الحق لا يعمل به؟! وانّ الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله مُحقاً، فأني لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برما، انّ الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما

درَّت معائشهم، فاذا محصوا بالبلاء قلَّ الدَّيانون)[١٦].

ج ـ وها هو يحدّد بوعي صارم درجات العلاقة بالله: انّ قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وان قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وان قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة)[١٧].

د ـ وقد خطب عليه السلام مرة، محدداً مواصفات الحكم الأموي وما آلت اليه الأوضاع السياسية والادارية من وجهة النظر الاسلامية:

(أيها الناس انّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان. فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله)، ألا وانّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله، وأنا أحق من غيري، وقد أتتني كتبكم، وقدمت عليَّ رسلكم ببيعتكم، أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فان تممتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، فلكم فيَّ أسوة، وان لم تفعلوا، ونقضتم عهدكم وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم بن عقيل والمغرور من اغترّ بكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم، ومن نكث فانما ينكث على نفسه وسيغني الله عنكم)[١٨].

هذه شذرات يسيرة من أفكاره العظيمة التي تحتل مركز الريادة في الفكر الاسلامي الأصيل، ومن شاء المزيد فليراجع سيرته العطرة، فان له فيها خير عون على ادراك ما للحسين (عليه السلام) من بعد نظر وسعة فكر وايمان[١٩].

صور من الصراع

بايع المسلمون بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان بالخلافة للامام علي (عليه السلام)، وسلموا مقاليد الامور وادارة الدولة له. ورفض معاوية بن أبي سفيان البيعة للامام

علي (عليه السلام) وأعلن انفصاله، ونصب نفسه خليفة على الشام التي كان والياً عليها أيام الخليفة عثمان بن عفان.

من يدرس التاريخ السياسي لتلك الفترة العصيبة من تاريخ الاسلام، يلاحظ أن الامام عليّاً (عليه السلام) واجه ثلاث كتل سياسية هي:

١ ـ الحزب الاموي الذي قاده معاوية بن أبي سفيان.

٢ ـ كتلة الخوارج الذين انفصلوا عن جيش الامام علي (عليه السلام) وتمرّدوا عليه.

٣ ـ كتلة عائشة وطلحة والزبير بن العوام.

وبعد فترة من الحروب والصراعات بين الامام علي (عليه السلام) وبين هذه الاحزاب والكتل السياسية استطاع الامام علي أنى يقضي على حركة عائشة[٢٠] وطلحة والزبير في معركة الجمل الشهيرة التي وقعت في البصرة، كما استطاع أن يدحر معاوية في معركة صفّين، وان ينتهي الامر الى التحكيم والتفاوض الذي رفضه الامام علي بعد أن علم انه خديعة وفذلكة سياسية مخططة، والذي انتهى لمصلحة معاوية وخروج فئة الخوارج من جيش الامام علي (عليه السلام)، فاشتبك معهم فيما بعد في معركة طاحنة (معركة النهروان) فدحرهم فيها وشتتهم.

وفي غمرة هذا التطاحن والحروب الدامية والصراع السياسي المحتدم، خططت فئة الخوارج التي أعلنت عداءها وتمردها على امام المسلمين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لاغتيال كل من معاوية وعمر بن العاص وعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، ورزئت الانسانية وخسرت الامة أعزّ رجالها، وقدوة طلائعها، وحامل اللواء والراية فيها، رجل العلم والجهاد والعمل الصالح علي بن أبي طالب (عليه السلام).

فقد نجحت المؤامرة ضدّه، ونفّذ عبدالرحمن بن مُلجم الجريمة بحق التاريخ والانسانية، واغتال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فضربه ضربة قاتلة على رأسه الشريف بسيف مسموم، عند صلاة الفجر في مسجد الكوفة، في اليوم التاسع عشر من رمضان عام ٤٠ هـ واستشهد في اليوم الحادي والعشرين من ذلك الشهر.

وباستشهاد علي أمير المؤمنين، رجل الدولة والجهاد والسياسة، رجل المبدأ

والعقيدة، رجل العدالة والقيم، الذي ما ساوم على حق، ولا تنازل عن مبدأ، ولا جفا قيمة من قيم الحق والعدالة، أفرزت الاحداث وضعاً سياسياً جديداً، وظروفاً تاريخية جديدة، انقلبت المعادلة فيها، واختل التوازن السياسي والاجتماعي في حركة المجتمع وتفكيره السياسي بعد غياب هذه الشخصية العظيمة، كما دبّ باستشهاده الوهن والضعف الى كيان الخلافة الراشدة، وأخذ معسكر معاوية بالنموّ والتضخّم.

ورغم ايمان المسلمين بعظمة شخصية الامام الحسن السبط (عليه السلام)، وقدسيته ومكانته السياسية والاجتماعية الفريدة، وهيبته، ومقامه المقدّس، وتعريف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكانته والنص على تفضيله، وبالرغم من وصية أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) ومبايعة الأمة له بالولاية والخلافة بعد أبيه علي بن أبي طالب (عليه السلام)، بالرغم من ذلك كله، فما أن استشهد الامام علي (عليه السلام) حتى أعلن معاوية نفسه خليفة عامّاً للمسلمين، وكتب الى الخليفة الراشد الامام الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، يطالبه بالتنازل، ويلوح له بالسيف ويهدد بالحرب.

وقد حفظ لنا التاريخ كلاً من كتاب معاوية وجواب الامام الحسن بن علي، فقد كتب معاوية الى الحسن بن علي (عليه السلام) يهدده ويطلب منه التنازل. وجاء ذلك بكتابه الذي قال فيه:

(بسم الله الرَّحمن الرَّحيم:

أمّا بعدُ، فانَّ الله عزَّوجل يفعلُ في عبادهِ ما يشاء لا مُعقب لحكمِه وهوَ سريعُ الحساب، فاحذر أن تكون مَنيتك على يد رعاعٍ[٢١] من الناس وايئس من أن تجد فينا غميزَة[٢٢]، وان أنت أعرضت عما أنت فيه، وبايعتني، وفيت لك بما وعدت، وأجزتُ لك ما شرطت، وأكون في ذلك كما قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

وإنْ أحْـــدٌ أسْـــدىٰ اليك أمـــانَة ... فأوفِ بـــها تُـــدعىٰ اذا متَّ وافـــياً

ولا تـــحسدِ المـولى اذا كـان ذا غـنىً ... ولا تَـــجْفه ان كـــانَ فـي المـالِ فـانيا

ثم الخلافة لك من بعدي فأنت أولى الناس بها والسلام).

فأجابه الحسن بن علي (عليه السلام):

(أما بعد: وصل الي كتابك تذكر فيه ما ذكرت، فتركت جوابك خشية البغي عليك، وبالله أعوذ من ذلك، فاتبع الحق تعلم أني من أهله، وعلي اثمٌ أن أقول فأكذب، والسلام)[٢٣].

ولم يكن الامام الحسن ليذعن الى طلب معاوية، ولم يفكر بالتنازل عن رضىً وقناعة، بل كان يرى الشرعيّة في موقفه، والامامة والخلافة والبيعة قد تمت له، لذا أعدّ العدّة، وهيّأ الجيوش، واشتبك في معركة ضارية مع معاوية بن أبي سفيان إلّا أنّ خيانة بعض القادة، ووسائل الرشوة والتلويح بالمناصب لبعض الشخصيات، وعوامل أُخرى جعلت الميزان العسكري والسياسي يميل لمعاوية فاضطر الامام الحسن الى حقن الدماء، وايقاف النزيف، وحفظ كيان الاسلام من أعدائه الذين كانوا يهددونه من الخارج (دولة الروم)، ريثما يصفو الجو، وتتهيأ الظروف للتحرّك الفعّال، فوقّع معاهدة صلح مع معاوية لتتمكن الأمة من استئناف وضع سياسي طبيعي بعد حياة معاوية.

وهكذا اضطرّ الامام الحسن (عليه السلام) الى التنازل المؤقت عن الخلافة وفق شروط واتفاقيات ما زال يحتفظ التاريخ بنصوصها، ويروي لنا مؤداها باختلاف في النصوص والصيغ، ومواد الوثيقة هي:

١ ـ هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان، صالحه على أن يسلم اليه ولاية المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنّة رسول الله وسيرة الخلفاء الراشدين المهتدين، وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد الى أحد من بعده عهداً[٢٤].

٢ ـ على أن تكون له (للحسن) الخلافة من بعده[٢٥]، فان حدث فيه حدث فلأخيه الحسين[٢٦].

٣ ـ أن لا يطالب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان أيام أبيه الامام علي[٢٧].

٤ ـ أن لا يتعرّض عماله الى سبّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على المنابر، ولا ذكره بسوء، ولا القنوت[٢٨] عليه في الصلاة. فلم يجبه الى الكف عن شتم علي، فطلب ان لا يُشتم وهو يسمع فأجابه الى ذلك ثم لم يف له به أيضاً[٢٩].

٥ ـ ان الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله تعالى[٣٠].

٦ ـ لا يحق لمعاوية التصرّف في المال الموجود في بيت مال الكوفة، وانما هو للامام الحسن (عليه السلام).

٧ ـ أن لا يبغي غائلة للحسن وأخيه الحسين، ولا يتعرّض لاتباعهم وشيعتهم ولأموالهم ونسائهم وأولادهم بسوء.

كتبت الصحيفة وأقرّت من قبل الطرفين، وما أن أنتهى أمر الاقرار بها حتى وقف معاوية وسط أصحابه ثم قال:

(ألا وأني كنت قد منّيتُ الحسن أشياء، وأعطيته أشياء، وجميعها تحت قدمي، لا أفي بشيء منها له)[٣١].

وانتهت الخلافة الراشدة بتنازل الامام السبط الحسن بن علي (عليه السلام) عن الخلافة، وعاد الى المدينة بعد أن تحمّل أعباء الخلافة نحو ستة أشهر بعد أبيه الامام علي (عليه السلام).

ثم دخل معاوية الكوفة بعد التوقيع على الوثيقة مع الامام الحسن (عليه السلام) وأطبق جيشه عليها، فخاطب أهل الكوفة من فوره قائلاً:

(يا أهل الكوفة أتروني قاتلتُكم على الصلاة والزكاة والحج، وقد علمتُ أنكم تُصلون وتزُكون وتحُجون، ولكنني قاتلتُكم لأتأمرَ عليكُم وعلى رقابكم، وقد آتاني الله ذلك وأنتم كارهون، ألا ان كل مالٍ أو دمٍ أُصيب في هذه الفتنة فمطلول، وكل شرط شرطتُه فتحتَ قدميَّ هاتين)[٣٢].

فكان خطابه ذاك بمثابة الغاء رسمي لبنود الوثيقة المبرمة مع الامام السبط حسب عبارته السالفة (كل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين) ولم يمضِ على صفاء الجو السياسي لمعاوية غير أيام حتى بدأ ينفّذ مخططاً مناقضاً تماماً للوثيقة، وقد انصبّ مخططه العدواني البغيض على مايلي:

١ ـ اشاعة الارهاب والتصفية الجسدية لكل القوى المعارضة للحكم الأموي سيما أتباع الامام علي (عليه السلام) منهم، ومتابعتهم، واخراس كل لسان حُر بكل وسائل التنكيل والاضطهاد.

وبمقدور القارئ الكريم أن يدرك أبعاد تلك السياسة الهوجاء من خلال النص الآتي الذي يوصي به معاوية أحد قادة جيوشه:

(فاقتل من لقيته ممن ليس هو على مثل رأيك، واخرب كل ما مررت به من القرى، واحرب الأموال، فان حربَ الأموال شبيه بالقتل وهو أوجع للقلب)[٣٣].

واذا كان المخطط الأموي المنحرف الذي يعكس النص السابق طبيعته وانحرافه، قد بدأ تنفيذه في عهد علي (عليه السلام)، فانه بعد توقيع الوثيقة قد اتخذ أبعاداً أشدّ خطورة، وأبعد أثراً في اراقة الدماء البريئة، وتصفية المعارضين بشتّى مذاهبهم، وفي طليعتهم أتباع الامام علي وأهل بيته (عليهم السلام).

فقد كتب معاوية الى ولاته في جميع الأمصار: (انظروا من قامت عليه البينة أنّه يحبّ علياً وأهل بيته، فامحوه من الديوان واسقطوا عطاءه ورزقه)[٣٤].

وكتب كتاباً آخر جاء فيه: (من اتّهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره)[٣٥].

وقد صوّر الامام محمّد الباقر (عليه السلام) تلك المأساة الدامية بأقصر عبارة وأدقها حين قال:

(فقتلت شيعتنا بكل بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة، وكان من يُذكر بحبنا والانقطاع الينا سجن، أو نهب ماله، أو هدمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد الى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين (عليه السلام))[٣٦].

وكان في طليعة ضحايا تلك المجزرة الرهيبة كوكبة من الصحابة الأبرار أمثال: حجر بن عدي وجماعته، ورشيد الهجري، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وأوفى بن حصن، وسواهم كثير، ومن شاء الاحاطة بمزيد من الأرقام الدالة على مواقف معاوية فدونه الطبري والكامل وشرح النهج وغيرها.

٢ ـ اغداق الأموال من أجل شراء الضمائر والذمم امعاناً في اذابة الشخصية الاسلامية وتمكيناً للسياسة المنحرفة من تحقيق أهدافها السوداء، وقد تم فعلاً شراء نوعين من الناس:

أ ـ بعض الوعّاظ والمحدّثين الذي كان لهم دور مفضوح في العمالة لمعاوية وافتراء الأحاديث الكاذبة ونسبتها الى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للنيل من علي (عليه السلام) وأهل بيته قاطبة مما لسنا الآن بصدد ذكرها.

ب ـ شراء ضمائر الوجوه الاجتماعية التي يخشى من تحرّكها ضد الحكم الأموي، وهو أسلوب مارسه معاوية وغيره من ساسة الحكم حتى صار احدى متبينات السياسة الأموية في جميع مراحلها وعلى وجه التحقيق وليس أدل على ذلك من ارسال معاوية الى مالك بن هبيرة السكوني ألف درهم حين بلغه استياؤه من قتل معاوية للصحابي الجليل حجر بن عدي واصحابه (رض)، فما كان من السكوني إلّا أن أخذ ثمن ضميره وتخلّى عن عزمه على التحرّك بوجه الظلم والفساد!!!.

٣ ـ المضايقة الاقتصادية وأسلوب التجويع:

وهو من أكثر الأساليب الأموية تأثيراً سلبياً في نفسيّة الأمّة المسلمة باذلالها واشاعة المسكنة في نفوس ابنائها.

وبالنظر الى أنّ السياسة المذكورة تقوم على أساس محاربة القوى المعارضة في رزقها وقوتها اليومي، فقد سلك معاويةأبشع الطرق لمحاصرة شيعة أهل البيت (عليهم السلام) على وجه الخصوص ومضايقتهم اقتصادياً كما تشير الوثائق التاريخية الى ذلك، ومنها بيان معاوية الذي بلّغه لجميع ولاته بهذا الصدد: (انظروا من قامت عليه البيّنة أنّه يحبُّ علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان، واسقطوا عطاءه ورزقه)[٣٧].

وعلى المرء أن يقدّر أبعاد تلك السياسة الهوجاء التي درج على انتهاجها البيت الأموي من تخريب للضمائر وافساد للنفوس وهي مسألة ليست يسيرة وليست طارئة، وانّما منحها معاوية صفة الاستمرارية طيلة العشرين سنة التي صفا الجو السياسي له فيها (٤١ هـ حتى ٦٠ هـ).

٤ ـ العمل على تمزيق أواصر الأمّة الاسلامية باثارة الروح القومية والقبيلية والاقليمية بين قطاعاتها المختلفة امعاناً منه في الهاء الأمّة في تناقضات جانبية على حساب تناقضها الأساسي مع الحكم الأموي الجائر، وذلك في ممارسة اثارة الضغائن بين

القبائل العربية واشغالها بالصراعات الجانبية فيما بينها، كالصراع الذي نشب بين قيس ومضر، وأهل اليمن والمدينة، وبين قبائل العراق فيما بينها! واثارة العنصرية عند العرب ضد المسلمين من غير العرب الذين يعرفون تاريخياً باسم الموالي، وبمقدور المرءأن يجد آثار تلك السياسة الجاهلية جلياً في أشعار مسكين الدارمي والفرزدق وجرير والأخطل وسواهم[٣٨].

٥ ـ اغتيال الامام السبط الحسن بن علي (عليه السلام) باعتباره الممثل الشرعي للتيار الاسلامي السليم في دنيا المسلمين.

٦ ـ تتويج معاوية لولده (يزيد) ملكاً على الأمّة تحت ظلال الكبت والاضطهاد والاغراء والترغيب، خلافاً للوثيقة التي تقضي أن يكون الحسن خليفة للمسلمين بعد موت معاوية، فان كان الحسن هو الآخر قد رحل الى ربّه يومها فالحسين ولي الأمر.

وهكذا استكمل معاوية مخططه في نقض كل بند من بنود الوثيقة التي عقدها مع الامام الحسن (عليه السلام)، وقد ارتكب معاوية شططاً آخر تجاوز فيه حدود المفهوم الاسلامي في الحكم، من خلال اتخاذ «الوراثة» ذات الطابع الدكتاتوري اطروحة للحكم في دنيا المسلمين؛ الأمر الذي عرض المبدأ الاسلامي والأمة الاسلامية الى أعنف كارثة في تاريخها، حيث بدأ مسار حركتها يأخذ طريقه باتجاه مغاير للخط الاسلامي الأصيل بشكل لا غبار عليه.

وقد تبلور واقع الانحراف الذي خططت له السياسة الأموية التي يرعاه معاوية ويتبنّاه بشكله المرعب فور موته بتولّي ابنه يزيد الحكم الموروث.

انّ منح يزيد السلطة ليقود الأمة الاسلامية، ويخطط لمستقبلها، ويحدد مسارها؛ معناه الانهاء العملي للوجود الاسلامي على الاطلاق، وردة واقعية عن مباديء السماء، وعودة للجاهلية ولكن في ثوب جديد.

فيزيد هذا ـ كما تؤكّد المصادر التاريخية ـ يغلب عليه طابع الشذوذ في شتى أفكاره وممارسته ومشاعره، الأمر الذي يحمل المنصف على القول بأن يزيد لم يتوفّر له أي انفتاح واعٍ على الرسالة الإسلامية وأهدافها العليا التي تحقق أرقىٰ صياغة للإنسان ـ

كفرد وكعضو في المجتمع ـ صياغة لا تتصل مطلقاً بمرتكزات الجاهلية من قريب أو بعيد.

وحين يعدم يزيد الجو التربوي الذي يوفّره الإسلام عادة لأبنائه فانّ الأمر لا يدعو الى العجب بعد ذلك إذ أطلعنا التاريخ الإسلامي على نشاطات مشبعة بروح الانحراف عن الإسلام مما كان ابن معاوية يمارسه على مسمع ومرأى من كثير من المسلمين في بلاد الشام، كاللهو الماجن واللعب الخليع وشرب الخمر ومنادمة الفتيات والغناء، وكان يُلبِس كلابه أساور الذهب[٣٩].

قال المؤرخ البلاذري:

(كان ليزيد قرد يجعله بين يديه ويكنّيه ابا قيس ويقول: هذا شيخ من بني اسرائيل اصاب خطيئة فمسخ، وكان يسقيه النبيذ ويضحك مما يصنع، وكان يحمله على أتان وخشبة ويرسلها مع الخيل)[٤٠].

وقال المؤرخ ابن كثير:

(روي ان يزيد كان قد اشتهر بالمعازف وشرب الخمر والغناء والصيد واتخاذ الغلمان والقيان والكلاب والنطاح بين الكباش والذباب والقرود، وما من يوم إلّا يصبح فيه مخموراً، وكان يشدّ القرد على فرس مسرّجة بحبال ويسوق به، ويلبس القرد قلانس الذهب، وكذلك الغلمان، وكان يسابق بين الخيل، وكان إذا مات القرد حزن عليه، وقيل إنّ سبب موته أنه حمل قردة وجعل ينقزها* فعضّته)[٤١].

وقال المؤرخ المسعودي:

(وكان يزيد صاحب طرب وجوارح[٤٢] وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب، وجلس ذات يوم على شرابه، وعن يمينه ابن زياد، وذلك بعد قتل الحسين، فاقبل على ساقيه فقال:

أسقني شربة تُروي مُشاشي[٤٣] ثم مِل فاسق مثلها ابن زياد

صاحب السر والامانة عندي ولتسديد مغنمي وجهادي

* . ينقز: يجعله يقفز أو يرقص.

ثم أمر المغنين فغنوا به).

(وغلب على أصحاب يزيد وعمّاله ما كان يفعله من الفسوق، وفي أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة، واستعملت الملاهي، وأظهر الناس شرب الشراب، وكان له قرد يكنّى بأبي قيس يحضره مجلس منادمته، ويطرح له متكأ، وكان قرداً خبيثاً، وكان يحمله على أتان وخشبة قد ريّضت وذلّلت لذلك بسرج ولجام، ويسابق بها الخيل يوم الحلبة، فجاء في بعض الايام سابقاً، فتناول القصبة ودخل الحجرة قبل الخيل، وعلى ابي قيس قباء من الحرير الاحمر والاصفر مشمّر، وعلى رأسه قلنسوة من الحرير ذات ألوان بشقائق، وعلى الاتان سرج من الحرير الاحمر منقوش ملمّع بانواع من الألوان)[٤٤].

ولم ينته الموقف الى هذا الحد، ولم تهدأ الحرب والصراع الممتد من بزوغ الدعوة الاسلامية بين الأمويين وأهل البيت (عليهم السلام)، وجلس الحسنان (الحسن والحسين) بعيدين عن الميدان السياسي بصيغته العملية، وبدأت الحملة تشتد ضد أهل البيت وضد أتباعهم من قبل معاوية وجهازه الحاكم، والصراع يتصاعد، والمحنة تتفاقم، حتى توفي الحسن (عليه السلام) فاتّجه الناس الى الحسين (عليه السلام) وقرروا البيعة له وخلع حكومة معاوية.

بينما قرر معاوية أن ينصب ابنه يزيد خليفة على المسلمين من بعده، ويأخذ له البيعة بنفسه خلافاً للأعراف والأحكام الاسلامية المتّبعة في تعيين الخليفة، فأثار هذا القرار الرأي العام الاسلامي وخصوصاً الشخصيات الاسلامية البارزة كالحسين بن علي (عليه السلام)، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله ابن عمر، وشخصيات مرموقة أخرى.

فقد نقل المؤرخون صوراً ومواقف تاريخية معبرة عن الرفض والمواجهة نذكر بعضاً منها:

(وفي سنة خمسين فُتحت قوهستان عَنوةً، وفيها دعا معاوية أهل الشام الى البيعة بولاية العهد من بعده لابنه يزيد، فبايعوه، وهو أول من عهد بالخلافة لابنه، وأول من عهد بها في صحته. ثم أنه كتب الى مروان بالمدينة أن يأخذ البيعة، فخطب مروان فقال: ان أمير المؤمنين رأى أن يستخلف عليكم ولده يزيد سُنّة أبي بكر وعمر، فقام عبد الرحمن بن

أبي بكر الصّديق فقال: بل سنة كسرى وقيصر، ان أبا بكر وعمر لم يجعلاها في أولادهما، ولا في أحد من أهل بيتهما.

ثم حج معاوية سنة احدى وخمسين، وأخذ البيعة لابنه، فبعث الى ابن عمر فتشهّد وقال: أما بعد يا ابن عمر، انك كنت تحدّثني أنك لا تحب أن تبيت ليلة سوداء ليس عليك فيها امير، واني احذّرك ان تشق عصا المسلمين[٤٥] او تسعى في فساد ذات بينهم. فحمد ابن عمر الله واثنى عليه ثم قال: اما بعد فانه قد كان قبلك خلفاء لهم ابناء ليس ابنك بخير من ابناءهم، فلم يروا في ابنائهم ما رأيت في ابنك، ولكنهم اختاروا المسلمين حيث علموا الخيار، وانك تحذرني ان اشقّ عصا المسلمين، ولم اكن لأفعل وانما انا رجل من المسلمين، فاذا اجتمعوا على امر فانما انا رجل منهم. فقال: يرحمك الله! فخرج ابن عمر، ثم ارسل الى ابن أبي بكر فتشهّد ثم اخذ في الكلام فقطع عليه كلامه، وقال: انك لو وددت إنّا وكلناك في أمر ابنك الى الله، وإنا والله لا نفعل، والله لتردنّ هذا الأمر شورى في المسلمين، أو لَنَعدنّها عليك جذعة[٤٦]، ثم وثب ومضى، فقال معاوية: اللهم اكفنيه بما شئت، ثم قال: على رسلك ايها الرجل، لا تشرفن على اهل الشام فاني اخاف ان يسبقوني بنفسك حتى اخبر العشية انك قد بايعتنا، ثم كن بعد على ما بدا لك من امرك. ثم ارسل الى ابن الزبير، فقال: يا ابن الزبير، انما انت ثعلب روّاغ كلما خرج من جحر دخل في آخر وانك عمدت الى هذين الرجلين فنفخت في مناخرهما[٤٧]، وحملتهما على غير رأيهما.

فقال ابن الزبير: ان كنت قد مَللت الإمارة فاعتزلها، وهَلَم ابنك فلنبايعه، ارأيت اذا بايعنا ابنك معك لايكما نسمع ونطيع؟ لا تجتمع البيعة لكما أبداً. ثم راح، فصعد معاوية المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنّا وجدنا أحاديث الناس ذات عَوار[٤٨]، زعموا أن ابن عمر وابن أبي بكر وابن الزبير لن يبايعوا يزيد، وقد سمعوا وأطاعوا وبايعوا له، فقال أهل الشام: والله لا نرضى حتى يبايعوا له على رؤوس الأشهاد، والا ضربنا أعناقهم. فقال: سبحان الله! ما أسرع الناس الى قريش بالشر، لا أسمع هذه المقالة من أحد منكم بعد اليوم، ثم نزل. فقال الناس: بايع ابن عمر، وابن أبي بكر، وابن الزبير، وهم يقولون: لا والله ما بايعنا، فيقول الناس: بلى، وارتحل معاوية فلحق بالشام)[٤٩].

وهكذا وقفت الأمّة على عتبة تاريخ جديد من حياتها، وأصبحت أمام خيارين:ـ
اما أن تتبنّى سياسة الرفض القاطع للواقع الذي فرض عليها مهما كان الثمن.
أو القبول بسياسة الأمر الواقع، حيث عليها أن تتنازل عن رسالتها وسر عظمتها وعنوان عزتها في الحياة، فكيف كان الأمر؟

وفاء الحسين (عليه السلام)

نظّمت الشريعة الاسلامية السلوك السياسي، وأقامته على أسس عقائدية وأخلاقية وقانونية متقنة، وجعلت للمواثيق والمعاهدات حرمة ومكانة خاصة.
قال تعالى:
﴿يا أيُّها الذينَ آمنُوا أوفُوا بالعُقود﴾. (المائدة / ١)
وقال:
﴿وأوفُوا بالعَهدِ إنّ العَهد كان مسؤولاً﴾. (الاسراء / ٣٤)
ولقد كان أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يمثّلون القدوة والطليعة في الالتزام الاخلاقي والقانوني، وكان سلوكهم السياسي ممارسة تطبيقية للفقه السياسي في الشريعة الاسلامية، ولم تكن سياسة (الغاية تبرر الوساطة) هي مبدأهم بالتعامل السياسي، سواء مع الجماهير والقواعد الشعبية، أو مع الخصم وقوى المعارضة، فكانوا لا يفصلون بين الاخلاق والسياسة. فالسلوك السياسي في نظر الاسلام يقوم على أسس عبادية وأخلاقية، لذلك فان جماهير العراق الموالية لأهل البيت والتي عانت من سلوك السلطة الاموية وتعاملها القاسي حينما تحركت بعد استشهاد الامام الحسن (عليه السلام) عام (٥٠) هـ واتجهت الى الامام الحسين (عليه السلام) وبعثوا بالكتب والرسائل اليه يطلبون منه خلع معاوية والبيعة له، رفض الاستجابة (عليه السلام) وردّ عليهم أنه لا يوافق على هذا الاتجاه، لأن بينه وبين معاوية عهداً، يعني العهد الذي وقّعه الحسن (عليه السلام) مع معاوية ولا يجوز نقضه.
سجّل الشيخ المفيد هذا الموقف الأخلاقي، والسلوك الشرعي للامام الحسين ونقل:
(ما رواه الكَلبي والمدائني وغيرهما من أصحاب السِيَر قالوا: لما ماتَ الحسنُ (عليه السلام)

تحركت الشيعة بالعراق وكتبوا الى الحسين (عليه السلام) في خلع معاوية والبيعة له فامتنع عليهم، وذكر أن بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لا يجوز له نقضه حتى تمضي المدة، فاذا مات معاوية نظر في ذلك)[٥٠].

وجاء دور الحسين (عليه السلام)

ذلّل معاوية الصعاب وأحكم القبضة بكل ما أوتي من وسائل المال والدهاء والارهاب، ونقل السلطة ورئاسة الدولة الى ولده يزيد، ومع كل هذا التمهيد فان الحزب الاموي لم يطمئن علىٰ سلطته بعد، والحاكم الجديد ليس بوسعه أن يتحدّى قيم الأمة ومبادئها، فقد ربّاها رسول الله على حب أهل بيته ونفخ فيها القرآن روحاً حضارياً خاصاً، وقيماً سياسية معينة، فهذه الأمة تعرف صفات الامام، وتميّز شخصية القائد، وتعرف حقوقها السياسية، وتشخّص بوضوح دورها التاريخي، وترفض هذا الاستبداد والنظام الوراثي الذي فرض عليها. لقد كانت العشرين عاماً الماضية من تسلّط وسيطرة الحزب الاموي واثرته وتحكّمه وانفراديته بالمال والسلطة والادارة، كافية لأن تحفّز الأمة للثورة وتجعلها تتهيّأ لخلع يزيد بن معاوية الحاكم المفروض عليها، وطبيعي عندما تشتدّ المحن وتتوالى الشدائد، ويطّوق الأمة طوق الارهاب والتسلّط السياسي تتجه الأنظار الى رجال المعارضة، قادة الرأي، وأقطاب الحركة التي تحمل روح الثورة، وتعيش من أجل المبادئ، وتتصدّى بعبقرية وجدارة لمهام المواجهة والقيادة، ولم يكن في الأمة يومها من رجل كالحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فهو سيد قريش، وسبط رسول الله وابن أمير المؤمنين، وخيرة رجال الأمة، علماً وورعاً وكفاءة وخلقاً، وليس في المسلمين من يجهل مقامه، أو لا يعرف شخصيته، وقد عرفوا موقفه ورفضه لولاية يزيد وتنصيب معاوية له، بل ولقد كان معاوية يخافه، ويعلم موقفه وقدرته على قيادة الأمة وتحريك ضميرها وتعبئتها للتحرّك والقتال.

ويزيد يعرف تعلّق الأمة بالحسين، وشدّة الحسين وعنفه، وروح الوثبة والثورة فيه، ويعلم موقفه من معاوية، ورفضه الشديد لفرض معاوية ليزيد وتسليطه على المسلمين.

لذلك تركّز همه، وتركّزت مخاوفه في شخص الحسين، فكتب في الأيام الاولى من تولّيه السلطة الى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان والي المدينة كتاباً جاء فيه:

(أما بعد فخذ حسيناً وعبدالله بن عمر وابن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليس فيه رخصة حتى يبايعوا)[٥١].

استلم الوليد رسالة يزيد وقرأ فيها نعي معاوية[٥٢]، واعلان البيعة ليزيد وتكليفه بمهمة سياسية شاقة، ومسؤولية كبرى، كتم سر الكتاب وفكّر مليّاً، ثم استدعى مروان ليبلغه النبأ ويستشيره في كيفية مواجهة الحسين وتنفيذ قرار يزيد، قبل أن يستفحل الأمر ويفلت الموقف، فلم يكن لدى مروان من رأي غير المباغتة والارهاب، فطرح رأيه ومشورته عليه:

(أرى أن تدعوهم الساعة وتأمرهم بالبيعة فان فعلوا قبلت منهم، وكففت عنهم، وان أبوا ضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية، فانّهم ان علموا بموته وثب كل رجل منهم بناحية، وأظهر الخلاف، ودعا الى نفسه، أما ابن عمر فلا يرى القتال، ولا يحب أن يلي على الناس إلّا أن يدفع اليه هذا الأمر عفواً)[٥٣].

تمت المشورة وتبلور الرأي، وتحدّد الموقف، وتسارعت الخطى للاحاطة بالحسين، وتطويقه، ومباغتته، لئلا ينتشر خبر موت معاوية، ويتحرّك الرأي العام، ويتّجه الناس الى الامام الحسين السبط فيبايعوه.

(فأرسل الوليد عبدالله بن عمر بن عثمان، وهو غلام حدث الى الحسين وابن الزبير يدعوهما، فوجدهما في المسجد وهما جالسان فأتاهما في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس، فقال: أجيب الأمير، فقالا: أنصرف الآن نأتيه)[٥٤].

لم يكن هذا الاستدعاء اعتيادياً، ولم يكن الحسين (عليه السلام) ليغفل عنه، فما عسى أن يكون الحدث؟: وماذا يريد الوليد؟.

أحسّ الامام الحسين (عليه السلام) وابن الزبير بخطورة الموقف، وأدركا أنّ أمراً جديداً قد حدث، وأنّ وضعاً سياسياً غير اعتيادي قد طرأ، والا لم هذا الاستدعاء؟ ولم في هذا الوقت الذي لم يكن من عادة الوليد استقبال أحد من الناس فيه؟ فتساءل ابن الزبير قائلاً

للامام الحسين (عليه السلام): (ما تراه بعث الينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها؟ فقال الحسين (عليه السلام): أظن أنّ طاغيتهم قد هلك، فبعث الينا ليأخذنا بالبيعة قبيل أن يفشو في الناس الخبر، فقال: وأنا ما أظن غيره فما تريد أن تصنع؟ قال الحسين (عليه السلام): جمع فتياني الساعة ثم امشي اليه وأجلسهم على الباب وأدخل عليه، قال: فاني أخافه عليك اذا دخلت، قال: لا أتيه إلّا وأنا قادر على الامتناع)[٥٥].

وهكذا استقبل الحسين الخطّة الأموية، وتهيّأ للمواجهة، وأدرك المباغتة، وعرف لغة التعامل مع هذا الحزب:

(لا آتيه إلّا وأنا قادر على الامتناع).

يهذه الروح وبتلك العزيمة، بالموقف الشجاع، وبالتحدّي والرفض، ومن الوهلة الاولى قرر الحسين (عليه السلام) أن يجابه تسلّط يزيد، ويرد على الموقف السياسي الخطير الذي سينشأ من تولّيه شؤون الأمة واستلامه ادارة الحكم فهو يعرف يزيد، ويدرك بعمق قيمته السياسية والاخلاقية والروحية، ويعلم أن لابد من السيف والدم والثورة والجهاد وسحب صفة الشرعية من هذا المتسلط الطاغية بأي ثمن كان.

بعث الحسين الشهيد (عليه السلام) الى اخوته وأهل بيته وحاشيته فاجتمع من حوله ثلاثون رجلاً، فكانوا كوكبة أبطال، ورجال ثورة، وهكذا سار الى الوليد ومعه حرسه ورجاله، مستعداً للدفاع، متأهباً للمواجهة، فليس في نفس الثائر الشهيد رضى ولا مهادنة، وليس في لغته ضعف ولا وهن، فبين جنبيه قلب علي بن أبي طالب، وفي يده سيف الحق، وفي نفسه نفحة النبوّة، وعزّة الامامة، وشرف الرجولة، ثار الحسين ليحدّد الموقف، ويعلن القرار، ويحسم النزاع، ويقول كلمة الرفض وهو يمثل ارادة الامة، وينطق بلسان الشريعة، ومن حوله حاشيته وأهل بيته، موحياً بالمواجهة، وملوّحاً بالموقف الصعب، ومهدّداً بالعنف والثورة.

سار موكب الحسين حتى وصل ديوان الوليد، وقد حضر مروان بن الحكم فاقتحم الموكب مجلس الوليد وروح الرفض والتحدّي ظاهرة على الحسين الشهيد، ثم أجلس حرسه ورجاله في موضع يمكنهم من مراقبة الاجتماع، ومواجهة الطوارئ، أجلسهم

بحيث يرون مكانه ويسمعون قوله، لئلا يؤخذ غدراً، أو يهاجم على حين غرّة، ثم احتاط للأمر وأعدّ رجاله وحرسه للوثبة والهجوم، ووضع كلمة سر بينه وبينهم.

قال لهم:

(ان دعوتُكم أو سمعتم صوته قد علا فاقتحموا عليّ بأجمعكم، وإلّا فلا تبرحوا حتى اخرج اليكم)[٥٦].

اجتاز الحسين الثائر (عليه السلام) مجلس الوليد فسلّم وجلس، ووجد الى جوار الوليد مروان بن الحكم، بدأ الحوار، ودارت الأحاديث، وأخبر الوليد الحسين بموت معاوية، أخبره بذلك.

وعرض عليه البيعة ليزيد فقال: أيها الأمير انّ البيعة لا تكون سرّاً، ولكن اذا دعوت الناس غداً فادعنا معهم، فقال مروان: لا تقبل أيها الامير عذره حتى يبايع وإلّا فاضرب عنقه، فغضب الحسين (عليه السلام) ثم قال: ويلٌ لك يا ابن الزرقاء أنت تضرب عنقي، كذبت والله ولؤمت، ثم أقبل على الوليد فقال: أيها الأمير انّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المُحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أينا أحق بالخلافة والبيعة، ثمّ خرج (عليه السلام) فقال مروان للوليد: عصيتني، فقال: ويحك، انك اشرت بذهاب ديني ودنياي، والله ما أحب أن ملك الدنيا بأسرها لي وأنني قتلت حسيناً، والله ما أظن أحداً يلقىٰ الله بدم الحسين وهو خفيف الميزان، لا ينظر اليه الله، ولا يزكيه، وله عذاب أليم)[٥٧].

انفضّ المجلس، وانصرف الحسين عائداً الى أهله وقد عزم على الجهاد، وتأهّب للمواجهة، واستعدّ للكفاح، ثم قرّر التحرّك واعلان الثورة، وان يتّخذ مكة المكرمة مقرّاً للانطلاق، وميداناً للتحرّك.

أسباب الثورة

ويتحدّث الحسين (عليه السلام) عن سبب خروجه من المدينة ورفضه للسلطة اليزيدية واعلانه للثورة على يزيد، ويجيب على تساؤلات وأسئلة الكثيرين، ويحدّد هوية الحركة، ومعالم الانطلاقة، واسس المواجهة مع النظام الأموي الجديد، ويعلنها للملأ من الناس في رسالة وجهها لأخيه محمد بن الحنفيّة.

ويؤكد فيها أن تردّي الأوضاع السياسية والاقتصادية والفكرية والاجتماعية للأمة، والاحساس بمسؤولية الاصلاح هي التي دفعته للتحرك والخروج من المدينة لقيادة المقاومة ومجابهة الحاكم الاموي الجديد.

فقد جاء في نص الرسالة:

(لم أخرج أشراً[٥٨] ولا بطراً[٥٩]، ولا مفسداً ولا ظالماً، وانما خرجت لطلب الاصلاح في أمّة جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي)[٦٠].

ويوضح سبب رفضه لبيعة يزيد للوالي الأموي الوليد، والي المدينة بقوله:

(ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع لمثله)[٦١].

فالاسلام يشترط في القائد الذي يقود الأمة، ويمسك بزمام الأمور أن يلتزم بقواعد القسط والعدل، ويحترم قوانين الشريعة وارادة الأمة، ويلتزم بسيادة القانون، ويتجرد عن حب التسلط واستغلال المنصب وجعله طريقاً للاثراء والمتع واللذات والاستئثار.

ويزيد كما يعرفه الحسين (عليه السلام) وتعرفه طبقات الأمة ليس له أهلية القيادة ولا أخلاقية الامة، فهو شخصية خليعة ماجنة، جلّ اهتمامه اللهو واللعب، وجلّ اشتغاله بالنساء والخمور وملاعبة الكلاب والقردة وانشاد الشعر وسباق الخيل وصيد البراري.

إنّ الامة الاسلامية تعرف أنّ الامامة والقيادة لا تكون إلّا لرجل قدوة في عمله وخلقه واستيعابه لأحكام الشريعة وقوانينها،والا لمن توفّرت فيه الحكمة والحنكة السياسية، فكيف يسلم الحسين (عليه السلام) ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وزعيم الأمة الذي تعقد عليه

آمالها، وترى في شخصيته القدوة والقيادة لها؟ لذلك رفض الحسين (عليه السلام) مبايعة يزيد وأعلن الثورة والمواجهة المسلحة، وشرح في كتبه ومراسلاته مع الاقطار والانصار سبب تحرّمه، ووضّح مبرّرات ثورته، ليفقههم بنظرته السياسية، وتحليله للاوضاع والظروف التي صنعتها أجواء التسلّط والانحراف والاستبداد.

فقد جاء في رسالته لأهل الكوفة يعرّفهم بالمواصفات التي يجب أن يتصف بها الامام لينّمي وعيهم السياسي، ويعرّف بشخصية القائد الذي تجب له البيعة والطاعة:

(فلعمري ما الامام إلّا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الداين بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله)[٦٢].

وكتب الى زعماء البصرة وقادة الرأي والمعارضة فيها (رؤساء الاخماس) كتاباً، وهم مالك بن مسمع البكري، والاحنف بن قيس، والمنذر بن الجارود، ومسعود بن عمرو، وقيس بن الهيثم، وعمرو بن عبيد بن معمر، وأرسله مع أحد رجاله (سليمان، أبارزين)، وجاء في هذه الرسالة:

(وأنا أدعوكم الى كتاب الله وسنّة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)، فان السنّة قد أُميتتْ، والبدعَة قد أحُييت فان تسمعوا قولي، أهدكم الى سبيل الرشاد)[٦٣].

وهكذا يثّبت الامام الحسين (عليه السلام) الأسس والأصول السياسية لنظرية الحكم، ويثّبت قواعدها وأصولها القانونية في شريعة القرآن.

لقد كان الحسين (عليه السلام) ينظر لشؤون الدولة والسياسة وقضايا الأمة والقيادة والامامة بمنظار القرآن، وكان يزيد ينظر اليها بمنظار الحاكم المتسلّط، فقد كان الحسين (عليه السلام) يرى القيادة أداة ووسيلة لوضع الأمة على طريق الهدى والصلاح، والعمل على تربية الانسان، وبناء شخصيته، وتنظيم الحياة وتطويرها نحو الخير والكمال.

فهو يرى الدولة الاسلامية دولة تقوم على أساس الاسلام، وتستمد منه قوانينها وتشريعاتها وقيمها الحضارية، ويرى أن أجهزة السلطة هي القوة الحامية للمبادئ والحارسة لأهداف الأمة، والموكلة نيابة عنها بتطبيق القانون واقامة العدل وتقديم الخدمات، وهي مسؤولة عن كل ذلك أمام الأمة وأمام الله سبحانه.

ومن خلال استقراء الكتب والحوار والخطب والمراسلات ودراسة الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمرحلة التي عاشها الحسين (عليه السلام) نجد:

١ ـ الاستبداد والاستئثار بالسلطة، فقد نشأت طبقة سياسية متميزة وحزب عشائري متفرد، هو الحزب الأموي فاستأثر بالسلطة والمال والادارة وحرم بقية أبناء الأمة، حتى غدت الدولة حكراً للامويين، وملكاً خاصاً لهم.

٢ ـ القتل والارهاب وسفك الدماء.

٣ ـ العبث بأموال الأمة والدولة ونشوء طبقة رأسمالية الى جانب الفقر والحاجة في ذلك المجتمع، وعدم أهلية كثير من المتحكّمين لاشغال المناصب وتولّي المسؤوليات.

٤ ـ الانحراف السلوكي، فقد بدأ الانحراف يدب في الحياة العامة، ومظاهر الفساد الاجتماعي تظهر في سلوك الافراد والجماعة.

٥ ـ غياب القانون وتحكّم المزاج والمصلحة الشخصية للحاكم والولاة بدل الشريعة والقانون في مواقع خطرة وهامة من حياة الأمة.

٦ ـ نشوء طبقة من وضّاع الحديث والمحرّفين لسنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والدّاسين عليها، ونشوء فرق كلامية، كالجبرية وغيرها، لتبرير السلوك السياسي للسلطة والدفاع عنها.

وقد حفظ لنا التاريخ أرقاماً ووقائع تشهد بانحدار المجتمع وتباعده عن كثير من قيم الاسلام وقوانينه، ومن يقرأ تلك الفترة بامعان يجد أنّ ثورة الحسين (عليه السلام) كانت ضرورة تاريخية، وأنّ الظروف والاوضاع المتردّية هي التي أفرزت عوامل الثورة وأسبابها، وان الحسين لم يجد مناصاً من التحرّك والثورة، فلنأخذ مثلاً على ذلك الوضع الأمني، والأمن الاجتماعي الذي ثبته الاسلام بقوله:

﴿فليعبُدوا ربَّ هذا البيتِ الذي أطعَمَهم مِن جُوعٍ وآمنَهم مِن خوف﴾.

(قريش / ٣، ٤)

﴿مَن قتلَ نفساً بغيرِ نفسٍ أو فسادٍ في الأرضِ فكأنما قتلَ النّاسَ جميعاً ومَن أحياها فكأنما أحيا الناسَ جميعاً ولقد جاءتهُم رُسلنا بالبيناتِ ثُمَّ إن كثيراً مِنهم بعدَ ذلكَ في

الأرضِ لمسرِفون﴾.

(المائدة / ٣٢)

وقد تدهور وانحطّ الوضع الأمني الى درجة الإبادة والإرهاب.

فقد سلّط الحزب الحاكم سيفه وسوطه وسجونه ودعايته على الأمّة وخصوصاً أتباع أهل البيت، وزعماء المعارضة من أنصار الامام علي (عليه السلام) والحسن والحسين (عليهما السلام).

فقد وصف أحدهم تلك الظروف الارهابية، مخاطباً أصحابه ومذكّراً لهم بالمحنة:

(انكم كنتم تُقتلون وتُقطع أيديكم وأرجلكم، وتُسمل[٦٤] أعينكم، وتُرفعون على جذوع النخل في حُبِّ أهل بيت نبيكم، وأنتم مقيمون في بيوتكم وطاعة عدوكم)[٦٥].

وقرر معاوية بن أبي سفيان استئصال زعماء المعارضة وقادة الرأي من أتباع أهل البيت وأعوانهم، فقتل منهم جماعات لم يحصها التاريخ بشكل دقيق وواضح إلّا اننا نذكر بعضاً منهم أمثال: حجر بن عدي، وهو صحابي جليل: (وصفه الحاكم في المستدرك انه راهب أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم))[٦٦].

واستنكر الامام الحسين بن علي (عليه السلام) قتل هذا الصحابي الجليل، وقَتلَ أصحابه، وجاء ذلك الاستنكار، في احدى الرسائل التي كتبها الحسين (عليه السلام) الى معاوية بن أبي سفيان، كما جاء فيها تعريف ووصف لتلك الشخصيات السياسية الصالحة:

قال الامام الحسين في رسالته:

(ألستَ القاتل حجراً أخا كندة، والمصلّين العابدين، الذين كانوا ينكرون الظلم، ويستعظمون البدع، ولا يخافون في الله لومة لائم؟ قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما كنت أعطيتهم الايمان المغلظة، والمواثيق المؤكدة (يشير الى المادة الخامسة من معاهدة الصلح) أن لا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم، ولا بإحنة[٦٧] تجدها في نفسك عليهم)[٦٨].

وكان معاوية قد قتل مع حجر بن عدي جماعة من أصحابه لاعلانهم المعارضة لحكومة معاوية، والولاء للامام علي وبنيه (عليهم السلام)، وهم:

١ ـ شريك بن شداد الحضرمي.

٢ ـ صيفي بن شداد الشيباني.

٣ ـ عبد الرحمن بن حسان العنزي.

٤ ـ قبيصة بن ربيعة العبصي.

٥ ـ كدام بن حيان العنزي.

٦ ـ محرز بن شهاب بن بجير بن سفيان بن خالد بن منقر التميمي.

وبالاضافة الى هذه الطليعة من رجال المعارضة ممن تحرّكوا مع حجر بن عدي وسيقوا معه الى القتل، فقد قتل معاوية بن أبي سفيان شخصيات سياسية ورجالاً من المعارضة ممن يوالون الامام علي (عليه السلام) وأبناءه وهم:

١ ـ عمرو بن الحمق الخزاعي: وهو صحابي ومهاجر جليل القدر والمكانة عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قتل في الموصل وقطع رأسه، وحمل الى دمشق، وكان رأسه أول رأس في الاسلام ينقل من بلد الى بلد، ثم حمل رأسه الى زوجته التي كانت في سجن معاوية فقالت لرجال معاوية حين نظرت الى الرأس، وقد ألقي في حجرها، امعاناً في ارهابها وتعذيبها بعد أن وضعت كفها على جبينه وقبلت فمه:

(غيبتموه عني طويلاً، ثم أهديتموه اليّ قتيلاً، فأهلاً به من هدية غير قالِيَةٍ ولا مَقلية)[٦٩].

٢ ـ عبد الله بن يحيى الحضرمي وأصحابه.

٣ ـ رشيد الهجري، وقد قطعت يداه ورجلاه وهو حي.

٤ ـ جويرية بن مسهر العبدي.

٥ ـ أوفر بن حصين، وهو أول قتيل قتله زياد بالكوفة اثر حوار وقع بينهما، وكان قد سأله عن عثمان ومعاوية فاجاب أجوبة مرضية عند زياد، ثم سأله فما تقول فيّ؟ قال:

(بلغني، انك قلت بالبصرة: والله لأخذن البريء بالسقيم، والمُقبل بالمُدبر، قال: قد قلت ذاك. قال: خبطتها عشواء[٧٠]، فقال زياد: ليس النفاخ بشرٍّ الزمرة فقتاً)[٧١].

ونقل إلينا ابن الاثير صوراً تاريخية دامية عن أحداث ووقائع وقعت في البصرة بعد الصلح بين الحسن (عليه السلام) ومعاوية قال:

(فلما استخلف زياد سمرة على البصرة أكثر القتل فيها، فقال ابن سيرين: قتل سمرة

في غيبة زياد هذه ثمانية آلاف، فقال له زياد: أتخاف أن تكون قتلت بريئاً؟ فقال: لو قتلت معهم مثلهم ما خشيت. وقال أبو السواري العدوي: قتل سمرة من قومي غداة واحدة سبعة وأربعين كلهم قد جمع [٧٢] القرآن) [٧٣].

هذه صور دامية من صور تلك الفترة التاريخية، تحكي لنا عن طبيعة وأسلوب السلطة في التعامل مع أبناء الأمة، ومع قوى المعارضة سواء التي كانت توالي أهل البيت أو التي تتحرّك بشكل مستقل ضد السلطة الحاكمة، ونقل المؤرخون صوراً دعائية مضادة ومعادية للمعارضة التي كان يقودها الحسن والحسين (عليهما السلام) سبطا رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وخطباً استفزازية كانت السلطة المركزية قد تبنتها، فقد تبنّىٰ الحزب الاموي تشويه شخصية الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وشنّ حملة تضليلية ضده، واعلان سبه والنيل منه على منابر الجمعة والجماعة، فأثار هذا العمل مشاعر الأمة بشكل عام، والحسن والحسين وأنصارهم والصحابة التابعين الذين عرفوا فضل الامام علي ومقامه وجهاده وعدله وعلمه وأدبه، بشكل خاص.

فقد نقل المسعودي حادثة جرت بين معاوية وسعد بن أبي وقاص تصوّر تبنّي معاوية لهذه الخطة الدعائية، ورفض طلائع الأمة وأخيار الصحابة لها.

قال:

(وحدّث أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، عن محمد بن حميد الرازي عن أبي مجاهد عن محمد بن اسحاق، عن ابن أبي نجيح، قال: لما حجّ معاوية طاف بالبيت ومعه سعد، فلما فرغ انصرف معاوية الى دار الندوة، فاجلسه معه على سريره، ووقع معاوية في علي وشرع في سبه، فزحف سعد ثم قال: أجلستني معك على سريرك ثم شرعت في سب علي (عليه السلام)، والله لأن يكون فيّ خصلة واحدة من خصال كانت لعلي أحب إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، والله لان أكون صهراً لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وان لي من الولد ما لعلي أحب إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، والله لأن يكون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لي ما قاله يوم خيبر: (لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله، ليس بفرّار، يفتح الله على يديه) أحب إليّ من أن يكون لي ما طلعت

عليه الشمس، والله لأن يكون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لي ما قال له في غزوة تبوك: (ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنّه لا نبي بعدي) أحب إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، وأيمُ الله لادَخلتُ لك داراً ما بقيت، ثم نهض)[٧٤].

ونقل ابن الاثير:

(وكان بسر بن أبي أرطاة عند معاوية فنال من علي، وزيد بن عمر بن الخطاب حاضر، وامه ام كلثوم بنت علي، فعلاه بالعصا وشجه)[٧٥].

وذكر أيضاً:

(ولما ولّي المغيرة الكوفة استعمل كثير بن شهاب على الري، وكان يكثر سب علي على منبر الري، وبقي عليها الى أن ولّي زياد الكوفة فاقره عليها)[٧٦].

(وكان زياد قد جمع الناس بالكوفة بباب قصره يحرّضهم على لعن علي، فمن أبى ذلك عرضه على السيف).

وبقيت هذه الحملة ضد علي بن أبي طالب (عليه السلام) حتى جاء عمر بن عبد العزيز فامر بتركها وقام بتطهير الجهاز الحكومي القائم قبله.

ونقل المسعودي:

(وكان عمر في نهاية النُسك والتواضع فصرف عمال من كان قبله من بني أمية، واستعمل أصلح من قدر عليه، فسلك عماله طريقته، وترك لعن علي (عليه السلام) على المنابر، وجعل مكانه، ﴿ربّنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، ربّنا انك غفور رحيم﴾.

وقيل بل جعل مكان ذلك: ﴿إنّ الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾.

وقيل بل جعلهما جميعاً، فاستعمل الناس ذلك في الخطبة الى هذه الغاية)[٧٧].

واذا تركنا هذه الاسباب والعوامل التي أجّجت نار الثورة وحرّكت قوى المعارضة، والتي كانت تدعو الى تطبيق أحكام العدل والمساواة التي نادى بها الاسلام، واحترام إرادة الامة، والالتزام الكامل بقيم الاسلام ومبادئه في الحكم والسياسة والتعامل مع الأمة.

إذا تركنا ذلك ودرسنا الأوضاع الاقتصادية، وكيف كان الجهاز الحاكم يعطل قوانين التوزيع الاقتصادي التي نادى بها الاسلام؟ وهي قوانين تنص على المساواة في العطاء وتحريم الاحتكار ووجوب الكفالة والضمان الاجتماعي للطبقات الفقيرة ومكافحة الفقر، سنجد حافزاً ومحرّكاً قوياً للثورة والتحرّك، حرّك جماهير الأمة وحفّزها للاستنجاد بالحسين والتوجّه نحوه وهو الحافز الاقتصادي بالاضافة الى الحافز الأمني والسياسي والحوافز الأخرى.

فقد شعرت الطبقات الضعيفة بضياع حقوقها وانتشار الفقر بين صفوفها، في حين تتكدّس الثروة بيد فئة وطبقة معينة، والقرآن ينادي:

﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشّرهم بعذاب أليم﴾.

(التوبة / ٣٤)

﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله انّ الله شديد العقاب﴾.

(الحشر / ٧)

لقد وصف لنا التاريخ التركيب الاقتصادي لتلك الفترة من حياة المجتمع واضطراب موازين التوزيع الاقتصادي فيه، فذكر أرقاماً لثروة أفراد كانت تعتبر في تلك المرحلة ثروات طائلة.

ذكر مثلاً أسماء أشخاص استفادوا على امتداد الظروف السياسية التي خلقها توغل الحزب الاموي في السلطة في فترة من عهد الراشدين وحتى عهد يزيد.

فقد ذكر المؤرخون مثلاً: (أنّ عمرواً بن العاص والي مصر في عهد معاوية بلغت ثروته من العَين ثلاثمائة ألف دينار وخمسة وعشرين ألف دينار، ومن الوَرق ألف درهم، وغلة مائتي ألف دينار بمصر، وضيعته المعروفة بمصر بالوهط قيمتها عشرة آلاف ألف درهم).

(وان عبد الرحمن بن عوف قسّم ميراثه على ستة عشر سهماً فبلغ نصيب كل امرأة له ثمانين ألف درهم)[٧٨].

(وحصل مروان بن الحكم على خمسمائة ألف دينار من موارد افريقية)[٧٩].

(وحصل ابن العاص على هدية مقدارها مائة ألف درهم)[٨٠].

(كما حصل عبد الله بن خالد بن اسيد على هدية مقدارها أربعمائة ألف درهم)[٨١].

(وقدّرت ثروة يعلي بن منية بخمسمائة ألف دينار وديوناً على الناس وعقارات وغير ذلك من التركة ما قيمته ثلاثمائة ألف دينار)[٨٢].

(وسعد بن أبي وقاص ترك يوم مات مائتي ألف وخمسين ألف درهم)[٨٣].

(وذكر سعيد بن المسيب أن زيد بن ثابت حين مات خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلّف من الأموال والضياع بقيمة مئة ألف دينار)[٨٤].

إنّ هذه الأرقام والاحصائيات التي نقلها إلينا المؤرخون كوّنت طبقة مترفة متميزة، وهي ليس هذا النفر وحسب، بل هذه نماذج من الوضع الاقتصادي الذي بدأ يفرز طبقتين في المجتمع الاسلامي، طبقة فقيرة محرومة، وطبقة غنية ثرية تملك الأموال والاراضي والعقار، فنمت هذه الثروة وورثت، فأثار هذا الوضع الرأي العام الاسلامي الذي أَلِفَ المساواة في التوزيع، وآمن بحركة المال وتحريم الكنز والاحتكار والطبقية.

فكانت هذه الاوضاع الاقتصادية هي أحد الاسباب التي أجّجت نار الثورة، وجعلت الطبقات المحرومة ومن ينادون بالمساواة يتّجهون الى الحسين (عليه السلام)، باعتباره القائد الذي يستطيع أن يطبّق أحكام الاسلام وقوانينه كما ألفوها أيام رسول الله.

لماذا الثورة؟!

للإجابة على هذا السؤال الكبير ينبغي أن نضع نصب أعيننا الحقائق الآتية:ـ

أولاً: تولّى يزيد بن معاوية تدبير شؤون الأمة وهو غرّ منحرف له خطورته على مستقبل الأمة، بالنظر الى أنّ يزيد نزق، لم يحظ بأي نصيب من التربية الإسلامية السليمة، فقد نشأ في بيت لم تشرق شمس الهداية الإسلامية في آفاقه قط، ومن هنا فليس من الغرابة بمكان أن تؤكّد النصوص التاريخية تعاطي يزيد الخمر، والقمار، وسائر أنواع السلوك المغاير للسلوك الإسلامي[٨٥].

يزيد هذا ـ بشذوذه وتردّيه ـ فضلاً عن جهله بالخبرات العملية للمهام التي أُنيطت به تولّي زعامة شؤون المسلمين!!!

وهذا ما أعطى كل الفرص لتكريس كل ألوان الانحراف عن الرسالة الغراء، ومقوماتها الأساسية، بيد أنّ القوى المخلصة للرسالة ـ والحسين إمامها ـ قد استفادت كثيراً من نقاط الضعف، بل ومن التردّي المفضوح في شخصية هذا الحاكم، بالنظر الى أنّ قطاعات واسعة في الأمة بدأت تعي الى حد الوضوح منطلقات هذه الشخصية المغايرة للشخصية الإسلامية، مما منح الرافضين للتحريف فرصة تبديد الجمود الذي انتاب الذهنية العامة بممارسة نوع من الإيقاظ والتحريك لقطاعات الأمة باتجاه المصلحة الإسلامية العليا، التي باتت تفرض اللجوء الى العنف على أعلى المستويات، فها هو الحسين بطل الاسلام المخلّد يخطب في الجيش الأموي بقيادة الحر بن يزيد الرياحي[٨٦]، حين التقى معه في أرض العراق موضّحاً أخطر جوانب الانحراف في الحكم الأموي:

(أيها الناس إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان، فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله؛ ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله).

وبهذه التصريحات والخطب وسواها يلقي الامام (عليه السلام) أضواء كاشفة على حقيقة الحكم الأموي، ويستحث العواطف ويشحذ الهمم لنفض غبار الجهل بالواقع عن كاهل الأمة، ورفض كل صيغ الاستسلام اللامشروع لحكمهم.

ثانياً: إنّ المستوى العام للأمة كمجموع، دون المستوى المطلوب في مواجهة تيار الانحراف العاتي، وهذه حالة مرضية برزت بشكلها المؤلم بالميل الى الراحة والسكون والاتجاه نحو المصلحة الخاصة وغياب الروح الجهادية عن المسرح الاجتماعي، وقد تبلورت تلك الظاهرة الخطيرة، بتكديس الأموال الطائلة لدى القيادات العليا في المجتمع الإسلامي، بشكل يثير الدهشة[٨٧].

ولئن كان أصحاب النفوذ في الأمة قد استغلوا نفوذهم لجمع المال، ومضاعفة الأرباح، فإن قطاعات الأمة عامة، قد ظهر لديها هذا الميل الدنيوي بشكل مفضوح، فعبّر عن نفسه بالإخلاد الى الراحة والطمأنينة، كبديل للروح الجهادية التي تتطلب ركوب كل مشقّة، وهي حالة تمخضت عن ربع قرن من الزمان ـ على أقل تقدير ـ تغلّب فيها أصحاب التيار النفعي في الأمة، واستحوذوا على مراكز التوجيه فيها.

وقد لا يبدو غريباً أن يقف كثير من رجالات المسلمين لابداء نصيحتهم للإمام الحسين (عليه السلام) إبّان إعلان ثورته، بعدم مواجهة الحكم الأموي، خوفاً منهم عليه من الاستشهاد مع إدراكهم الحقيقي للانحرف الأموي من جهة وأحقيّة الإمام الشهيد (عليه السلام) في التصدّي للانحراف من جهة أُخرى، فقد خاطبه (عمر الأطرف) بقوله: (حدثني أبو محمد الحسن عن أبيه أمير المؤمنين، أنك مقتول فلو بايعت لكان خيراً لك).

وفاتحه عبد الله بن عمر بن الخطاب بضرورة عدم التصدّي لبني أُمية. كذلك فاتحه عبدالله بن الزبير، هذا فضلاً عن جماعة من أهل بيته[٨٨].

هذه بعض مظاهر غياب الروح النضالية لدى الغالبية العظمى من رجالات المسلمين، أما جماهير الأمة فقد سرت فيها هذه الروح السلبية بشكل مرعب، فأهل الكوفة مثلاً على ما بذلوه من مواثيق، وايمان مغلظة في وعودهم المتكررة بنصرة الحسين (عليه السلام) إن هو قدم الى مصرهم ـ كما عبّروا في رسائلهم التي بعثوها إليه ـ أهل الكوفة أولئك قد تناسوا كل الذي قطعوه على أنفسهم من تعهدات ومواثيق أمام موجة الإرهاب التي مارستها الطغمة المحلية الحاكمة التي يتزعمها ابن زياد، الى جانب الأموال التي بذلها الحكم والوعود والاغراءات العريضة، ولعل في كلمة الفرزدق للحسين (عليه السلام) حين سأله عن أوضاع الناس في العراق: (قلوبهم معك، وسيوفهم مع بني أُمية) أدقّ وصف لغياب الشعور بالمسؤولية أمام الله والرسالة لدى السواد الأعظم، والتي كانت مظهراً جلياً من مظاهر النفاق الاجتماعي الذي اجتاح الناس كنتيجة طبيعية لسياسة التخريب الأموية للضمائر ـ كما أسلفنا ـ مما كان عاملاً أساسياً في نقض الناس لبيعة الحسين (عليه السلام).

لقد كانت هذه الظواهر سبباً أساسياً من أسباب إعلان الثورة المباركة، لكي يهزّ

الضمائر الميتة التي لفها ضباب التهالك على الحياة الدنيا، لأنه (عليه السلام) كان مدركاً بشكل قاطع أنّ حالة الخنوع التي تعيشها الأمة وقتئذ ليس لها أي مبرر شرعي على الإطلاق، بل إنّ الشريعة ذاتها تطرح ابتداء مفاهيم وتصورات تلزم أتباعها بشكل لا غبار عليه برفض الواقع الذي تغيب فيه شمس العدالة والهداية، الواقع الذي يتّخذ التهالك على الحياة الدنيا مقياساً وهدفاً، والركون الى المتع المادية والشهوات غاية ومأرباً، وهي حقائق ناصعة عبّرت عنها الشريعة المقدسة في مواضع عديدة من كتاب الله تعالى:

فمرة تشجب الركون للحياة الدنيا إذا تعارضت مع روح التضحية من أجل الرسالة:

﴿يا أيُّها الذينَ آمنُوا ما لَكُم إذا قيلَ لكُم انفروا في سبيل الله اثّاقلتُم الى الأرضِ أرضيتُم بالحياةِ الدُنيا منَ الآخرة فما متاعُ الحياةِ الدُنيا في الآخرةِ إلّا قليل. إلّا تَنفرُوا يُعذِّبكم عذاباً أليماً ويستبدِل قوماً غيركم ولا تضُرُّوهُ شيئاً والله على كلِّ شيء قدير﴾.

(التوبة / ٣٨ ـ ٣٩)

ومرة تجعل الركون للظالمين أمراً محظوراً:

﴿ولا تَركنوا الى الذينَ ظلَموا فتمَسَّكم النار﴾.

ورسالة أُخرى تعلن أنّ المؤمنين هم طوع ارادتها، معبّأون لمصالحها، وهم لا يدّخرون وسعاً في الذود عنها:

﴿إنّ الله اشترى من المؤمنينَ أنفسَهم وأموالهم بأنّ لهُم الجنّة يقاتِلونَ في سبيلِ الله فيَقتلُون ويُقتلونَ وعداً عليه حقاً﴾.

(التوبة / ١١١)

فبناء على هذا الفهم المعمق لرسالة الله تعالى من قِبل الحسين (عليه السلام) ـ وهو الصورة التطبيقية لدين الله ـ أعلن رفضه الصارم للواقع المعاش دون أدنى التفات الى ما أبداه القوم من تحفّظات ومخاوف.

وبالنظر لوعي الحسين (عليه السلام) لمسؤولياته، ومدى سلامة خطه ومنهجه في رفض الواقع، فليس غريباً بعد ذلك أن يناشد ناصحيه والقلقين عليه ويدعوهم للوقوف الى جنبه، والاندماج بخطه الذي هو خط الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده الصادقين، كما فعل

مع عبد الله بن عمر حين طالبه بالعدول عن رأيه في إعلان الثورة بوجه الانحراف الأموي حيث خاطبه بقوله: (اتق الله يا أبا عبد الرحمن ولا تدعنَّ نصرتي).

وهكذا يندفع الحسين (عليه السلام) بحرارة وعنف لتبديد ضباب الهجعة الذي حجب الرؤية الرسالية وأمات الضمائر زمناً طويلاً، فعطّل روح الجهاد في الأُمة لصالح الطغاة المتسلّطين على رقابها، ولغسل الذهنية العامة مما علق بها من غبار السياسة الطاغية المتسلّطة على العقول، ولإحداث هزّة عنيفة في ضمير الأُمة لتعي واقعها وما آل اليه من انهيار وتفسّخ وانحراف وضلال.

ثالثاً: اطلاع الأُمة على المفهوم الإسلامي للإمامة الشرعية وأبعادها ومنطلقاتها: فإن خطورة الدور الذي لعبته السياسة الأموية في المفاهيم الإسلامية لم يأت من القاعدة أبداً، وانّما انحدر من القيادات العليا التي استحوذت على وسائل التوجيه الاجتماعي في الأُمة، وهذه مسألة جديرة بالدرس والاستيعاب.

لقد كان الحسين (عليه السلام) يدرك ذلك أيما إدراك فبدأ عمله لإرشاد الأُمة الى مواضع الخطر في الحكم الأموي باعتباره حكماً مغايراً لمفهوم الإمامة في مؤسساته، وأشخاصه، وهذه مسألة تمثّلها أطروحة الحكم الوراثي الدكتاتوري التي وضعها معاوية موضع التنفيذ عند عقده البيعة لابنه يزيد.

وبذلك يكون معاوية قد وضع الحجر الأساس لأخطر انعطاف في مسار الحكم الإسلامي امتدت آثاره السيئة حتى يومنا الحاضر وخدمت أعداء الإسلام ما يفوق حدّ التصور.

وتمشّياً مع متطلبات الرسالة الإسلامية والشروط الموضوعية التي يشترط توفّرها في الحاكم المسلم، انطلق الحسين (عليه السلام) لبلورة هذه المسألة في ذهنية الجماهير المسلمة عن طريق الخطب والبيانات في كل فرصة يجدها مناسبة للبيان، منها:

(أيّها الناس إنّكم إن تتقوا الله وتعرفوا الحق يكن أرضى لكم، ونحن أهل بيت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أولى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم، والسائرين بالجور والعدوان)[٨٩].

ومنها قوله:

(أما بعد فانّ الله اصطفى محمداً (صلى الله عليه وآله) على خلقه وأكرمه بنبوته واختاره لرسالته، ثم قبضه إليه، وقد نصح لعباده وبلّغ ما أرسل به (صلى الله عليه وآله)، وكنّا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته وأحق الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا، وكرهنا الفرقة، وأصبنا العافية، ونحن نعلم أنّا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه، وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم الى كتاب الله وسنّة نبيه، فإنّ السنّة قد أُميتت والبدعة قد أُحييت، فإن تسمعوا قولي أهدكم الى سبيل الرشاد)[٩٠].

بهذه الكلمات المدوية، وسواها كشف الإمام الحسين (عليه السلام) النقاب عن أنّ بني أمية لا يصلحون للحكم، نظراً لمخالفتهم للخط الإسلامي المرسوم، كما أطلَعَ الأُمة على النهج الذي يجب أن يلتزم به الحاكم الإسلامي، والصفات الإسلامية مما هو متوفّر في شخصيته هو (عليه السلام) باعتباره غرس النبوّة، ووليد الرسالة وتلميذ الوحي المقدّس.

وهكذا كان إبراز المفهوم الإسلامي للإمامة في الأغراض الأساسية لنهضة الحسين (عليه السلام) يصحبه فضح الخلافة الأموية المتبنّاة.

رابعاً: الإنسان في الرسالة الإسلامية لا تبرر له الرسالة ـ بحال ـ النكوص عن واجبه كإنسان رسالي، فهو في رحاب الرسالة ليس فرداً مستقلاً بذاته، وانما هو فرد مندمج في رسالة يستجيب لمطالبها، ويفي بالتزاماته نحوها، ويضحّي إذا حزب الأمر من أجلها، وما فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله وغيرها إلّا ترجمة صادقة لهذه الروح التي يفيضها الإسلام الحنيف على أتباعه، بيد أنّ هذه المسألة تتناسب تناسباً تصاعدياً مع ارتقاء المرء في الخط المثالي للرسالة الإلهية.

والحسين باعتباره شبل علي وحفيد محمد (صلى الله عليه وآله)، ووليد الرسالة، كان صفحة نقية من صفحات الرسالة، وترجمة حيّة لكل منطلقاتها وتصوراتها؛ الأمر الذي جعله أول ملبّ لنداء الرسالة في عصره، ليفي بذلك بالتزاماته نحوها، وهكذا كان.

على أنّ وفاءه بالتزاماته نحو شريعة الله تعالى كان يفرض سلوك منهج الثورة، ولا سبيل سواه، لأنّه بدون الثورة لا يرتجى أيّ اصلاح، وبيان ثورته (عليه السلام) الأول يجسّد هذه

الحقيقة بكل مدلولاتها الايجابية: (إني لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمة جدّي، (صلى الله عليه وآله وسلم)، أُريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب).

وهكذا يكون قد أدى فريضة يرى نفسه ملزماً باتيانها باعتباره أطيب غرس للرسالة في عصره، وأحرص شخص على الحفاظ عليها.

هذه هي المبررات الأساسية التي منحت الحسين (عليه السلام) وأصحابه حق إعلان الثورة الظافرة، مدوية في دنيا الناس، مخلدة الإسلام ملهمة الثوّار عبر الأجيال للذود عن الإسلام والصمود في معارك الجهاد المقدس.

في المدينة المنوّرة

أدرك الحسين (عليه السلام) خطّة الحزب الأموي، وعلم أنّ محنة سياسية مروعة ستحل بالأمة، وانّ واجبه الشرعي، يستنهضه كقائد وامام، وانّ الأمة لا تتجه في محنتها الى غيره، لقد أصبح المقام في المدينة المنورة غير مجد، والوضع السياسي متوتراً، والرأي العام يعاني من اضطراب وبلبلة، والعهد الذي بين معاوية والحسن (عليه السلام) قد ضرب به عرض الحائط، ولم يف معاوية بن أبي سفيان بشيء منه، والوليد ومروان يلحّان بالبيعة عليه، فارسلا إليه مرة ثانية رجالاً يدعونه للحضور فقال لهم:

(اصبحوا ثم ترون ونرى)[٩١].

لذا قرّر الحسين (عليه السلام) الحركة السريعة، والمبادرة لاتخاذ الاجراء المناسب للوضع السياسي الخطير الذي نشأ من تسلّم يزيد شؤون السلطة ومقدرات الأمة، خلافاً للعهد الذي وقع بين الامام الحسن (عليه السلام) السبط وبين معاوية أولاً، وخلافاً للاسلوب والطريقة التي ألفها المسلمون ثانياً، وعدم لياقة يزيد لقيادة الأمة ثالثاً، ولتسلّط الحزب والاسرة الأموية على السلطة رابعاً، وللانحراف عن مبادئ الاسلام وقيم العدل والمساواة وحلول التسلّط الشخصي بدلاً من سيادة القانون خامساً، لهذه الأسباب وأمثالها قرّر الحسين (عليه السلام) الحركة السريعة، والتوجّه الى مكّة المكرّمة ليعدّ للأمر عدته، ويهيئ

للاحداث الجديدة الاستعدادات المناسبة، لذلك جمع الحسين (عليه السلام) أهله وحاشيته وأصحبه وانطلق الى مكة المكرمة في الليلة الثانية من اجتماعه بالوليد والي المدينة ومروان بن الحكم أحد أعمدة السلطة الأموية في المدينة وأبرز مخططي سياستها العامة، من هنا بدأت الانطلاقة الكبرى، وبدأ نهر الدم الخالد يجري في أبد التاريخ، انطلقت مسيرة الحسين (عليه السلام) وهو يعلم أنّ الأمة قد دخلت مرحلة حضارية وسياسية صعبة، وان الحزب الأموي قد أحكم قبضته على الأمور، وانّها بحاجة الى هزّة وجدانية عنيفة وايقاظ سياسي فاعل.

إنّ الاحداث الكبرى، والهزّات الوجدانية العظيمة، والتحوّلات الاجتماعية المغيرة، لا يمكن أن يحدثها إلّا رجال عظماء وإلا شخصيات حدّية تعيش في وجدان الأمة وتتفاعل مع ضميرها، وتؤثر في حسّها ووعيها، ولم يكن في تلك المرحلة من شخصية تملك هذه المؤهلات إلّا الحسين (عليه السلام)، فهو يعلم انّه القادر على هزّ الحكم الأموي وتفجير البركان تحت عرش يزيد، وانه القادر على كلتا الحُسنيين، النصر أو الشهادة، وأن يحدث النقلة والهزّة والحركة، وان يختط للأمة درب الجهاد والثورة على الحاكم الظالم، فان انتصر سيقيم عدل الاسلام، ويطبّق أحكام الشريعة وقيم الحق التي نادت بها، وان استشهد فسيبقى شلال الدم المقدّس يجري عبر وديان الحياة، يخصب الثورات، ويسقي أغراس الشهادة، لقد كان الموكب القليل العدد، العظيم الارادة، العبقري التصميم، الذي زحف به الحسين من مدينة جدّه الرسول الخالد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الى مكّة ليقرر هناك مستقبل المسيرة، وثيقة خالدة من وثائق الرسالة الاسلامية المقدّسة، وأساساً من أُسس التشريع والفكر السياسي، لقد قرر مبدأ سياسياً، وأعلن أصلاً عقائدياً وقانونياً من أُصول الاسلام السياسية، وكيف ينبغي أن يكون الموقف واسلوب التعامل مع الحاكم المستبد، والظالم المتسلّط، لقد ثبّت مبدأ الانتفاضة والثورة، وأسبغ صفة الشرعية الكاملة لأول مرة في تاريخ الاسلام على مثل هذا الموقف وتلك المواجهة للسلطة الجائرة، لقد اجتمعت الكوكبة من آل البيت النبوي (عليهم السلام) حول الحسين (عليه السلام)، وشدّت الرحال، وسلكت[٩٢] درب الكفاح الطويل، فقد اصطحب الحسين (عليه السلام) معه اخوته وأبناءه وبني أخيه وجلّ

أهله بيته، إلّا محمد بن الحنفية، وقد عظم الأمر عليه، واستولى عليه حب الحسين (عليه السلام) فوقف بين يديه ينصحه:

(تَنَحّ ببيعتك عن يزيد، وعن الأمصار ما استطعت، وابعث رسلك الى الناس، وادعهم الى نفسك، فان بايعوا لك حمدت الله على ذلك، وان أجمع الناس على غيرك لم ينقُص الله بذلك دينك ولا عقلك، ولا تذهب به مروءتك ولا فضلك، اني أخاف ان تأتي مصراً وجماعة من الناس فيختلفوا عليك، فمنهم طائفة معك وأخرى عليك فيقتتلون فتكون لأول الأسنة، فاذا خير هذه الأمة كلّها نفساً أباً وأُمّاً أضيعها دماً وأذلها أهلاً، قال الحسين (عليه السلام): فاين أذهب يا أخي؟ قال: انزل مكة فان اطمأنت بك الدار فبسبيل ذلك، وأن نأت بك لحقت بالرمال وشعف الجبال، وخرجت من بلد الى بلد حتى تنظر الى ما يصير أمر الناس، ويفرق لك الرأي[٩٣]، فانك أصوب ما يكون رأياً، وأحزمه عملاً حين تستقبل الأمور استقبالاً، ولا تكون الأمور عليك أبداً أشكل منها حين تستدبرها، قال: يا أخي قد نصحت وأشفقت وأرجو أن يكون رأيك سديداً، وموفقاً ان شاء الله، ثم دخل المسجد وهو يتمثل بقول يزيد بن مفرّغ:

لا ذَعرتُ السّوام في شفق الصبـ ... ـحِ مغيراً ولا دُعيتُ يزيدا

يوم أعطى من المهابَة ضيما ... والمنايا يرصُدنني ان أحيدا)[٩٤]

وتحدّث عمر بن علي بن أبي طالب (أخو الحسين) معه ونعاه الى نفسه فقد نقل السيد ابن طاووس؛ قال: وحدّثني جماعة منهم أشرت اليه باسنادهم الى عمر النسابة رضوان الله عليه فيما ذكره في آخر كتاب الشافي في النسب باسناده الى جده محمد بن عمر قال: سمعت أبي، عمر بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) يحدّث أخوالي آل عقيل قال: لما امتنع أخي الحسين (عليه السلام) عن البيعة ليزيد بالمدينة دخلت عليه فوجدته خالياً فقلت له: جعلت فداك يا أبا عبد الله حدّثني أخوك أبو محمد الحسن عن أبيه عليهما السلام ثم سبقتني الدمعة، وعلا شهيقي، فضمني إليه، وقال: حدّثك اني مقتول، فقلت: حوشيت يا ابن رسول الله، فقال: سألتك بحق أبيك بقتلي أخبرك؟ فقلت: نعم، فلولا ناوأت[٩٥] وبايعت، فقال: حدّثني أبي، أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أخبره بقتله وقتلي وان تربتي تكون بقرب

تربته، فتظن انك علمت ما لم أعلمه، وانه لا أعطي الدنية من نفسي أبداً، ولتلقينّ فاطمة أباها شاكية ما لقيت ذريتها من أمته، ولا يدخل الجنة أحد آذاها في ذريتها[٩٦].

لم يجد الحسين (عليه السلام) مفراً من الخروج من المدينة والتحرّك في الآفاق، والاحتكاك بالرأي العام، واستطلاع الاتجاه السياسي للأمة، ولم يثن عزيمته، ولم يوقف زحفه كل الذين أشفقوا عليه، وتخوّفوا عليه من القتل، فقد كان موقفه عزيمة لا تلين، وإرادته جبلاً لا ينهد، فقد تشبثت به أم سلمة زوجة رسول الله وناشدته أن لا يخرج، وأخبرته عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انه يقتل، فاعتذر لها وقال: (يا أماه وأنا أعلم اني مقتول) ووفد عليه عبدالله بن عمر بن الخطاب وطلب منه العدول عن رأيه والبيعة ليزيد فأبى الحسين (عليه السلام) ورفض إلّا الخروج والمواجهة فلم يكن الأمر الذي آلت إليه الأمة ليسمح للحسين بالسكوت، لذلك ردّ على عبد الله بن عمر:

(يا أبا عبد الرحمن أما علمت أنّ من هوان الدنيا على الله انّ رأس يحيى ابن زكريا أُهدي الى بَغِيّ من بغايا بني اسرائيل، وانّ الله أمهل بني اسرائيل ولم يعاجلهم بالعقوبة)[٩٧].

وداعاً يا رسول الله

ولم يغادر الحسين (عليه السلام) المدينة المنوّرة حتى زار قبر جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) زيارة المودّع الذي لا يعود، فقد كان يعلم أن لا لقاء له مع مدينة جدّه ولن يزور قبره بعد اليوم، وان اللقاء سيكون في مستقر رحمة الله، وانّه لن يلقى جدّه إلّا وهو يحمل وسام الشهادة، وشكوى الفاجعة، وقف الحسين (عليه السلام) الى جوار القبر الشريف فصلّى ركعتين ثم وقف بين يدي جده العظيم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يناجي ربّه:

(اللهم هذا قبر نبيك محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأنا ابن بنت نبيك، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللهم اني أحب المعروف، وأنكر المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلال والاكرام بحق القبر ومن فيه إلّا ما اخترت لي ما هو لك رِضىً ولرسولك رِضىً)[٩٨].

وهكذا كانت عزيمة الحسين (عليه السلام) اصراراً ومضاء، قرار الرجال، وحزم القائد الذي لا يلين، وكيف يلين وقد أصبح مفزع الأمة، وملاذ الرسالة؟ والعلامة الفارقة، ومفترق

المسير؟ إذن نحو مكة، الى الحرم الآمن، ليبدأ التحرّك وتبدأ الانطلاقة من هناك.

اتجه ركب الحسين نحو مكّة[٩٩]، وسارت الكوكبة الرائدة في طريق الجهاد والشهادة تغذ السير، وتقطع الفيافي والقفار، سار الحسين (عليه السلام) ومعه نفر من أهل بيته وأصحابه وبرفقته نساؤه وأبناؤه وأخته زينب الكبرى وهو يقرأ قول الله تعالى:

﴿فخرَجَ منها خائِفاً يترقَبُ قالَ ربِّ نجّني مِن القوم الظالمين﴾[١٠٠].

وفي أثناء المسير، وفي الطريق الموصل الى مكة المكرمة، لقيه عبد الله بن مطيع فأشفق على الحسين (عليه السلام)، وتملكه الخوف من غياب شخص الحسين (عليه السلام)، وخلو الميدان من امام وقائد رسالي ليس له في عصره من مثيل.

لقد كانت الآمال تعقد على الحسين (عليه السلام)، والقلوب تتعلّق به، والأمة ترجو حركته وثورته، فهو الأمل والمفزع لهذه الأمة في عصره، والقوة التي تستطيع أن تجابه السلطة اليزيدية الغاشمة، لذلك كان عبد الله بن مطيع يخاطبه:

(فَوالله لئن هلكت لنُسترقّن[١٠١] بعدك).

لقد كان عبد الله بن مطيع يعبّر برأيه وكلمته عن الاتجاه السائد للرأي العام الاسلامي، فقد كان تعبيره ورأيه شريحة معبرة عن وضع اجتماعي عام، كان يشعر بالاستعباد والذلة والاستبداد الاموي، ويرى في شخص الحسين السبط (عليه السلام)، المنقذ والمحرر والرائد؛ لذلك يؤكّد رأيه بالقسم:

(فوالله لئن هلكت لنسترقّن بعدك).

إنّ هذا الرجل يسأل الحسين (عليه السلام)، ويريد أن يستطلع رأيه، ويعرف موقفه فقد أصبح موقف الامام الحسين (عليه السلام) موقف أُمة. يسأل:

(جعلت فِداك، أين تريد؟

ـ أما الآن فمكة، وأما بعد فاني أستخير الله، قال: خار الله لك، وجعلنا فداك، فاذا أتيت مكة فاياك أن تقرب الكوفة، فانها بلدة مشؤومة، بها قتل أبوك وخذل أخوك واغتيل بطعنة كادت تأتي على نفسه، الزم الحرم، فانك سيّد العرب، لا يعدِلُ بك أهل الحجاز أحداً، ويتداعى إليك الناس من كل جانب، لا تفارق الحرم، فداك عمي وخالي، فوالله لئن هلكت

لنسترقّن بعدك)[١٠٢].

المسافة شاسعة، والارض مديدة[١٠٣] ورمال الصحراء توقدها حرارة الشمس اللافحة وقطار الحسين (عليه السلام) يخترق قلب الصحراء، ويجتاز كثبان الرمال، ولوافح الحصى. وهكذا سارت كواكب الفداء وطلائع الجهاد تيمم وجهها شطر البيت الحرام، لتنتهي الى أرض الطفوف، الى كربلاء، الى مثوى الخالدين، ومنار الاحرار يقودها الحسين سالكاً الدرب الذي اعتاد الناس سلوكه، متحدّياً السلطة والقوة والمطاردة، مذكّراً بهجرة أبيه علي بن أبي طالب من مكة الى المدينة يوم خرج ضحى بركب الفواطم، متحدّياً كبرياء قريش وصلفها، خلافاً لما اعتاده المهاجرون من التستر بظلام الليل، وسلوك المنعطفات، والطرق الغريبة على المارة.

انّ روح علي ما زالت تسبح بين جنبيه، وقلب ذاك البطل الشجاع يربض كالجبل في أعماقه، لقد استشعر أهل بيته واحباؤه الخطر، وخافوا عليه من الملاحقة ومضايقة السلطة، كما فعلت قبل يومين مع ابن الزبير فطارته حين خرج فلم تلحق به لأنه سلك طريقاً غير الطريق المألوه، فأشاروا عليه ان يهجر الطريق السالكة الى طريق آخر، ويبتعد عن العيون، فرفض الحسين (عليه السلام)، وأصرّ على أن تكون الرحلة عملاً اعلامياً، وحركة مضادّة، واحتجاجاً واضحاً، ومحفزاً مثيراً لضمير الأمة واحساسها، يلتقي به الركبان، ويشاهده المسافرون، ويعلم بهجرته الناس، ليتساءلوا ليعرفوا، لماذا هجر الحسين مدينة جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو سيدها وابنها وأعز أهلها؟.

ليتحدث الناس وليكثر الحديث حول الرحلة، ولتتحوّل الهجرة وعملية التغريب هذه الى عمل اعلامي مضاد للسلطة، ليزرع الثقة في نفوس الناس، ويمزّق حاجب الخوف، ويربّي روح الصلابة والتحدّي الجريء، انه قادم على المقاومة، وعازم على المواجهة، فلا تردد، ولا ضعف، ولا نكوص، لذلك تراه يرد باصرار على الذين قالوا له من أهل بيته:

(لو تنكَّبتَ[١٠٤] الطريق الأعظم كما فعل ابن الزبير كيلا يلحقك الطلب، فقال: لا والله، لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو قاض)[١٠٥].

فسار موكبه علماً ينتصب على قارعة الطريق، وصوتاً يدوي في آفاق البيد، وثورة

تخترق قلب الجزيرة، انه الحسين، وليس في الآفاق من لا يعرف هذا القائد العظيم.

احتشدت محافل المدينة، ومجالس أبناء المهاجرين والانصار، وفيهم الصحابة والتابعون، يتحدّثون ويتناجون، لقد رحل ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهجر مدينة جدّه (صلى الله عليه وآله وسلم)، انه قادم على أمر عظيم، لقد أبى البيعة، ورفض الخنوع لسلطة يزيد، وما عسى الأمة أن تنتظر؟.

ها هي ديار علي والحسين والزهراء قد امسى عليها ليل الفراق، وأحاطتها وحشة البعد والغربة، لقد نأى الحسين (عليه السلام)، وأمست المدينة موحشة تبكي سيّدها الراحل، والقلوب يعتصرها الأسى، والنفوس يفترسها الألم، ويحوطها الخوف والوجل. انّها تخشى الخذلان، وتتخوّف العاقبة، سيخذل الحسين (عليه السلام)، وسيقتل، سيغيب عن سماء المدينة نجم ليس بوسع السماء أن تلمع بمثله.

ها هي داره مطفأة الأنوار. وها هو بيته الرفيع أمسى خربة مهجورة. وها هي شرفات الدار المظلمة عيون حيرى ترقب درب الحسين (عليه السلام). لقد كانت بالامس تعمرها الصلاة، وتتعالى في أرجائها أصوات المتهجّدين، ويرى الناس فيها وديعة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبضعة الزهراء، وبقية أهل الكساء، وقد أمست اليوم صوت ناع يبكي الراحلين، وقلب آسٍ ينعى المغتربين.

هاهنا كان الحسين (عليه السلام)، وفي هذه الدار كان يجتمع أهل البيت (عليهم السلام)، هاهنا كان يناجي سكينة ابنته والرباب زوجه ويردد في حبّهما:

(لعمرُك انّي لأحبُّ داراً تكونُ بها سكينةُ والربابُ)

(أُحبُّهما وأَبذل جُلَّ مالي وليس لعاتبٍ عندي عتابُ)[١٠٦]

لقد بقيت الدار هي الأخرى معلماً من معالم الاحتجاج، وقلعة من قلاع الصمود، ولساناً من ألسنة الاعلام والتعريف بالقضية من يوم هجرها الحسين (عليه السلام)، وحتى آخر عهدها، يندبها الشعراء، ويناجيها الأدباء.

لقد أصبحت الطلول تشكو غياب الحسين (عليه السلام)، وتندب الراحلين، وتحتجب في ظلمة الليل البهيم بصمتها الناطق، وسكوتها المعبّر، وربوعها الخالية وشموخها المهيب.

وراح ركب الحسين (عليه السلام) يطوي الفلاة، ويغذ السير، حتى بلغ مكة المكرمة، ودخل أرض البلد الحرام: (ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان دخلها وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَّما توجَّه تِلقاءَ مدينَ قالَ عَسَى ربِّي أن يهديَني سواءَ السَّبيل﴾)[١٠٧].

في الحرم الآمن

حل الحسين (عليه السلام) في مهبط الوحي، ومدينة السلام مكة المكرمة فنزل في دار العباس بن عبدالمطلب واستقرّ فيها ليمارس مهامه السياسية في ظلال الحصانة الشرعية لبيت الله الحرام.

كان دخوله مكة مثيراً مدهشاً، فقد استقبله المكيون والمعتمرون من الوافدين لبيت الله الحرام وتوافدوا عليه فرحين به مرحبين، سرى نبأ قدوم الحسين (ع) الى مكة، وانتشر خبر خروجه من المدينة ورفضه لبيعة يزيد، وبدأت الوفود والرسائل تفد عليه من أرجاء شتى، وبدأ يبعث بالكتب والرسل، ويدعو للثورة واسقاط سلطة يزيد وخلع بيعته التي أخذت بالقهر والارهاب والرشاوي والتحايل، خلافاً لأحكام الشريعة ومنهجها في تعيين الحاكم، وبدأ التكتّل، وعقدت الاجتماعات في أماكن مختلفة من العالم الاسلامي، واستبشرت جماهير الأمة بتحرّك الحسين (عليه السلام)، وراحت تُعقد الندوات السياسية، وتشرح فيها الأوضاع، وتلقى الخطب، فقد كان اختيار الحسين (عليه السلام) لمكة المكرمة، وانتقاله من المدينة يستهدف:

الفات نظر الرأي العام وايقاظه وتحريكه ومراقبته واختياره ورصده عن كثب.

البدء في التعبئة والاعداد وشرح أبعاد القضية السياسية على ضوء مبادئ الحكم والسياسة والادارة في الاسلام.

التخطيط لقيادة الجماهير وتحديد منطلقات المواجهة من النواحي الزمانية والمكانية والحديثة.

البدأ بالمواجهة واعلان اسقاط حكومة يزيد واقامة الدولة الراشدة تحت قيادة الحسين (عليه السلام)؛ اقامة الدولة التي تقوم على أساس مبادئ القرآن والسنّة النبوية الشريفة.

ونحن نقرأ هذا كله في كتبه ومراسلاته وحواره واجابته على الاسئلة التي طرحت عليه.

وكان من آثار هذا التحرّك، أن دبّت الثورة في العراق، مركز الحركة السياسية الموالية لأهل البيت آنذاك، ودعوة الحسين (عليه السلام) لقيادته، فقد اجتمع زعماء المعارضة من أنصار الامام الحسين بن علي (عليه السلام) في الكوفة في بيت سليمان ابن صرد الخزاعي، واستعرضوا الاوضاع السياسية والاجتماعية وموت معاوية وانتقال السلطة الى يزيد، وتباحثوا في مشروع الحسين (عليه السلام) وتحرّكه وانتقاله الى مكة ورفضه لخلافة يزيد، وقروا نصرة الحسين (عليه السلام) والانضواء تحت قيادته وامامته، واعلان الولاء له ومكاتبته بذلك، فقام سليمان بن صرد الخزاعي، فالقى خطاباً في الحاضرين قال فيه:

(انّ معاوية قد هلك، وانّ حسيناً قد تقبّض[١٠٨] على القوم ببيعته، وقد خرج الى مكة، وأنتم شيعته، وشيعة أبيه، فان كنتم تعلمون انكم ناصروه ومجاهدو عدوه، ونقتل أنفسنا دونه، فاكتبوا اليه واعلموه، وان خفتم الفشل والوهن فلا تغروا الرجل في نفسه، قالوا: لا بل نقاتل عدوه، ونقتل أنفسنا دونه، قال: فاكتبوا اليه، فكتبوا اليه:

(بسم الله الرّحمن الرحيم. سلام عليك. فاننا نحمد اليك الله الذي لا اله إلّا هو.أما بعد فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى[١٠٩] على هذه الأمة فابتزها أمرها، وغصبها فيئها[١١٠]، وتأمر عليها بغير رضى منها، ثم قتل خيارها، واستبقى شرارها، وانه ليس علينا امام فاقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق، والنعمان بن بشير في قصر الامارة لسنا نجتمع معه في جمعة ولا عيد، ولو بلغنا اقبالك الينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام ان شاء الله تعالى، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته) وسيروا الكتاب مع عبد الله بن سبع الهمداني وعبد الله بن والٍ، ثم كتبوا اليه كتاباً آخر وسيروه بعد ليلتين، فكتب الناس معه نحوا من مائة وخمسين صحيفة، ثم أرسلوا اليه رسولاً ثالثاً يحثونه على المسير اليهم، ثم كتب اليه شبث بن ربعي وحجاز بن ابجر ويزيد بن الحارث ويزيد بن رويم وعروة بن قيس وعمرو بن الحاج الزبيدي ومحمد بن عمير التميمي بذلك)[١١١].

واستمرت الكتب والرسائل تتوارد على الحسين (عليه السلام) وصيحات الاستغاثة تنطلق:

(ليس علينا امام فاقبل لعل الله يجمعنا بك على الحق والهدى). وفي رسائل أخرى: (ان الناس ينتظرونك، لا رأي لهم غيرك فالعجل العجل، ثم العجل العجل).

فكتب الامام الحسين (عليه السلام) الى أهل الكوفة كتاباً يطالبهم فيه باجتماع الكلمة ووحدة الصف والوفاء بالعهد، فلأهل البيت النبوي تجربة مرّة قاسية عاشوها أيام الامام علي (عليه السلام) وولده الحسن في قيادتهم لجماهير العراق، لذلك كتب اليهم كتاباً ضمنه جواب رسائلهم، واعتماد ممثل عنه، وهو ابن عمه مسلم بن عقيل ليقيم الموقف ويستجلي الحقيقة، ويمهد للبيعة والقيادة. وجاء في الكتاب:

(بسم الله الرحمن الرحيم. من الحسين بن علي (عليه السلام) الى الملأ من المؤمنين والمسلمين. أما بعد فان هانياً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم ومقالة جلكم أنه ليس علينا امام فاقبل لعل الله ان يجمعنا بك على الحق والهدى. واني باعث اليكم اخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل، فان كتب الي انه قد اجتمع رأي ملأكم، وذوي الحجى[١١٢] والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم، وقرأت في كتبكم، فني اقدم اليكم وشيكاً ان شاء الله فلعمري ما الامام إلّا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الداين بدين الحقّ، الحابس نفسه على ذات الله والسلام)[١١٣].

ووجه الحسين (عليه السلام) عنايته الى البصرة، واهتمامه بتعبئة جماهيرها ومخاطبة زعمائها وقادة الرأي والمعارضة فيها، فكتب اليهم كتاباً جاء فيه:

(بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فان الله اصطفى محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) على خلقه وأكرمه بنبوته واختاره لرسالته ثم قبضه الله اليه وقد نصح لعباده، وبلغ ما أرسل به ـ (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ وكنّا أهله، وأولياءه، وأوصياءه، وورثته، وأحق الناس بمقامه في الناس فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا، وكرهنا الفرقة، وأحببنا العافية ونحن نعلم أنّا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه. وقد بعثت رسولي اليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم الى كتاب الله وسنّة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)، فانّ السنّة قد أميتت، والبدعة قد أحييت، فان تسمعوا قولي أهدكم الى سبيل الرشاد)[١١٤].

وهكذا بلغت أخبار الحركة الحسينية البصرة، وهي معقل من معاقل العمل والتحرّك السياسي، والحاضرة الاسلامية الكبرى بعد الكوفة أنذاك، وفيها زعماء للمعارضة، ورأي عام مواجه للحكم الاموي، وقد عانت من الولاة أيام معاوية معاناة شديدة قاسية، فعقد اجتماع في بيت احدى النساء العاملات في حقل السياسة، وهي (مارية) والتي كانت توالي أهل البيت، وقرروا نصرة الحسين (عليه السلام) والبيعة له، ومكاتبته بذلك، فقد ذكرابن الأثير هذا الاجتماع وسجّله في كتابه الكامل في التاريخ:

(واجتمع ناس من الشيعة بالبصرة في منزل امرأة من عبد القيس يقال لها مارية بنت سعدة وكانت تتشيع، وكان منزلها لهم مألفاً[١١٥] يتحدّثون فيه، فعزم يزيد بن بنيط على الخروج الى الحسين (عليه السلام)، وهو من عبد القيس، وكان له بنون عشرة، فقال لهم: أيكم يخرج معي؟ فخرج ابنان له: عبد الله وعبيد الله، فساروا فقدموا عليه بمكة ثم ساروا معه فقتلوا معه)[١١٦].

وحين قدم كتاب الامام الحسين (عليه السلام) الى أهل البصرة أجاب فريق منهم أمثال يزيد بن مسعود الذي جمع بني تميم وبني حنظلة وبني سعد، وخطبهم وحثّهم على نصرة الحسين (عليه السلام) وحذرهم من الخذلان، ومن جملة ما ورد في خطابه:

(وقد قام يزيد شارب الخمور ورأس الفجور يدّعي الخلافة على المسلمين ويتأمّر عليهم بغير رضى منهم، مع قصر حلم وقلّة علم، لا يعرف من الحق موطئ قدميه، فأقسم بالله قسماً مبروراً لجهاده على الدين أفضل من جهاد المشركين، وهذا الحسين بن علي وابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذو الشرف الأصيل والرأي الأثيل له فضل لا يوصف وعلم لا ينزف وهو أولى بهذا الأمر لسابقته وسنه وقدمه وقرابته يعطف على الصغير ويحسن الى الكبير، فاكرم به راعي رعية، وامام قوم وجبت لله به الحجة، وبلغت به الموعظة، فلا تعشوا عن نور الحق ولا تسكعوا في وهد الباطل، فقد كان صخر بن قيس انخذل بكم يوم الجمل فاغسلوها بخروجكم الى ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ونصرته، والله لا يقصّر أحدكم عن نصرته الا أورثه الله تعالى الذل في ولده والقلة في عشيرته، وها أنا ذا قد لبست للحرب لامتها وادّرعت لها بدعها، من لم يُقتل يُمت، ومن يهرب لم يفت، فاحسنوا رحمكم الله رد

الجواب: فتكلّمت بنو حنظلة فقالوا: يا أبا خالد نحن نبلُ كنانتك[١١٧] وفرسان عشيرتك، ان رميت بنا أصبت، وان غزوت بنا فتحت، لا تخوض والله غمرة إلّا خضناها، ولا تلقى والله شدّة إلّا لقيناها، ننصرك والله باسيافنا، ونقيك بابداننا، اذا شئت فافعل. وتكلّمت بنو سعد بن يزيد فقالوا: يا أبا خالد ان أبغض الأشياء الينا خلافك والخروج من رأيك، وقد كان صخر بن قيس أمرنا بترك القتال فحمدنا أمرنا، وبقى عزنا فاملهنا نراجع المشورة، ونأتيك برأينا. وتكلّمت بنو عامر بن تميم فقالوا: يا أبا خالد نحن بنو عامر بنو أبيك. وحلفاؤك لا نرضى ان غضبت، ولا نوطن ان ظعنت، والأمر اليك، فادعنا نجبك، وأمرنا نطعك، والأمر لك اذا شئت. فقال: والله يا بني سعد لئن فعلتموها لا رفع الله السيف عنكم أبداً، ولازال سيفكم فيكم، ثم كتب الى الحسين (عليه السلام): بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فقد وصل كتابك، وفهمت ما ندبتني اليه، ودعوتني له من الأخذ بحظي من طاعتك والفوز بنصيبي من نصرتك، وان الله لا يخلي الأرض قط من عامل عليها بخير أو دليل على سبيل نجاة، وأنتم حجة الله على خلقه، ووديعته في أرضه، تفرعتم من زيتونة أحمدية، هو أصلها وأنتم فرعها، فأقدم سعدت بأسعد طائر، فقد ذللت أعناق بني تميم، وتركتهم أشد تتابعاً في طاعتك من الابل الظماء لو رود الماء يوم خمسها وكظها[١١٨]، وقد ذللت لك بني سعد، وغسلت درن صدورها بماء سحابة مزن حين استهل برقها فلمع.

فلما قرأ الحسين (عليه السلام) الكتاب قال:

(مالك آمنك الله يوم الخوف، وأعزّك وأرواك يوم العطش الأكبر).

فلما تجهّز المشار اليه للخروج الى الحسين (عليه السلام) بلغه قتله قبل أن يسير فخرج من انقطاعه عنه، وأما المنذر بن الجارود، فانه جاء بالكتاب والرسول الى عبيد الله بن زياد، لأنّ المنذر خاف أن يكون الكتاب دسيساً من عبيد الله بن زياد وكانت بحرية بنت المنذر زوجة لعبيد الله بن زياد، فأخذ عبيد الله بن زياد الرسول فصلبه، ثم صعد المنبر فخطب وتوعد أهل البصرة على الخلاف واثارة الارجاف، ثم بات تلك الليلة فلما أصبح استناب عليهم أخاه عثمان بن زياد وأسرع هو الى قصر الكوفة)[١١٩].

وهكذا اتضح الموقف، وتحددت معالم الحركة الحسينية وتحرّك الرأي العام

واستقطب الحسين العواطف والمشاعر وهو يدير الحركة من مكة المكرمة خلال شهر شعبان ورمضان وشوال وذي القعدة وأيام من ذي الحجة، حتى انّ مسلم ابن عقيل رسول الحسين (عليه السلام)، حين قرأ رسالة الحسين (عليه السلام) على أهل الكوفة أجهشوا بالبكاء، وتعالت أصواتهم بالاستغاثة، والاستبشار، لذا تحددت وجهة الحسين (عليه السلام)، وحدد منطلق الثورة، فاختيار المكان والزمان والظرف السياسي المناسب شرط من الشروط الأساسية في نجاح الحركة الثورية.

وبعد كل المعلومات التي توفّرت لدى الحسين (عليه السلام) أصبح العراق هو البلد المرشح للانطلاق واعلان الثورة وقيام دولة الاسلام الراشدة.

الطليعة والريادة

(بسم الله الرحمن الرحيم[١٢٠]: للحسين بن علي أمير المؤمنين (صلى الله عليه وآله وسلم)، من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام): أما بعد فانّ الناس ينتظرونك، لا رأي لهم غيرك، فالعجل يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد احضر الجناب، وأينعت الثمار، واعشبت الأرض، وأورقت الاشجار، فاقدم علينا اذا شئت، فانما تقدم على جند مجندة لك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى أبيك من قبلك)[١٢١].

استلم الحسين (عليه السلام) الرسالة الأخيرة، ونظر فيها ملياً، ثم سأل حاملي الرسالة عمن كتبها، وصاغ العهد فيها، فهي بيعة وتقييم للموقف وحث على العجل والمبادرة، أجاب الرسولان وصرحا بأسماء الرجال الذين كتبوا للحسين (عليه السلام).

لقد رسمت الرسالة للحسين (ع) صورة الموقف، واقامت بين يديه حجة التحرّك والانطلاق، إلّا انه بعد لما يطمئن، فلأهل البيت (عليهم السلام) مع أمثال هذه العهود والمواثيق تجربة عاشها الحسين (عليه السلام) بنفسه مع أبيه علي أمير المؤمنين (عليه السلام)، ومع أخيه الحسن (عليه السلام)، انه يقدم على أمر خطير وعليه أن يحكم القرار، ويتقن الموقف.

فزع الحسين (عليه السلام) الى بيت الله الحرام، واستعان بالصبر والصلاة، فوقف بين يدي ربّه وصلى ركعتين بين الركن والمقام وسأل الله أن يجعل له الخيرة من أمره، وأن يهديه

الى ما هو خير وصلاح.

ارتأى الحسين (عليه السلام) أن يرسل مندوباً عنه وممثلا يوطئ له الاكناف، ويهيئ له الاجواء، ويعد له مستلزمات القيادة الميدانية في الكوفة، ويصوّر له واقع الأحداث، ويعكسها عليه بدقة وأمانة، ليستطيع أن يقرر الموقف المناسب، ولم يكن الحسين (عليه السلام) ليختار أي رجل لهذه المهمّة الشاقة والمسؤولية الصعبة، بل لابد من أن يختار رجلاً قادراً على تمثيله، يتسم بالحكمة والشجاعة والنصيحة لرسوله وللامام والأمة، والاخلاص للقضية والايمان بها، فوقع اختياره على ابن عمه مسلم بن عقيل، فطلب حضوره فحضر بين يدي الامام، وراح الحسين السبط (عليه السلام) يشرح الموقف لمسلم بن عقيل، ويوضح له ما ورد في الرسائل، وما جاءت به الرسل، ويطلعه على خفايا الامور؛ ليكون قادراً على القيام بمهمة السفارة والتمثيل، ويملك من المعلومات والتوجيهات ما يمكنه من تحّمل المسؤولية ومعالجة المواقف، ومواجهة المستجدات والطوارئ.

استجاب مسلم للمهمّة الصعبة واستمع الى نصائح الحسين (عليه السلام) وتوجيهاته: (فامره بتقوى الله، وكتمان أمره واللطف، فان رأى الناس مجتمعين له عجل اليه بذلك)[١٢٢].

وكتب معه رسالة وجهها الى أهل الكوفة، وقال له: (سر الى أهل الكوفة فان كان حقاً ماكتبوا به عرّفني حتى ألحق بك).

انطلق مسلم بن عقيل متوجّهاً من مكة الى العراق في النصف من شهر رمضان سنة (٦٠) هـ يصحبه دليلان يدلانه الطريق، كان الوقت صيفاً، والمسار قائضاً، والشمس محرقة، ورمال الصحراء ترمي بشررها وظمئها الركب المتكتم الزاحف نحو الكوفة، لقد كان الطريق صحراوياً طويلاً، والمسار صعباً، فقد استغرقت الرحلة عشرين يوماً من مكة الى الكوفة، فمسلم لم يصل الكوفة إلّا بعد مضي خمسة أيام من شهر شوال، وقد خرج في النصف من رمضان، ومرت به أهوال ومخاطر في متاهات البيداء الشاسعة التي قطعها اثناء السفر، ففي احدى ليالي المسير ضلّ الدليلان طريقهما، وتاها في مدارج البيداء، وظلوا يسيرون تلك الليلة على غير الطريق، وما أن استبان وجه الصباح، وبدت معالم المسير وعلامات توصل السالكين الى الطريق، حتى أخذ العطش والارهاق من الدليلين كل

مأخذ، وكان الماء قد نفد، واستحكم الاعياء بهما، فعجزا عن المسير.

(فأومأ له الى سُنن الطريق بعد أن لاح لهما ذلك، فسلك مسلم ذلك السنن، ومات الدليلان عطشاً)[١٢٣].

تعذر على مسلم حمل الدليلين فتركهما، وسار مرغماً هو ومن معه من رجال مسترشدين باشارة الدليلين، حتى اكتشفوا الطريق، ولاحت لهم منابع الماء، فحطوا رحالهم، وأناخوا ركبهم، وقد أعياهم المسير، وآلمهم فقد الدليلين.

استقر مسلم قرب الماء بمنطة تدعى: (المضيق من بطن الخبت)[١٢٤]، (وكتب الى الحسين (عليه السلام) بأهوال الرحلة، ومشاق الطريق، وما لاقى في سفره المتعب هذا، ثم أعلم الحسين (عليه السلام) بأنه ينتظر جوابه وأوامره في التحرّك والتوجه لانجاز المهمة، وقد عرض عليه أن يعفيه من هذه المهمة لو شاء ذلك. طوى كتابه هذا وبعث به رجلاً من أهل الحي يدعى قيس بن مسهر، ووجهه الى الحسين (عليه السلام) في مكّة المكرمة، وحين استلم الحسين (عليه السلام) الرسالة، كتب كتاباً الى مسلم يأمره بالمسير ويرفض طلب الاعفاء)[١٢٥].

وفدت رسالة الحسين (عليه السلام) الجوابية على مسلم بن عقيل، فامتثل الامر وتحرّك من وقته، وسار باتجاه الكوفة مارّاً بماء لطي، فحلّ فيه فترة ثم واصل السير الى الكوفة حتى دخلها في الخامس من شوال، فنزل دار المختار بن أبي عبيدة الثقفي واتخذها مقراً لعمله ونشاطه السياسي في الكوفة.

وها قد أقبل رسول الحسين (عليه السلام) وهو يحمل الرسالة، ويمثل طليعة القيادة والمعارضة، استبشر الناس وخفّوا لاستقباله ومبايعته واعلان الولاء له.

بدأ مسلم يجري اتصالاته، ويزاول نشاطه السياسي بهمة واخلاص، وراح يجمع القواعد الشعبية، ويعبئ المقاومة، ويأخذ البيعة للحسين (عليه السلام)، والوفود تقدم ولاءها، والجماهير تعلن عن استبشارها، حتى أن الناس كانوا يبكون وهم يسمعون مسلم بن عقيل يقرأ عليهم رسالة الامام الحسين (عليه السلام) ويحييهم، ويعلن استعداده للقدوم إليهم، والأخذ بزمام القيادة وشؤون الامامة.

استمر مسلم بن عقيل يعبئ الكوفة، ويجمع الانصار، ويأخذ البيعة حتى تكامل لديه

عدد ضخم من الجند والاعوان، فقد بلغ عدد من بايعه واستعد لنصرته ثمانية عشر ألفاً[١٢٦].

لقد أحسّ مسلم، بصدق الدعوة وكثرة الانصار، واطمأن الى مستقبل التحرّك وقدرة هذه القوة على مواجهة الأحداث، والوقوف بوجه القوى المضادة لتيار الحسين (عليه السلام)، فبادر بالكتابة الى الحسين (عليه السلام) ونقل إليه صورة حيّة للأحداث والوقائع وجريان الأمور في الكوفة، وقيم له الموقف، وأعرب له عن تفاؤله، وسأله القدوم.

استمر تيار الانفعال الجماهيري يتدفق نحو مسلم حتى تحوّل الى تيار شعبي مرعب، وحدث سياسي ينذر السلطة المركزية بالخطر، ولم تكن مثل هذه الانباء لتخفى على يزيد، وعلى واليه على الكوفة النعمان بن بشير.

حاول النعمان معالجة الموقف بالوسائل السلمية والحد من تدفق التيار إلّا انه عجز عن ذلك. لم ترق سياسة النعمان السلمية لعملاء السلطة وحلفائها، وخافوا من تطور الاحداث وضياع مكانتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي يتمتعون بها على حساب معاناة الجماهير، ومآسي المستضعفين، فكتب أحد حلفاء بني أمية، (عبد الله بن مسلم) الى يزيد تقريراً صور له الأحداث وخطورة الموقف، وأشار عليه بخلع النعمان، ووصفه بالضعف والتهاون، وطالبه بارسال عنصر ارهابي يستطيع أن يخضع الجماهير بالقوة، ويسحق ارادتها، ثم كتب عملاء آخرون، بمثل هذا التقرير الى السلطة المركزية، (الى يزيد بن معاوية) كعمارة ابن عقبة، وعمر بن سعد بن أبي وقاص، جاء في التقرير الأول:

(أما بعد فان مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة، وبايعته الشيعة للحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام). فان يكن لك في الكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً، ينفذ أمرك، ويعمل مثل عملك في عدوك، فان النعمان بن بشير رجل ضعيف أو يتضعّف)[١٢٧].

لقد أصبحت الكوفة مرجلاً يغلي بالأحداث، وحلبة يصطخب فيها الصراع، وساحة يتصارع فيها تيّاران، تيّار أهل البيت (عليهم السلام) وتيار الأمويين، وأصبحت الأوضاع تنذر بالخطر، وغدا التوتر شديداً يهدد بانفجار الموقف، ووقوع الصراع، وكاد الموج يقذف بزبد البحر، ويرمي بغثاء السيل لولا تدخل عوامل كثيرة قلبت ميزان المعادلة وغيّرت المسار.

انطلقت الرسل من الكوفة الى كل من الحسين (عليه السلام) ويزيد، وكلّ يستحث قيادته، ويسأله المبادرة، ويناشده احتواء الموقف، لقد وصلت الرسل الى يزيد تنذره بهبوب العاصفة وانفلات الكوفة، وتشكو عجز النعمان عن السيطرة على الوضع السياسي الذي بات ينذر الأمويين بالخطر.

تسلم يزيد الرسالة وراح يناقش الأمر ويبحث عن أكثر الناس قسوة وقدرة على التوغل في الارهاب والجريمة، وأشدهم حباً للسلطة وشرائها بأي ثمن، وأكثرهم حقداً على أهل البيت (عليهم السلام) وولاء للعرش المتسلّط، فلم يجد بعد المشاورة وتفحّص قُدرات جلاوزته أفضل من عبيد الله بن زياد الذي كان وقتها والياً على البصرة.

اعتمد يزيد في هذا التشخيص على سرجون مولى معاوية الذي قال ليزيد: ان معاوية قد كتب عهداً في حياته يعين فيه عبيد الله بن زياد[١٢٨] والياً على الكوفة، وانه يحتفظ بهذا الكتاب الذي لّما ينفذ بعد، وقد آن الأوان، فليس في سجلات السلطة رجل أطوع للعرش منه، استجاب يزيد على الفور لاقتراح مستشاره وقرار أبيه فعين عبيد الله بن زياد، وأصدر إليه أوامره باستعمال العنف والارهاب، وعدم التواني في سفك الدماء حتى يستأصل المعارضة، ويوقف زحف الجماهير الرافضة لسلطته الغاشمة، فقد جاء في كتاب يزيد:

(أما بعد فانه كتب إليَّ شيعتي من أهل الكوفة يخبرونني ان ابن عقيل فيها يجمع الجموع ليشق عصا المسلمين، فسِر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي الكوفة فتطلب ابن عقيل طلب الخرزة حتى تثقفه[١٢٩] فتوثقه أو تقتله أو تنفيه والسلام)[١٣٠].

نكوص وانعطاف

استلم عبيد الله بن زياد كتاب يزيد بن معاوية فبادر في اليوم الثاني وتحرّك نحو الكوفة يستحث الخطى ويسابق الأحداث، والناس تنتظر هناك قدوم الحسين (عليه السلام)، وتتهيأ لاستقباله، ومعظم جماهيرها لا تعرف شخصية الحسين (عليه السلام)، ولم تكن قد التقته من قبل، فباغت ابن زياد جماهير الكوفة وهو يخفي معالم شخصيته ويتستر على

ملامحها، فقد تلثّم ولبس عمامة سوداء.

وراح يخترق الكوفة، والناس ترحب به، وتسلم عليه وتردد: (عليك السلام يا ابن بنت رسول الله. وهم يظنون أنه الحسين بن علي (عليه السلام))[١٣١].

ساءه ما سمع وراح يواصل السير نحو قصر الامارة فكانت هذه العبارات وروح الاستبشار التي شاهدها على وجوه الناس وهم يظنون أنّ القادم هو الحسين (عليه السلام) كافية لان تعطيه صورة عن تعلّق الكوفيين بالحسين (عليه السلام) وحبهم له وخسارة يزيد للرأي العام وقوى الجمهور، حاول مرافقه مسلم بن عمرو الباهلي أن يباغت الرأي العام، ويحدث له صدمة وانتكاسة نفسية، وليزرع في النفوس بذور الخوف والرعب، فراح يخاطب الجماهير المزدحمة:

(تأخروا هذا الأمير عبيد الله بن زياد)[١٣٢].

وهكذا سار باتجاه القصر والناس ملتفة حول عبيد الله بن زياد يسوقها العقل الجمعي، وتسيطر عليها الخديعة، ويظنونه الحسين (عليه السلام)، فاضطرب النعمان وأطل من شرفات القصر يخاطب عبيد الله بن زياد، وكان هو أيضاً قد وقع تحت تأثير الاشاعات، وسيطرة الاراجيف، ظاناً ان القادم هو الحسين (عليه السلام)، فخاطبه:

(أنشدك الله إلّا ما تَنحيت، والله ما أنا بمسلم اليك أماني، ومالي في قتالك من أرب)[١٣٣].

صمت ابن زياد وراح يقترب من باب القصر، والنعمان يطل برأسه من الشرفات يتفحّص الموقف، ويرقب التجمع الكبير، حتى شخّص ان القادم هو ابن زياد وليس الحسين (عليه السلام)، ففتح الباب ودخل ابن زياد القصر وأغلق بابه وبات ليلته، وباتت الكوفة على وجل وترقب رهيب، ومنعطف سياسي خطير.

ففاجأها عند الصباح، وهو يحتل القصر بالنداء: الصلاة جامعة، فقام خطيباً في الجموع المحتشدة وراح يمنّي المطيع والظالع في ركب السياسة القائمة بالأماني العراض، ويهدد ويتوعد المعارضة والرافضين لحكومة يزيد، حتى قال:

(سوطي وسيفي على من ترك أمري وخالف عهدي)[١٣٤].

ثم فرض على الحاضرين مسؤولية التجسس ورفع المعلومات والتعريف بالمعارضين، وهدد من لم يساهم في هذه العملية وينفذ هذا القرار بالعقوبة وقطع المخصصات والعطاءات المالية فقال.

(فمن يجيء لنا بهم فبريء، ومن لم يكتب لنا أحداً فليضمن لنا من في عرافته أن لا يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغي علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمة، وحلال لنا دمه وماله، وأيما عريف وجد في عرافته، من بُغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره وألغيت تلك العرافة من العطاء)[١٣٥].

وهكذا بدأ الانعطاف، وبدأت الأحداث تتخذ مجرى آخر، لاحت بوادر النكوص والاحباط تظهر على جماهير الكوفة وبعض قياداتها، وراحت سلطة عبيد الله بن زياد تقوّي مركزها وتمسك بالعصا الغليظة وبوسائل القوة والسيطرة المألوفة لديها، من المال والرشوة والارهاب وتسخير الجواسيس لجمع المعلومات وبث الأراجيف، وتوجيه الدعاية المضادة، وبدأ موقع مسلم بن عقيل، مندوب الحسين (عليه السلام) وممثله، يضعف ويهتز، فاضطرته الاوضاع الجديدة الى أن يغير اسلوب عمله وموقعه، فانتقل من دار المختار بن عبيدة الثقفي الى دار الزعيم الكوفي الموالي لأهل البيت، هاني بن عروة، واستقر فيها متخفياً بعيداً عن أعين السلطات والملاحقة حتى استطاعت عناصر الاستخبارات أن تكشف المكان الذي يختبئ به مسلم بن عقيل، فاستدعي هاني بن عروة باسلوب مبطن وغير مثير، فقد بعث اليه عبيد الله بن زياد وفداً يدعوه لزيارته وازالة الجفوة بينهما، وما ان دخل هاني قصر الامارة حتى وجد نفسه أمام محكمة وتهم توجه اليه، وجواسيس يشهدون عليه، انّه يوالي الامام الحسين (عليه السلام) ويعبئ المقاومة ويشترك في تنظيم صفوفها المسلحة، ويجمع المال والسلاح والانصار، ويخطط للاجهاز على السلطة القائمة، ويتستر على مسلم بن عقيل ويخبئه في داره. حاول الانكار والدفاع عن نفسه إلّا انه فوجئ بالهجوم عليه من قبل عبيد الله بن زياد بقضيب كان بيده وراح يهشم به وجه هاني وأنفه، وهاني يدافع عن نفسه بعنف وقوّة فلم يستطع المقاومة، وأخيراً أصدر ابن زياد أمراً بسجن هاني وحبسه في احدى غرف القصر، ووضع تحت

حراسة مشددة.

تسرب الخبر الى خارج القصر، فتحرّكت مذحج (عشيرة هاني) وأخذت تطوق القصر، فاستعمل ابن زياد اسلوب الخديعة والمراوغة معهم، فطلب من شريح القاضي أن يخرج اليهم ويهون عليهم الموقف، ويخبرهم بسلامة هاني، وحسن معاملته، فتفرق الجمع وانفضت المقاومة.

لقد أصبحت الكوفة في مرحلة صراع دموي رهيب، وكفاح مسلّح بين الفريقين وراح الناس يتحدّثون بتطور الاحداث واعتقال هانئ، وراحت الاراجيف تنشر في كل مكان: انّ جيشاً كثيفاً على وشك القدوم من الشام لاسناذ موقع السلطة، واستئصال المعارضة، ومطاردة مسلم بن عقيل وأتباعه، فبدأ الضعف والخور والخوف ينتشر في صفوف الثوار ويستولي على الرأي العام.

كل هذا ومسلم بن عقيل يتابع الأحداث ويرقب الموقف، وقد اتخذ قراراً بالزحف على قصر الامارة والاستيلاء عليه والقضاء على حكومة عبيد الله بن زياد، فجمع رجاله وأنصاره الذين كانوا قد بايعوه وانضموا الى حركته وأطلق شعاره: (يا منصور أمت)[١٣٦]. وهاجم قصر الامارة[١٣٧] وكانت قواته في بداية الأمر تفوق قوات ابن زياد كثيراً، فتحصّن ابن زياد وأتباعه بالقصر وأغلقوا الابواب، وراح يسرّب الاشخاص ويدسهم في أوساط الناس يخذلونهم ويتظاهرون بالدعوة الى حفظ الأمن والاستقرار وعدم سفك الدماء، ويحذرون من قدوم جيش جرّار من الشام، لغرض كسب الوقت وتفتيت قوى الثوار، واستمر الموقف كذلك والناس تنصرف وتتفرق عن مسلم، وما أن نشر الظلام أجنحته، وغشي الكوفة ليل واجم مترقب حتى لم يبق مع مسلم بن عقيل إلّا عشرة رجال دخلوا معه المسجد وكانوا في بداية الانطلاقة يقدّرون بأربعة آلاف مقاتل.

أتم مسلم صلاة المغرب فالتفت الى ما حوله فلم يجد أحداً يدله الطريق أو يؤويه في ذلك البلد الغريب. وهكذا بقي مسلم وحيداً في مسجد الكوفة لا يعرف طريقه، ولا يجد من يستعين به أو يلجأ اليه.

لقد كان موقفاً حرجاً وانكساراً مروّعاً يتطلب من القائد ارادة نفسية، وقدرة غير

اعتيادية على التصرف والمجابهة. واجه مسلم الموقف بعزيمة لا تلين وارادة لا تـقهر، فراح يسير في شوارع الكوفة علّة يهتدي الى حل، أو يعرف الطريق للخروج من الكوفة قبل أن يلقى عليه القبض، وليبلغ الحسين (عليه السلام) الذي ما زال يغذ السـير، ويسـتحث المسير متجهاً نحو الكوفة ليتدارك الموقف، ويحول دون وقوع الامام الحسين (عليه السلام) في حبائل الغدر والخيانة.

سلك السبيل وراح يمشي في شوارع الكوفة وسككها، وقد بـدت كـئيبة مـوحشة يسيطر عـليها الارهـاب، وتـنتشر فـي أرجـائها الجـاسوسية، تـبحث عـن مـندوب الحسين (عليه السلام)، وسفيره الى الكوفة. قاده الطريق الى باب بيت كانت تقف على عتبة بابه امرأة، اسمها (طوعة)، شاء الله أن يخلد اسمها في سجل الجهاد. وقف على باب البـيت والحيرة تسيطر على مشاعره، والخجل يحوط شفتيه، طلب الماء منها، جاءته بـالماء، شرب ثم جلس على باب الدار لا يدري أين يتوجه.

أثار وضعه الحائر، وسيماء الغربة عليه، وجلوسه عند بـاب البـيت، انـتباه طـوعة، فراحت تتساءل، ألم تشرب الماء؟. اذن لم لا تنصرف؟. فاجاب: انّه غريب ليس له دار، ولا أهل في هذا البلد، ثم عرّفها بنفسه: (أنا مسلم بن عقيل بن أبي طالب سفير الحسين، ورسوله الى الكوفة وابن عمه). فتحت له باب البيت ثم أدخلته فاختبأ ليـقضي ليـلته، وينظر ماذا سيكون الغد[١٣٨].

أما ابن زياد فقد بدأ في هذه الساعات التحرّك المضاد، وعرف بمصير المقاومة التي قادها مسلم بعد صلاة المغرب، فنادى مؤذنه: (ألا برئت الذمة من رجـل مـن الشـرط والعرفاء أو المناكب[١٣٩] أو المقاتلة صلى العتمة إلّا في المسجد)[١٤٠].

استجابت جموع غفيرة تحت ضغط الخوف والارهاب والرشوة. وراحوا يتوافـدون على المسجد حتى امتلأ، صلى بهم ابن زياد صلاة العشاء، ثم راح يوجه خطابه الى أهل الكوفة، يهدد وينذر ويتوعد، وقد هاجم مسلم بن عـقيل هـجوماً عـنيفاً، وجـاء فـي الخطاب:

(اما بعد فان ابن عقيل السفيه الجاهل قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق، فبرئت

ذمة الله من رجل وجدناه في داره، ومن جاء به فله ديته، اتقوا الله عباد الله والزموا طاعتكم وبيعتكم، ولا تجعلوا على انفسكم سبيلاً.

يا حُصين[١٤١] بن تميم ثكلتك امك ان ضاع باب سكة من سكك الكوفة او خرج هذا الرجل، ولم تأتني به، وقد سلطتك على دور اهل الكوفة فابعث مراصِد[١٤٢] على أفواه السكك واصبح غداً فاستبرئ[١٤٣] الدور وجس خلالها حتى تأتيني بهذا الرجل)[١٤٤].

وهكذا أصدر أمره بتحري بيوت الكوفة وتفتيشها بيتاً بيتاً، بحثاً عن مسلم وتنقيباً عنه وهو مختبئ في دار المرأة المجاهدة (طوعة) ينتظر فرصة للخروج أو الاتصال بمن يعينه على مهمته.

وشاءت الاقدار أن يطلع ابن لطوعة على مخبأ مسلم، ويكتشف أمره، ثم سارع الى ابن زياد تحت وطأة الخوف والطمع في الجائزة المرصودة لهذا الامر فأبلغ الخبر صباحاً، وجاءت قوات قوامها سبعون رجلاً تطوق الدار، وتبحث عن مسلم.

سمع مسلم وقع حوافر الخيل وضجيج الرجال فتأهب للقتال وأعد سلاحه للنزال. طوقت الدار واقتحمت على مسلم بن عقيل، إلّا انه لم يسلم وراح يقاتل بعنف وضراوة مذهلة حتى اضطر العناصر المتسللة الى الخروج منها.

استعملوا اسلوباً آخر لاخراج مسلم فراحوا يلقون عليه من السطوح النيران والحجارة، فاضطروه الى ترك الدار والخروج الى الطريق العام دون أن يلقي سلاحه، وهو ماض في الضرب والقتال حتى أثخنته الجراح، وكثر النزف عليه، فنادوا: لك الامان، لا تقتل نفسك. قبل مسلم نداءهم وسار معهم وقد حمل على بغلة دار الامارة، ثم بدت بوادر الخيانة ونقض العهد في الطريق فقد جردوه من سيفه وتركوه أعزل.

أتي به الى قصر الامارة فدخل على ابن زياد ولم يحيّه بتحية الامارة، ثم وقف أمام ابن زياد كالطود الشامخ، لا يهزّه هول المحنة، ولا يزعزعه الموقف الصعب. ودار بينهما كلام غليظ ومشادة عنيفة، انتهت بقول ابن زياد: انك مقتول، فاجاب مسلم:

اذن هبوني فرصة أوصي فيها وصيتي.

رضخ ابن زياد لطلب مسلم، فوقع اختياره على عمر بن سعد لحفظ الوصية وأدائها لوجود قرابة وصلة رحم بينهما. أوصى مسلم بثلاث وصايا[١٤٥]. انتهى من أداء الوصية في ناحية قريبة من مجلس ابن زياد، فعاد عمر بن سعد الى مجلسه وراح يفشي نصوص الوصية ويسخر بالوصايا.

استمر ابن زياد يتهدد مسلماً ويهجم عليه بعبارات السب والشتم والتهم الفظيعة، ومسلم يجابهه ويرد عليه بعنف وصلابة. لم يف أحد لمسلم بالعهد والامان الذي أعطي له، ولم يكن ابن زياد ليترك مسلماً حياً، وهو الذي جاء لمجابهته واحباط تحرّكه، وقد سنحت له الفرصة، ومكنته الاوضاع من خصمه.

أمر ابن زياد شرطته أن يصعدوا بمسلم أعلى القصر، وقال لبكر بن حمران الذي كان مسلم قد جرحه جروحاً بليغة: خذ السيف واضرب عنقه، ثم ألق بجسده ورأسه من أعلى القصر. اقتيد مسلم وهو يكبر الله ويمجده، ويستقبل الشهادة بنفس راضية وروح بطولية عالية.

فانهال سيف الغدر على عنقه، وافترس حقد الطاغية أوداج رقبته، وحال حد السيف بين رأسه وجسده، وراحا يركعان من أعلى القصر على صعيد الشرف والجهاد[١٤٦] ليلتحق بالشهداء والصديقين والنبيين والصالحين، ثم امتدّت سيوف الجلادين الى هاني بن عروة واقتيد مكتوف اليدين الى سوق الغنم في الكوفة فقتل هناك واقتطع رأسه وبعث برأسيهما الى الشام ليوضعا بين يدي يزيد بن معاوية. اما الجسدان فشدهما الجلادون بالحبال وجُرّاً في ازقة الكوفة واسواقها.

وهكذا انتهت المقاومة، وخمدت الثورة في الكوفة لتبدأ ثورة جديدة، ولتتحوّل هذه الدماء الحرّة الثائرة الى بركان غضب وثورة، يصمت برهة لينفجر فيما بعد بعنف وشدّة، ولتكون عاصفة تهدأ فترة لتهبّ رياحها الكواسح على تلك الهياكل المنتصبة على جماجم الدعاة الى الله والثوار من أجل الاصلاح والهداية.

الى كربلاء

استمر مسلم بن عقيل في مهامه السياسية حين وصوله الكوفة، فراح يجمع الأنصار، ويأخذ البيعة للحسين (عليه السلام)، ويوضح أهداف الحركة الحسينية، ويشرح مبررات الثورة، وزعماء الكوفة ورجالاتها وجماهيرها تبايع وتؤيد، وتعلن عن الولاء والاخلاص للقائد العظيم، الحسين بن علي (عليه السلام)، حتى أن الكوفة وهي من أمهات حواضر الاسلام، ومن أكثرها تحركاً ونشاطاً سياسياً، أصبحت معبّأة للحسين، وراحت تبعث إليه بصيحات النجدة والاستغاثة، فأقنعت مسلم بن عقيل النتائج والأوضاع السياسية التي أخذت تعيشها الكوفة بأن يكتب الى الامام الحسين (عليه السلام) يحثه على المسير، ويطلب منه القدوم.

تسلم الحسين بن علي (عليه السلام) خطاب مسلم بن عقيل وتقريره عن الأوضاع والظروف السياسية واتجاه الرأي العام، فقرر التوجه من مكّة المكرّمة الى الكوفة، ليبدأ من هناك ادارة الأحداث وتوجيه الحركة وممارسة مهام الامامة والقيادة.

عزم الحسين على الرحيل فجمع نساءه وأطفاله وأبناءه وأخوته وأبناء أخيه وأبناء عمومته، وشدّ رحاله وهيّأ قطاره وقرر الخروج من مكة المكرمة.

انتشر خبر قرار الهجرة، وسرى بين الناس نبأ رحيل الحسين (عليه السلام)، فاتجهت القلوب نحوه والنفوس إليه، تتشبث به وتناشده العدول عن رأيه، وقد تملّكها الخوف من غياب شخص الحسين (عليه السلام) وأفول نجمه، وراح العديد من مخلصي الحسين (عليه السلام) والمشفقين عليه يتشبثون به ويستشفعون إليه، علّه يعدل عن رأيه ويتراجع عن قراره.

اعتذر الحسين (عليه السلام) عن كلّ رأي يطالبه بالهدنة، ورفض كل مسعى يحثه على القعود عن التحرّك والمواجهة، فقد كان له قرار، وكانت لديه رؤية عقائدية وسياسية واضحة، وبصيرة بمجرى الأحداث وقوانين الصراع والاختبار التاريخي، لقد أحس الحسين (عليه السلام) أنّ خطراً داهماً يهدد الاسلام، وأنّ قعوده وسكوته لا يعني السلامة.

فيزيد لا يهادن قيادة مبدئية كالحسين (عليه السلام)، والحسين (عليه السلام) لا يطلب حياة الدعة والاسترخاء على حساب المبادئ والقيم، وأنّ الأمة التي ترى في الحسين (عليه السلام) القائد

والرائد، ستفقد ثقتها بقيادتها وستركن للخنوع، وسترى قطاعات واسعة من جماهير الأمة في سكوت الحسين (عليه السلام) الاقرار والشرعية في حكومة يزيد.

فقد صار الحسين (عليه السلام) المعيار والمقياس لشرعية الحكم وعدمه، لابد للحسين من المسير واعلان الثورة؛ لذلك اعتذر من عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، ومن محمد بن الحنفية (أخيه) ومن ابن عمه عبد الله بن جعفر، وعبد الله ابن عباس، ولم يرضخ لاقتراحاتهم، بل رفض الأمان الذي حصل عليه عبد الله ابن جعفر الطيار من عمرو بن سعيد بن العاص عامل يزيد على مكة وصارحه بأنّ سرّاً كبيراً وغاية عظيمة يستبطنها الموقف، وليس بوسعه ان يبوح به.

لقد خاطب عبد الله بن جعفر بقوله:

(إني رأيت رؤيا، رأيت فيها رسول الله، وأمرت فيها بأمر أنا ماض له، عليَّ كان أولى فقال: فما تلك الرؤيا؟ قال: ما حدّثت أحداً بها، وما أنا محدّث بها حتى ألقى ربي)[١٤٧].

انّ هناك سراً عظيماً، وحقيقة كبرى تكمن في حركة الحسين (عليه السلام)، وتتركز في ثورته، فإن الذي يتابع الحوار والالحاح والنصيحة التي قدمت للحسين (عليه السلام) من أصحابه وأهل بيته (عليهم السلام) وكلهم يتوقع الخيانة، ويعرب للحسين عن مخاوفه من عدم الوفاء يدرك ان للحسين (عليه السلام) قراراً وهدفاً لا يمكن أن يتراجع عنه، فقد كان واضحاً من خلال اصراره، وحواره أنّه يتوقع النتائج التي آل إليها الموقف، ويشخّصها بدقة ووضوح إلّا أنه كان يرى واجبه الرسالي ومسؤوليته الشرعية تملي عليه الحركة والتصدي للسلطة الأموية القائمة، مهما يكن الثمن فادحاً، والعطاء من جانبه عظيماً.

ونقرأ ما يوضّح ذلك في خطبته التي ألقاها بعد محاورته مع عبد الله بن عمر ابن الخطّاب الذي أشار عليه بالطاعة والانقياد للسلطة الحاكمة، فقال له: اتّقِ الله يا أبا عبد الرحمن ولا تدعنّ نصرتي.

ثم قام (عليه السلام) فخطب:

(الحمد لله وما شاء الله ولا قوة إلّا بالله خُطّ الموت على وُلد آدم مخطّة القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني الى أسلافي اشتياق يعقوب الى يوسف، وخيرَ لي مصرعٌ أنا لاقيه،

كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا، فيملأن مني اكراشاً جُوفاً وأحويةً سغباً، لا محيص عن يوم خُط بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفّينا أجور الصابرين لن تشذّ عن رسول الله لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس، تقرّ بهم عينه وينجز بهم وعده، من كان باذلاً فينا مهجته، وموطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا، فإني راحلٌ مصبحاً ان شاء الله)[١٤٨].

انطلق الحسين من مكة المكرمة يوم التروية يوم الثامن من ذي الحجة عام (٦٠) هـ متوجّهاً الى العراق بعد أن كتب اليه مسلم بن عقيل وطلب منه القدوم.

انطلق موكب الحسين يغذ السير، ويقطع الفيافي والقفار، باحثاً عن الشهادة، مستهدفاً أرض العراق، ينتقل من ماء الى ماء عبر صحراء الجزيرة وكلما مرّ به ركبان، أو التقى به قادمون من العراق أوجسوا عليه خيفة، وفاضت قلوبهم عليه اشفاقاً وكرّروا عليه القول: «ارجع يا ابن رسول الله» والركب ماض والعزيمة مشحذة، وكثيراً ما كان يقول:

(والله لا يدَعُوني حتى يستخرج هذه العلقة من جوفي فإذا فعلوا سلّط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من فرم[١٤٩] المرأة)[١٥٠].

وكان يقول لعبد الله بن الزبير بعد حوار كان بينهما في مكة المكرمة: (إنّ أبي حدّثني أنّ لها[١٥١] كبشاً به تُستحل حرمتها، فما أحب أن أكون ذلك الكبش)[١٥٢].

ثم قال له: (والله لأن أقتل خارجاً منها (مكة) بشبر أحبّ إليّ من أن أقتل داخل منها بشبر، وأيمُ الله لو كنت في حُجر هامّة[١٥٣] من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا فيّ حاجتهم)[١٥٤].

فكلّ شيء واضح أمام الحسين، وهو مصمم على الكفاح والشهادة، فليس النصر يحسب دائماً بالنتائج الآنية، فقد يحتاج الحدث الكبير فترة زمنية يتفاعل فيها مع جملة من الحوادث والأسباب ليعطي نتائجه ويفرز ثماره.

لقد أصبح واضحاً لدى الحسين (عليه السلام) أنّ الشهادة هي الطريق لتحقيق الهدف، وأنّ الثورة ضرورة تاريخية وعقائدية لا يصحّ التخلّف عنها، كان المخلصون الذين اعترضوا على تحرّكه ينطلقون من مبدئين أساسيين:

١ ـ الخوف من أن تخسر الأمة القيادة الرسالية، فيخلو الميدان لسلطة يزيد، تعبث بالأمة ومقدراتها، واتضح هذا الهاجس في قول عبد الله بن مطيع حين نزل الحسين (عليه السلام) بحيّهم وهو ماض في طريق الهجرة: (ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحداً أبداً، والله إنها لحرمة الاسلام تنتهك)[١٥٥].

٢ ـ أنّهم كانوا يحسبون النصر بحساب استلام زمام السلطة وغلبة القوى العسكرية وكان الحسين يحسب النصر بالثبات على الحق، ووضع الأمة على المسار الصحيح، واقامة معالم المسيرة، وتثبيت الأسلوب الذي تقاوم به الأمة السلطات الجائرة، وعندها ستبقى هذه المبادئ قوة فعالة في ضمير الأمة ووعيها، سيما وأنها تستمد قيمتها الوجدانية ودفعها الحركي من الدم والشهادة والفداء المقدس، لذلك كان اصرار الحسين (عليه السلام)، وكانت عزيمته، وكان مضاؤه.

لقد رأى الناس أنّ وجود الحسين (عليه السلام) مع هذه الظروف ضرورة تاريخية لهم، ورأى الحسين (عليه السلام) أنّ الفداء والشهادة هو الضرورة التي يجب ان يقدم عليها. ورأى الناس أنّ عدم قدرة الحسين (عليه السلام) على إسقاط النظام بالقوة العسكرية المسلّحة يستوجب التراجع عن المواجهة، ورأى الحسين (عليه السلام) أنّ فقدان القوة المسلحة وفشل الحل العسكري هو قادر على تعويضهما بدمه المقدّس، فسيبقى صوته يدوي في آفاق التاريخ، وسيبقى ميدان مصرعه زلزالاً يهزّ عروش الظالمين، وحبّات الرمال التي امتزجت بدمه الطاهر جيشاً يقاتل أبد الدهر، لذلك سار أبو الأحرار شوقاً الى الشهادة وتعشّقاً للقاء الله.

انطلق ركبه يوم الثامن من ذي الحجة، فتناهى الخبر الى والي يزيد على الحجاز عمرو بن سعيد بن العاص، فأرسل مجموعة من رجاله ليعترضوا مسير الحسين (عليه السلام)، فتواجه معهم بعنف وتضارب الفريقان بالسياط فانسحب رجال عمرو بن سعيد. ومضى ركب الحسين (عليه السلام) لا يلوي على شيء فقلبه يحوم حول مصرعه في أرض الميعاد، وقطاره يستحث الخطى نحو سرادق الشهادة.

وفي طريق المسير، وفي منطقة التنعيم صادفوا إبلاً قد يممت وجهها شطر الشام، وهي تحمل الهدايا ليزيد بن معاوية، قادمة من اليمن، فاستوقفها الحسين (عليه السلام) واستولى

عليها فقد أصبح في حرب معلنة مع يزيد، ولا يعترف له بشرعية، ثم أحسن الحسين (عليه السلام) الى الرجال الذين استأجرت إبلهم، وعرض عليهم الانضمام الى مسيرته، فالتحق معه نفر منهم، واعتذر آخرون، فدفع لهم كراء الابل التي يستحقونها، وواصل المسير وفي نفسه شوق وتطلّع لمعرفة الأوضاع السياسية، وطبيعة الرأي العام في العراق، فصادفه الشاعر المعروف (الفرزدق) في موضع يقال له (الصّفاح)، فسأله الحسين (عليه السلام) وطلب منه أن يصوّر له الأوضاع التي خلفها وراءه، فوصفها الفرزدق بقوله:

(قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينزل من المساء، والله يفعل ما يشاء).

فقال الحسين (عليه السلام): (صدقت، لله الأمر والله يفعل ما يشاء، وكل يوم ربّنا في شأن، ان نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر، وان حال القضاء دون الرجاء فلم يعتد من كان الحق نيته، والتقوى سريرته)[١٥٦].

سرى نبأ مسير الحسين (عليه السلام) فاضطرب الموقف الأموي، وشعرت السلطت بالخوف من انقلاب سياسي يطيح بعرش يزيد. وماج الحجاز والعراق بأهله، وتحدّثت الركبان بأنباء الثائر العظيم، وفزعت أحياء الأعراب على طول خط المسير، فكلّما ورد الحسين (عليه السلام) ماء، أو مرّ بحي التحق به جمع من الأعراب فتناهى الخبر الى عبيد الله بن زياد وهو والي يزيد على الكوفة، وعلم بمسير الحسين (عليه السلام) وانطلاقته العملاقة، فأعدّ جنده ورجاله، ووضع خطة لقطع الطريق أمام الحسين (عليه السلام) والحيلولة دون وصوله الى الكوفة، فبعث مدير شرطته الحصين ابن نمير التميمي، وكلّفه بتنفيذ المهمّة فاختار الحصين موقعاً استراتيجياً يسيطر على طريق مرور الحسين (عليه السلام)، فنزل (بالقادسية) واتخذها مقراً لقيادته ونظّم خطّاً عسكرياً يمتد من القادسية حتى (خفّان) وآخر يمتد من القادسية حتى (قطقطانة)، ومدّ انتشار هذه القوات حتى (جبل لعلَع).

أما الامام الحسين (عليه السلام) فما زال مجداً في السير تطوي ظعائنه أبعاد الفلاة ويواصل قطاره الزحف نحو العراق، حتى بلغ موضعاً يسمى (الحاجر)، ومن هنا كتب كتاباً الى أهل الكوفة يشحذ فيه هممهم، ويحثّهم على الثبات والمواجهة، ويعلمهم بمسيره وقدومه.

طوى الحسين (عليه السلام) كتابه، وأوفد قيس بن مسهر الصيدوي لهذه المهمة، فانطلق نحو الكوفة يحمل كتاب الحسين (عليه السلام) ويبشر بقدوم القائد المغوار لتستعد للاستقبال وتتهيّأ للانضواء، إلّا أنّ قيساً لم يستطع تنفيذ مهمته فقد وقع أسيراً بيد قوات الحصين المنتشرة في القادسية، فنقل الى عبيد الله بن زياد، وأحضر في مجلسه، فلم يضعف، ولم يخضع للتهديد والوعيد، ولم يستجب لعبيد الله بن زياد الذي طلب منه أن يصعد المنبر ويسب الحسين (عليه السلام)، بل كان جريئاً وبطولته نادرة، فصعد المنبر وحثّ الناس على نصرة الحسين (عليه السلام) ولعن ابن زياد وأباه واستغفر لعليّ فاستشاط ابن زياد غضباً، وطلب من جلاوزته أن يصعدوا به الى أعلى القصر ويرموه الى الأرض، فنفّذوا قراره الظالم، وألقي برسول الحسين (عليه السلام) من فوق قصر الامارة وتقطع جسده الطاهر، واستشهد رضوان الله عليه.

واذن، ها هي الكوفة تضطرب وتموج، والعاصفة قد بانت نذرها في أفق البلاد والانتكاسة الخطرة قد لاحت معالمها، وبدأ ميزان القوى يميل لمصلحة سلطة يزيد بن معاوية، وبدأ الوهن يدب، والانحلال يسري الى تكتل أهل البيت، وبدأ الأرهاب والجاسوسية والرشوة تفعل فعلها، فذابت المعارضة، ونكص المبايعون، وسرى الخوف والارهاب، وانتشرت الشائعات والأرجيف المضادة، وقتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وسجن المختار بن عبيدة الثقفي، وانقلبت الكوفة على أعقابها. والحسين (عليه السلام) يواصل المسير، ويبعث بالرسل، وليس لديه معلومات جديدة عن تطوّر الأحداث ومجريات الأمور، فأرسل عبدالله بن بقطر[١٥٧] الى مسلم بن عقيل ليستجلي الموقف، وينقل للحسين (عليه السلام) صورة الأحداث، إلّا أنّ الحسين (عليه السلام) فوجئ في الطريق في موضع يدعى (الثعلبية) بانتكاسة[١٥٨] الثورة واستشهاد مسلم بن عقيل (عليه السلام)، أما رسوله هذا الى مسلم فقد وقع أسيراً بيد جنود الحصين الذين اتخذوا مواقعهم في أماكن تسيطر على طريق المرور حول القادسية فنقل من القادسية الى عبيد الله بن زياد في الكوفة.

وكان كرسول الحسين السابق مثالا للصلابة والجرأة والاخلاص، فقد طلب منه ابن زياد أن يصعد فوق القصر، ويسبّ الحسين (عليه السلام)، فصعد عبد الله وسب عبيد الله بن

زياد، وأخبر الناس بقدوم الحسين (عليه السلام)، فانهزم ابن زياد أمام هذا العنف والاصرار فأمر بالقائه من فوق القصر فألقي به من هناك، فتحطم جسده الطاهر، وبقي به رمق من الحياة فأجهز عليه أحد الجلاوزة فذبحه بالسيف.

ووصل خبر أسر الرسول واستشهاده للحسين (عليه السلام) في موضع يدعى (زباله) وهكذا راحت تتوارد على الحسين (عليه السلام) أنباء الانتكاسة، وتلوح له بوادر الانعطاف الخطير، وشعر بالخذلان ونقض العهود، فوقف في أصحابه وأهل بيته وأتباعه يبلغهم بما استجد من الحوادث، ويضع أمامهم الحقائق، ليكونوا على بصيرة من الأمر، فوجه خطابه اليهم، مصارحاً ايّاهم، قائلاً لهم:

(قدخذلنا شيعتنا فمن أحب أن ينصرف فلينصرف ليس عليه منّا ذمام فتفرّقوا يميناً وشمالاً حتى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من مكة)[١٥٩].

استقر الحسين (عليه السلام) تلك الليلة في (زبالة) وهو ينعى مسلماً وهانئاً، وعبد الله ابن بقطر، ويقلّب الأمور ويفكر في مستقبل الحركة ومصير الأمة.

وحين اذن الصباح بالافصاح، ولاحت خيوط الضياء، تحرّك القطار، وواصل المسير مارّاً (ببطن العقبة) عبر مسالك الصحراء الوعرة، والمستقبل البهيم يرتسم أمامه، والثقة بالله تملأ جوانحه، سار نهاره وتابع مسيره حتى توارى قرص الشمس وأرخى الليل سدوله، وضرب الظلام أطنابه فبلغ الحسين (عليه السلام) موقعاً يقال له (شراف)، فأناخ الركب المتعب رحاله وحط أثقاله، وقضى ليلته هناك، ومع الصباح تحركت الظغائن وسارت الهوادج ومضى الموكب يسير والشمس تتعالى في أفق السماء حتى انتصف النهار، وبينما هم منهمكون في مسارهم والنجائب[١٦٠] تستحث الخطى، وتسابق حرارة الشمس، وتتوقى هجير الرمضاء بظل الهوادج، نظر رجل من أصحاب الحسين (عليه السلام) فلاحت له عن بعد مساحات سوداء، وأشباح مبهمة حسبها جنائن النخيل وبساتين العراق، فكبّر بصوت مرتفع فأجابه الحسين مكبراً، ثم سأله: لم كبرت؟ قال: رأيت النخيل، فظن انّهم قد دخلوا آرض العراق ولحقوا بأحيائها. لم يكن الذي شاهده الرجل هو أشجار النخيل، ولا بساتين السواد، ولكنها القطعات العسكرية الزاحفة، الجند والخيول والرماح والرايات

وغبار الزحف المتكاثف حول العسكر.

لذا أجابه أصحابه، ليس في هذه الأرض نخلة قط، فقال الحسين (عليه السلام): ما ترون اذن؟ قالوا: نراه والله اذان الخيل[١٦١]، فردّ الحسين (عليه السلام) قائلاً: أنا والله أرى ذلك. لقد فوجئ الحسين (عليه السلام) وأصحابه مع قلة العدد وعدم التهيؤ للقتال وانكشاف الأرض بهذا الجيش الكثيف الزاحف نحوهم من القادسية، فاستشار أصحابه، وسألهم: مالنا ملجأ نلجأ اليه فنجعله في ظهورنا، ونستقبل القوم بوجه واحد؟

فأشاروا عليه بالاتجاه الى جبل (ذو حسم) والتحصن به، فاتجه الحسين (عليه السلام) نحو اليسار ليلجأ مع أصحابه الى الجبل، وعسكر العدو المتشكّل من ألف مقتل يزحف نحوهم بسرعة واصرار بقيادة الحُر بن يزيد الرياحي الذي أمر بمحاصرة الحسين (عليه السلام) والتضييق عليه والجعجعة[١٦٢] به، فراح الحر يضايق الحسين (عليه السلام)، ويسابقه لاحتلال الموقع الاستراتيجي الحصين من الجبل، فسبقه الحسين (عليه السلام) الى الموقع وأمر بخيامه فضربت.

كان الوقت ظهراً، والحر شديداً، ورمضاء[١٦٣] الصحراء متّقدة، وجيش الحُر يكتوي بحر الظهيرة، وخيوله تلهث من العطش، ورجاله تتلوى من الظمأ. ومع ذلك فقد اندفع نحو الحسين (عليه السلام)، وأمر رجاله بالوقوف أمام مضاربه والاحاطة بموقعه.

نظر الحسين (عليه السلام) اليهم بأخلاق النّبوة التي عامل بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أهل مكّة يوم الفتح والنصر، وبروح العطف التي تربى عليها في بيت الامامة، فحنى عليهم بقلبه الكبير، وشملهم بشعوره الانساني النبيل، وأمر أصحابه بسقي الخيل والرجال، بل وشارك هو بنفسه بتقديم الماء وارواء بعض العطشى المتلهفين.

فرغ الحسين (عليه السلام) وأصحابه من سقي الجيش وارواء العطشى، وكان وقت صلاة الظهر قد حان، وآن للحسين (عليه السلام) أن يعرج بصلاته الى الملكوت الأعلى، فأمر الحجاج بن مسروق بالأذان للصلاة فأذّن، وما أن انتهى المؤذن، حتى قام الحسين (عليه السلام) خطيباً بين المعسكرين موضّحاً للحر والجند الذين كانوا معه رأيه ومبادئه، ثم طالبهم بالوفاء بالعهود والمواثيق، وذكّرهم بالكتب والرسل التي أرسلوها اليه، فسكت الجميع

ولم يردّوا على الخطاب.

امَّ الحسين (عليه السلام) المعسكرين للصلاة، وأقامها فيهم، ثم بقي المعسكران بعد الفراغ من صلتهم متواجهين دونما تحرّش أو استفزاز عسكري. أما الحسين (عليه السلام) فقد تهيّأ للرحيل وقت العصر وصلّى صلاته ثم وجه خطاباً آخر للجيش الأموي، ونثر أمامهم خرجين مملوءين كتباً ورسائل من أهل العراق يدعونه فيها للقدوم والبيعة، وحاول الحسين (عليه السلام) الانصراف، فلم يتركه الحر بن يزيد الرياحي، وبعد جدال بينه وبين الحسين (عليه السلام) قال له: انّي أمرت أن أقدمك الكوفة، ثم اقتنع بأن يأخذ الحسين (عليه السلام) طريقاً، لا يوصله الى الكوفة ولا يردّه الى المدينة، فسار الحسين (عليه السلام) على ذلك، وسار الجيش الاموي يراقبه ويطوق حركته، والحر يحاوره ويهدده بالقتل، فكان الحسين (عليه السلام) يرد عليه:

(أفبالموتِ تُخوفُني، وهل يعدُوا بكم الخطبُ أن تقتلوني، وسأقول كما قال أخو الأوس لابن عمه وهو يريد نصرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فخوّفه ابن عمه، وقال: أين تذهب فانك مقتول، فقال:

(سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى ... اذا ما نَوى حقاً وجاَهد مُسلماً)

(وواسى الرجالَ الصالحين بنفسه ... وفارقَ مثبوراً وخالفَ مُجرماً)

(فان عشتُ لم أندم وان متُّ لم أُلم ... كفى بك ذُلاً أن تعيشَ وتُرغما)[١٦٤]

يئس الحر من الحسين (عليه السلام) وتنحّى عنه، فسار الحسين حتى انتهى الى (عذيب الهجانات)، ثم استمر حتى وصل الى (قصر بن مقاتل) فنزل به، وفي ساعة متأخّرة من الليل أمر فتيانه بالتزّود من الماء والبدء بالرحيل، وامتطى الحسين (عليه السلام) جواده وقد أخذ السهر والاعياء منه مأخذه، فغشيه النوم لحظة ثم انتبه وهو يقول:

(انّا لله وانّا اليه راجعون والحمد لله ربّ العالمين). ففعل ذلك مرتين أو ثلاثة فاقبل ابنه علي بن الحسين (عليه السلام) فقال: ممَّ حمدت الله واسترجعت؟ فقال: يا بني اني خفقت خفقة فعنَّ ليَ فارس على فرس وهو يقول: القوم يسيرون والمنايا تسير اليهم؛ فعلمت انهاأنفسنا نعيت الينا. فقال له: يا أبة لا أراك الله سوءاً ألسنا على الحق؟ قال: بلى والذي اليه مرجع

العباد. قال: فاننا اذن لا نبالي أن نموت محقين. فقال له الحسين (عليه السلام): جزاك الله من ولد خيرَ ما جزى ولداً عن والده)[١٦٥].

واخترقت خيوط النور اهاب الليل البهيم، وبدا وجه الصباح المليء بالاسرار والمفاجأت. نزل الحسين (عليه السلام) وصلّى صلاة الصبح، ثم انطلق ركبه وهو يتباعد عن جهة الكوفة ويتياسر في سيره حتى انتهى الى موقع يدعى (نينوى). وفي نينوى، في هذه القرية بدأ الموقف يأخذ أبعاداً جديدة، والاحداث تتحرّك متسارعة، ففيها هبت نذر العاصفة، فقد فوجئ الحر والحسين (عليه السلام) برسول عبيد الله بن زياد يحمل رسالة عاجلة شديدة اللهجة موجهة الى الحر بن يزيد الرياحي يقول فيها:

(أما بعد، فَجعجع بالحسين (عليه السلام) حين يبلغك كتابي، ويقدم عليك رسولي، فلا تنزله الا بالعَراء في غير حصن وعلى غير ماء، وقد أمرت رسولي، أن يلزمك ولا يفارقك حتى يأتيني بانفاذك أمري والسلام)[١٦٦].

انتهى الحر من قراءة الكتاب ثم توجّه الى الحسين (عليه السلام) فقرأه عليه، وأطلعه على رأي عبيد الله بن زياد فيه. فقال له الحسين (عليه السلام): إذن دعنا ننزل (نينوى) أو (الغاضريات) أو (شفية). رفض الحر طلب الحسين (عليه السلام)، وتذرّع بالخوف من عناصر الاستخبارات والرقابة في جيشه، ثم بادر زهير[١٦٧] بن القين واقترح على الحسين (عليه السلام) النزول في منطقة قريبة تدعى (العقر) فرفض الحسين (عليه السلام) ذلك، وأصر على مواصلة المسير ليرد أرض الميعاد، وليحط رحله حول سرادق الشهادة، في أرض كربلاء. وقبل أن يتحرّك الركب ويواصل السير قام الامام الحسين (عليه السلام) خطيباً فقال:

(إنه قد نزل بنا من الأمر ما قد تَرون، وان الدنيا قد تغيّرت وتنكرت وأدبر معروفها، واستمرت حذّاء[١٦٨]، ولم تبق منها إلّا صُبابة كصبابة الاناء، وخسيس كالمرعى الوبيل[١٦٩]، ألا ترون الى الحق لا يعمل به، والى الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربّه محقّاً، فاني لا أرى الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برَما)[١٧٠].

الارض الموعودة

وهكذا قاد القدر المسيرة، وأخذ القضاء بزمام الركب حيث الموعد والمثوى، فسار ولم يقطع مسافات طويلة حتى اعترضه الجيش الأموي، واضطره للنزول. توقّف الحسين (عليه السلام) وراح يسأل، وكأنه يبحث عن كربلاء:

(ما اسم هذه الارض؟ فقيل له: أرض (الطف)، فقال: هل لها اسم غير هذا؟ قيل: اسمها كربلاء، انزلوا: هاهنا مَحطّ رحالنا، ومَسفك دمائنا، وها هنا محل قبورنا، بهذا حدّثني جدّي رسول الله)[١٧١].

اليوم هو الخميس الثاني من المحرم، سنة (٦١) للهجرة[١٧٢]، وها قد نزل الحسين (عليه السلام) في أرض كربلاء، أرض الدماء والفداء والشهادة، أرض الخلود والكفاح والثورة. وضرب فسطاطه وراح يعد سلاحه ويصلح سيفه، ويردّد الشعر قائلاً:

يا دهر أف لك من خليل ... كم لك بالاشراق والأصيلِ
من طالبٍ وصاحبٍ قتيل ... والدهر لا ينفع بالبديلِ
وكل حيّ سالك سبيل ... ما أقرب الوعد من الرحيلِ
وانما الأمر الى الجليلِ[١٧٣]

الحسين (عليه السلام) يردّد أبيات الشعر وزينب شقيقته، وحاملة لواء التعريف بالثورة من بعده تنصت إليه، وتقرأ من خلال الشعر مشاعره وأحاسيسه فتندبه وتناديه بصوت يملأه الحنان، ويشوبه الذعر:

(هذا كلام من أيقن بالقتل، فقال (عليه السلام): نعم يا أختاه، فقالت زينب: واثكلاه ينعى الحسين (عليه السلام) إليّ نفسه)[١٧٤].

وراحت الجيوش تتوالى، وراح عبيد الله بن زياد يبعث بقواته المسلّحة بشتى صنوفها المتوفّرة لديه، وكان من أبرز الذين انتدبهم لتنفيذ الجريمة ومقاتلة الحسين (عليه السلام) هو عمر بن سعد، فاعتذر في بادئ الأمر إلّا أنّه خضع بعد ذلك لتهديد ابن زياد بسحب العهد المكتوب له بولاية الري بعد أن بات ليلته يصارع نفسه بين الملك ومطامع الدنيا، ومظاهر

الأبهة والسلطة، وبين الالتزام بمبادئ الحق والعدل والتنزه عن الايغال بالجريمة والدماء الطاهرة، فاختار حطام الدنيا والركض وراء السراب والأوهام الخادعة والمشاركة بقتال الدعاة الى الحق، ومحاربة حملة راية الهدى والاصلاح، وقد سمع يقول ويردد الشعر:

أأتـــرُكُ مـــلك الرّي والرّي رغـبةً أم ارجـــع مـــذموماً بـــقتل حُســـينِ
وفـــي قـــتله النـارُ التـي ليس دونـها حـــجاب ومـــلك الري قُـرّة عـين[١٧٥]

فقبل التكليف واتجه نحو مواقع الحسين (عليه السلام) وهو يقود أربعة آلاف مقاتل، فاتخذ من نينوى مقرّاً لقواته، وموقعاً لتحرّك قطعاته، على مقربة من الحسين (عليه السلام). وحين نزل عمر بن سعد بجيوشه وقواته يحاصر مخيم الحسين (عليه السلام)، فتح الحسين (عليه السلام) معه الحوار واجتمع به عدة اجتماعات فكتب عمر بن سعد الى عبيد الله بن زياد يقترح عليه فكرة توصّل إليها مع الامام الحسين (عليه السلام)، وهي أن يرفع الحصار عن الحسين (عليه السلام) ويفتح أمامه مجال العودة ويوقف نزيف الدم الذي بدأ يأخذ مجراه على أرض العراق.

وصل الكتاب الى ابن زياد فاستحسن الفكرة في بادئ الامر وحاول العمل باقتراح عمر بن سعد، إلّا أنّ الشمر بن ذي الجوشن الذي كان من ألد أعداء الحسين (عليه السلام) والحاقدين عليه حذّر عمر بن سعد من أن الحسين (عليه السلام) إن استطاع النجاة من هذا الحصار سيكون في موقع القوّة، وسينقلب الميزان العسكري لمصلحته وما عليه إلّا استغلال الموقف وارغام الامام الحسين (عليه السلام) على الاستجابة للبيعة والخضوع لارادة عبيد الله، فكان هذا الاقتراح المشؤوم هو الطرح الشيطاني الذي غير الأحداث، وبدأ الكارثة، ورسم المنعطف في مسار تاريخ الامة.

وهكذا تبدأ الأحداث التاريخية الكبرى أحياناً من مواقف أو تصريحات أو آراء عرضية ككلمة الشمر بن ذي الجوشن هذه، التي ساهمت بقتل الحسين (عليه السلام)، وجرّت على الأمة تلك المحن والويلات والصراعات حتى انتهى الأمر الى سقوط الحكم الأموي، وانتهاء دولة بني أميّة.

استجاب عبيد الله بن زياد الى اقتراح الشمر، وحمله رسالة تهديدية الى عمر ابن

سعد، وأمره بتنفيذ القرار، أو الاعتزال وتسليم الأمور الى الشمر بن ذي الجوشن، وجاء في الرسالة:

(إني لم أبعثك الى الحُسين لِتَكُفّ عنه، ولا لتطاوله ولا لِتُمنّيه السلامة والبقاء، ولا لتعتذر عنه، ولا لتكون له عندي شافعاً، أنظر فان نزل الحسين وأصحابه على حُكمي واستسلموا فابعث بهم إليّ سلماً، وان أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثّل بهم، فانهم لذلك مستحقون، وان قُتِل الحسين فأوطِئ الخيل صدره وظهره، فانه عاقّ ظلوم، ولست أرى أن هذا يضر بعد الموت شيئاً، ولكن على قول قد قلته: (أن لو قتلته لفعلت هذا به) فان أنت مضيت لأمرنا فيه جزيناك جزاء السامع المطيع، وان أبيت، فاعتزل عملنا وجندنا، وخلِّ بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر، فانا قد أمرناه بامرنا والسلام)[١٧٦].

حمل شمر بن ذي الجوشن الرسالة، وأقبل يتأبط شراً ويضرم للحرب ناراً، فاستقبله عمر بن سعد وقرأ ما في الكتاب وهو يصارع نفسه بين مواجهة الحسين (عليه السلام) التي يحلم عن طريقها بالسلطة والموقع السياسي والمكانة المرموقة عند رؤسائه وقادته، وبين تحمّل أوزار الجريمة والجناية على الأمة والمبادئ، فسوّلت له نفسه أن يرجّح السلطة والمال على الحق ورضاء الله، وقرّر أن يقود المعركة، وأن يفجّر ينبوع الدم الزاكي، وأن يمارس المذبحة البشعة بنفسه، وبمعونة شمر بن ذي‌الجوشن.

حرّك عمر بن سعد جيوشه وفرسانه في السابع من المحرّم لتطويق الحسين (عليه السلام) من جانب الفرات والحيلولة بين آل الرسول وبين الماء، ليموتوا عطشاً، أو يضطروا للتسليم كجزء من خطة الحرب والحصار. وهكذا، تجمعت نذر الشر في نفسه، وجمع خيله ورجاله ووزع قطعاته وعيّن القادة والامراء، وبدأ يزحف نحو مخيم الحسين (عليه السلام).

ابتدأ الزحف الآثم عصر يوم الخميس التاسع من شهر مُحَرَّم الحرام، وراحوا يلوحون بالسيوف والرماح، والحسين (عليه السلام) جالس أمام فسطاطه مُحتب بحمائل[١٧٧] سيفه، ينظر في صحراء الطف، ويجول في آفاق الحدث الكبير، ويرقب جولة الباطل، وحمحمة الشيطان، وترتسم أمامه لوحة المشهد، وتصوّر له فصول المعركة والشهادة، فيراها كوكباً

تألّق في سماء التاريخ، وحركة لا تهدأ في ضمير الأحرار، لم يكن الحسين (عليه السلام) ملتفتاً الى جموع عمر بن سعد، ولم يكن على علم بقرار الزحف، أقبلت أخته بطلة كربلاء زينب تنبهه وتنادي:

(أما تسمع الأصوات قد اقتربت). ولم تبرح زينب مكانها حتى قدم العباس ابن علي (عليه السلام) أخو الحسين (عليه السلام) ينادي: (يا أخي، أتاك القوم). نهض الحسين (عليه السلام) وقد رأى أن يخاطب الجموع، ويستكشف النوايا، ويستجلي الموقف، فطلب من العباس أن يتحدّث إليهم، وأن يحاورهم ويستطلع آراءهم.

كان الصلف والغرور قد استولى على تفكير القيادة، والسلطة والأماني السرابية قد ملكت وعيهم وارادتهم، فهم يتسابقون لحرب الحسين (عليه السلام)، ويتسارعون لسفك الدم الطاهر ليحظوا بالجاه والسلطة، ويغنموا المال والثراء الموعود، لذا كان جوابهم: (فلينزل الحسين (عليه السلام) على حكم الأمير أو تقاتله).

نقل العباس رأي القيادة العسكرية الأموية الى الامام الحسين (عليه السلام) وأخبره بصلفهم وعنادهم واصرارهم على أن يخضع الحسين (عليه السلام) لارادة السلطة ويبايع يزيد أو يقاتلوه. اذن لا مناص من المواجهة، والحسين (عليه السلام) لا عودة له ولا رجوع عن القرار، (ان مثلي لا يبايع يزيد)، وإذا كان ولابد فما زال يردد القول: (لا أرى الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برما).

وما زال يحمل شعاره الذي ورثه عن رسول الله، وخاطب الجيش الأموي به في منطقة (البيضة) قبل أيام:

(أيها الناس انّ رسول الله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله، ناكثاً عهده، مخالفاً لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله).

وها هو يرى سلطة يزيد وسياسته وجهازه الحاكم مصداقاً لذلك، فلم يبق أمامه إذن إلا أن يتأهّب للقاء العدو، وأن يخوض الغمرات، ويرفع لواء الجهاد والثورة، ويستبسل من

أجل اقامة الحق وتطبيق شريعة العدل الالهي المقدّس. لذا طلب من العباس أن يعود الى ابن سعد ويستمهله الليلة، ليفكر في الأمر ملياً، ويعطي قراره الحاسم غداً (العاشر من محرم ـ يوم عاشوراء ـ).

عرض العباس طلب الحسين (عليه السلام) ووقف ينتظر نتائج الحوار بين عمر بن سعد وأُمرائه ومعاونيه، فأجابوا الطلب، وعاد العباس يحمل للحسين (عليه السلام) الخبر.

ليلة عاشوراء

ما كان طلب الحسين (عليه السلام) تأجيل قراره الى يوم غد لغرض التفكير في الأمر، أو تقييم النتائج وحساب الموقف وحسب، بل لعله قد فرغ من ذلك، وكل شيء بدا واضحاً ومشخصاً أمامه، انما أراد في هذه الليلة أن تكون ليلة عبادة ودعاء، وليلة وداع ووصية، وليلة حديث للأهل والأصحاب والأحبة، فهو يدري ما كان يخبؤه الغد، ويحويه القدر، لذلك خاطب أخاه حين بعث إليهم في المرّة الثانية:

(ارجع إليهم فان استطعت أن تُؤخِّرَهم الى غَدوَة وتدفَعَهم عنا العَشيّة لعلنا نُصلي لربنا الليلة، وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أني قد كنت أُحب الصلاة له، وتلاوة كتابه وكثرةَ الدُعاء والاستغفار)[١٧٨].

اذن الموقف رهيب، وها هي الجيوش تحيط بظعن الحسين (عليه السلام)، والنساء والصبية من آل الرسول (عليهم السلام)، يرقبون المحنة بقلوب حرّى ونفوس واجفة، والحسين (عليه السلام) يتحرّك حول المخيم، ويخطط لحماية الأطفال والنساء من غارات الجيش المتحفّز بروح الحقد والكراهية للاجهاز على هذه الكوكبة النيرة واطفاء نورها من أفق الاسلام.

كان الوقت مساء والشمس قد أرهقها المشهد الكئيب، وأثقل خطاها مسير ذلك اليوم الثقيل، فراحت تتوارى خلف أفق الصحراء، وتبتعد عن رحاب الأرض لئلا تشهد الكارثة والمأساة، ولتترك الأرض للقمر في ليلته العاشرة يرافق الحسين (عليه السلام) ويشهد دعاءه، ومناجاته، وقبيل المغيب وقف الحسين (عليه السلام) في أصحابه وأهل بيته (عليهم السلام) خطيباً ليخبرهم أن القوم لا يريدون قتل غيره، وبوسع كل واحد أن ينسحب تحت جنح الظلام،

وينجو من القتل، فرفض الجميع ذلك وأصرّوا على القتال والفداء.

جنّ الليل، وأرخى الصمت سدوله، وهدأ الطير والهوام، ونامت جفون الخلائق كلها، إلا آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنصارهم باتوا ليلتهم بين داع ومصلّ وتالٍ للقرآن ومستغفر في الأسحار، وبين مودّع وموصٍ بأهله وأبنائه ونسائه، فكان لهم دوي كدوي النحل، وحركة واستعداد للقاء الله سبحانه. يصلحون سيوفهم، ويهيئون رماحهم، فباتوا تلك الليلة ضيوفاً في أحضان كربلاء، وبات التاريخ أرِقاً ينتظر الحدث الكبير، وما يتمخّض عنه ميلاد الصباح، وباتت سيوفهم ورماحهم أقلاماً تتهيأ لتخط في صفحات التاريخ بمداد الدم المقدّس أروع فصل كتب في عمر الانسان.

الحسين (عليه السلام) يودّع أهله وأحبابه، ويزور السّجاد وزينب وسكينة وليلى والرباب والباقر (عليه السلام) ويوصي آخر وصاياه، ويعهد بآخر عهد له، وقد استلسم للقدر، وباع نفسه لله، وقرر أن يسقي شجرة الهدى والايمان بغزير دمه، وفيض معاناته.

ليلة ليلاء وَغدٍ موحش على آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد أحاطت بهم الخيل والليل والغربة والجيش الذي راح يتكاثف ويتجمع الألف بعد الألف، والمئة بعد المئة، والعشرات بعد العشرات بعد العشرات، حتى أمسى جيشاً عرمرماً، وقد غاب عنهم وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ونأى بالغري[١٧٩] أبوهم أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وقد باعد بينهم وبين المدينة المنورة حيث يرقد جدّهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والحسن السبط وأمهم الزهراء مسير شهر[١٨٠] للابل والرُكبان، وها هم قد باتوا ليلتهم غرباء، يتهددهم جيش العدو بالقتل والأسر والسبي.

انقضت ليلة الهدنة، وطلع ذلك اليوم الرهيب، يوم الجمعة، يوم عاشوراء، يوم الدم والجهاد والشهادة، وطلعت معه رؤوس الأسنّة والرماح والأحقاد وهي مشرعة لتلتهم جسد الحسين (عليه السلام)، وتفتك بدعاة الحق والثوار من أجل الرسالة والمبدأ.

عبأ عمر بن سعد رجاله وفرسانه فوضع على ميمنة الجيش عمرو بن الحجاج، وعلى ميسرته شمر بن ذي الجوشن، وعلى الخيل عروة[١٨١] بن قيس، وعلى الرجّالة شبث بن ربعي، وأعطى الراية دريداً[١٨٢] مولاه.

نظر الحسين (عليه السلام) الى الجيش الزاحف، وتأمّل به طويلاً، ولم يزل الحسين (عليه السلام) كالطود الشامخ، قد اطمأنت نفسه، وهانت دنيا الباطل في عينه، وتصاغر الجيش أمامه، فكان وأصحابه كما قال الشاعر فيهم:

لبسوا القلوب على الدروع واقبلوا يتهافتون على ذهاب الانفس

فلم ترهبه كثرة الجيوش، ولم توهن عزيمته كثافة الصِّفاح والأسنّة، بل استشرق من عليائه الروحي المتعال، ورفع يدي الضراعة والابتهال الى الله سبحانه، وراح يناجي:

(اللهم أنت ثقتي في كُلِّ كربٍ، وأنتَ رجائي في كُلِّ شِدّةٍ، وأنتَ لي في كُلِّ أمرٍ نزلَ بي ثِقة وعُدّةٌ، كم من همّ يضعفُ فيه الفُؤادُ، وتقلُّ فيه الحِيلةُ، ويخذلُ فيه الصديق، ويشمت فيه العدُو، أنزلته بك وشكوتُه إليك، رغبة مني إليك عمَّن سواك، ففرَّجته عني وكشفتهُ، فأنت وليُّ كلِ نِعمةٍ، وصاحبُ كلِّ حسنةٍ، ومنتهى كلِّ رغبة)[١٨٣].

المعركة الخالدة

وهكذا استغرق الحسين (عليه السلام) في لحظة مناجاة، وموقف روحي أخّاذ، والجيوش تقترب، والجند تجول في الميدان، والحسين (عليه السلام) قد حصّن مخيّمه وأحاط ظهره بخندق أوقد فيه النار ليمنع المباغتة والإلتفاف من الخلف. وليحمي النساء والأطفال من العدوان المحقّق.

نظر الشمر الى النار وهي تلتهب في الخندق فصاح: (أتعجلت النار قبل يوم القيامة يا حسين، فرد عليه: أنت أولى بها صليّاً). حاول صاحب الحسين (عليه السلام) مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم، فاعترضه الحسين (عليه السلام) ومنعه قائلاً: (لا ترمِه فاني أكره أن أبدأهم).

تلك أخلاقية الحرب في الاسلام، وهذه قيم أبي الشهداء الحسين السبط (عليه السلام)، لا يمكنه أن يحيد عنها، حتى وهو في أشدّ الظروف قساوة وحراجة، ومع ذلك فكان هذا الشقي الشمر بن ذي الجوشن هو الذي قتل الحسين (عليه السلام) بعد ساعات في ذلك اليوم.

وإتماماً للحجة على أعدائه من جيش يزيد بن معاوية، طلب الحسين إليهم أن ينصتوا

لكي يكلّمهم بكلمةٍ، إلّا أنهم أبوا ذلك، وعلا ضجيجهم ولغطهم، إلّا أنهم سكتوا في النهاية فخطب فيهم الحسين معاتباً لهم على دعوتهم له وتخاذلهم، كما حدّثهم بما سيقع لهم بعد قتله على أيدي الظالمين من ولاة بني أمية مما عُهد إليه من جدّه (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبيه (عليه السلام)، وهو ما تحقق فعلاً، وخصّ قائد الجيش وهو عمر ابن سعد الذي كان يزيد يمنيه بجعله والياً على الريّ وجرجان بأنّ حلمه ذاك لن يتحقق وأنه سوف يُقتل ويُرفع رأسه على الرمح، قال الامام الحسين (عليه السلام):

(تباً لكم أيتها الجماعة وترحاً، أفحين استصرختمونا[١٨٤] ولهين متحيرين، فأصرخناكم مؤدين مستعدّين، سللتم علينا سيفاً لنا في ايمانكم، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدوكم وعدونا، فأصبحتم البّاً[١٨٥] على أوليائكم، ويداً عليهم لأعدائكم، بغير عدلٍ افشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، إلّا الحرام من الدنيا انالوكم، وخسيس عيش طمعتم فيه، من غير حدثٍ[١٨٦] كان منّا، ولا رأي تفيّل[١٨٧] لنا، فهلا ـ لكم الويلات ـ اذ كرهتمونا تركتمونا؟ فتجهزتموها والسيف لم يشهر، والجأش طامن، والرأي لم يستصحف، ولكن اسرعتم علينا كطيرة الدبا[١٨٨]، وتداعيتم إليها كتداعي الفراش، فقبحاً لكم، فإنما أنتم من طواغيت الأمة، وشذّاذ الاحزاب، ونبذَة الكتاب، ونفثَة الشيطان، وعصبة الآثام، ومحرفي الكتاب، ومطفئي السنن، وقتلة أولاد الأنبياء، ومبيدي عترة الأوصياء، وملحقي العُهار بالنسب[١٨٩]، ومؤذي المؤمنين، وصراخ ائمة المستهزئين، الذين جعلوا القرآن عضين، وانتم ابن حرب واشياعه تعتمدون، وايّانا تخذلون، اجل والله الخذل فيكم معروف، وشجت عليه عروقكم، وتوارثته اصولكم وفروعكم ونبتت عليه قلوبكم، وغشيت به صدوركم، فكنتم اخبث شيء سنخاً للناصب، واكلة للغاصب.

الا لعنة الله على الناكثين الذين ينقضون الايمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً: فانتم والله هم،ألا ان الدعي ابن الدعي[١٩٠] قد ركزبين اثنتين: بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبىٰ الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حميّة ونفوس أبية، من ان نؤثر طاعة اللئام، على مصارع الكرام، ألا واني زاحف بهذي

الأسرة على قلة العدد وخذلان الناصر، ثم انشد ابيات فروة بن مسيك المرادي:

(فان نهزم فهزّامون قدماً ... وان نهزَم فغير مهزَّمينا)
وما ان طبّنا جبن ولكن ... منايانا ودولة آخرينا)
(فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لَقينا)
اذا ما الموت رفع عن اناس ... بكلكله اناخ بآخرينا)[١٩١]

(وحاول بعض من أصحاب الحسين (عليه السلام) أمثال زهير بن القين وُبرير[١٩٢] بن خضير أن يستعملوا لغة العقل والمنطق، وأن يشرحوا الأحداث ومبرّرات تحرّك الحسين(عليه السلام)، فلم يستجب لهما أحد.

وعاد الحسين (عليه السلام) على ظهر فرسه ووقف أمام الجيش وخاطبهم: (أما بعد، فانسبوني فانظروا من أنا، ثم ارجعوا الى أنفسكم وعاتبوها فانظروا هل يحلّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ الستُ ابن بنت نبيكم (صلى الله عليه وآله وسلم) وابن وصيه وابن عمه، وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء به من عند ربّه؟ أوليس حمزة سيّد الشهداء عم أبي؟ و ليس جعفر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمي؟ أولم يبلغكم قولٌ مستفيض فيكم انّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لي ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنة؟ فان صدقتموني بما اقول ـ وهو الحق ـ والله ما تعمدت كذباً مذ علمتُ ان الله يمقت عليه أهله ويضرّ به من اختلقه، وان كذبتموني فان فيكم من ان سألتموه عن ذلك اخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الانصاري، أو أبا سعيد الخدري، أوسهل بن سعد الساعدي، أو زيد بن أرقم أو أنس بن مالك، يخبروكم انهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لي ولأخي، افما في هذا حاجز لكم عن سَفك دمي؟ فقال له شمر بن ذي الجوشن: هو ـ اي الشمر ـ هو يعبد الله على حرف ان كان يدري ما تقول، فقال حبيب بن مظهر للشمر: والله اني لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً، وأنا اشهد انك صادق ما تدري ما يقول قد طبع الله على قلبك.

ثم قال لهم الحسين: فان كنتم في شك من هذا القول أو تشكّون في اني ابن بنت نبيكم؟ فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري منكم ولا من غيركم، انا ابن بنت نبيكم

خاصة، اخبروني أتطلبوني بقتيل منكم قتلته؟ أو مال لكم استهلكته؟و بقصاص من جراحة؟)[١٩٣].

فلم يستجب له أحد، ثم خاطبهم: أما ترونَ سيفَ رسولِ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولامةَ حربه وعمامَته عليّ، قالوا نعم. فقال: لم تقاتلوني، فلم يجيبوا إلّا بجواب الأَمعة الذي لا يملك رأياً ولا ارادة، ولا يُميز بين التبعية العمياء والطاعة القائمة على وعي وفهم سليم، أجابوا: طاعة للأمير عبيد الله بن زياد[١٩٤]. ثم قال (عليه السلام):

(أما والله لا تلبثون إلّا كريثَما يركب الفرس، حتى تدورَ بكم دورَ الرَّحى، وتقلق بكم قلقَ المحور، عهدٌ عهده الي أبي عن جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غُمةً، ثم اقضوا اليَّ ولا تُنظرون، اني توكلت على الله ربّي وربِّكم، ما من دابةالا هو آخذ بناصيتها انَّ ربي على صراط مُستقيم)[١٩٥].

كل ذلك وعمر بن سعد مصر على قتال الحسين (عليه السلام)، والحسين (عليه السلام) يحاور وينصح ويدفع القوم بالتي هي أحسن، ولما لم يُجد نصح، ولم ينفع حوار، قال الحسين (عليه السلام) لابن سعد:

(أي عمر أتزعَم تقتُلني، ويولِّيك الدعي بلاد الري وجرجان، والله لا تهنأ بذلك، عهُده معهوُد فاصنع ما أنت صانع، فانك لا تفرح بعدي بدُنيا ولا آخرة وكأني برأسك على قصبةٍ يتراماهُ الصبيانُ بالكوفة ويتخذونهُ غرضاً بينهم، فصرفَ بوجههِ عنهُ مَغضباً)[١٩٦].

استحوذ الشيطان على ابن سعد، ونادى حامل الرّاية: (يا دُريدُ أدن رايتك، فأدناها، ثمّ وضعَ سهمهُ في كبدِ قوسهِ، ثمّ رمى، فقال: اشهدوا أني أوّل من رمى، ثمّ ارتمى الناسُ وتبارزوا)[١٩٧].

وهكذا أضرم ابن سعد نار الحرب ووجَّه سهامه نحو مخيم آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فتبعه جنده ورماته يمطرون الحسين (عليه السلام) وأصحابه بوابل من السهام حتى لم يبق أحد من أصحاب الحسين (عليه السلام) إلّا وأصابه سهم.

عظم الموقف على الحسين(عليه السلام) ثم خاطب أصحابه: (قُوموا رحمكُم الله الى الموتِ

الذي لا بُد منه،فانَّ هذه السهام رُسل القوم اليكُم)[١٩٨].

لقد أصبحت هذه الفئة الحسينية المجاهدة التي لا يتجاوز عددا العشرات أمام جيش عرمرم، عدَّته تبلغ الألوف، ومع هذا الفارق في العدد والعُدة، فان أحداً لم يتراجع من رجال الحسين (عليه السلام)، ولم ينكُص أمامهم شاب ولا غلام، فاستجابوا للنفير، ولبّوا النداء وانطلقو كالأسود الضواري يلتحمون مع العدو بكل ما أوتوا من قوة وبأس، واستمر القتال ساعة من النهار فما انجلت الغبرة ولا انجابَ الالتحام إلّا عن خمسين صريعا من أصحاب الحسين (عليه السلام)[١٩٩]. ثم نادى بعض أصحاب عمر بن سعد بالبراز فتواثب أصحاب الحسين (عليه السلام): حبيب ابن مظاهر وبُرير وعبد الله بن عُمير الكلبي يطلبون الاذن من الحسين (عليه السلام) ويتسابقون للشهادة، فانتدب الحسين (عليه السلام) عبدالله بن عمير للبراز ليصول في ميدان الشرف والجهاد، وراح عبد الله ينازل الخصوم، ويقارع الاقران، ويصول في ميدان الجهاد.

نظرت اليه أم وهب زوجته وجراحات يده اليسرى تسيل وتنزف دماً فهالها الموقف، واستنفر الغضب عزيمتها، فحملت عمود الخيمة واتجهت نحو الميدان، (واقبلت نحو زوجها تقول له: فداك أبي وأمي قاتل دون الطيبين ذريةَ محمد، فأقبل اليها يردّها نحو النساء فأخذت تجاذب ثوبه، ثم قالت: اني لم أدعك دون أن اموت معَك، فناداها الحسين فقال: جُزيتُم عن أهلِ بيتِ نبيكم خيراً ارجعي الى الخيمة، فليسَ على النساء قتالٌ)[٢٠٠].

استمرت رحى الحرب تدور في ميدان كربلاء، وشلال الدم المقدّس يجري ليتّخذ طريقه عبر نهر الخلود، وأصحاب الحسين (عليه السلام) يتساقطون الواحد تلو الآخر، وقد أرهقوا جيش العدو وأثخنوه بالجراح، فتصايح رجال عمر بن سعد: لو استمرت الحرب برازاً بيننا وبينهم لأتوا على آخرنا، لنهجم مرة واحدة، ولنرشقهم بالنبال والحجارة.

تقدمت وحدات من الجيش الأموي يقودها عمرو بن الحجاج وهاجمت ميمنة الحسين (عليه السلام) فاستعمل أصحاب الحسين (عليه السلام) اسلوباً عسكرياً رائعاً، جثوا على ركبهم واشرعوا الرماح، فخافت الخيل وتراجعت بفرسانها، استغل أصحاب

الحسين (عليه السلام) ادبار الخيل ورجوعها فأطلقوا نبالهم يصطادون بها عناصر الحملة الظالمة.

عاود الجيش الأموي الحملة، فقاد شمر بن ذي الجوشن قطعات من عسكره وهاجم ميسرة الحسين (عليه السلام)، ودارت معركة طاحنة، استطاع الرجال الذين بقوا مع الحسين (عليه السلام) صدّ الهجوم، وردَّ الشمر على أعقابه، وقد أبلى فيها عبد الله بن عمير الكلبي بلاء حسناً، وأبدى بسالة نادرة فقتل تسعة عشر فارساً واثني عشر راجلاً، فسقط جريحاً ثم أسر وقتل صبراً.

ولم تحتمل أم وهب قتل زوجها وفراق الرجل المقدام فأتجهت الى ساحة المعركة وراحت تحنوا على الجسد المسجّى بقلبها المثكول، وغربتها المفجعة، وتمسح الدم عن الرأس الحر الأبي وهي تقول له: هنيئاً لك الجنّة.

نظر الشمر الى صلابتها وتحدّيها فاستعظم موقفها وأمر غلاماً له بقتلها، نفّذ العبد أمر سيده، واتجه يحمل عموداً من حديد فضرب أم وهب على رأسها، فسقطت شهيدة تسبح بدم الشهادة وتعانق روحها روح الزوج الحبيب فاقتطع القتلة رأسها ورموا به نحو مخيم الحسين (عليه السلام).

استمر الهجوم والزحف نحو من بقي مع الحسين (عليه السلام) وأحاطوا بهم من جهات متعدّدة، فتعالت أصوات ابن سعد ونداءاته الى جيشه وقد دخل المعسكر يقتل وينهب: «احرقوا الخيام» فضجّت النساء، وتصارخ الأطفال، وعلا الضجيج، ورحت ألسنة النار تلتهم المخيم وسكّانه يفرون فزعين مرعوبين.

ها هو الجيش الأموي يهاجم مخيم آل الرسول، وقد زالت الشمس وحضر وقت الصلاة، وليس معقولاً أن يغيب الحسين (عليه السلام) عن الوقوف بين يدي الله يوحّده ويُسبحه ويُناجيه، وها هو يستعين بالصبر والصلاة، ويشدهُ الشوق والحب الالهي المقدّس، فينادي للصلاة وقد تحوّل الميدان عنده محراباً للجهاد والعبادة، وليس بوسع الأسنة والسُيوف أن تحول بينه وبين الحضور في ساحة المناجاة، والعروج الى حظائر القدس،

وعوالم الجلال[٢٠١]، والحرب لما تضع أوزاها والمعارك لم يهدأ سعيرها، فراح من بقي من أصحاب الحسين (عليه السلام) وأهل بيته (عليهم السلام) ينازلون الأعداء، ويستشهدون الواحد تلو الآخر: ولده علي الأكبر، اخوته: عبيد الله عثمان، جعفر، محمّد، أبناء أخيه الحسن: أبو بكر، القاسم، الحسن المثنى[٢٠٢]، ابن اخته زينب: عون بن عبدالله بن جعفر الطيار، آل عقيل:

عبد الله بن مسلم بن عقيل، عبد الرحمن بن عقيل، جعفر بن عقيل، محمد ابن مسلم بن عقيل، عبد الله بن عقيل. أولئك الأبطال الأشاوس من آل عقيل وآل علي بن أبي طالب، مجزّرين كالأضاحي، يتناثرون في أرض المعركة، تناثر النجوم في سماء الخريف، ويسبحون في برك الدم سبح الشقائق في حوض النهر.

وقف الحسين (عليه السلام) بينهم ينادي، وقد أيقن باللحوق بهم والاجتماع معهم تحت سرادق الرحمة مع الشهداء والصديّقين والنبيين، بعد أن حزّ في نفسه عويل النساء، وصراخ الأطفال، ولوعة اليتامى والأرامل من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن رافقهم في رحلة الشهادة والخلود، وقف ينادي:

(هل من ذابٍ عن حرم رسول الله هل من مُحدٍ يخاف الله فينا؟ هل من مُغيث يرجو الله في اغاثتنا)[٢٠٣].

فلم يجبه غير صراخ النسوة، وعويل الأطفال وضجيجهم المروّع، لم يبق امام الحسين (عليه السلام) إلّا أن ينازل القوم بنفسه،ويدخل المعركة مبارزاً بفروسيته وشجاعته، وقلبه يفيض حباً وحناناً وخوفاً على أهله وحرمه، وحرم الأنصار وأيتام الشهداء، وقد أيقن أنه لن يعود بعد هذه الحملة، فحامت عواطف الحب، ولواعج الأبوّة المفجوعة حول ولده الرضيع عبد الله فشدّه الشوق اليه وأجاءته ساعة الفراق نحوه، ووقف على باب الخيمة ينادي أخته زينب، ويطلب منها أن تحمل اليه ولده ليطبع على شفتيه القبلة الأخيرة، ويلقي عليه نظرة الوداع.

فجاءت به عمّته زينب تحمله، فرفعه الحسين (عليه السلام) ليعانقه ويقبّل شفتيه الذابلتين،

فسبقه سهم من معسكر الأعداء الى نحر الطفل الرضيع[٢٠٤] وحال بينه وبين الحياة. فراح يفحص رغام الموت بقديمه، ويسبح في مسرب الدم البريء ويكتب بذلك الدم المقدّس أروع قصيدة في ديوان المآسي، ويخاطب ضمير الانسان عبر أجيال التاريخ بتلك الظليمة والفاجعة التي رزئ بها آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في يوم عاشوراء.

ما عسى أن يفعل الحسين (عليه السلام)؟ وكيف يمكن أن يتصرف أب مفجوع وقد سالت بين يديه دماء طفل رضيع بريء، يناغي السماء، ويملأ أحضان أبيه بالبشر والابتسامة؟ ما عسى أن يصنع الحسين (عليه السلام) وهو يرى ولده الرضيع قد ذبح بين يديه؟

وقف الحسين (عليه السلام) كالطود الإشم،لم يضعف ولم يتزعزع، بل راح يجمع الدم بكفيه ويرفعه شاكياً الى الله باعثاً به نحو السماء، مناجياً: (هوَّن عليَّ ما نزل به انه بعين الله)[٢٠٥].

وهكذا بدأ شلال الدم ينحدر على أرض كربلاء وسحب المأساة تتجمع في آفاقها الكئيبة، وصيحات العطش والرعب تتعالى من حول الحسين (عليه السلام)، وتنبعث من حناجر النساء، والأطفال.

ركب الحسين (عليه السلام) جواده يتقدّمه أخوه العباس بن علي وتوجّه نحو الفرات ليحمل الماء الى القلوب الحرّى،والأكباد الملتهبة من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فحالت جموح من العسكر دونه، اقتطعوا العباس عنه، الفارس والبطل وحامل اللواء، فغدا الحسين (عليه السلام) بجانب والعباس بجانب آخر، وكانت للبطل الشجاع أبي الفضل العباس صولة ومعركة حامية طارت فيها رؤوس وتساقطت فرسان، وقد بعد العباس عن أخيه الحسين (عليه السلام) يصول في ميدان الجهاد، حتى وقع صريعاً[٢٠٦] يسبح بدم الشهادة ويثبت لواء الحسين الذي حمله يوم عاشوراء في أرض كربلاء، خفّاقاً الى الأبد، لا تبلية الأيام، ولا تطأطئ هامته دول الطغاة، وفي الجانب الآخر كان الحسين (عليه السلام) يقتحم الميدان ويحاول الوصول الى الفرات فحالت دونه وحدات عسكرية أخرى ووجه أحد رجال ابن سعد سهمه نحو الحسين (عليه السلام) فأصاب حنكه، فانتزع الحسين (عليه السلام) السهم وراح يستجمع الدم بيده ثم يلقي به ويناجي ربّه:

(اللهم انّي أشكو اليك ما يُفعل بابن بنتِ نبيّك)[٢٠٧].

وهكذا امتلأ الميدان بالصرعى والشهداء من آل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والفئة الثائرة التي كتبت بدمائها الزكية ملحمة الخلود والكفاح واختطّت للاجيال طريق الثورة والجهاد.

نظر الحسين (عليه السلام) الى ما حوله، مدّبصره الى أقصى الميدان فلم ير أحداً من أصحابه وأهل بيته إلّا وهو يسبح بدم الشهادة، مقطّع الأوصال يخط في مضجع الرمال من حوله الحرف المضيء والشعار الخالد:

(سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى ... اذا ما نَوى حقاً وجاهَد مُسلماً)

(وواسى الرجالَ الصالحين بنفسه ... وفارقَ مثبوراً وخالفَ مُجرماً)

(فان عشتُ لم أندم وان متُّ لم أُلم ... كفى بك ذُلاً أن تعيشَ وتُرغما)

واذن ها هو الحسين وحده يحمل سيف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين جنبيه قلب علي، وبيده راية الحق، وعلى لسانه كلمة التقوى. وقف أمام جموع العسكر التي أولغت في الجريمة واستحوذ عليها الشيطان، ولم تفكر إلّا بقتل الحسين والتمثيل بجسده الطاهر. اذن هذا هو اليوم الموعود الذي أخبر به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتلك هي تربته التي بُشر بها من قبل.

حمل الحسين (عليه السلام) سيفه، وراح يرفع صوته على عادة الحروب ونظامها بالبراز، وراح ينازل فرسانهم، ويواجه ضربتهم بعنف وشجاعة فذّة، ما برز اليه خصم إلّا وركع تحت سيفه ركوع الذل والهزيمة.

تعلق قلب الحسين (عليه السلام) بمخيّمه وما خلفت النار والسيوف من صبية ونساء وبقايا رحله. فراح ينادي وقد هجمت قوات عمر بن سعد على الحسين (عليه السلام) وطوقته وحالت بينه وبين أهله وحرمه، فصاح بهم: (أنا الذي أُقاتلكم والنساء ليسَ عليهن جُناح فامنعوا عُتاتكم عن التَّعرض لحُرمي مادُمت حيّاً)[٢٠٨].

صُمت اسماع وقلوب أولئك الأجلاف عن قول ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتقدّم

شمر بن ذي الجوشن وعشرة من رجاله نحو مخيم الحسين الذي فيه عياله فصرخ فيهم الحسين: (ويلكم ان لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون يوم المعاد، فكونوا أحراراً ذوي أحساب امنعوا رحلي وأهلي من طغامكم وجهالكم، قال ابن ذي الجوشن: ذلك لك يا بن فاطمة).

استمر الهجوم عنيفاً والحسين (عليه السلام) في بحر الجيش العرمرم، يجالد العسكر، حتى سدَّد أحد جنود الاعداء سهماً نحو شخصه الشريف، فاستقر السهم في نحره. وراحت ضربات الرماح والسيوف تمطر جسد الحسين (عليه السلام) حتى لم يستطع مقاومة الألم والنزف وقد استحالت صفحات جسده الطاهر كتاباً قد خطت عليه الجراح والآلام بمداد الدم أروع ملاحم التاريخ، وكتبت أقدس مواقف البطولة والشرف؛ فكان الجُرح في جسده أروع حرف يكتب في سطر الخلود.

قُرئت تلك الحروف والجُراح فكانت سبعاً وستين[٢٠٩] حرفاً، تروي بصمتها الناطقَ قصة الكفاح والجهاد، وتدوِّن بعمقها المتأصل فصول الأسى والظليمة.

عانق الحسين (عليه السلام) صعيد الطفوف، واسترسل جسده الطاهر ممتدّاً على بطاح كربلاء لينتصب من حوله مشعل الحرية والكفاح، ويجري من شريان عنقه شلال الدم المقدّس، إلّا أنّ روح الحقد والوحشية التي ملأت جوانح الجناة لم تكتف بذلك الصنيع، ولم تستفرغ أحقادها في حدود هذا الموقف، بل راح شمر ابن ذي الجوشن يحمل سيف الجريمة والوحشية ويتجه نحو الحسين (عليه السلام) ليقطع غصناً من شجرة النبوّة، وليثكل الزهراء بأعز أبنائها.

ليفصل الرأس عن جسد ويحمله هدية للطغاة، الرأس الذي طالما سجد مخلصاً لله وحمل اللسان الذي ما فتئ يردد ذكر الله وينادي:

(لا أُعطيكم بيدي اعطاء الذَّليل ولا أُقر اقرارَ العبيد).

الرأس الذي حمل العزّ والاباء ورفض أن ينحني للطغاة، أو يطأطئ جبهته للظالمين. فأكب الحسين (عليه السلام) على وجهه، وراح يحتز رأس الشرف والاباء ويحول بينه وبين

الجسد الطاهر.

وهكذا وقعت الجريمة، وولغ القتلة بدم الحسين (عليه السلام) والصفوة الابرار من أصحابه الميامين، وحمل الرأس لينتصب وساماً خالداً، وشعاراً مجيداً على رأس رمح يجوبُ أرض الكوفة والشام ليعود من جديد فيستقر في كربلاء، الى جوار الجسد الشهيد.

وتوارى نجم الحسين (عليه السلام)

انجلت الغبرة، وهدأ صهيل الخيل، وسكتت الجياد عن الحَمحمة. وخبت بوارق السيوف، ونكست الرماح رؤوسها، ووجَم الكون، وأسرعت الشمس غَضبى الى زاوية المغيب، واشرأبت بجيدها صحراء الطف وتلاعها ترقب الحادث الجلل، وطوت النخيلات المتناثرة على حرف الصحراء أطرافها، وقد تباعدت من حول الميدان، وودّت ان لم ينبت بها القدر على أطراف هذه الأرض المشؤومة لئلا تشرك بدم الحسين (عليه السلام)، وسرى حفيف الريح بخطى الثاكل الحزين ينعى الجسد المسجّى (عليه السلام) وينسج من سفساف الرمال أكفانا، ليغطي الأجساد الزاكيات الطواهر، التي مزقتها أسنّة الرماح، وعبثت بها شفرات السيوف، وركلتها حوافر الخيل.

ها هو الحسين (عليه السلام) رجل العقيدة والمبدأ، سبط النبي، وريحانة الزهراء، قد أمسى مقطّع الأوصال، ممزّق الاعضاء، وقد رحّل رأسه الطاهر، وحيل بينه وبين الجسد بحد السيوف، وها هو جسده الشريف عارٍ قد سلب من كل لباس، لا يستره شيء غير غبار المعركة، وبركة الدم الطاهر الأبي، وها هي جموع الجريمة ترقب المشهد عن كثب، وتتأمل في جسد الحسين (عليه السلام) واجساد الرجال الذين تساقطوا من حوله.

المنظر كئيب، والجريمة بشعة، وشلال الدم، ينحدر في أرض الطفوف. والاجساد، أجساد القتلى، تتناثر في رحاب الميدان تناثر النجوم في أفق السماء، أبو الشهداء، الحسين السبط (عليه السلام) وسبعة عشر من اخوته وابنائه وابناء عمومته وبني اخيه، وستّون من [٢١٠] أصحابه، يملأون أفق الميدان، وعلى مدى ساحة النزال. وعلى مقربة من أرض المعركة قد ضرب مخيم الحسين (عليه السلام) أطنابه، ليس فيه إلّا النسوة والأطفال الصغار،

وإلا علي بن الحسين السجاد (عليه السلام) الذي قعد به المرض العضال عن البروز الى ساحة القتال.

ثم أمر قائد الجيش عمر بن سعد مجموعة من الفرسان ان يطأوا بحوافر خيولهم صدر الحسين وظهره، فداسوا الحسين حتى رضّوا ظهره وصدره[٢١١].

ها هي خيول الاعداء تستأنف الحملة على أجساد القتلى، تدوسها بأحقادها، وترضّها بحوافرها، لتطأ قلب الحسين (عليه السلام) وصدره بطغيانها، وها هي أوباش العسكر الأموي تتجه بحقد ووحشية نحو مخيم النساء.

تعالى صراخ النسوة، واستولى الفزع على قلب المخيم الكئيب، وتعلّق الصغار المذعورون بأذيال الامهات البواكي. الغارة تقترب، وصوت الحسين (عليه السلام) قد خبا، وحَمحمَةُ الخيل وقَعقةُ السلاح تملأ جو المعركة بالرعب والفزع.

دارت العيون المذعورة من حول المعركة، وتعالت صيحات الاستغاثة: أين أنت يا حسين (عليه السلام)؟ أماترى أولئك الاجلاف القساة قد أغاروا على حرمك؟. أما تسمع صراخ الأطفال؟. ألا يصلك صوت النساء؟. هل حال القدر بيننا وبينك؟.

لقد اقتحمت العساكر المتوحشة مخيم الحسين (عليه السلام)، وسلبت نساءه وأطفاله، فأمسوا بين صبي قد انتزع قرطه من أذنه والدم يسيل على صدره، وهو يصرخ ألماً ويلوذ بأم لا تستطيع أن تدفع عنه عدوان القساة، وبين امرأة تستغيث من الضرب والسلب، كل هذه الملحمة ولهيب النار يلتهم مخيم الحسين (عليه السلام)، وألسنة الدخان تغطي سماء المعركة.

حدث كل ذلك، المعركة، وسلب المخيّم وأسر من فيه في نهار عاشوراء، لم يرحموا فيه طفلة مفجوعة، ولا أُماً ثكلى، ولا صبياً بريئاً، حتى روى الطبري في الجزء الرابع، صفحة ٣٤٦ من كتابه «تاريخ الامم والملوك»: ان (المرأة كانت لتنازع ثوبها عن ظهرها حتى تغلب عليه، فيُذهب به منها).

وقطعت الرؤوس[٢١٢]، رؤوس الشهداء، وغرزَ بها رؤوس الرماح، وتقاسم حملها القتلة الذين شاركوا في صنع الجريمة. وسرى موكب الرؤوس وقد خلّفت أجسادها في

ساحة الوغى، تألّقت الرؤوس أنجماً على أطراف الرماح، يتقدّمها رأس الحسين (عليه السلام) على رأس رمح طويل، يحمله خِولّى بن يزيد الأصبحي، وحميد بن مسلم الازدي، في حين وكل بباقي الرؤوس الأبيّة شمر بن ذي الجوشن، وقيس ابن الاشعث، وعمرو بن الحجاج، ساروا برؤوس آل محمد، ورؤوس الكوكبة الأبيّة من أصحاب الحسين هدايا يتقربون بها الى عبيد الله بن زياد، والنساء الثواكل، والصبية المروعة ينظرون الى رؤوس الآباء والازواج، والابناء، والاخوة، والاحبة ويودعونها وهي تقطر دماً، وتكتب أروع فصول التاريخ بحروف لم تزل تنضح بذلك الدم الطاهر الأبي، وترتل آي الشهادة من فوق منابر الرماح.

وقبل أن نودّع أرض المعركة، ونشيّع الرؤوس الراحلة عن أجسادها، فلنقف الى جوار شاعر[٢١٣] وقف بعد ثلاثة عشر قرناً يصف المعركة، ويصوغ عواطف الأسى، ومشاعر الحزن رثاء وقوافي، ويندب الحسين (عليه السلام) وكأنه الى جوار زينب والرّباب[٢١٤] يطلّ على ساحة النزال، ويشهد الجثث الطاهرات الزواكي، ولنستمع له وهو يردد:

فغَدوا حيارى لا يَرون لِوَعظه ... إلّا الأسنّة والسهام جوابا
حتّى إذا أسِفت عُلوجُ أُمية ... أن لا ترى قلب النبي مُصابا
صلّت على جسم الحسين سيوفهم ... فغدا لساجدةِ الظُّبى محرابا
ظمآنَ ذاب فؤادهُ من غُلّةٍ ... لو مسّتِ الصخر الأصمّ لذابا
لهفي لجسمك في الصعيدِ مُجردا ... عُريان تكسوهُ الدماء ثيابا
تربَ الجبين وعينُ كلّ مُوحدٍ ... ودّت لجسمك لو تكونُ تُرابا
لهفي لرأسكَ فوق مسلوبِ القنا ... يكسوهُ من أنوارهِ جلبابا
يتلو الكتابَ على السِّنان وإنما ... رفعوا به فوق السِّنانِ كتابا
لِيَنُح كتابُ الله مما نابهُ ... وليَنتني الاسلامُ يقرعُ نابا

وهكذا بدا كل شيءٍ واجماً تلفه الوحشة، ويغطيه وشاح الحزن المروع، حتى وجه القمر بدا شاحباً يرمق المشهد الكئيب بلوعة واشمئزاز، وحتى الصحراء وتلك النياق العجف أحاطها صمت رهيب.

سرى موكب الرؤوس يخترق جوف الصحراء، يقوده أولئك القتلة، يستحثون الابل، ليلحقوا بأميرهم، وليبشروه بالفجيعة، وليقدموا إليه رأس الحسين (عليه السلام) والرؤوس الطواهر هدية يلتمسون لها ثمناً.

لقد سفكوا دماً حراً، وقتلوا إماماً هادياً كي يحظوا بدارهم معدودات، ويكسبوا ثناءً تافهاً من سيّدهم الآثم عبيد الله بن زياد.

مصارع الشهداء

رحل [٢١٥] موكب السبايا من أهل بيت النبوّة، ومن رافقهم، وليس فيهم إلّا نسوة وصبية وعلي بن الحسين السجاد [٢١٦] (عليه السلام)، وبقيت جثث الشهداء تذرو عليها الرياح سوافي الرمال، وتطوقها برك الدماء، قد حيل بينها وبين الرؤوس الطواهر.

بقيت تلك الجثث الزاكيات مطرحة في ميدان القتال، فهنا يربض جسد الحسين (عليه السلام)، وهناك يمتد جثمان أخيه العباس، وهنا تتحلق نجوم من أجساد آل أبي طالب، وترقد جثمان كواكب الانصار، فهم متناثرون يملأون أرض المعركة فكانت بهم سماء، وكانوا فيها أنجماً.

لقد رحل السجاد (عليه السلام)، وهو ينوء بحمل القيود وسلاسل الأسر، ويبعث بزفرات الحزن ودموع الأسى، وقلبه يتلفت، ويحوم حول أرض المعركة، ودّع الموكب الأسير جسد الحسين (عليه السلام)، وبودّه لو لم يدلج في المسير، ولو يُترك ليقيم الى جوار الاجساد الزواكي، مضى الركب وغاب في مسارب الصحراء، وبقي خيال الشعراء، ولوعة الادباء تحوم حول الميدان وترسم بقوافيها لوحة الطف حمراء دامية تنضح بالدم، وتفيض بمشاعر الحزن واللوعة، وتذكي روح الكفاح والثورة.

لنقرأ هاتين القطعتين الشعريتين اللتين تصوران شيئاً من عمق تلك المأساة قال الشاعر عبد السلام بن رغبان المشهور باسم ديك الجن:

جاؤوا برأسك يا ابن بنت محمد ... مترملاً بدمائه ترميلا

وكأنما بك يا ابن بنت محمد ... قتلوا جهاراً عامدين رسولا

قـتلوك عـطشاناً ولمّـا يـرقبوا ... فـي قـتلك التأويـل والتـنزيلا
ويكـبّرون بأن قُـتلت وانـما ... قـتلوا بك التكـبير والتـهليلا

وقال الشاعر الفيلسوف ابو العلاء المعري:

وعلى الدهر من دماء الشهيديـ ... ـن عـلـيٍّ ونـجله شـاهدان
فهما فـي اواخـر اللـيل فـجرا ... ـن وفـي أوليـاته شـفقان[٢١٧]

لنترك الشعراء في ناديهم ولننضم الى أولئك الرجال من بني أسد، من سكان الغاضرية، الذين وقعت المعركة على مقربة من ديارهم، فقد خرجوا يتفحصون القتلى، ويتسقطون أنباء المعركة، بعد أن رحل جيش عمر بن سعد، وبقيت الجثث مطرّحة في مصارعها ثلاثة أيام، تنتابها الوحوش، وتسفى عليها الرياح، وتلفحها حرارة الشمس المحرقة[٢١٨].

توجه رجال من بني أسد:

(وكانوا نـزولاً بـالغاضريّة الى الحسـين (عليه السلام) وأصـحابه فـصلوا عـليهم ودفـنوا الحسين (عليه السلام) حيث قبره الآن، ودفنوا ابنه علي بن الحسين الأصغر (عليه السلام) عند رجله وحفروا للشهداء من أهل بيته وأصحابه الذين صرعوا حوله مما يلي رجـلي الحسـين (عليه السلام) وجمعوهم فدفنوهم جميعاً معاً، ودفنوا العباس بن علي (عليه السلام) في موضعه الذي قتل فيه على طريق الغاضرية حيث قبره الآن)[٢١٩].

وهكذا ربض جسد الحسين (عليه السلام)، عـلى مـقربة مـن شـاطئ الفـرات فـي أرض كربلاء[٢٢٠] علماً تهوي اليه الأفئدة، ومناراً ينير الدرب للثوار، والتـحق هـو بـالشهداء والصديقين والصالحين والنبيين وحسن أولئك رفيقا.

بعد أن اختط الدرب للثوار، وثبت مبدأ الثورة طريقاً للأحرار.

السبايا العائدون

سارت الابل تطأطئ رؤوسها حياء، وهي تحمل آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أسارى الى عبيد الله بن زياد. سارت نحو الكوفة بُعيد الظهر من اليوم الثاني من أيام الفاجعة (اليوم الحادي عشر).

زحف الركب الأسير، وليس حوله إلّا البيد والقفار وذكريات ذلك اليوم المؤلم الفجيع وليلة الفراق الموحشة، ليلة الحادي عشر، التي قضوها على مقربة من مصارع الشهداء.

وإلا أولئك القساة الجفاة القتلة الذين يتلذذون بألم الأسارى، وندب الصبايا المفجوعة، وعويل النساء الفاقدات وآلام علي بن الحسين وهو يحمل أثقال السلاسل، ويعاني من ذلك المرض العضال. دخل الركب الكوفة، ففزع من فيها، وخرجت الناس الى الشوارع والطرقات، بين متسائل لا يدري لمن السبايا، وبين عارف بهول الكارثة، يكفكف أدمعاً، ويضمر ندماً، ويحس بعذاب الضمير، ولوعة الخذلان.

اخترق موكب آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الفجيع جموع أهل الكوفة، متجهاً الى قصر الامارة وهم ينظرون ويبكون لما حلّ بالبيت النبوي الكريم، ولما اكتسبت أيديهم، وخدعت وعودهم سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وامام المسلمين الحسين بن علي (عليه السلام)، وها هم يرون أهله ونساءه ونساء أصحابه سبايا أسارى يسامون سوء العذاب من آل زياد، وها هو رأس السبط الشهيد يحلّق في سماء الكوفة ويطلّ من عليائه من فوق رأس رمح طويل، وقد دعي ليكون قائد هذه الأمة، وامامها الهادي الى سبيل الرشاد.

حدّقت زينب بنت علي بن أبي طالب بالجموع المحتشدة، ومرارة الفقد تملأ فمها، ودماء الحسين (عليه السلام) تجري أمام عينها، وذل الاسر يحيط بموكبها، نظرت الى أهل الكوفة نظرة غضب واحتقار، وخطبتهم مقرِّعة مؤنِّبة، بعد أن أشارت اليهم بالسكوت، فارتدت الانفاس وخمدت الاصوات ونكست الرؤوس تنتظر سماع الكلمة التي ستقولها عقيلة بني هاشم، زينب، بنت فاطمة الزهراء، أخت الحسين الشهيد، فتوجهت الى أهل الكوفة بقولها:

(الحَمدُ لله والصلاةُ على أبي محمد وآله الطيبين الأخيار. أما بعدُ، يا أهل الكوفة، يا أهل الختل[٢٢١] والغدر؛ أتبكون، فلا رقأت[٢٢٢] الدمعة، ولا هدأت الرّنة[٢٢٣]، انما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا[٢٢٤]، تتخذون أيمانكم دخلاً[٢٢٥] بينكم، ألا وهل فيكم إلّا الصلف[٢٢٦] النطف[٢٢٧] والصدر الشنف[٢٢٨]، وملق الاماء[٢٢٩]، وغمز الاعداء[٢٣٠]، أو كمرعى على دمنة[٢٣١]، أو كفضة على ملحودة[٢٣٢]، ألا ساء ما قدمت لكم

أنفسكم ان سخط الله عليكم، وفي العذاب أنتم خالدون، أتبكون وتنتحبون اي والله فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها[٢٣٣]، ولن ترحضوها[٢٣٤] بغسل بعدها أبداً، وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوّة، ومعدن الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة، وملاذ خيرتكم، ومفزع نازلتكم[٢٣٥]، ومنار حجتكم، ومدره سنتكم[٢٣٦]، ألا ساء ما تزرون وبعداً لكم وسحقاً، فلقد خاب السعي، وتبت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة، ويلكم يا أهل الكوفة: أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم[٢٣٧]، وأي كريمة له أبرزتم، وأي دم له سفكتم، وأي حرمة له انتهكتم، ولقد جئتم بها صلعاء عنقاء سوداء فقماء، ـ وفي بعضها ـ خرقاء[٢٣٨]، شوهاء كطلاع الأرض[٢٣٩]، أوملء السماء، أفعجتم أن مطرت السماء دماً، ولعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تنصرون، فلا يستخفنكم المهل[٢٤٠]، فانه لا يحفزه البدار[٢٤١]، ولا يخاف الثأر، وان ربكم لبالمرصاد)[٢٤٢].

وسار الموكب الحزين يخترق شوارع الكوفة ويتجه صوب قصر الامارة ليقف السبايا من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن شاركهم محنة الطف وشرف الشهادة أمام عبيد الله بن زياد، وهو جالس في القصر قد فتح أبوابه لاستقبال الناس وقبول التهاني بالنصر وارهاب من يحاول تحدّي السلطة الأموية هناك.

جلس وبين يديه رأس الامام الحسين (عليه السلام) يعبث به ويضربه بقضيب في يده وعليه علامات الفرح والنشوة. أثار هذا الموقف الدنيء شيخاً صحابياً مسنّاً (زيد ابن أرقم) فصاح بابن زياد وهو يضرب وجه الحسين (عليه السلام) بقضيبه:

(إرفع قضيبَكَ عن هاتين الشفتين، فوَالله الذي لا إله غيره لقد رأيتُ شَفتي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليهما ما لا أُحصيه، ثم انتحبَ باكياً، فقال ابن زياد: أبكى الله عينكَ، أتبكي لِفتحِ الله، ولولا أنك شيخ قد خرِفتَ، وذهب عقلُك لضربتُ عُنقك).

غضب زيد بن أرقم فخرج من مجلس ابن زياد يكفكف دموعه وتتجسد أمام عينيه صورة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يحتضن حسينه الحبيب أيام طفولته، ويحمله على صدره، وقد اشتهر عن زيد انه قال عند خروجه وقد سمعه الناس: (انتم يا معشر العرب

العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة، وأمرتم ابن مرجانة، فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم، فرضيتم بالذل، فبعداً لمن رضي بالذل)[٢٤٣].

وما أن غاب الشيخ الصحابي حتى قدمت السبايا[٢٤٤] تُحمل الى قصر الامارة. وأُدخلت النساء والأطفال وعلي بن الحسين السجاد، على ابن زياد، فانبرى ابن زياد مخاطباً زينب (أخت الحسين)، المرأة التي حملت راية الثورة والتعريف بأهداف الحسين (عليه السلام) (بعد استشهاده) طيلة حياتها التي لم تدم طويلاً، مخاطباً إيّاها وشامتاً بها:

(الحمدُ لله الذي فضَحكم وقتَلكم وأكذبَ أحدُوثتكم)[٢٤٥].

جاءه الرد صاعقة تمزق سكون المجلس الرهيب وتتحدر على لسان زينب، المرأة الواثقة بالله، الصابرة على قضاء الله، المؤمنة بأهدافها:

(الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وطهّرنا من الرجس تطهيرا[٢٤٦]، انما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا. فقال ابن زياد: كيف رأيت فِعل الله بأهل بيتك؟ قال: كتب الله عليهم القتل فبرزوا الى مضاجِعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجون اليه، وتختصمون عنده)[٢٤٧].

واستمر الكلام سجالاً بين زينب وابن زياد، حتى جيء بعلي بن الحسين السجاد (عليه السلام) ليقف أمام عبيد الله بن زياد. فتساءل ابن زياد: من أنت؟ أجاب الامام السجاد: أنا علي بن الحسين. سأل ابن زياد: ألم يقتل الله علي بن الحسين؟. فرد السجاد: كان لي أخ يسمّى عليا قتله الناس. فقال ابن زياد: بل قتله الله. فرد السجاد: (الله يتوفّى الانفس حين موتها).

استثار موقف السجاد الصلب ورده المُواجه ابن زياد، فراح ينادي الجلاوزة: اضربوا عنقه. فتعلقت عمته زينب به وصاحت: (يابن زياد حسبُك من دمائنا، والله لا أفارقه فان قتلته فاقتلني معه)[٢٤٨].

تراجع ابن زياد، وخرج من المجلس الى المسجد ليخطب الناس ويبلغ بقتل الحسين (عليه السلام) وانتصار يزيد. سمعه عبد الله بن عفيف الأزدي[٢٤٩]، يخطب الناس ويقول: (الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه وقتل الكذاب

ابن الكذاب الحسين بن علي وشيعته)[٢٥٠].

فاستشاط الأزدي غضباً ووقف بجرأة الرجال يتحدّى الصلف والغرور ويمزق أجواء الارهاب التي فرضها السيف والسوط فرده رداً عنيفاً قائلاً: (يا ابن مرجانة، ان الكذاب ابن الكذاب انت وابوك والذي ولاك وابوه، يا ابن مرجانة، أتقتلون ابناء النبيين وتتكلمون بكلام الصدّيقين)[٢٥١].

وقعت الكلمات الجريئة هذه على ابن زياد وقع الصاعقة وهو متسربل بكبرياء الامارة، ونشوة النصر الأثيم، فلم يجد ملاذاً للخروج من هذا الموقف الصعب إلّا الأمر بقتل الأزدي الشجاع، إلّا انه اصطدم بسبعمائة رجل من الازد يحولون بينه وبين عبدالله بن عفيف.

ولم يهدأ غضبه وحقده، بل لاذ بالغدر وانتظر سانحة الليل وهجعة العيون، فبعث بمجموعة من جلاوزته لتغير على الأزدي وتخرجه من بيته، ثم قُتل وصُلب، فراح شهيداً يردد كلمة الحق، ويجبه بها وجه الطغاة.

لم يقف حقد ابن زياد وقساوته واسلوبه الوحشي الى حد، بل راح يطوف في اليوم الثاني برأس الحسين (عليه السلام) في شوارع الكوفة، يرهب أهلها ويتحدّى روح المعارضة والمقاومة فيها. أعيد الرأس الشريف الى القصر، ليأخذ طريقه الى الشام نجماً يتألّق في هام الرماح، وشعاراً لا يهبط من علياء المجد، ووساماً يزيّن صدر التاريخ[٢٥٢].

تقدّم رأس الحسين (عليه السلام) رؤوس الكوكبة التي خلفت أجسادها في صحراء الطف، وراح الموكب الألق يخترق صحراء العراق، ورأس الحسين (عليه السلام) يشرف من عليائه سماء لا تظلها سماء، وآية تتلى في مصحف الشهادة لا تنسخها آية، وراية تقود جحافل الثوار لا تعلوها راية.

وسارت خلفه زينب (أخته) وقد تسلّمت لواء الثورة يوم أغمد الحسين (عليه السلام) سيفه لتنتضي حسام الكلمة، وتبشّر بقيم الحسين.

التحق ركب النساء والاطفال والسجاد علي بن الحسين، الذي وضعت السلاسل بيده وجمعت الى عنقه[٢٥٣] وحملوا جميعاً على (اقتاب الابل التي كانت بغير وطاء)[٢٥٤].

التحقوا بموكب الرؤوس الذي سبقهم في المسير، وراحوا يسيرون سواءً الى جنب رأس الحسين (عليه السلام) الى دمشق عاصمة الخلافة، بناء على أوامر صادرة من يزيد بن معاوية كتبها في رسالة الى ابن زياد قال فيها: (سرِّح الاسارى إليّ)[٢٥٥] فقد اراد هذه المرة ان ينفّس عن حقده برؤيته عائلة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تقف امامه وهي في القيود والسلاسل.

الرؤوس تتقدم المسيرة، والسجاد وزينب وباقي النساء والأطفال يساقون قسراً خلف رأس الحسين (عليه السلام)، والقلوب تحوم حوله، والنفوس تذوب أسى ولوعة لمنظره.

في عاصمة الخلافة

ابتهاجاً بقتل ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسبي ذريته وحمل رؤوس قتلاهم الى دمشق عاصمة الخلافة، فقد أمر الخليفة يزيد بتزيين العاصمة وتعليق الزينة وتسيير مجاميع من الراقصات في الشوارع وهن يرقصن على انغام الطبول والدفوف[٢٥٦].

واجتاز موكب السبايا والرؤوس شوارع المدينة، حتّى وصل الى بلاط يزيد، الذي كان مزهوّاً بقتله للحسين، وقد وضع على رأسه تاجاً مكللاً بالدر والياقوت[٢٥٧]. ودعا اليه (أشراف أهل الشام وأجلسهم حوله)[٢٥٨].

ثم جيء برؤوس الشهداء يتقدّمها رأس الحسين (عليه السلام) وكان بيد يزيدقضيب فجعل يضرب به فم الحسين (عليه السلام)، (فقال رجل من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقال له ابو برزة الأسلمي: أتنكتُ بقضيبك في ثغر الحسين؟ أما لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذاً لربما رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يرشفه، أما انك يا يزيد تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيعك، ويجيء هذا يوم القيامةومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) شفيعه، ثم قام فولّى)[٢٥٩].

لقد قُتل عدد من آل امية وهم يشركون في واقعة بدر كما هو معلوم، وظل الحقد يغلي في قلوب افراد هذه الاسرة حتى وصل الأمر الى يزيد الذي ما ان وضع رأس الحسين (عليه السلام) أمامه حتى تمثل بابيات شاعر من مشركي قريش هو ابن الزبعري يتحسّر فيه على قتلى المشركين ببدر وهي:

(ليست اشياخي ببدر شهدوا جزعَ الخزرج من وقع الاسل)
(لأهلّوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا لي هنيّاً لا تسل)

قال عامر الشعبي: واضاف يزيد على تلك الأبيات بيتين هما:

(لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل)
(لستُ من خندف ان لم انتقم من بني أحمد ما كان فعل)[٢٦٠]

وقد رافق وصول سبايا آل بيت رسول الله (ﷺ) الى دمشق أيضاً حملة اعلامية مضلِّلة، تقول: ان اولئك السبايا خوارج خرجوا على الخليفة الشرعي يزيد فقتلهم وجيء بنسائهم وأطفالهم واشاعوا ذلك بين الجماهير، وأمروها باظهار معالم الزينة والفرح، وقد صدّق بعض الناس ذلك حتى ان المؤرخين رووا الواقعة التالية:

(أُتي بحرم رسول الله (ﷺ) حتى أُدخلوا مدينة دمشق من باب يقال له باب توماء، ثم اتي بهم حتى وقفوا على درج باب المسجد حيث يُقام السبي، واذا بشيخ قد اقبل حتى دنا منهم وقال: الحمد لله الذي قتلكم واهلككم وأراح الرجال من سطوتكم وأمكن أمير المؤمنين منكم.

فقال له علي بن الحسين: يا شيخ، هل قرأت القرآن؟ فقال: نعم قد قرأته. قال: فعرفت هذه الآية: ﴿قُل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودَّة في القُربى﴾[٢٦١]؟. قال الشيخ: قد قرأت ذلك. قال علي‌بن الحسين رضى الله عنه: فنحن القربى يا شيخ، قال: فهل قرأت في سورة بني اسرائيل: ﴿وآتِ ذا القربى حقهُ﴾[٢٦٢]؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك. فقال علي رضى الله عنه: نحن القربى يا شيخ، ولكن هل قرأت هذه الآية: ﴿واعلمُوا انّما غنمتُم من شيء فلله خمُسه وللرَّسول ولذي القُربى﴾[٢٦٣]؟ قال الشيخ: قد قرأت تلك. قال علي: فنحن ذو القربى يا شيخ، ولكن هل قرأت هذه الآية: ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك. قال علي: فنحن أهل البيت الذين خُصصنا بآية الطهارة.

فبقي الشيخ ساعة ساكتاً نادماً على ما تكلّمه ثم رفع رأسه الى السماء وقال: اللهم اني تائب اليك مما تكلمته، ومن بُغض هؤلاء القوم، اللهم اني ابرأ اليك من عدو محمد وأل

محمد من الجن والانس)[٢٦٤].

ولنعد الى مجلس يزيد لنشاهد ما وقع فيه عندما أُوقف علي بن الحسين مع السبايا بين يدي يزيد، فقال له يزيد: (أراد ابوك وجدك ان يكونا اميرين، فالحمد لله الذي اذّلهما وسفك دماءهما، فقال علي بن الحسين: يا ابن معاوية وهند وصخر، لم يزل آبائي واجدادي فيهم الامرة من قبل أن نولد، ولقد كان جدي علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم بدر وأحد والاحزاب في يده راية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وابوك وجدك في ايديهما ريات الكفار، ثم جعل علي ابن الحسين يقول:

(ماذا تقولون اذ قال النبي لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم)

(بعترتي وبأهلي بعد منقلبي ... منهم أُسارى ومنهم ضُرجوا بدم)

(ما كان هذا جزائي اذ نصحتكم ... ان تخلفوني بسوءٍ في ذوي رحمي)

ثم قال علي بن الحسين رحمه الله ويلك يا يزيد، انك لو تدري ما صنعت وما الذي ارتكبت من ابي واهل بيتي واخي وعمومتي اذاً لهربت في الجبال وفرشت الرماد، ودعوت بالويل والثبور، أن يكون رأس الحسين بن فاطمة وعلي رضي الله عنه منصوباً على باب المدينة وهو وديعة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيكم، فأبشر بالخزي والندامة غداً اذا جمع الناس ليوم لاريب فيه.

فالتفت حبر من احبار اليهود وكان حاضراً فقال ليزيد:

من هذا الغلام يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذا صاحب الرأس هو أبوه، قال: ومن هو صاحب الرأس يا أمير المؤمنين؟ قال: الحسين بن علي بن أبي طالب، قال فمن أُمّه؟ قال: فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال الحبر: يا سبحان الله هذا ابن بنت نبيكم قتلتموه في هذه الساعة؟ بئس ما خلفتموه في ذريته، والله لو خلّف فينا موسى بن عمران سبطاً من صلبه لكنّ نعبده من دون الله وانتم انما فارقكم نبيكم بالامس فوثبتم على ابن نبيكم فقتلتموه سوءةً لكم من أُمة، فأمر يزيد به فوُجئ بحلقة ثلاثاً، فقام الحبر وهو يقول: ان شئتم فاقتلوني، وان شئتم فذروني، اني اجد في التوراة: من قتل ذرية نبي فلا يزال مغلوباً أبداً ما بي، فاذا مات يصليه الله نار جهنم)[٢٦٥].

وقد روى المؤرخون خطبة للعقيلة زينب علي (عليها السلام) خاطبت بها يزيد وهو في بلاطه ينفس عن احقاده برؤيته ابناء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مكبّلين بالقيود والاصفاد يلبسون الرث من الثياب وهي:

(الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله سبحانه حيث يقول: ﴿ثم كان عاقبة الذين اساؤوا السوأى ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون﴾ اظننت يا يزيد انك اخذت علينا اقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نُساق كما تُساق الأُسارى، انّ بنا على الله هواناً وبك عليه كرامة وان ذلك لعظم خطرك عنده؟ فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك، جذلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة والامور متسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، فمهلاً مهلاً، انسيت قول الله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خيراً لأنفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثماً ولهم عذاب مهين﴾.

أمن العدل يا ابن الطلقاء، تخديرك حرائرك واماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هُتكت ستورهن، وأُبديت وجوههن، تحدو بهنّ الاعداء من بلد الى بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمعاقل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد، والدني والشريف، ليس معهن من حماتهن حمي ولا من رجالهن ولي، وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه اكباد الأزكياء، ونبت لحمه من دماء الشهداء، وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر الينا بالشنف والشنأن، والاحن والاضغان، ثم تقول غير مأثم ولا مستعظم:

(لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل)

منحنياً على ثنايا أبي عبدالله سيّد شباب أهل الجنة تنكتها بمخصرتك وكيف لا تقول ذلك، وقدنكأت القرحة، واستأصلت الشأفة، باراقتك دماء ذرية محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ونجوم الأرض من آل عبد المطلب وتهتف بأشياخك، زعمت انك تناديهم فلتردنّ وشيكاً موردهم ولتودنّ أنّك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت.

اللهم خذ لنا بحقنا، وانتقم ممن ظلمنا، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا، وقتل حماتنا.

فوالله ما فريت إلّا جلدك، ولا حززت إلّا لحمك، ولتردنّ على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بما

تحمّلت من سفك دماء ذريته وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته، حيث يجمع الله شملهم، ويلم شعثهم، ويأخذ بحقهم ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربّهم يرزقون﴾.

وحسبك بالله حاكماً، وبمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) خصيماً، وبجبرئيل ظهيراً، وسيعلم من سوّل لك ومكّنك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلا وايكم شر مكاناً، واضعف جنداً.

ولئن جرَّت علي الدواهي مخاطبتك، اني لأستصغر قدرك واستعظم تقريعك، واستكثر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرى.

أل فالعجب كل العجب، لقتل حزب الله النجباء، بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدي تنطف من دمائنا، والافواه تتحلب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل، وتعفرها امهات الفراعل، ولئن اتخذتنا مغنما، لتجدنا وشيكاً مغرماً، لا تجد إلّا ما قدمت يداك وما ربّك بظلام للعبيد، والى الله المشتكى وعليه المعوّل.

فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا يرخص عنك عارها، وهل رأيك إلّا فند وأيامك إلّا عدد، وجمعك إلّا بدد، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين.

والحمد لله ربّ العالمين، الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة، انه رحيم ودود وحسبنا الله ونعم الوكيل)[٢٦٦].

لقد روى بعض المؤرخين بدوافع مختلفة منها الطمع بما في أيدي حكّام الجور، أو الخوف من ذكر الحقائق، رووا روايات حاولوا بها تسويغ ما فعله يزيد من قتله ريحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الحسين بن علي وأهل بيته وأصحابه النجباء وزعموا ان يزيداً قد لعن عبيد الله بن زياد وانه كان يرضى منه بأقل من قتل الحسين وما الى ذلك من كلام سخيف يكذّبه ما صدر من يزيد بعد قتل الحسين (صلى الله عليه وآله وسلم) فاذا كان يزيد متألماً لقتل الحسين لماذا اذن أرسل رسالة الى عبيد الله يأمره بحمل نساء وصبية الحسين الى بلاد الشام مكبلين بالقيود؟ ولماذا اقام الاحتفالات وملأ شوارع دمشق بالراقصات العازفات

على الدفوف والصنوج؟ ولماذا وضع رأس الحسين أمامه في طست وجعل يضرب فمه الشريف بقضيب كان في يده، ولماذا تمثّل بابيات عبد الله بن الزبعري وأظهر تشفّيه من رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في قتله لذريته الطاهرة؟ كما ذكرنا ذلك نقلاً عن اوثق المصادر في هذا الكتاب[٢٦٧]؟.

وعلى أية حال فقد استقر السجّاد ومن صاحبه من بقايا الفاجعة فترة في الشام، ثم سلكوا طريق العودة الى المدينة واتخذت رؤوس الشهداء طريقها الى كربلاء لترقد الى جوار الاجساد.

دخل السجّاد (عليه السلام) المدينة وقد سبقه نبأ الفاجعة، فضجت المدينة باهلها، واتشحت بوشاح الحزن والغضب وهي تسمع صوت الناعي (بشر بن حذلم) يردد:

(يا أهل يثربَ لا مُقام لكم بها ... قُتل الحُسينُ فادمعي مداراً)

(الجسم منه بكربلاءَ مُضرَّجٌ ... والرأسُ منه على القناةِ يُدارُ)

وهكذا عاشت المدينة الحزن والغضب حتى اعلنت ثورتها ورفضها للحكم الأموي بقيادة عبد الله بن حنظلة ودفعت الثمن باهضاً بحب الحسين والولاء لأهل البيت (عليهم السلام)[٢٦٨].

الهوامش :

١. الطبرسي / إعلام الورى بأعلام الهدى / ط دار المعرفة (بيروت) ١٣٧٩ هـ / ص ٢١٧. الطبري / ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى / ط. مكتبة القدسي ١٣٥٦ هـ / ص ١١٩. الخوارزمي / مقتل الحسين / ج ١ / ص ٨٧ و٨٨.

٢. الفيروزآبادي / فضائل الخمسة من الصحاح الستة / ط. منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات (بيروت) الطبعة الرابعة ١٤٠٢ هـ / ج ١ / ص ٢٩٠. الحاكم /المستدرك على الصحيحين / ط دار المعرفة (بيروت) / ج ٣ / ص ١٥٠. الترمذي / الجامع الصحيح / ط دار احياء التراث العربي (بيروت) / ج ٢ / ص ١٦٦.

٣. الفيروزآبادي / فضائل الخمسة / ج ١ / ص ٣١١. الاصبهاني / حلية الاولياء وطبقت الاصفياء / ط. دار الكتاب العربي (بيروت) / الطبعة الخامسة ١٤٠٧ هـ / ج ٣ / ص ٢٠١.

٤. الفيروزآبادي /فضائل الخمسة / ج ٣ / ص ٣٢١.الترمذي / صحيح الترمذي / ج ٢ / ص ٣٠٧.

٥. الطبرسي /اعلام الورى / ص ٢١٩.

٦. ابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة في معرفة احوال الأئمة (عليهم السلام) / ط. منشورات الاعلمي (طهران) / ص ١٧١.

٧. سبط بن الجوزي / تذكرة الخواص / ط. مكتبة نينوى الحديثة (طهران) / ص ٢٣٣.

٨. محسن الأمين /المجالس السنية.

٩. ابوالفتح الاربلي /كشف الغمة في معرفة الأئمة / ط. دار الكتاب الاسلامي (بيروت) ١٤٠١ هـ /ج ٢ / ص ٢٧٥.

١٠. ابن شهرآشوب /مناقب آل ابي طالب / ط. المطبعة العلمية (قم) / ج /٤ ص ٦٦.

١١. ابن الجوزي / تذكرة الخواص /ص ٢٣٤. محسن الامين /المجالس السنية.

١٢. ابوعلم / أهل البيت / باب تواضعه وزهده.

١٣. ابن شهرآشوب / المناقب / ج ٤ / ص ٦٦.

١٤. الأربلي /كشف الغمة / ج ٢ / ص ٢٤٣.

١٥. ابو علم / أهل البيت / باب علمه وفصاحته وبلاغته.

١٦. ابو جعفر محمد بن جرير الطبري / تاريخ الامم والملوك /ط. مطبعة الاستقامة (القاهرة) ١٣٥٨ هـ / ج ٤ / ص ٣٠٥. ابن شعبة الحرّاني /تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليه وآله) / ط. مؤسسةالنشر الاسلامي (قم) الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ / ص ٢٤٥.

١٧. الحراني /تحف العقول / ص ٢٤٦.

١٨. الطبري / تاريخ الامم والملوك / ج ٤ / ص ٣٠٤.

١٩. تراجع الوثائق الرسمية لثورةالحسين (عليه السلام)، عبدالكريم القزويني، وحديث كربلاء لعبدالرزاق الموسوي

المقرّم.

٢٠. عائشة هي زوج رسول الله (ﷺ) وبنت الخليفة أبي بكر.

٢١. الرعاع: الاراذل.

٢٢. غميزة: ضعف في العقل او العمل.

٢٣. ابو الفرج الاصفهاني / مقاتل الطالبين /ط. دار المعرفة (بيروت) / ص ٥٩.

٢٤. ابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة /ص ١٦٣.

٢٥. جلال الدين السيوطي / تاريخ الخلفاء / مطبعة السعادة (مصر) الطبعة الاولى ١٣٧١ هـ / ص ١٩١.

٢٦. الشيخ راضي آل ياسين / صلح الحسن / مطبعة علاءالدين للطباعة (بيروت) الطبعة الثالثة ١٣٩٨ هـ / ص ٢٦٠، نقلاً عن عمدة الطالب.

٢٧. جلال الدين السيوطي / تاريخ الخلفاء / ص ١٩١.

٢٨. القنوت عليه: الدعاء عليه بمكروه، وقد اشتهر معاوية وعماله بسبّ الامام علي على المنابر وبعد الصلوات امام المسلمين، وكانوا يعطون الجوائز والصلات لمن يشتمه. انظر ابن الاثير / الكامل في التاريخ ج ٣ / ص ٤١٤ و ٤٧٢ وابن ابي الحديد /شرح نهج البلاغة / ج ٣ / ص ٥٦ ـ ٦٣.

٢٩. ابن الاثير /الكامل في التاريخ / ط دار صادر (بيروت) ١٣٨٥ هـ / ج ٣ / ص ٤٠٥. ابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة / ص ١٦٣.

٣٠. ابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة /ص ١٦٣.

٣١. الشيخ المفيد /الارشاد / منشورات مكتبة بصيرتي / ص ١٩١. اعثم الكوفي /الفتوح / ج ٢ / ص٢٩٦.

٣٢. ابن ابي الحديد/ شرح نهج البلاغة / ط دار احياء الكتب العربية (بيروت) الطبعة الثانية / ١٣٨٧ هـ / ج١٦ / ص ١٥.

٣٣. ابن أبي الحديد /شرح نهج البلاغة / ج ٢ / ص ٨٦.

٣٤. ابن أبي الحديد / شرح نهج البلاغة / ج ١١ / ص ٤٥.

٣٥. ابن ابي الحديد / شرح نهج البلاغة / ج ١١ / ص ٤٥.

٣٦. ابن أبي الحديد / شرح نهج البلاغة / ج ١١ / ص ٤٣.

٣٧. أشرنا الى ذلك فيما مضى.

٣٨. محمد مهدي شمس الدين /ثورة الحسين / ط دار الاندلس (بيروت) / احياء النزعة القبلية واستغلالها / ص ٦١ وما بعدها.

٣٩. عبد الله العلايلي / الامام الحسين / ط دار مكتبة التربية (بيروت) ١٩٧٢ م / ص ٣٤٥.

٤٠. البلاذري / انساب الاشراف / ج ٤ / ص ١ و٢.

٤١. ابن كثير / البداية والنهاية / ج /٨ ص ٢٣٦.

٤٢. الجوارح: السباع والطير ذات الصيد.

٤٣. مشاشي: عظامي.

٤٤. المسعودي / مروج الذهب ومعادن الجوهر / ط دار الاندلس (بيروت) / ج ٣ / ص ٦٧ و٦٨.

٤٥ . تشق عصا المسلمين: تفرقهم.
٤٦ . جذعة: اعادتها كما بدأت.
٤٧ . فنفخت في مناخرهما: اغريتهما.
٤٨ . العوار: العيب.
٤٩ . جلال الدين السيوطي / تاريخ الخلفاء / ص ١٩٦ و١٩٧.
٥٠ . الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٢٠٠.
٥١ . الطبري /تاريخ الامم والملوك / ج ٤ /ص ٢٥٠. ابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ١٤.
٥٢ . مات معاوية في رجب سنة ٦٠ هـ.
٥٣ . الطبري / تاريخ الامم والملوك / ج ٤ / ص ٢٥١. ابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ /ص ١٤.
٥٤ . الطبري / تاريخ الامم والملوك /ج ٤ / ص ٢٥١. ابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ١٥.
٥٥ . الطبري / تاريخ الامم والملوك /ج ٤ / ص ٢٥١.ابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ١٥.
٥٦ . الطبري / تاريخ الامم والملوك / ج ٤ / ص ٢٥١. ابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ١٥.ابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة / ص ١٨٢.
٥٧ . ابن طاووس / مقتل الحسين /ص ١٠ و ١١. وذكر هذه الأحداث الطبري / تاريخ الامم والملوك /ج ٤ / ص ٢٥١. ودابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ١٥.
٥٨ . الاشر: شديد المرح.
٥٩ . البطر: شديد السرور بما عنده من نعمة.
٦٠ . الخوارزمي /مقتل الحسين /ج ١ /ص ٨٨.
٦١ . ابن طاووس / مقتل الحسين / ص ١١.
٦٢ . الشيخ المفيد / الارشاد /ص ٢٠٤.
٦٣ . عبد الرزاق المقرّم / مقتل الحسين / ص ١٤١ و١٤٢.
٦٤ . تسمل: سمل العين: فقؤها بحديدة محماة.
٦٥ . الشيخ راضي آل ياسين / صلح الحسن / ص ٣٢٠. الطبري / تاريخ الامم والملوك / ج ٧ / ص ١٠٤.
٦٦ . الشيخ راضي آل ياسى / صلح الحسن / ص ٣٢٨.
٦٧ . الإحن: الاحقاد والكراهية.
٦٨ . الشيخ راضي آل ياسين / صلح الحسن / ص ٣٣٨ نقلاً عن بحار الانوار / المجلسي / ج ١٠ / ص ١٤٩.
٦٩ . القلي: الهجر والكراهية.

استفيدت هذه الروايات الخاصة، بأسماء القتلى الذين قتلهم معاوية، من كتاب صلح الامام الحسن للشيخ راضي آل ياسين / ص ٣٢٨.

٧٠ . خبطتها عشواء: خلطت الاشياء ولم تميز بينها.
٧١ . ابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج /٣ ص ٤٦٢.

٧٢ . لعله يقصد بالجمع: الحفظ.
٧٣ . ابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٣ / ص ٤٦٢.
٧٤ . المسعودي / مروج الذهب / ج ٣ / ص ١٤.
٧٥ . ابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ١٢.
٧٦ . ابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٣ / ص ٤١٣.
٧٧ . المسعودي / مروج الذهب / ج ٣ / ص ١٨٣ و١٨٤.
٧٨ . المسعودي / مروج الذهب / ج ٣ / ص ٢٣.
٧٩ . ابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٣ / ص ٩١.
٨٠ . ابن قتيبة الدينوري / المعارف / دار احياء التراث العربي (بيروت) الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ / ص ٨٤.
٨١ . ابن قتيبة الدينوري / المعارف / ص ٨٤.
٨٢ . المسعودي / مروج الذهب / ج ٢ / ص ٣٣٣.
٨٣ . طبقات ابن سعد / ج ٣ / ق ١ / ص ١٠٥.
٨٤ . ابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٢ / ص ٣٣٣.
٨٥ . عبد الله العلايلي / الامام الحسين / ص ٣٤٢ وما بعدها.
٨٦ . تغير موقف الحر فيما بعد فانضم الى معسكر الحسين واستشهد معه، والخطبة هذه في الطبري / ج ٤ / ص ٣٠٤.
٨٧ . يراجع مروج الذهب للمسعودي بهذا الصدد.
٨٨ . عبد الرزاق المقرم / مقتل الحسين / ص ١٣٨ وما بعدها.
٨٩ . من خطبته في اصحاب الحر بكربلاء.
٩٠ . من كتابه الى اهل البصرة.
٩١ . ابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ١٦.
٩٢. انطلق الحسين (٧) الى مكة في الثالث من شعبان سنة ٦٠ هـ وذكر الشيخ المفيد في الارشاد أن الحسين (٧) خرج من المدينة ليلة الاحد ليومين بقياً من رجب سنة ٦٠ هـ
٩٣ . ابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ١٧.
٩٤ . الطبري / تاريخ الامم والملوك / ج ٤ / ص ٢٥٣. ابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ١٧.
٩٥ . ناوأت: قابلت مقابلة الخصم.
٩٦. ابن طاووس / مقتل الحسين / ص ١٢.
٩٧ . ابن طاووس / مقتل الحسين / ص ١٤.
٩٨ . عبد الكريم القزويني / الوثائق الرسمية لثورة الامام الحسين (عليه السلام) / ص ٤٥.
٩٩ . ذكر الشيخ المفيد في الارشاد / ص ٢٠١ أن الامام الحسين (عليه السلام) خرج ليومين بقيا من رجب سنة ٦٠هـ .
١٠٠ . الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٢٠٢.

١٠١. لنسترقّن: لنستعبدن.
١٠٢. ابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ١٩.
١٠٣. تبلغ المسافة بين المدينة المنورة ومكة حوالي ٤٥٠ كم.
١٠٤. تنكبت الطريق: تجنبه وابتعد عنه.
١٠٥. الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٢٠٢.
١٠٦. ابوالفرج الاصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ٩٠.
١٠٧. الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٢٠٢.
١٠٨. تقبض: اشمأز وامتنع.
١٠٩. انتزى: اعتدى.
١١٠. الفيء: أموال المسلمين العامة التي يحصلون عليها من الخراج والغنيمة.
١١١. الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٢٠٣ وفي الطبري / تاريخ الامم والملوك / ج ٤ / ص ٢٦١، وابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ٢٠.
١١٢. الحجى: العقل.
١١٣. الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٢٠٤ ومثله في الطبري / تاريخ الامم والملوك / ج ٤ / ص ٢٦٢، وابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ٢١.
١١٤. عبدالرزاق المقرّم / مقتل الحسين / ص ١٤١ و ١٤٢.
١١٥. مألفاً: مقراً للاجتماع.
١١٦. الطبري / تاريخ الامم والملوك / ج ٤ / ص ٢٦٣، وابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ٢١.
١١٧. الكنانة: الجعبة التي توضع فيها السهام.
١١٨. الكظ: الجهد والتعب والارهاق.
١١٩. ابن طاووس / مقتل الحسين / ص ١٧ وما بعدها.
١٢٠. ذكر السيد ابن طاووس أن هذا الكتاب هو آخر ما ورد على الامام الحسين (عليه السلام)، من كتب أهل الكوفة، وكان يحمله هانئ بن هانئ السبيعي، وسعيد بن عبد الله الحنفي، فقال لهما الحسين (عليه السلام): خبراني من اجتمع على هذا الكتاب الذي كتب به الي معكما؟ فقالا: يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، شبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، ويزيد بن الحارث بن رويم، وعروة بن قيس، وعمرو ابن الحجاج، ومحمد بن عمير بن عطارد، او (محمد بن عمرو التميمي)، كما ذكر الشيخ المفيد في الارشاد / ص ٢٠٣.
١٢١. ابن طاووس / مقتل الحسين (عليه السلام) / ص ١٥ و١٦.
١٢٢. ابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ٢١.
١٢٣. الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٢٠٤.
١٢٤. الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٢٠٤.
١٢٥. الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٢٠٤.
١٢٦. المسعودي / مروج الذهب / ج ٣ / ص ٥٤.

١٢٧ . الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٢٠٥.
١٢٨ . كان عبيد الله بن زياد في ذلك الوقت والياً على البصرة فاستخلف عليها أخاه عثمان وتوجّه الى الكوفة.
١٢٩ . تثقفه: تصادفه وتلقاه.
١٣٠ . الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٢٠٦.
١٣١ . الطبري / تاريخ الامم والملوك / ج ٤ / ص ٢٥٨.
١٣٢ . الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٢٠٦.
١٣٣ . الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٢٠٦.
١٣٤ . الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٢٠٦.
١٣٥ . الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٢٠٧.
١٣٦ . ذكر السيد ابن طاووس أنّ معركة دارت بين أنصار مسلم وأنصار عبيد الله بن زياد / السيد ابن طاووس / مقتل الحسين (عليه السلام) / ص ٢٢.
١٣٧ . ذكر السيد ابن طاووس: (حتى جاء الليل فجعل اصحاب مسلم يتفرّقون عنه ويقول بعضهم لبعض: ما نصنع بتعجيل الفتنة، وينبغي أن نقعد في بيوتنا، وندع هؤلاء القوم حتى يصلح الله ذات بينهم. فلم يبق معه سوى عشرة أنفس، فدخل مسلم المسجد ليصلّي المغرب فتفرق العشرة عنه). السيد ابن طاووس / مقتل الحسين (عليه السلام) / ص ٢٢.
١٣٨ . ذكر هذه الاحداث الطبري / تاريخ الامم والملوك / ج ٤ / ص ٢٧٧ و٢٧٨.
١٣٩ . المناكب: جمع منكب وهو رئيس القوم وعونهم.
١٤٠ . الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٢١٣ والطبري / تاريخ الامم والملوك / ج ٤ / ص ٢٧٨.
١٤١ . كان الحصين بن نمير مديراً للشرطة في الكوفة.
١٤٢ . الرصد: المراقبة.
١٤٣ . استبرأ الدور: فتشها تفتيشاً دقيقاً حتى يتأكد مما فيها.
١٤٤ . الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٢١٣ والطبري / تاريخ الامم والملوك / ج ٤ / ص ٢٧٩.
١٤٥ . من جملة ما أوصى أن يباع سيفه ودرعه لقضاء دينه.
١٤٦ . استشهد مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة في الكوفة في يوم الاربعاء التاسع من ذي الحجة سنة ٦٠ هـ ولكل منهما الآن في الكوفة مقام وضريح خالد يقصده الزوّار وتهفو إليه نفوس الاحرار.
١٤٧ . الطبري / تاريخ الامم والملوك / ج ٤ / ص ٢٩٢. ابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ٤١.
١٤٨ . ابن طاووس / مقتل الحسين / ص ٢٣، مثير الاحزان / ص ٢٩.
١٤٩ . الفرم: قطعة القماش التي تستعملها المرأة في حالة الحيض.
١٥٠ . ابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ٣٩.
١٥١ . لها: يعني لمكة، وقد صدق ما أخبر به الحسين (عليه السلام) فقد اعتصم فيها عبد الله بن الزبير فيما بعد، وحوصر في البيت الحرام، وضربت الكعبة بالمجانيق واحرقت من قبل جيش يزيد عام ٦٣ هـ كما هوجم ابن الزبير وضربت الكعبة بالمجانيق أيام عبد الملك بن مروان بقيادة الحجاج ابن يوسف الثقفي وجيش أهل الشام،

وقتل عبد الله بن الزبير في مكة المكرمة، وقطع الحجاج رأسه ورؤوس أصحابه ونقلها الى عبد الملك بن مروان وصلب جثته، فكان الحسين (عليه السلام) يخبره بمصيره الذي يصير إليه.

١٥٢. ابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ٣٨.

١٥٣. حُجر هامّة: الشق الذي تختفي فيه العقارب والحيّات... الخ.

١٥٤. الطبري / تاريخ الامم والملوك / ج ٤ / ص ٢٨٩، وطبقات ابن سعد / الحديث رقم ٢٧٨ وتاريخ ابن كثير / ج ٨ / ص ١٦٦، وابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ٣٨.

١٥٥. ابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ٤١.

١٥٦. الطبري / تاريخ الامم والملوك / ج ٤ / ص ٢٩٠، وابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ٤٠.

١٥٧. كانت ام عبد الله بن بقطر مرضعة للحسين (عليه السلام).

١٥٨. ذكر اليعقوبي أن خبر قتل مسلم ورد على الحسين (عليه السلام) في (القطقطانة) / ج ٢ / ص ٢٤٣.

١٥٩. الطبري / تاريخ الامم والملوك /ج ٤ / ص ٢٩٧، وابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ٤١ ـ ٤٣. وقد تفرّق الاعراب الذين التحقوا بالحسين (عليه السلام) أملاً في المغانم، ورغبة في عرض الحياة الدنيا، لذلك كان الموقف اختباراً صعباً وأداة للغربلة والتمييز.

١٦٠. النجائب: الابل الجيدة التي يسابق عليها.

١٦١. كناية عن كثافتها.

١٦٢. الجعجعة: النزول في مكان من غير طمأنينة.

١٦٣. الرمضاء: الأرض الحامية من شدة حر الشمس.

١٦٤. الشيخ المفيد / الارشاد /ص ٢٢٥.

١٦٥. الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٢٢٦، والطبري /تاريخ الامم والملوك / ج ٤ / ص ٣٠٨. وابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ٥١.

١٦٦. الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٢٢٦، والطبري / تاريخ الامم والملوك / ج ٤ / ص ٣٠٨.

١٦٧. زهير بن القين أحد أصحاب الحسين (عليه السلام) الذين انضموا إليه في الطريق في منطقة (زرود) الذي قال لأصحابه يعرفهم بعظمة الحسين (عليه السلام): غزونا بلنجر ففتحنا واصبنا الغنائم وفرحنا بذلك ولما رأى سلمان الفارسي ما نحن فيه من السرور، قال: (إذا ادركتم سيد شباب آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معه بما اصبتم من الغنائم). المقرّم / مقتل الحسين / ص ١٧٧.

١٦٨. حذّاء: مقطوعة.

١٦٩. الوبيل: السيئ الموبوء.

١٧٠. السيد ابن طاووس / مقتل الحسين (عليه السلام) / ص ٣٢ و٣٣، والبرم: الملل والكراهية.

١٧١. السيد ابن طاووس / مقتل الحسين (عليه السلام) / ص ٣٣.

١٧٢. الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٢٢٧، ابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ٥٢ وعلى ذلك تكون شهادة الامام الحسين (عليه السلام). يوم الجمعة، وليس كما هو مشهور يوم الاثنين.

١٧٣. الطبري / تاريخ الامم والملوك / ج ٤ / ص ٣١٩. السيد ابن طاووس /مقتل الحسين (عليه السلام) / ص ٣٣،

وذكر الشيخ المفيد في الارشاد / ص ٢٣٢، عن علي بن الحسين السجاد (عليه السلام)، أنّ الامام الحسين (عليه السلام) كان يردّد ذلك الشعر ليلة العاشر من المحرم.

١٧٤. الطبري / تاريخ الامم والملوك / ج ٤ / ص ٣١٩، وابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ٥٨، والسيد ابن طاووس / مقتل الحسين / ص ٣٤.

١٧٥. ابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ٥٢ و٥٣.

١٧٦. الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٢٢٩، والطبري / تاريخ الامم والملوك / ج ٤ / ص ٣١٤.

١٧٧. الاحتباء: الجمع بين الظهر والساقين بحمائل السيف ونحوه.

١٧٨. الطبري / تاريخ الامم والملوك / ج ٤ / ص ٣١٦. الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٢٣٠.

١٧٩. وقعت معركة عاشوراء في أرض كربلاء حيث استشهد الحسين (عليه السلام) ودفن، وهي تبعد اكثر من (٧٥) كيلومتراً عن قبر الامام علي (عليه السلام) في النجف الأشرف.

١٨٠. استغرق طريق رحلة الحسين (عليه السلام) من المدينة الى مكة ومن مكة الى كربلاء نحو ثلاثين يوماً، وقطع فيها حوالي ألف كيلومتر.

١٨١. في بعض كتب التاريخ (عزرة).

١٨٢. في بعض كتب التاريخ (ذويد).

١٨٣. الطبري / تاريخ الامم والملوك / ج ٤ / ص ٣٢١، كما رواه الشيخ المفيد / الارشاد / ٢٣٣، عن الامام علي بن الحسين السجاد (عليه السلام)، الذي كان قد شهد المعركة ولم يشترك فيها لمرضه، كما شهدها ولده محمد الباقر (عليه السلام) وهو طفل صغير، وعمره نحو أربع سنوات. فقد روي عن السجاد (عليه السلام): (لما أصبحت الخيل تقبل على الحسين (عليه السلام) رفع يديه وقال... الدعاء).

١٨٤. استصرختمونا: طلبتم نجدتنا.

١٨٥. الباً: اصبحتم مجتمعين متضامنين ضدنا.

١٨٦. الحدث: البدعة.

١٨٧. تفيل: أخطأ.

١٨٨. الدبا: الجراد الصغير.

١٨٩. يشير بذلك الى الحاق معاوية بن أبي سفيان لزياد بن أبيه بنسبه وقوله انه اخوه، بعد أن شهد شهود بأنّ ابا سفيان قد زنى بأمه سمية وكانت بغياً من ذوات الرايات، وكان ذلك خلاف ما قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من ان: (الولد للفراش وللعاهر الحجر).

١٩٠. يعني بذلك عبيد الله بن زياد بن أبيه.

١٩١. الخوارزمي / مقتل الحسين /ج ٢ / ص ٦ و ٧، وتاريخ ابن عساكر الحديث / ص ٦٧٠.

١٩٢. كان برير تابعياً من كبار شيوخ قراء القرآن في الكوفة.

١٩٣. الطبري / تاريخ الامم والملوك / ج ٤ /ص ٣٢٢ و٣٢٣، وابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ٦١ و٦٢.

١٩٤. عبد الرزاق المقرّم / مقتل الحسين / ص ٢٣٣ و٢٣٤.

١٩٥. عبد الرزاق المقرّم /مقتل الحسين /ص ٢٣٥.

١٩٦. صدق الحسين (عليه السلام) ولم يربح عمر بن سعد غير الخزي والنار، وقد قتله المختار بن عبيدة الثقفي في الكوفة، ذكر ذلك ابن الاثير في الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ٢٤١.

١٩٧. الشيخ المفيد / الارشاد /ص ٢٣٦.

١٩٨. عبدالرزاق المقرّم / مقتل الحسين / ص ٢٣٧.

١٩٩. عبد الرزاق المقرّم /مقتل الحسين /ص ٢٣٧.

٢٠٠. الطبري / تاريخ الامم والملوك / ج ٤ ص ٣٢٧، وابن الاثير / الكامل في لتاريخ / ج ٤ / ص ٦٥.

٢٠١. روي انه صلى واصحابه فرادى بالايماء لعدم توفّر الفرصة لهم، وروي انه صلى صلاة الخوف بأصحابه، وذكر هذه الأحداث الطبري / تاريخ الامم والملوك /ج ٤ / ص ٣٣٤، وابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ٦٩.

٢٠٢. جرح الحسن المثنى جراحات عديدة، ولم يستشهد بل حمل وعولج.

٢٠٣. السيد ابن طاووس /مقتل الحسين /ص ٤٩.

٢٠٤. ان الذي أطلق السهم على الرضيع الشهيد هو حرملة بن كاهل، وذكر المؤرخون أنّ شهادة عبدالله كانت قبل شهادة عمه العباس.

٢٠٥. السيد ابن طاووس / مقتل الحسين (عليه السلام) / ص ٤٩، وذكر الحديث الطبري / تاريخ الامم والملوك / ج ٤ / ص ٣٤٢، وابن كثير / ج ٨ / ص ١٨٧.

٢٠٦. الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٢٤٠.

العباس بن علي (عليه السلام): أخو الامام الحسين لأبيه، وأمه أم البنين فاطمة بنت حزام الكلبي.

٢٠٧. الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٢٤٠.

٢٠٨. ابن طاووس /مقتل الحسين / ص ٥٠.

٢٠٩. كان عدد جراح الحسين (عليه السلام) ثلاثاً وثلاثين طعنة رمح، وأربعاً وثلاثين ضربة سيف كما جاء في الطبري / تاريخ الامم والملوك / ج ٤ / ص ٣٤٤ ـ ٣٤٦.

٢١٠. ابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة / ص ١٩٣، السيد ابن طاووس / مقتل الحسين / ص ٦٠.

٢١١. الطبري / تاريخ الامم والملوك / ج ٤ / ص ٣٤٧، والسيد ابن طاووس / مقتل الحسين / ص ٥٦.

٢١٢. ذكر ابن طاووس ان رؤوس اصحاب الحسين (عليه السلام) كانت ثمانية وسبعين رأساً، فاقتسمتها القبائل لتتقرب الى عبيد الله بن زياد والي يزيد بن معاوية بذلك، فجاءت كندة بثلاثة عشر رأساً، وصاحبهم قيس بن الأشعث، وجاءت هوازن باثني عشر رأساً، وصاحبهم شمر بن ذي الجوشن، وجاءت تميم بسبعة عشر رأساً، وجاءت بنو أسد بستة عشر رأساً، وجاءت مذحج بسبعة رؤوس، وجاء باقي الناس بثلاثة عشر رأساً/ مقتل الحسين / ص ٦٠ و ٦١. وذكر الشيخ المفيد في كتابه الارشاد / ص ٢٤٣ أن اصحاب الحسين(عليه السلام) كانوا (٢عليه السلام) رجلاً وكذلك الطبري / تاريخ الامم والملوك / ج ٤ / ص ٣٤٨.

٢١٣. هو الشاعر الفقيه السيد رضا الهندي.

٢١٤. الرباب: هي زوجة الحسين (عليه السلام) وأبوها امرؤ القيس، وهي أُم سكينة (آمنة) بنت الحسين (عليه السلام)،

وعبدالله الطفل الذي قتل يوم عاشوراء.

٢١٥. كان يوم الرحيل يوم الحادي عشر، وبدأ السير بعد ظهر ذلك اليوم.

٢١٦. ذكرت بعض الروايات أن الحسن المثنى بن الحسن السبط (ابن أخي الحسين الشهيد) قد حمل جريحاً معهم.

٢١٧. المقطوعتان في (اعيان الشيعة) / ج ٨ / ص ١٢ وج ٣ / ص ١٧ على التوالي.

٢١٨. السيد ابن طاووس / مقتل الحسين / ص ٦١.

٢١٩. الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٢٤٣.

٢٢٠. تقع مدينة كربلاء غرب الفرات على أطراف صحراء الشام، تبعد حوالي (١٠٣ كم) عن العاصمة العراقية بغداد، وفي كربلاء يشمخ ضريح الحسين (عليه السلام) آية في الروعة والجمال، وتعلوه القبة والمآذن، ويكسوه الذهب والفضة، ويقصده الملايين من الزوّار والمتبركين بحرمه الشريف في كل عام.

٢٢١. الختل: الخديعة.

٢٢٢. لا رقأت: لا جفّت.

٢٢٣. الرنّة: ارتفاع الصوت بالبكاء.

٢٢٤. نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا: مثل يضرب للتعبير عن الخيانة وعدم الوفاء بالعهد.

٢٢٥. ايمانكم دخلاً بينكم: تتخذونها للمداهنة والغدر والخديعة.

٢٢٦. الصلف: الذي يدعي ما ليس فيه ادعاء متكبر ومعجب بنفسه.

٢٢٧. النطف: الملطّخ بالعيوب.

٢٢٨. الشنف: المبغض والمترفع المتعال.

٢٢٩. ملق الاماء: كناية عن التملق للحكّام كما تتملق الجواري المملوكة لأسيادها.

٢٣٠. غمز الاعداء: طعن الاعداء.

٢٣١. كمرعى على دمنة: النبات الذي ينبت على فضلات الحيوانات، مظهره جميل وجذوره متوغلة في القذارة والنجاسات.

٢٣٢. أو كفضة على ملحودة: الفضة التي تكون على القبر ظاهرها براق وليس تحتها إلّا الموتى (فهي كناية عن الخديعة).

٢٣٣. شنارها: عارها وقبح عيوبها.

٢٣٤. لن ترحضوها: لن تزيلوها.

٢٣٥. مفزع نازلتكم: سيدكم الذي تفزعون إليه في المحنة.

٢٣٦. مدره سنتكم: زعيمكم المدافع عن سنتكم.

٢٣٧. فريتم: شققتم وقطعتم.

٢٣٨. صلعاء، عنقاء، سوداء، فقماء، خرقاء: خطيرة ومكشوفة في سوئها وفظاعتها ومخالفتها.

٢٣٩. كطلاع الارض: كملء الارض.

٢٤٠. المهل: تأجيل العقوبة.

٢٤١. البدار: المسارعة.

٢٤٢. لبالمرصاد: يراقبكم ويحصي أفعالكم. والخطبة في الفتوح لاعثم الكوفي / ج ٣ / ص ١٤٠ و١٣١. الخوارزمي / مقتل الحسين / ج ٢ / ص ٤٠ ـ ٤٢.

٢٤٣. الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٢٤٣. تاريخ الامم والملوك / ج ٤ / ص ٣٤٩، وابن كثير / ج ٨ / ص ١٩٠.

٢٤٤. وصل موكب أهل البيت (عليهم السلام) من كربلاء الى الكوفة في اليوم الثاني من وصول رأس الحسين.

٢٤٥. الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٢٤٤.

٢٤٦. تشير الى الآية الكريمة: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾.

٢٤٧. الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٢٤٤.

٢٤٨. الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٢٤٤.

٢٤٩. كان عبد الله بن عفيف الازدي من الموالين للامام علي (عليه السلام) ولأهل بيته.

٢٥٠. الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٢٤٤.

٢٥١. الطبري / تاريخ الامم والملوك / ج ٤ / ص ٣٥١، وابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ٨٣ وقد فصّل اعثم الكوفي في كتابه (الفتوح) الملحمة الرائعة للأزدي هذا واستشهاده، انظر ج ٣ / ص ١٤٤ وما بعدها.

٢٥٢. وكّل زجر بن قيس بحمل رأس الحسين (عليه السلام) ورؤوس اصحابه من الكوفة الى يزيد بن معاوية في دمشق.

٢٥٣. قال ابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ٨٣: «قد جعل ابن زياد الغل في يديه ورقبته».

٢٥٤. ابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ٨٣. عثم الكوفي / الفتوح / ج ٣ / ص ١٤٧.

الاقتاب: هو الرحل الذي يوضع على ظهر الدابة، وبغير وطاء: غير ممهد ولم يوضع عليه ما يخفف من خشونته ووعورته من قماش وغيره.

٢٥٥. الطبري / تاريخ الامم والملوك / ج ٤ / ص ٣٥٤. وابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ٨٤.

٢٥٦. فصّل ذلك الخوارزمي الحنفي في كتابه مقتل الحسين / ج ٢ / ص ٦٠ و٦١ برواية عن الصحابي الجليل سهل بن سعد الذي اتفق مروره آنذاك ببلاد الشام فوصف ما رآه.

٢٥٧. الخوارزمي /مقتل الحسين /ج ٢ / ص ٦١.

٢٥٨. الطبري / تاريخ الامم والملوك /ج ٤ / ص ٣٥٢. اعثم الكوفي / الفتوح / ج ٣ / ص ١٥٢.

٢٥٩. الطبري / تاريخ الامم والملوك / ج ٤ / ص ٣٥٦. ابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ٨٥. الخوارزمي / مقتل الحسين /ج ٢ / ص ٥٨. وابن كثير / ج ٨ / ص ١٩٢.

٢٦٠. الخوارزمي /مقتل الحسين /ج ٢ / ص ٥٨ ابن كثير /تاريخ ابن كثير /ج ٨ / ص ١٩٢ و٢٠٤. اعثم الكوفي / الفتوح / المجلد الثالث /ص ١٥٠. وقد غير يزيد البيت الثاني فوضع فيه اسمه فقال:

(لأهلّوا واستهلوا فرحاً ... ثم قالوا يا يزيد لا تُشل)

كما سنرى في خطبة زينب التي قرّعته على ظلمه لآل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

٢٦١.الشورى آية ٢٣.

٢٦٢.الاسراء آية ٢٦.

٢٦٣.الانفال آية ٤١.

٢٦٤.اعثم الكوفي / الفتوح /ج ٣ / ص ١٥١ و ١٥٢. الخوارزمي /مقتل الحسين /ج ٢ / ص ٦١.

٢٦٥ . اعثم الكوفي / الفتوح / ج ٣ /ص ١٥٣ و ١٥٤. الخوارزمي / مقتل الحسين / ج ٢ / ص ٧١.

٢٦٦ . عبدالرزاق الموسوي المقرّم / مقتل الحسين /ص ٣٥٨ و ٣٥٩.

٢٦٧ . الغريب أنّ اولئك المؤرخين هم انفسهم الذين رووا روايات ظلم يزيد لآل النبي واسرهم وضرب شفتي الامام الحسين (عليه السلام) بالقضيب.

٢٦٨ . نشرت هذه المقالة باجازة خاصة من مؤسسة البلاغ، وهي مُستلة عن «سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وآل بيته (عليهم السلام) المنشورة من قبل المعاونية الثقافية للمجتمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)، ج ٢، ص ٤٩ وما بعدها).

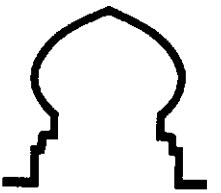

نقد الكُتب

النصاحة في تقويم كتاب نهج الفصاحة[1]

نقد وتحقيق بقلم

الدكتور محمد علي الحسيني

العراق ـ بغداد

لقد عُني المسلمون منذ صدر الاسلام بالقرآن الكريم والحديث الشريف عناية فائقة لا تكاد تجد لها مثيلاً في أمة من الأمم. وتفرّعت عن هذه العناية علوم وفنون مازالت تتفرّع وتتشعّب الى ما شاء الله تعالى. وأصبحت تعرف بعلوم القرآن وعلوم الحديث، وعلى نصوصها المقدسة أسّست أصول الفقه وفروعه وقامت الحضارة الاسلامية الرائدة والمدنية الدينية الصاعدة، ودوّنت في ذلك المصنّفات والمؤلّفات، والكتب والمقالات.

وكان لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) قصب السّبق والقدح المعلّى، في هذا المضمار ولا غرو في ذلك؛ اذ أنّهم عدل الكتاب الصادق والقرآن الناطق، والمدّخرون لاحياء معالم الدين والموصوفون بالهداة المهديّين، والفصحاء البلغاء الناصحين[2].

وقد علّموا أتباعهم وشيعتهم من العلماء والفقهاء المجتهدين أن يفرّعوا على تلك الأصول التي وضعوها، والقواعد التي رفعوها، وأن يقيّدوا العلم بالكتاب، وينسجوا على منوال الأصحاب.

وهكذا كان الأمر عبر العصور والدهور، والبقاع والأصقاع، وقد شهد بذلك التأريخ واعترف به المؤالف والمخالف، وتكفي نظرة سريعة في كتاب (أعيان الشيعة) الموسوعة العلمية الرجالية، والأدبية الحديثية الثرّة، التي ألفها الحبر المحقّق السيد محسن الأمين

العاملي، ولاسيّما في مقدّمتها الكبيرة، التي عرض فيها لأنواع العلوم والفنون الاسلامية التي أسسها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وبلورها أصحابهم من العلماء والأعلام عبر الأعصار والأمصار؛ وكتاب تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام بقلم العلامة المدقّق السيد حسن الصدر؛ وكتاب الذريعة الى تصانيف الشيعة للنحرير الخبير آغا بزرگ الطهراني ـ قدّست أسرارهم ـ، وكذلك الشيعة وفنون الاسلام للاستاذ محمد رضا حكيمي[٣].

ومن بين هذه المؤلفات الفريدة والمصنّفات العتيدة مؤخراً كتاب نهج الفصاحة لمؤلفه البارع المغفور له أبي القاسم پاينده، الذي وفّق فيه لجمع الكلم القصار التي وردت على لسان النبي المختار (صلى الله عليه وآله وسلم) والتي تربو على الآلاف، حيث بلغ رقمها (٣٢٢٧) مع ورود كثير منها في بعض الأرقام، وتداخل عدة منها تحت رقم واحد. وقد رتّبها ترتيباً ألفبيّاً مبتدأ بالحروف التي تبدأ بها كلمات هذه الأحاديث الشريفة، والأقوال المنيفة، مع ترجمة رائعة الى الفارسية بشكل تقابلي متقن؛ اضافة الى افراد ثبت موضوعي لموضوعات هذه الكلمات مع ضمائم قليلة تُعنىٰ ببعض الخطب القصيرة والتمثيلات النبوية السائرة التي تحكي صدى القرآن الكريم وأمثاله الدائرة، حيث وردت في آخر الكتاب المطبوع مؤخراً في طهران بطبعة جديدة في سنة ١٣٨٢ هجرية شمسية من قبل «انتشارات جاويدان» ومزيّناً بمقدّمتين مفيدتين: الأولى الصغيرة كتبها المؤلف تقديماً للطبعة الأولى في سنة ١٣٢٤ هجرية شمسية عرض فيها لأهمية الكلام، وأثره في الأفهام وانه مرآة صادقة لشخصية المتكلّم، كما عرض فيها للسيرة الذاتية للرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بشكل مختصر وبيَّن فيها الهدف الأساس من تأليفه هذا الكتاب الفصيح، والكلام الصريح، منوهاً على عظمة النبيّ الأعظم الذي يفوق كلامه كلام المخلوق، والذي هو دون كلام الخالق[٤]، ومشيراً الى فصاحته وبلاغته الممتازة من خلال الشواهد والفوائد، وأقوال العلماء والحكماء، والأدباء والبلغاء، وركّز فيها على كلام الجاحظ مستشهداً بنصوص رائعة له في المقام، وردت في كتابه الشهير البيان والتبيين[٥]. كما أشار الى نقطتين مهمّتين في هذه المقدّمة الصغيرة الأولى الدالّة على معاني كثيرة اضافة الى ما ذكرناه:

الأولى: ان كلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو صدى لكلام القرآن ولا تمكن معارضته مطلقاً؛

لأن النبي هو المخاطب الأول بالقرآن الكريم ولا يعرف القرآن حق معرفته إلّا من خوطب به، وأن النبي هو أفصح من نطق بالضاد، كما قال هو عن نفسه: أنا أفصح العرب بيد أني من قريش[٦] وعلّل ذلك بأنه مؤدّب بأدب الرّب، والذي يؤدب بأدب الرّب يكون كلامه متأثراً بذلك الأدب الجميل الجليل؛ كما ورد عن ابن مسعود أن هذا القرآن هو مأدبة الرّب، وأن الله سبحانه وتعالى اصطفاه من بين سائر الخلائق؛ ليكون قلبه اللوح المحفوظ له، وليكون لسانه مرآة عاكسة لأشعته الواسعة، ولا غرو أن تكون هذه الكلم القصار التي جمعها المؤلف في نهج الفصاحة صدى لآيات القرآن ولها نفس الآثار.

الثانية: ن ما ورد على لسان الامام علي (عليه السلام) من الحكم والأمثال ما هو مشابه لهذه الأقوال غالباً من حيث الألفاظ والمعاني؛ لم يكن إلّا بسبب التوارد الذي يستقى من معين واحد، وأن الامام علياً (عليه السلام) هو أديب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) هو أديب الله وكذلك الأمر في بقية كلام أهل البيت (عليهم السلام) وليس ما نسب الى بعضهم البعض من باب اشتباه الرواة[٧].

وفي المقدمة الثانية وهي المقدمة الكبيرة الغنيّة كمّاً وكيفاً للطبعة الثانية التي كتبت في سنة ١٣٣٦ هجرية شمسية. أي بعد اثني عشر عاماً من المقدمة الأولى، حيث عالج فيها هذه المرّة أموراً كثيرة، انطلاقاً من البعثة النبوية الشريفة، والروايات الواردة فيها، كما عرض بشكل مفصل الى الهجرة المباركة الى يثرب بعد معاناة شديدة دامت ثلاثة عشر عاماً في مكّة المكرمة وكيفية تسارع الأحداث فيها وحصول الغزوات والحروب المفروضة التي اضطر لها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دفاعاً عن الكيان الاسلامي العتيد والحضارة الاسلامية الجديدة؛ التي أقامها باذن الله تعالى في المدينة المنورة حيث أشاد بحق أغنى مدنيّة حقّة في تاريخ الانسانية على الاطلاق وكيف وقف أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بعد ارتحال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى الرفيق الأعلى من الحوادث المتسارعة، وأنهم توجّهوا الى تقييد العلم بالكتاب والخطاب، والاهتمام بالسير على سيرة النبي العظيم في أخلاقه وسلوكه، كما عرض المؤلف الى كيفية جمع الأحاديث وتخريجها، وتقييد كل شاردة وواردة من حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأساليب دعوته وسيرته، وسلمه وحروبه، واهتمامه

بتشييد المجتمع الاسلامي الجديد والمدنية الاسلامية في مهجره الى المدينة المنورة وتأسيسه لحياة حضارية عالمية علمية تقوم على أسس الوحي والمنطق السليم وعلى أسس المعرفة والأدب القويم عن طريق الخطب والوصايا والأقوال والأحاديث الارشادية المدعومة بالعلم والعمل، كما أنه عرض لموقف بعض الصحابة الذين نهوا عن جمع الحديث وتدوينه بحجة خشية الالتباس والاختلاط بالقرآن الكريم!! فكيف وانّى وهيهات!! فالفرق بين كلام الخالق وكلام المخلوق كالفرق بين الخالق والمخلوق.

وقد عرض المؤلف للأهداف السياسية التي كانت تقف وراء هذ النهي وهذا الرأي المزعوم ومن يتبنّاه!! ثم أشار الى المصادر والمراجع الكثيرة التي استقى منها هذه الكلم القصار والمواد المتنوعة التي عنونها بالفارسية المعرّبة والتي لا تختلف عن التعابير العربية كثيراً، ونحن نوردها هنا كما هي: «ألف. كتب تفسير وعلوم قرآن، ب. كتب حديث، ج. كتب سيرت، د. كتب علم حديث، هـ كتب أنساب ورجال، و. كتب تاريخ، ز. كتب ديگر»[٨].

وقد ركّز في هذه المقدمة الثانية على موضوعات تتعلّق بمضمون الحديث المتواتر عند الفريقين وهو الحديث المشهور بحديث الثقلين الذي يصرّح بتلازم القرآن والعترة، وأنّ التمسك بهما ضرورة من ضروريات الدين وأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، وهو مفاد لا تخلو الأرض من حجة[٩].

وعلى أية حال فالتأليف في تدوين الحديث الشريف عند العامّة ومدرسة الصحابة بدأ متأخراً وفي القرن الثاني الهجري؛ لكنه عند الخاصّة ومدرسة أهل البيت (عليهم السلام) انطلق منذ زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واملائه هو نفسه على الامام علي (عليه السلام) وابنته فاطمة الزهراء المعصومة سلام الله عليها الأمالي والصحائف المأثورة المعروفة المتوارثة عند أهل البيت (عليهم السلام) وأتباعهم. وقد شجع الامام علي (عليه السلام) وابنه الامام الحسن (عليه السلام) على تدوين العلم النبوي الشريف وكتابة الأحاديث الشريفة ووصايا النبي الشارحة للكتاب والمفسّرة لآياته والمبيّنة لأحكامه المقدّسة. وان السنّة النبوية الشريفة هي أحد مصادر أصول الفقه الاسلامي اضافة الى القرآن الكريم والعقل والاجماع؛ وان كانت جميعها تعود

الى الكتاب العزيز وتستند اليه[١٠].

وعلى أية حال فقد أُلفت كتب كثيرة صغيرة وكبيرة في السيرة النبوية، وتعرضت الى أقوال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وفعله وتقريره[١١].

كما جمعت الخطب والرسائل والكلم القصار في مجاميع وتعنى بسائر السير لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) من قِبل اصحابهم وسائر المسلمين. فقد اختار الجاحظ المتوفي سنة ٢٥٥ هجرية مئة كلمة للامام علي (عليه السلام) من عيون كلماته القصار، سارت مسار الحكم والأمثال في الأعصار والأمصار، وشرحت بشروح عديدة وكتبت بفنون من الخطوط فريدة؛ قمنا مؤخراً بتحقيقها وتدقيقها في مقالة نشرت بمجلة رهنمون تحت عنوان: الفصوص في تحقيق النصوص[١٢]. وعالجنا بها الشبهة القائلة بأن نهج البلاغة هو للشريف الرضي لكنه نسبه للامام علي (عليه السلام). حيث وردت طائفة من هذه الكلمات المئة في المختار من القسم الثالث من النهج وأن الجاحظ كان قد سبق حياة الشريف الرضي بقرنين تقريباً اضافة الى سائر الأدلة والبراهين المفحمة التي تثبت أن النهج هو عين كلام الامام (عليه السلام).

ومهما يكن من شيء، فانّ نهج الفصاحة لمؤلفه البارع أبي القاسم پاينده هو صدى لتأليف نهج البلاغة اسماً ورسماً، وكلاهما جامع للنصوص الشريفة ومؤلف لها بنسق خاص حسب خطة الكتاب وهدف المؤلّف.

فالهدف الأساس لنهج الفصاحة هو جمع الكلم القصار فقط وترجمتها الى الفارسية مع ضمائم مختصرة جاءت كالملاحق الصغيرة، ولم يكن هدف المؤلف منه هو جمع منتخب من الخطب والرسائل النبوية الشريفة، كما كان هدف الشريف الرضي من نهجه هذا اضافة الى الكلم القصار.

وأن الأستاذ پاينده قصد أيضاً الى ترجمة هذه الكلمات الى الفارسية ليطّلع المتكلّمون بها على هذه الحكم والأمثال، والكنوز من الأقوال المأثورة. وقد أثنى على ترجمته الرائعة هذه أعلام عصره من النقّاد والأدباء، والمحقّقين والعلماء. وصرّحوا بأنها ترجمة دقيقة كترجمته الموفّقة للقرآن الكريم من قبل حيث أثنى عليها العلامة الكبير

الشيخ الأميني صاحب موسوعة الغدير، اضافة الى ثناء سائر الأعلام أمثال: عبدالرحمن فرامرزي، وآية الله كمره‌اى، والدكتور رضا زاده شفق، ودانا سرشت، والدكتور زرّين كوب، والاستاذ مدرسي چهاردهي، والعلامة الحائري، وابوالفضل لساني، والسيد محمد باقر حجازي، والصدر البلاغي [١٣] وغيرهم كثير. عرض لهم ولشخصايتهم ومؤلفاتهم أحد ملاحق الكتاب المطبوع من قبل انتشارات جاويدان سنة ١٣٨٢ هجرية شمسية قبل الفهرس العامّ الذي يشمل الموضوعات وبعض الضمائم القليلة من الخطب والتمثيلات الجليلة التي أشرنا اليها سابقاً.

وعلى الرغم من التوفيق العظيم الذي وفّق اليه الاستاذ پاينده في اختيار العنوان وموضوعه الشريف تبقى هناك ملاحظات ونقدات وتحقيقات مهمّة وددنا الاشارة اليها سريعاً في هذه المقالة المبتسرة؛ وأن الهدف منها هو تقويم الكتاب، واسداء النصيحة لذوي الألباب، كما جاء العنوان مصرّحاً بالغرض: «النصاحة في تقويم كتاب نهج الفصاحة» وكان المشوق لنا في التصدّي الى هذا العمل التحقيقي الجاد الأستاذ الدكتور قيس آل قيس الصديق الصدوق؛ حيث طلب مني هذا الأمر بمناسبة اعلان السيد القائد؛ لأن يكون هذا العام عام النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) والاهتمام بسيرته الشريفة، وأخلاقه المُنيفة؛ لأنّ شخصية الانسان تعكسها كلماته وأقواله وأفعاله، وأردنا بذلك إلفات أنظار المسلمين والعلماء والمحقّقين الى العناية المجددة بهذه الشخصية الالهية الأسوة [١٤]، وهذا الانسان الكامل القدوة الذي اختاره الله تعالى ليكون للعالمين ﴿شاهداً ومبشّراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً﴾ [١٥] وأن رسالته رسالة الاسلام وهي الرسالة الخاتمة، وأنّ دينه هو الدين القويم ونهجه هو النهج السليم، والذي يجب أن لا يبتغي الانسان العاقل غيره ديناً قيّماً؛ ولا سيّما وقد تعرّضت هذه الشخصية المقدّسة مؤخراً الى هجمة شرسة من قِبل الاعلام الغربي المضلّل الذي يدبّره المتحذلقون من ذوي الأقلام المسمومة الحاقدة من الصليبيين والصهاينة الشراذمة الملحدين.

ونحن قد اخترنا هذا الكتاب: نهج الفصاحة بالتعريف والنقد والتحقيق علماً منّا بأنه كتاب قمين مبين، وموضوعه جميل جليل، يستحقّ التقدير، وهو بالتقديس جدير،

واليك أيها القارئ الكريم بعض الملاحظات التقويمية من أجل التسديد والتأييد والله من وراء القصد وعليه التكلان.

أولاً: انّ موضوع الكتاب كما جاء في عنوانه بالفارسية المعرَّبة «نهج الفصاحة: مجموعه كلمات قصار حضرت رسول أكرم بانضمام فهرست موضوعى با ترجمه فارسى؛ مترجم وفراهم آورنده: ابوالقاسم پاينده»[١٦].

ويُفهم من ذلك أن المؤلِّف المغفور له كان قد جمع هو بنفسه هذه الكلمات القصار ورتّبها ترتيباً ألفبياً ـ شكر الله سعيه ـ لكنّه مع الأسف لم يراع الدِّقة اللازمة في الترتيب الألفبائي لحروف الكلمات المتصدّرة للكلم القصار ليسهل الرجوع اليها مثل المعاجم والقواميس المتعارفة، فمثلاً قد وردت في حرف الميم الكلمات الآتية: «٢٧٤٧. ملاك الدين الورع. ٢٧٤٨. منهومان لا يشبعان. ٢٧٤٩. من أذنب ذنباً...» ثم جاءت بعدها الكلمات: «٣٠٨٠. المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. ٣٠٨١. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه. ٣٠٨٢. المسلمون يد واحدة على من سواهم. ٣٠٨٣. المسجد بيت كل تقي.» فأنت تلاحظ مجيء السين بعد اللام والنون في الحروف الثواني، وقد يكون ذلك في الحروف الأوائل أيضاً إلّا أنه قليل. وأمثال ذلك كثير في بقية الحروف الأبجدية.

ثانياً: لم يخرّج الأحاديث تخريجاً تحقيقاً؛ لتعرف المصادر والمراجع التي نقل منها تلكم الأحاديث مباشرة أو بالواسطة؛ لكي يسهل الرجوع الى الأجزاء والصفحات والتأكّد من النقل الصحيح وبالتالي الى مطابقة الترجمة في الروايات المتوخّاة. وكان قد تبع في ذلك السيد الشريف الرضي عموماً؛ ولكن العصر يختلف تماماً، وان كان قد أشار في المقدمتين بشكل مجمل الى المصادر والمراجع المعتبرة[١٧].

ثالثاً: نّ عنوان الكتاب لم يطابق المعنون تماماً بأنه عناية بالكلم القصار حسب. حيث أورد كلمات قد تملأ نصف صفحة من الكتاب بل صفحة كاملة أحياناً من مثل ما جاء في كلمة «٨١٥. انّ المؤمن من عباد الله لا يحيف على من يبغض ولا يأثم فيمن يحب ولا يضيع ما استودع...»[١٨].

رابعاً: ان الضبط للنصوص العربية أحياناً في هذه الطبعة المحقّقة تقريباً، والتي أثنى عليها المؤلف بعدم وجود الأغلاط المطبعية إلّا نادراً، لم يكن دقيقاً ولا سيّما في بعض الكلمات التي يُغيِّر ضبطها معنى الكلام أو الكلمة تماماً، كما جاء في كلمة «خلّ» ـ بالفتح ـ بمعنى الشراب الحلال المعروف، والمقصود منها «خِلّ» ـ بالكسر ـ بمعنى الصديق الحميم المرتبط اشتقاقها بالخليل؛ وكذلك في كلمة «مِن» ـ بالكسر ـ بمعنى حرف جرّ يدلّ على الابتداء أو التبعيض والمقصود منها «مَن» ـ بالفتح ـ بمعنى اسم للموصول العاقل، وأمثال ذلك كثير أشرنا اليه في حواشي الكتاب، ولعلّه من الأغلاط المطبعيّة.

خامساً: لقد تكرّرت كثير من الأحاديث بسبب اختلاف بعض الروايات المبتدأ بها في تلكم الكلمات القصار وقد أشرنا اليها في صفحات الكتاب للافادة منها في الطبعات الآتية لمن أراد القيام بالتحقيق والتدقيق.

سادساً: جاء في هذه الطبعة في المقدمة الأولى ذكر لمصادر الأحاديث المستقاة منها هذه الكلم القصار، وذكر أولاً الأصول الأربعة عند الشيعة وعدّها هكذا: الكافي، من لا يحضره الفقيه، التهذيب، الاستبصار. وهذا سديد وكامل؛ لكنه ذكر ثانياً الصحاح الستة عند أهل السنة وعدّها هكذا: البخاري، مسلم، أبو داود، الترمذي، النسائي؛ ولم يذكر ابن ماجة القزويني لتكتمل الصحاح الستة.

ونحن نذكر هنا نص ما جاء في كتابنا دراسات وتحقيقات المطبوع سنة ١٩٧٤ في بيروت وهو ما أملاه علينا أستاذنا العلامة المحقّق الدكتور مصطفى جواد حول هذه الصحاح الستة مع الرموز والاختصارات المشار اليها للفائدة:

«فالخاء المفردة (خ) علامة جامع البخاري.

والميم المفردة (م) علامة جامع مسلم.

والتاء المفردة (ت) علامة جامع الترمذي.

والدال المفردة (د) علامة سنن أبي داود السجستاني.

والنون المفردة (ن) علامة النسائي.

والقاف المفردة (ق) علامة كتاب ابن ماجة القزويني»[١٩].

ونحن نذكر ختاماً لهذه المقالة النقدية التحقيقية هذه الحقيقة للمعنيين في هذه الحقول؛ فقد كنا اخترنا الكلم القصار للنبي المختار وآله الطّيبين الأطهار في بضعة آلاف كلمة حكيمة وقول مأثور، ومثل سائر في موسوعة أطلقنا عليها: اسم «رسالة الولاية» وترجمناها الى لغات أخرى، وقد طبعنا المجلدة الأولى منها بثلاث لغات تحت عنوان «پيام ولايت» بالفارسية "Message of Wilayah" بالانجليزية مع تخريج للأحاديث دقيق وذكر للمصادر والمراجع التي أفدنا منها مع ذكر الأجزاء والصفحات والكتب المخطوطة والمطبوعة مشيرين الى سنوات الطبع والنشر والمطابع التي طبعت فيها ودور النشر بدقة. وكان رائدنا في هذا العمل التحقيقي التمسّك بالحديث الشريف المتواتر: «اني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[٢٠].

وقد طبعنا هذا الحديث على جلد الكتاب من الجهتين تحت العنوان باللغات الثلاث كطرّة مذهّبة زيّنا بها الصفحتين شعاراً رائداً.

واليك أيها القارئ الكريم نماذج مختارة من نهج الفصاحة على طراز ما اختاره الجاحظ من كلام الامام علي (عليه السلام) أسميناها: «نماذج من الكلم القصار من كلام النبيّ المختار». رتّبناها على شكل موضوعات مشتركة.

الحبُّ والعملُ

محبّت وكار

٧٣/١ ـ أحبُّ الأعمال الى الله أدوَمُه وإن قلَّ.

محبوبترين كارها در پيش خدا كاريست كه دوام آن بيشتر است، اگر چه اندک باشد.

٨٠/٢ ـ أحبُّ الجِهادِ الى الله كلِمةُ حقٍّ تُقال لإمامٍ جائرٍ.

بهترين جهادها در پيش خدا سخن حقّى است كه به پيشواى ستمكار گويند.

٨٦/٣ ـ أحبُّ عبادِ الله الى الله أنفعُهم لِعبادِه.

از جمله بندگان، آن كس پيش خدا محبوبتر است كه براى بندگان خدا سودمندتر است.

٨٧/٤ ـ أحبِب للنّاسِ ما تُحبُّ لنفسِكَ.

آن چه برای خود می‌خواهی برای مردم هم بخواه.

٢٢١/٥ ـ إذا عمِلَ أحدكُم عملاً فليُتقنهُ.

هر کس کاری می‌کند، باید آن را خوب انجام دهد.

٢٣٨/٦ ـ إذا لم تَستحی (تَستحِ)[٢١] فاصنع ما شِئتَ.

وقتی حیا نداری، هر کاری می‌خواهی بکن.

٣٦٨/٧ ـ اعمَلوا فكُلٌّ مُيسَّر لِما خُلِق لهُ.

کار کنید زیرا که هر کس آن چه را برای آن ساخته شده، بدست می‌آورد.

١٣٤٦/٨ ـ حُبُّك للشيء يُعمي ويُصِمُّ.

محبتی که نسبت به چیزی داری، کور وکرت می‌کند.

٢٠٢٤/٩ ـ فاعِلُ الخيرِ خيرٌ منهُ وفاعلُ الشرِّ شرٌّ مِنهُ.

عامل خیر از خیر بهتر وعامل شر از شر بدتر است.

٢٩٨٤/١٠ ـ مَن أحبَّ شيئاً أكثر من ذِكرِهِ.

هر که چیزی را دوست دارد، یاد آن بسیار کند[٢٢].

٣٨١/١١ ـ أفشُوا السلامَ بينكُم تحابُّوا.

سلام را آشکار کنید تا رشته دوستی شما استوار شود ومحبت در میان شما پدید آید.

٢٠٠٣/١٢ ـ العبدُ مع من أحبَّ.

هر کسی همسنگ چیزی است که دوست دارد.

١٥٨٤/١٣ ـ الدّالُّ على الخيرِ كفاعلِهِ واللهُ يُحبُّ إغاثةَ اللهفان.

رهبر به نیکی چون نیکوکار است وخداوند فریادرسی بیچارگان را دوست دارد.

٦٧٤/١٤ ـ إنّ الله إذا أنعمَ على عبدٍ نعمةً أحبّ أن تُرى عليهِ.

وقتی خداوند نعمتی به بنده‌ای بدهد، دوست دارد آن را آشکار ببیند.

الحُسنُ والجَمال

حُسن وجمال (نیکویی وزیبایی)

١٥/٥٨٤ ـ إنَّ أحسنَ الحَسنِ الخُلقُ الحَسنُ.

بهترین نیکی‌ها سیرت نیک است.

١٦/٧٨٠ ـ إنّ الله جميلٌ يُحبُّ الجمال.

خداوند زیباست وزیبایی را دوست دارد.

١٧/١٣١١ ـ جَمالُ المرءِ فَصاحةُ لِسانِه.

جمال مرد به فصاحت اوست.

١٨/١٣٧٥ ـ حُسنُ الخُلقِ يُثبتُ المَودَّة.

نیکخویی، دوستی را استوار می‌کند.

١٩/١٣٩٣ ـ حقُّ الوَلدِ على الوالِدِ أن يُحسِّن اسمهُ ويُحسِّن موضِعهُ ويُحسِّن أدبَهُ[٢٣].

ـ حق پسر بر پدر آن است که نام او را نیک وجای او را نیک وادب او را نیک کند.

٢٠/١٤٧٢ ـ خِيارُكُم أحاسِنُكم أخلاقاً الذينَ يَألفونَ ويُؤلفون.

بهترین شما کسانی هستند که اخلاقشان بهتر است وبا مردم سازگارند وکسان را با یک دیگر سازگاری دهند.

٢١/١٧٩ ـ إذا أسأتَ فأحسِن فإنَّ الحسناتِ يُذهِبن السيِّئاتِ[٢٤].

وقتی بدی کردی به دنبال آن نیکی کن که نیکی‌ها، بدیها را محو می‌کنند.

٢٢/٢٥٠٤ ـ لا عقل كالتدبير ولا وَرَعَ كالكفِّ ولا حسبَ كحُسنِ الخُلق.

عقلی مانند تدبیر نیست وتقوایی چون خویشتن داری نیست وشرفی چون نیکخویی نیست.

العلم والحكمة

علم وحكمت

٣٢٧/٢٣ ـ أطلُبُوا العِلمَ مِن المَهدِ الى اللحدِ[٢٥].

از گهواره تا گور دانش بجوی.

٣٢٤/٢٤ ـ أطلُبُوا العِلمَ ولو بالصِّينِ، فإنّ طلبَ العِلمِ فريضةٌ على كُلِّ مُسلمٍ[٢٦]...

دانش را بجویید اگر چه در چین باشد زیرا طلب دانش بر هر مسلمانی واجب است...

١٤١٢/٢٥ ـ الحِكمةُ ضالةُ المؤمِنِ يأخذُها مِمّن سَمِعها ولا يُبالي مِن أيِّ وِعاءٍ خرجت.

حکمت گمشده مومن است، از هر که بشنود فراگیرد واهمیت ندهد که از کجا آمده است.

١٦٣١/٢٦ ـ رأسُ الحِكمة مَخافةُ الله[٢٧].

اساس حکمت، ترس خداست.

١٦٣٢/٢٧ ـ رأسُ الحِكمةِ معرِفةُ الله[٢٨].

اساس حکمت، خداشناسی است.

١٨٨٩/٢٨ ـ ضالّةُ المؤمنِ العِلمُ كُلّما قيّدَ حديثاً طُلِبَ[٢٩] إليه آخرَ.

گم شده مومن علم است، هر دم حدیثی فراگیرد، حدیثی دیگر مطلوب او شود.

١٨٩٧/٢٩ ـ طالِبُ العِلمِ بينَ الجُهّالِ كالحيّ بينَ الأمواتِ.

جویای علم میان جاهلان، چون زنده میان مردگان است.

١٩٩٧/٣٠ ـ العالِمُ أمينُ الله في الأرضِ.

دانشمند امین خدا در زمین است.

٢١٠٥/٣١ ـ قيّدوا العِلمَ بالكتابِ[٣٠].

علم را به نوشتن در بند کنید.

٢٤١٨/٣٢ ـ ليسَ منّي إلّا عالِمٌ أو مُتعلِّمٌ.

هيچ كس از من نيست به جز دانشمند يا دانش آموز.

٩١٦/٣٣ ـ إنّ مِن البيانِ لَسِحراً وإنّ مِن الشِّعرِ لَحُكماً[٣١].

بعضى بيانها سحر است وبعضى شعرها حكمت است.

العهد والأمانة

عهد وامانت (پيمان وامانت دارى)

١١٧/٣٤ ـ أدِّ الأمانةَ الى من ائتمنكَ ولا تَخُن من خانَك.

با كسى كه تو را امين مى‌داند به امانت رفتار كن.

٥٥٠/٣٥ ـ أمنكَ من عتَبك.

هر كه ترا سرزنش كرد از كينه خويش ايمن ساخت.

٨١٨/٣٦ ـ إنّ المُؤمنَ يُجاهدُ بسيفه ولِسانه.

مومن با شمشير وزبان خود جهاد مى‌كند.

٨٤٧/٣٧ ـ إنّ حُسنَ العَهدِ من الإيمان.

رعايت پيمان از لوازم ايمان است.

٢٤٢٨/٣٨ ـ لا إيمانَ لِمن لا أمانةَ له.

هر كه امانت ندارد ايمان ندارد.

٢٤٩٧/٣٩ ـ لا دينَ لِمن لا عهدَ له.

هر كه پيمان نگاه ندارد دين ندارد.

٢٥٥٠/٤٠ ـ لا يَفتِكُ المؤمنُ.

مومن بكمين خون كسى نريزد.

٣١٦١/٤١ ـ النظافةُ مِن الإيمان.

پاكيزگى از ايمان است.

الحق والناس

حق ومردم

٤٣/٤٢ ـ أتقَى الناس من قالَ الحقَّ فيما لهُ وعلَيه.

از همه مردم پرهیزکارتر آن کسی است حق را بر نفع وضد خویش بگوید.

٨٧/٤٣ ـ أحبِب للنّاس ما تُحِبُّ لِنفسِك.

آن چه برای خود می‌خواهی برای مردم بخواه.

١٤٤/٤٤ ـ إذا أرادَ الله بِعبدٍ خيراً صيَّر حوائجَ النّاسِ إليه.

وقتی خداوند برای بنده‌ای نیکی خواهد حاجتهای مردم را در دست او قرار می‌دهد.

٢٥٠/٤٥ ـ أذلُّ النّاسِ من أهانَ النّاسَ.

خوارترین مردم کسی است که مردم را خوار شمارد.

٢٩٩/٤٦ ـ أشجعُ النّاسِ من غلَبَ هواهُ.

شجاعترین مردم آن کسی است که بر هوس خویش تسلط یابد.

٣٠٠/٤٧ ـ أشدُّ النّاسِ عذاباً إمامٌ جائرٌ.

روز رستاخیز عذاب پیشوای ستمگر از همه کس سخت‌تر است.

٤٣١/٤٨ ـ أقلُّ النّاسِ راحةً البخيلُ.

آسایش بخیل از همه کس کمتر است.

١٠٩٣/٤٩ ـ بُعِثتُ بمُداراةِ النّاسِ.

من به مدارات با مردم مبعوث شده‌ام.

١٥٠٠/٥٠ ـ خيرُ النّاسِ أنفعُهُم للنّاس [٣٢].

بهترین مردم کسی است که برای مردم سودمندتر باشد.

١٧٩٧/٥١ ـ شرُّ النّاسِ من أكرمَهُ الناسُ اتّقاءَ شرِّهِ.

بدترین مردم آن کسی است که مردم از بیم شرّش گرامیش دارند.

٢٥٤٧/٥٢ ـ لا يشكرُ الله من لا يشكرُ النّاسَ.

هر که شکر مردم ندارد شکر خدا نگذارد.

الصلح والرحمة

صلح ورحمت

٤٩/٥٣ ـ اتّقوا الله وأصلِحوا ذاتَ بينِكُم[٣٣].

از خدا بترسید ومیان خویش را اصلاح کنید.

٢٦١/٥٤ ـ إرحم مَن في الأرضِ يرحَمكَ مَن في السّماءِ[٣٤].

به آنها که در زمینند رحم کن تا آنکه در آسمان است بر تو رحم کند.

٤٠٧/٥٥ ـ أفضلُ الصّدَقةِ إصلاحُ ذاتِ البَين.

بهترین اقسام صدقه آن است که میان دو کس اصلاح دهی.

١٣٢٣/٥٦ ـ الجماعةُ رَحمةٌ والفرقةُ عذابٌ.

جماعت مایه رحمت وتفرقه موجب عذاب است.

٢٦٢/٥٧ ـ إرحموا عزيزاً ذلّ وغنياً افتُقِر وعالماً ضاعَ بين جُهّالٍ.

بر سه کس رحم کنید، عزیزی که خوار شده وثروتمندی که فقیر گشته ودانشمندی که میان جاهلان گمنام مانده.

٢٦٣/٥٨ ـ إرحموا تُرحَموا واغفِروا يُغفر لَكُم.

کسان را رحم کنید تا به شما رحم کنند، دیگران را ببخشید تا بخشیده شوید.

١٨٥٠/٥٩ ـ صلاحُ أوّلِ هذه الأمة بالزُّهدِ واليقينِ ويهلك آخِرُها بالبخلِ والأملِ.

صلاح متقدمان این امت به زهد وایمان است ومتأخرانش به بخل وآرزوی دراز، هلاک می‌شوند.

١٨٥٣/٦٠ ـ صِنفانِ مِنَ النّاسِ إذا صَلُحا صَلُحَ النّاسُ وإذا فسدا فَسدَ الناسُ: العُلماءُ والأُمراءُ.

دو گروه از مردمند که اگر صالح بودند مردم بصلاح آیند واگر فاسد بودند بفساد گرایند: دانشوران وزمامداران.

أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم

اصول التحقيق وتحقيق النصوص، الدكتور مصطفى جواد (دراسات وتحقيقات) دار التراث ـ بيروت ١٩٧٤ م.

أعيان الشيعة (المقدمة) العلامة السيد محسن الأمين ـ دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت.

تحقيق حسن الأمين. غير مؤرخة

أمالي الهادي، آية الله الحجة السيد هادي التبريزي طهران، ط، ١٤٢٧ هـ

تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام (المقدمة) العلامة السيد حسن الصدر.

دراسات وتحقيقات (في اللغة والأدب والتاريخ) ـ الدكتور محمد علي الحسيني ـ دار التراث الاسلامي ـ بيروت ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م.

الذريعة الى تصانيف الشيعة ـ العلامة آغا بزرگ الطهراني ـ (المقدمة) دار الأضواء ـ بيروت.

رسالة الحقوق، للأمام زين العابدين (عليه السلام)، ط. طهران (منظمة الاعلام الاسلامي)

رسالة الولاية (بثلاث لغات) ـ الدكتور محمد علي الحسيني ولجنة التحقيق ـ منشورات المركز الثقافي لمسجد الإمام الرضا (عليه السلام) ـ طهران ـ ١٣٨٤ هـ ش / ٢٠٠٥ م.

الشيعة وفنون الاسلام (ادبيات تعهد دار اسلام) ـ الاستاذ محمد رضا الحكيمي ـ طهران.

مختار الصحاح، الرازي، ط. دار القلم.

مقدمة ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام) ـ جمع الشريف الرضي ـ طبعات متعددة وبعدة لغات.

نهج الفصاحة للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ جمع الاستاذ ابو القاسم پاينده مع الترجمة الفارسية. انتشارات جاويدان، طهران ١٣٨٢ هـ ش.

مجلة رهنمون بالفارسية. العدد ٩، طهران ١٣٧٢ هـ ش.

الهوامش:

١. نصح ونصح له ـ بالفتح فيهما ـ نُصحاً ـ بالضم ـ ونَصاحة ـ بالفتح ـ ... والناصح الخالص من كل شيء (مختار الصحاح ـ مادة نصح).

٢. في نهج البلاغة رقم ١٢٠ من الكلم القصار في المقارنة بين عبد شمس وأهل البيت (عليهم السلام): «هم أكثر وأمكر وأنكر ونحن أفصح وأنصح وأصبح».

٣.هناك عشرت المصادر والمراجع بل المئات في هذا الموضوع اكتفينا بهذه مثلاً.

٤.يظر أعيان الشيعة، ج ١ ص ٣٣١ في الموضوع، كما جعل الاستاذ پاينده هذا الكلام طرة في الصفحة الأولى منه.

٥. لقد ورد عن ابن خلدون أن أمّهات الكتب ومصادر الأدب العربي أربعة من بينها البيان والتبيين للجاحظ. تراجع مقالتنا في مجلة رهنمون العدد ٩ في المقام.

٦. تنظر الصفحة ١٠ وقد ورد هذا الحديث بروايات أخرى متشابهة.

٧. ينظر ما ورد في هذه المقالة في قسم «المختار من الكلم القصار للنبي المختار» وأكثر من ذلك ما ورد في النهجين وسائر الكتب التي تعنىٰ بكلام المعصومين (عليهم السلام).

٨ نهج الفصاحة ص ١٥٠ ـ ١٥٢ ط. ١٣٨٢ (انتشارات جاويدان).

٩. لقد خرّجناه وحقّقناه في كتابنا: رسالة الولاية المطبوعة بثلاث لغات. ١٣٨٤هـ ش.

١٠. ينظر كتاب أمالي الهادي ص ٤٦ ـ ٤٧ (ط. ١٤٢٧ هـ).

١١.لقد ورد في المظان ان السنة هي: السيرة وفي الاصطلاح هي قول المعصوم وفعله وتقريره عليه السلام.

١٢.تنظر مجلة رهنمون العدد ٦، ص ٥ ـ ٢٠.

١٣. ينظر نهج الفصاحة ص ٨٥٧ ط. ١٣٨٢.

١٤. ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ سورة الأحزاب الآية: ٢١.

١٥. سورة الأحزاب الآية ٤٥ ـ ٤٦.

١٦.هذه مجموعة عناوين الجلد والصفحة الأولى من الكتاب المطبوع سنة ١٣٢٨ هـ.

١٧. ينظر نهج الفصاحة ص ١١ وكذلك ص ١٥٠ ـ ١٥٢. ط. ١٣٨٢.

١٨. تنظر صفحة ٣١٩ ط. ١٣٨٢.

١٩.من أمالي المرحوم الدكتور مصطفى جواد في أصول التحقيق، ص ١١٥ المطبوعة في كتابنا «دراسات وتحقيقات» المشار اليه أعلاه.

٢٠.بثلاث لغات، نقلنا العربية والفارسية من نهج الفصاحة ثمّ ترجمناها الى الانجليزية.

٢١. يُقال استحييتُ ـ بياء واحدة ـ وأصله استحييتُ فاعلّوا الياء الأولى وألقوا حركتها على الحاء. (مختار الصحاح ـ مادة حيا).

٢٢. اين ترجمه وزن شعر هم دارد، اگر «را» حذف شود.

٢٣. وردت كلمات مشابهة عن أهل البيت (عليهم السلام) في الحقوق المتبادلة ولاسيما في رسالة الامام زين العابدين (عليه السلام) ومنها حق الولد على الوالد أن يُحسِّن اسمه ويؤدِّبه ويعلّمه وما شاكل ذلك. تراجع أيضاً الكلمة ١٣٩٤ و١٣٩٥.

٢٤. إرجاع الى الآية الكريمة: ﴿إنّ الحسناتِ يُذهبنَ السيئاتِ﴾ سورة هود، الآية ١١٤.

٢٥. جاءت في بعض الروايات: «اطلب» بصيغة المفرد.

٢٦. جاءت في بعض الروايات: «اطلب العلم ولو كان بالصين».

كما جاءت الكلمة الأخرى منفصلة هكذا: «طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة».

٢٧. ممكن ترجمة «رأس» هنا الى **head** حرفياً وممكن ترجمتها الى **essence** مضموناً.

٢٨. ممكن ترجمة «رأس» هنا الى **head** حرفياً وممكن ترجمتها الى **essence** مضموناً.

٢٩. أثبتها «طُلِبَ» للمجهول، ويمكن قراءتها «طَلَبَ» للمعلوم.

٣٠. وردت عن الإمام الصادق (عليه السلام): وكُل ما عند أهل البيت (عليهم السلام) من جدِّهم (صلى الله عليه وآله وسلم) وكلُّهم نور واحد.

٣١. وردت أيضاً: «لحِكمة» بدلاً من «لحُكماً».

٣٢. تراجع الكلمة في نهج الفصاحة ١٥٠٢.

٣٣. تنظر خطبة المتّقين للإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة في المقام وكلاهما صدى لآيات القرآن الكريم. والمنبع نور واحد.

٣٤. من أوائل الأحاديث التي تروى عادة في الأربعينيات من الأحاديث.

أخبار ثقافية من العالم الاسلامي

اخبار ثقافية من العالم الإسلامي

مستقبلاً حشداً منهم بمناسبة ذكرى ميلاد الامام الحسن بن علي (عليه السلام)..
القائد: الشعراء الشباب عليهم ان يبثوا روح الامل والتقدم في المجتمع

طهران / ارنا: تزامناً مع ذكرى ولادة الامام الحسن بن علي (عليه السلام) التقى عدد من الشعراء المخضرمين والشباب، سماحة قائد الثورة الاسلامية آية الله العظمى السيد علي الخامنئي.

وقرأ الشعراء قصائد لهم في وصف الخصال والسجايا الكريمة للنبي الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) واهل بيته الاطهار (عليهم السلام) وشهداء الثورة الاسلامية والدفاع المقدس وكذلك قصائد بمضامين دينية واجتماعية.

ووصف سماحة قائد الثورة الاسلامية في كلمة له في هذه المراسم مسيرة الشعر والادب الفارسي بعد انتصار الثورة الاسلامية بأنها متنامية واكد قائلاً ان شعراء البلاد ولاسيما الشباب منهم ينبغي عليهم من خلال الاستخدام الصحيح والملائم للغة الشعر الفاخرة ان يبثوا روح الامل والحركة والتقدم في المجتمع والمتلقين لشعرهم.

واشار سماحته الى القصائد الشعرية الجيدة التي نظمت في القضايا القيمية لاسيما الشهادة والجهاد والدفاع المقدس واضاف انه ينبغي توجيه الاجواء الشعرية والفنية في المجتمع نحو اهداف الثورة الاسلامية وخلق الدوافع لمعالجة حالات التخلف وبذل الجهود والعمل الدؤوب المتواصل.

وأكد آية الله العظمى الخامنئي بأن خصائص الشعر بعد الثورة قد ادخلت الاجواء الشعرية في البلاد في مرحلة جديدة واضاف انه ينبغي على المسؤولين الثقافيين وارباب الشعر والادب اغتنام هذه الاجواء والعمل بجد في مسار الحفاظ على هذا المنجز وتوجيهه.

واوصى سماحته الشعراء الشباب للعمل من اجل الارتقاء في مجال الشعر والادب الفارسي وعدم الاكتفاء بحد معين.

وفي مستهل اللقاء اقيمت فريضتا صلاتي المغرب والعشاء بامامه قائد الثورة الاسلامية ومن ثم تناول الحضور طعام الإفطار مع سماحته.

مشيراً الى تأكيد قائد الثورة على ضرورة توحيد صفوف الأمة الاسلامية

التسخيري: ميثاق مكة السبيل لتسوية الأزمة الطائفية في العراق

اعتبر الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية الشيخ محمد علي التسخيري ميثاق مكة السبيل لتسوية الأزمة الطائفية في العراق.

وأفادت وكالة مهر للأنباء ان الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية الشيخ محمد علي التسخيري أعلن ذلك لدى اشارته الى الأوضاع الجارية في العالم الاسلامي والخسائر التي لحقت به بسبب النزاعات الدامية بين المسلمين في العراق وذلك في حديث خاص لشبكة العربية التلفزيونية.

وأشار التسخيري، الذي زار مكة المكرمة للمشاركة في اجتماع علماء الشيعة والسنة هناك، الى تأكيد قائد الثورة الاسلامية سماحة السيد علي الخامنئي ضرورة توحيد صفوف الأمة الاسلامية وتجنب الخلافات والنزاعات ويأمل في أن يؤدي التوقيع على وثيقة مكة الى تحقيق استقلال العراق وطرد المحتلين وبناء مستقبل مشرق للشعب العراقي.

وأكد التسخيري ان التوقيع على ميثاق مكة المكرمة كشف حقيقة المجموعات

الارهابية التي كانت ترتكب الجرائم البشعة ضد المساجد بذريعة الدفاع عن الاسلام والمذهب حيث ان علماء الدين الشيعة والسنة أعلنوا براءتهم من هذه الجرائم وشجبوها.

الرئيس الايراني يفتتح المعرض الدولي التاسع عشر للكتاب في طهران

افتتح الرئيس محمود احمدي نجاد المعرض الدولي التاسع عشر للكتاب في طهران.

وقام الرئيس احمدي نجاد بجولة داخل المعرض رافقه فيها وزير الثقافة والارشاد الاسلامي «محمد حسين صفار هرندي» وأمين العاصمة «مهدي شمران» وعدد من المسؤولين الثقافيين.

وتفقد رئيس الجمهورية عدة غرف في هذا المعرض وتعرف عن قرب على آخر نشاطات دور النشر والمعنيين في شؤون الكتاب.

وشارك في المعرض الدولي التاسع عشر للكتاب في طهران الفان و٧٥٤ داراً للنشر من ايران ودول العالم عرضت اكثر من ٢٨٣ الف عنوان كتاب في المجالات المختلفة منها الدين والفلسفة والادب والفن والتاريخ والجغرافية والسياسة والعلوم النظرية والتطبيقية.

وكان قد القى رئيس الجمهورية كلمة في المشاركين والمسؤولين الثقافيين المحليين والاجانب المشاركين في المعرض.

في حشد من علماء السنة والشيعة بدمشق..

التسخيري: العلماء ورجال الدين يتحملون مسؤولية جسيمة في تدعيم الوحدة الاسلامية

طهران / كيهان العربي:

قال الامين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية ان من الضروري تقديم البرماج المناسبة ذات المغزى التوحيدي فيما بين مذاهب الامة الاسلامية من اجل

مواجهة المؤامرات المثيرة للفرقة من جانب العدو، مؤكداً جسامة المسؤولية التي تقع على عاتق العلماء ورجال الدين في تدعيم وتجذير الوحدة الاسلامية.

واضاف آية الله محمد علي التسخيري في كلمته في حشد علماء الدين والمفكرين والكتاب الشيعة والسنة في دمشق مؤكداً ضرورة التورع عن تكفير المسلمين والابتعاد عن اثارة الفتن فقال: إن الهدف من الوحدة الاسلامية لا يعني دمج كافة المذاهب الاسلامية في اطار مذهب واحد، وانما ان يكون لدى المسلمين موقف مشترك حيال التطورات والاحداث تأخذ فيه ميولهم وتوجهاتهم بنظر الاعتبار.

واشار الى الوثيقة الموقعة بين علماء الدين الشيعة والسنة العراقيين في مكة المكرمة قائلاً: نأمل بتوقيع هذه الوثيقة ان يتم حث خطوة واسعة على طريق استقلال العراق واخراج الاحتلال ووضع نهاية للمذابح والصراعات القومية والطائفية من اجل شعب هذا البلد.

كما شدد الامين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية على ضرورة التعاون فيما بين علماء الدين والمفكرين السوريين والايرانيين على صعيد حوار الاديان، لافتاً النظر الى ابعاد الانتصار الذي حققه حزب الله لبنان وما عبرت عنه الامة الاسلامية من مشاعر حيال هذا الانتصار.

كما استعرض آية الله التسخيري في كلمة القاها في ٢٨٠ طالباً من ٣٥ بلداً بالعالم يتلقون دراساتهم في مجمع الامام الخميني بمدينة دمشق، المبادئ المشتركة التي تجمع الشيعة والسنة، حيث انبرى لبحث ومناقشة ظاهرة التكفير وآثارها الهدامة على مر التاريخ الاسلامي متناولاً سبل التصدي لها.

مشدداً ان تصريحات البابا الاخيرة أضرّت بالمسلمين والمسيحيين..

امامي كاشاني: على العالم الاسلامي ان يكون متيقظاً ازاء المؤامرت التي تحاك ضد الدين

طهران / ارنا: قال الامام جمعة طهران المؤقت آية الله محمد امامي كاشاني في خطبة ان التصريحات المعادية للاسلام والتي ادلى بها اخيراً البابا قد اضرت بالمسلمين والمسيحيين مؤكداً ان لا فائدة من هكذا تصريحات في عالم اليوم.

وقال إمام جمعة طهران المؤقت ان المجتمع الاسلامي يمر في العالم المعاصر بظروف قام ويقوم بها الغرب بوضع خطط معقدة ضده.

واضاف: ان الغرب يقوم لسنوات طوال بوضع خطط في مواجهة الاسلام وقد لجأ الى اي اسلوب يمكنه من خلاله المساس بالاسلام وحرف المسلمين.

وفي معرض اشارته الى تصريحات البابا الاخيرة قال آية الله امامي كاشاني: في بعض الاوقات يتحدث كبار ساسة الاستكبار ضد الاسلام لكن هذا الكلام صدر هذه المرة بشكل آخر وعلى لسان شخصية دينية بارزة بعلم و جهل.

ورأى ان محاولات الاستكبار للايحاء بأن النشاطات النووية السلمية الايرانية تشكل تهديداً تعتبر احدى المؤامرات الاخرى للغرب قائلاً: انهم ينوون حرمان المسلمين من العلم مؤكداً ان لا اثر لهكذا مخططات في عالم اليوم.

وقال: ان عالم اليوم قد اصبح واعياً ومتيقظاً وانه يجب ازاحة ستار الغفلة جانباً موضحاً ان شعار المسيحية والاسلام هو السلام وان شعار الاسلام قل مثيله في تاريخ الانبياء.

وقال إمام جمعة طهران المؤقت: ان كل من اعتنق الاسلام طوال التاريخ كان بسبب الحضارة الاسلامية، مضيفاً: ان العالم الاسلامي يجب ان يكون متيقظاً ازاء المؤامرات التي تحاك ضد هذا الدين الصانع للانسان.

وتابع: ان العدو يحيك مؤامراته بدقة لكن ليس جميع هذه المؤامرات قابلة للتطبيق فعالم الاستكبار توصل الى هذه النتيجة بأنه ليس بامكانه تنفيذ مخططاته ضد

العالم الاسلامي.

ورأى ان الانتصار الذي حققه حزب الله يشكل نموذجاً لاخفاق الغرب في تنفيذ مؤامراته ضد العالم الاسلامي قائلاً: ان حزب الله وفي ظل القيادة المعنوية والقيم والعزم أذلّ اسرائيل التي كانت تحارب بالنيابة عن اميركا.

وتطرق امام جمعة طهران المؤقت في جانب آخر من خطبة الصلاة الى تضحيات وبطولات ابطال الاسلام في فترة الدفاع المقدس وقال ان توكل الامام الخميني (رض) وابناء الشعب على الله سبحانه وتعالى ادى الى هذا النصر الذي يقره عالم اليوم وهذا مؤشر على عظمة الاسلام.

مخاطباً حشداً من الاساتذة واعضاء الهيئة العلمية للجامعات
القائد: الدخول الى الموقع العلمي الاول في العالم يعتبر تطلعاً قابلاً للتحقيق

طهران /ارنا: استقبل قائد الثورة الاسلامية سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي الاساتذة واعضاء الهيئة العلمية للجامعات الذين شرحوا وجهات نظرهم بشأن القضايا العلمية والجامعية المختلفة.

وفي اللقاء الذي استمر ثلاث ساعات تطرق الاساتذة المشاركون في اللقاء الى ضرورة التركيز المادي والمعنوي على العلوم الانسانية والمزيد من الاهتمام بها في الجامعات باعتبار انّ ذلك يشكل اساساً لتطور ونمو العلوم الاخرى وكذلك الاهتمام الكامل بالبنى التحتية العلمية والاخرى المتعلقة بالابحاث واعداد الخريطة العلمية الشاملة للبلاد وضرورة تحويل الابحاث الى الخطاب السائد في المراكز العلمية واهتمام السلطات الثلاث والمعنيين بشؤون التخطيط بالتطلعات العلمية الوطنية مثل انتاج العلم ونهضة البرمجيات ووضع نظريات في العلوم الاساسية والادارة الصحيحة للطاقات والمواهب الموجودة في البلاد لوضع ارضية الطفرة العلمية والنهوض بالحركة العلمية للبلاد كماً وكيفاً وصياغة البرنامج الاستراتيجي للمراكز العلمية المختلفة في اطار خطة

الآفاق التنموية للاعوام الـ ٢٠ القادمة وايجاد اتصال وثيق بين الجامعات والمراكز البحثية مع الاجهزة والمؤسسات التنفيذية والاستثمار في مجال التكنولوجيا الحديثة وازدهار وتفتق مواهب الشبان في المشاريع العلمية الرائعة مثل خلايا المنشأ وعلاج تلف النخاع الشوكي واستنساخ الحيوانات والتخطيط للنهوض النوعي بالجامعات وبلوغها المواقع المتقدمة على مستوى جامعات العالم والدعم المادي والمعنوي لحدائق العلم والتكنولوجيا والاهتمام الكافي بالعلوم الاساسية وتعزيز مجموعات اللغة والادب الفارسي في جامعات البلاد وخارجها.

وبعد ان تحدث ١٥ من الاساتذة، واعضاء الهيئة العلمية للجامعات القى قائد الثورة الاسلامية سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي كلمة اعتبر فيها ان الهدف من اللقاء مع الاساتذة واعضاء الهيئة العلمية للجامعات يكمن في تكريم العلم والعالم مؤكداً ان تكريم العلم والعالم من شأنه ان يسهم في تطور العلم ورواجه ويكفل مستقبل البلاد وتقدمها.

واعتبر سماحته ان من الاهداف الاخرى لهذا اللقاء هو تبيان القضايا العلمية والجامعية المختلفة على لسان النخبة واساتذة الجامعات وتعرف المسؤولين المعنيين والجو العام في البلاد على هذه القضايا قائلاً: انه على الرغم من الحركة الحديثة التي حصلت في العقود الاخيرة في المجالات المختلفة للعلم والابحاث في البلاد فاننا مازلنا في بداية طريق التقدم العلمي ويجب مواصلة هذا الطريق الزاهر في ظل العمل والجهد الدؤوب والحثيث.

واكد سماحته انه يجب ان لا ننسى بأن الحركة العلمية للبلاد لاسيما في الاعوام الاخيرة تعد من الحركات المتسارعة في العالم وقد حققت انجازات ممتازة ويجب ان تستمر هذه المسيرة بسرعة اكبر.

ورأى سماحة القائد ان تبديد الحدود الحالية للعلم والوصول الى الموقع العلمي الاول في العالم خلال الأعوام الـ ٥٠ القادمة يعتبر تطلعاً قابلاً للتحقق مؤكداً ان نيل هذا الهدف القيم للغاية يتطلب الايمان بالقدرات الوطنية والمواهب والكفاءات الايرانية وكذلك

التخطيط للافادة بشكل صحيح من الامكانات والطاقات الطبيعية للبلاد واستخلاص العبر المفعمة بالامل من الخبرات الناجمة للاعوام الـ ٢٧ الاخيرة.

واعتبر سماحة قائد الثورة الاسلامية الشجاعة العلمية والحداثة وتحاشي النظرة التقليدية للتقدم العلمي للغرب والثقة بالذات الشخصية والوطنية والعمل الدؤوب بأنها تشكل الميزات اللازمة لاساتذة الجامعات من اجل الاضطلاع بالمهام الجسام الملقاة على عاتقهم موضحاً بأن التقدم العلمي كفيل بمعالجة مشاكل البلاد.

وقال آية الله العظمى الخامنئي انّ جعل الابحاث ذات هدف وتطابقها مع احتياجات البلاد تعد من المسائل الضرورية الاخرى موضحاً انّ نظام منح الامتيازات العلمية يجب ان يكون متطابقاً لعوامل مثل الابحاث التي تحتاجها القطاعات المختلفة للبلاد والابحاث التكميلية.

واكد سماحته بأن التربية الدينية وتعزيز الهوية الاسلامية ـ الايرانية للطلبة تعد من الواجبات المهمة لاساتذة الجامعات قائلاً: ان الشعب الايراني يجب ان يعتز حقيقة لكونه ايرانياً واضافة الى الاعتماد على التراث التاريخي والثقافي لهذه البلاد العظيمة فانه يجب ان يفخر ويعتز بالمكانة الحالية لايران الاسلام.

وفي ختام اللقاد اقام الاساتذة واعضاء الهيئة العلمية للجامعات صلاتي المغرب والعشاء بامامة قائد الثورة الاسلامية الذي استضاف بعدها الحضور على مائدة الافطار.

وقد شارك في اللقاء رئيس مجلس الشورى الاسلامي ووزراء الصحة والعلاج والتعليم الطبي، العلوم والابحاث والتكنولوجيا، الاتصالات والتكنولوجيا، رئيس مؤسسة الادارة والتخطيط وامين المجلس الاعلى للثورة الثقافية ورئيس ممثلية الولي الفقيه في الجامعات ورئيس الجامعة الاسلامية الحرة والاساتذة النموذجيون والاساتذة الذين نشروا اكبر عدد من المقالات على صعيد البلاد والعالم ورؤساء حدائق العلم والتكنولوجيا والرؤساء المنتخبون لمراكز الابحاث والاعضاء الرئيسيون لاكاديميات العلوم.

في ندوة دينية بالرباط..

التسخيري: التقريب بين المذاهب الاسلامية هو سبيل وحدة الامة

تزامنا مع حلول شهر رمضان المبارك احتضنت العاصمة المغربية الرباط ندوات دينية اسلامية تناقش على مدى شهر كامل التحديات التي تواجه العالم الإسلامي.

وفي هذه الندوات، تحدث آية الله الشيخ محمد علي التسخيري، الامين العام لمجمع التقريب بين المذاهب الاسلامية، مستعرضاً حركة التقريب على صعيد النشاطات والفعاليات التي تحقق للامة الاسلامية وحدتها.

وقال الشيخ التسخيري: اننا ندرك وجود اختلافات بين المذاهب الاسلامية لكن هذه الاختلافات لا تحول دون تحقيق الوفاق بين اتباع هذه المذاهب، بل وقام المجمع حتى الآن بحل الكثير من هذه الخلافات بحيث جاء جيل من العلماء والشخصيات الجليلة يختلف كثيراً عن الاجيال السابقة.

واعتبر آية الله التسخيري ان التقريب بين المذاهب يشكل عاملاً للتوصل الى قواسم مشتركة لا تحصى بين المذاهب ويدفع المسلمين أيضاً باتجاه السعي وراء هذه المشتركات، وأردف قائلاً: ويستشعر اليوم واكثر من أي وقت مضى الحاجة الى الحوار المنطقي والتقريب بين اتباع المذاهب الاسلامية، لاسيما بالنسبة للنخب والشخصيات النخبوية في العالم الاسلامي.

هذا وينعقد اجتماع شهر رمضان المبارك السنوي برعاية وزارة الاوقاف والشؤون الدينية المغربية، ومشاركة كبار المسؤولين في هذا البلد، حيث يحضره مفكرون ومثقفون من مختلف ارجاء العالم الاسلامي في محل انعقاده بمدينة الرباط عاصمة المملكة المغربية.

رسم خطوطه سوري..

قائد الثورة الاسلامية يهدي مصحفاً نفيساً الى مكتبة الروضة الرضوية

مشهد / ارنا: اهدى قائد الثورة الاسلامية سماحة آية الله السيد علي الخامنئي قرآناً نفيساً كتبه الخطاط السوري الشهير علي طه الى المكتب المركزي للروضة الرضوية.

وقال مساعد دائرة المخطوطات بمؤسسة المكتبات والمتاحف والوثائق في الروضة الرضوية محمد رضا فاضل هاشمي للصحفيين ان هذا القرآن يضم ٦٦٨ ورقة تبلغ ابعادها ٣٥ في ٤٧ سنتيمتراً كتب بالخط الثلث الممتاز.

واضاف انه سيتم عرض هذا القرآن النفيس المخطوط في المعرض الذي سيقام بمناسبة ليالي القدر من شهر رمضان المبارك في المكتبة المركزية للروضة الرضوية.

وتحوي المكتبة للروضة الرضوية مخزوناً فريداً من نوعه من المصاحف الشريفة لاهل البيت (عليهم السلام) ونسخ القرآن النفيسة التاريخية والتي تحظى باهتمام الباحثين والمتخصصين في مجال النسخ المخطوطة للقرآن الكريم والراغبين بالنتاجات المعنوية والاسلامية.

محمدي عراقي: العالم يشهد توجهاً جديداً نحو التدين بالرغم من الاساءات التي يواجهها الاسلام

خلال جولته التفقدية في الجناح الجامعي في المعرض الدولي للقرآن الكريم، اعتبر الشيخ محمدي عراقي رئيس رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية ان ترجمة القرآن الكريم الى اللغات المختلفة هي من اكثر مبيعات الكتب في العالم. واضاف خلال هذه الجولة: ان هذا المعرض يقام في الوقت الذي تضاعف فيه اهتمام الرأي العام العالمي بالقرآن الكريم، مؤكداً بأن العالم يشهد توجهاً جديداً نحو التدين بالرغم من الاحداث المؤسفة التي

يتعرض اليها العالم الاسلامي والاساءات التي يواجهها الاسلام والقرآن الكريم.

واعرب الشيخ محمدي عراقي عن قناعته بالمسؤولية الثقيلة لكل مسلم في العالم المعاصر لتبيين حقيقة الاسلام والقرآن للعالم.

يذكر ان المعرض المذكور استمر حتى ١٣ اكتوبر الماضي.

من جانب آخر اعلن محمدي عراقي عن افتتاح القسم الدولي لمعرض القرآن الكريم امس وذلك بمشاركة ٢٠ باحثاً وفناناً من ١٦ بلداً. واضاف: ان هذا القسم سيكون على جزءين، الاول ويتضمن اعمال الفنانين في مجال القرآن الكريم والثاني يتضمن اعمال الباحثين في مجال القرآن الكريم.ويشارك فيه فنانون وباحثون من جمهورية آذربايجان وقطر وتركيا وبنغلادش وتونس والبوسنة والهرسك والكويت وتايلند والعراق واندونيسيا والمغرب واليمن، وتتضمن الاعمال انواع الخطوط القرآنية وتزيينات صفحات القرآن الكريم.

وتابع الشيخ محمدي عراقي: اما في قسم الباحثين فان المشاركين هم من السودان والهند والباكستان وسوريا واليمن والبوسنة والهرسك وتتضمن الاعمال انواع التراجم والتفسيرات بالاضافة الى دائرة معارف للقرآن الكريم.

مفكر اسلامي: الحديث عن الشيعة والسنة خدمة للمستعمر

دمشق / ارنا: قال الشيخ «محمود عكام» وهو مفكر اسلامي سوري بارز من اهل السنة ان الحديث عن الشيعة والسنة هو سير في ركاب خدمة المستعمر البغيض.

واعرب الشيخ عكام في تصريح لمراسل ارنا بدمشق عن امله بأن لا يتحدث البعض عن مد شيعي ولا عن آخر سني ولا عن آخر صوفي وانما ليتحدثوا عن مد عدواني صهيوني ـ اميركي شرس ثبتت عدوانيته.

واضاف: «آمل من هؤلاء ان يتحدثوا عن ضرورة وقوف المسلمين بجميع مذاهبهم

صفاً واحداً امام هذا المد الصهيوني ـ الاميركي الذي لن يوفر احداً من المسلمين على الاطلاق مهما كانت طائفته ومذهبه».

يشار الى ان «سلمان العودة» وهو عالم دين سعودي يشرف على «مؤسسة الاسلام اليوم» قال مؤخراً لاحدى قنوات التلفزه: «هناك انتشار كبير للمد الشيعي في بلاد الشام وسورية على وجه الخصوص وفي عدد من بلاد العالم الاسلامي».

واضاف: اعتقد ان جزءاً من هذه الظاهرة يمكن ان نقول عنه انه تشيع سياسي بمعنى انه ولاء للحضور السياسي لايران.

ورداً على تصريحات العودة قال الشيخ عكام وهو استاذ الفقه الاسلامي في جامعة حلب السورية «هذا الكلام غير صحيح وحتى لو كان هناك مد شيعي بالنسبة لي هو مد اسلامي ولا مانع منه» مضيفاً «انا ارى ان هناك مداً نحو تحقيق الوحدة الاسلامية من خلال مد ايدي المسلمين بعضهم لبعض».

مفتي دمشق يؤكد ان عوامل الوحدة بين المسلمين اكثر من عوامل التفرقة

اشار مفتي دمشق عبدالفتاح البزم الى مكانة العلم وعلماء الدين مؤكداً المسؤولية الكبيرة التي تقع عليهم في يقظة ورفع مستوى وعي المسلمين وارشادهم الى الطريق السليم في ظل الظروف الحالية واضاف: ان عوامل وحدة وتضامن المسلمين هي اكثر بكثير من عومل التفرقة.

واضاف تقرير العلاقات العامة للمجمع العاملي للتقريب بين المذاهب الاسلامية الذي اورد ذلك: ان مفتي دمشق كان يتحدث في ملتقى (السيرة النبوية الشريفة) الذي اقيم في مدينة زاهدان حيث اشار الى دور العلم قائلاً: ان العلم يمثل وسيلة وليس هدفاً، فهو وسيلة للوصول الى عبادة وعبودية الله عز وجل.

بدوره تحدث امين عام المجمع الشيخ التسخيري في كلمته حول موضوع (تجنب الفتنة وتكفير المسلمين) مؤكداً ان الكتاب المشترك للمسلمين جميعاً بمختلف مشاربهم ومذاهبهم هو القرآن الكريم الذي يدعو الجميع الى الوحدة وهذا الكتاب هو مصدر كافة الاحكام الشرعية.

يذكر ان الملتقى المذكور اقيم في مدينة زاهدان بقاعة فردوسي في جامعة سيستان وبلوشستان وذلك في اطار المساعي الرامية للتقريب بين المذاهب.

عالم دين لبناني يدعو العلماء المسلمين الى الوحدة

بيروت / قال الشيخ احمد الزين رئيس مجلس امناء تجمع العلماء المسلمين في لبنان: ان الامة الاسلامية متفرقة ومتشتتة وممزقة بحيث الحقت هذه القضية الضعف بها. واضاف الشيخ الزين في حوار خاص مع قناة العالم الاخبارية: ان هذا التشتت والتفرق ادى الى ان يتطاول الاعداء على النبي الاكرم محمد «ص» ويهددون المسجد الاقصى ويرتكبون جرائم بشعة في فلسطين والعراق.

ودعا العلماء والمفكرين المسلمين الى وضع مشروع نهضوي بعيد عن الضغوط الاجنبية يمكن من خلاله ان تنهض الامة الاسلامية عبر التزامها بالاسلام وكذلك يحمي المقدسات والثروات لهذه الامة. وصرح: ان وجود مذاهب متعددة يجب ان لا تعيق تحقيق الوحدة الاسلامية، مؤكداً: ان هذه الوحدة يجب ان تبدأ بالعلماء والمفكرين قبل ان تنتقل الى الناس. وتابع الشيخ احمد الزين: ان الدعوة الى الوحدة الاسلامية لا تتعارض أبداً مع الوحدة الوطنية كما ان الدعوة الى الوحدة الاسلامية لا تتجاهل المسيحيين في المجتمعات الاسلامية، مبيناً ان تجربة الاتحاد الاوروبي تثبت بأنه من الممكن أن تصل الامة الاسلامية الى الوحدة والاتحاد.

محمدي عراقي يعلن اقامة مراسم احياء المئوية

الثامنة لولادة مولانا جلال الدين الرومي في ٢٣ بلداً

اعلن رئيس رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية عن اقامة برامج علمية وثقافية وفنية خاصة في اكثر من ٢٣ بلداً بمناسبة المئوية الثامنة لمولد الشاعر الصوفي مولانا جلال الدين الرومي وذلك برعاية الملحقيات الثقافية الايرانية في هذه الدول.

واضاف الشيخ محمود محمدي عراقي صباح امس خلال مؤتمر صحفي: ان هذه البرامج تشمل ملتقيات وامسيات شعرية ومعارض للصور والافلام والكتاب واجراء برامج للموسيقى الايرانية التقليدية وتعرف الباحثين على شخصية مولانا جلال الدين الرومي.

واضاف محمدي عراقي: من بين الدول التي سيتم فيها اقامة هذه المراسم، السويد والهند واوزبكستان والمانيا ومصر وتركمانستان وتركيا وروسيا والكويت وجمهورية آذربايجان وفرنسا والصين.

واستعرض الشيخ عراقي السيرة الذاتية لمولانا جلال الدين الرومي معرباً انه يتم خلال هذه المناسبة تعزيز معرفة جيل الشباب بهذا الشاعر الصوفي الكبير. واشار الى بعض اعمال هذا الشاعر الكبير مثل المثنوي المعنوي وديوان شمس وكتاب فيه ما فيه ومجموعة الرباعيات.

من جانب آخر اعلنت العلاقات العامة لرابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية عن اقامة الملتقى الدولي (العدالة والعولمة) وذلك برعاية الملحقية الثقافية الايرانية في موسكو يومي ١٦ ـ ١٧ /فبراير وبالتعاون مع جامعة صداقة الشعوب الروسية بمناسبة الذكرى السنوية التاسعة والعشرين لانتصار الثورة الاسلامية.

متفقداً المكتبة الوطنية..

دري نجف آبادي: يجب تعزيز وتطوير الاتصالات بين المراكز الثقافية في العالم الاسلامي

ظهران / ارنا: اكد المدعي العام في البلاد آية الله قربان علي دري نجف آبادي على ضرورة تطوير وتعزيز الاتصالات بين المراكز الثقافية في العالم الاسلامي.

واضاف دري نجف آبادي في تصريحات ادلى بها خلال تفقده للمكتبة الوطنية الايرانية انّ المكتبة الوطنية الايرانية بمثابة مركز صياغة السياسات ينبغي ان تتعاون بصورة واسعة مع المراكز المماثلة والمرتبطة في هذه المجالات وخاصة على صعيد العالم الإسلامي كما يجب الاهتمام والتخطيط من اجل رفع مستوى المهارات التعليمية في هذا المجال.

واشار الى المكانة الممتازة للتراث والوثائق الوطنية المكتوبة في الانظمة الحضارية لبلدان العالم مؤكداً على ضرورة صيانة الوثائق والكتب الوطنية.

ودعا الى الاستفادة من الاساليب الجديدة والتجارب الناجحة في البلدان الاخرى في هذا المجال.

واكد على ضرورة تطوير ايجاد شبكة الكترونية حكومية واعرب عن امله ان توضع هذه الوثائق بصورة الكترونية في يد الباحثين والراغبين مستقبلاً مع تأسيس مصرف معلوماتي قوي ومحطة شاملة لكافة الآثار المكتوبة يتم تسهيل تقديم الخدمات المعلوماتية وتطويرها.

التسخيري يدعو البابا لسحب تصريحاته الاخيرة عن الاسلام

اثينا / ارنا: قال امين عام المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب «آية الله محمد علي التسخيري» الخميس في اثينا بأن تصريحات البابا بشأن الاسلام لا اساس لها من الصحة وتتعارض مع التعايش السلمي بين الاديان داعياً البابا لسحب تصريحاته.

واضاف امين عام المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب ومساعد الاتحاد الدولي للعلماء الاسلاميين الذي شارك في الملتقى الدولي الرابع للحوار بين الحضارات في جزيرة ردوس اليونانية لمراسل ارنا بأنني اعتبرت تصريحات «بنديكت السادس عشر» بشأن الاسلام تصريحات غير صحيحة وتتعارض مع التعايش السلمي ولهذا دعوت البابا الى سحب تصريحاته.

وقال التسخيري اكدت خلال هذه الزيارة على ضرورة تعزيز النواحي الاخلاقية والانسانية وايجاد العدالة في المجتمع والتي تعتبر من اهم السبل لمواجهة ظاهرة الارهاب.

ويرافق التسخيري في هذه الزيارة التي جاءت تلبية لدعوة رئيس مجمع حوار الحضارات الروسي الذي يعتبر من اهم الشخصيات الثقافية في روسيا الدكتور مهدي صانعي استاذ جامعة طهران.

شيخ الازهر: الخلاف بين السنة والشيعة خلاف في الفروع لا في العقيدة

اكد شيخ الازهر محمد سيد طنطاوي انه اعلن مراراً ان الخلاف بين المسلمين السنة والشيعة خلاف في الفرع لا في العقيدة.

ونقلت صحيفة الشرق الاوسط ان شيخ الازهر الدكتور محمد سيد طنطاوي اشار الى ان انتشار عقدة الخوف من الاسلام في الغرب ليس له ما يبرره لأنّ الاسلام في جوهره دين يدعو الى التسامح والرحمة والاخاء الانساني كما ان جميع الشرائع السماوية في مقدمتها الاسلام تأمر كل عاقل ان يقف الى جانب الحق والعدل ويحارب الارهاب والظلم أياًكان مصدره وأياًكان لونه.

وشدد شيخ الازهر في حديثه لـ «الشرق الاوسط» على ان حرية الرأي والتعبير مكفولة في شريعة الاسلام فيما تؤيده الشرئع السماوية والفطرة الانسانية السليمة وان احترام القيم الدينية وعدم الاساءة الى الاديان امر يجب احترامه موضحاً ان مهمة

تصحيح المفاهيم المغلوطة عن الاسلام والمسلمين في اوروبا واميركا تقع على عاتق العلماء ـ وخاصة ما يتعلق بالخلط بين الجهاد في الاسلام والارهاب الذي حاربه الاسلام.

وحول ما يواجهه المسلمون من سنة وشيعة حالياً دعوة خطيرة من شأنها ان تشق الصف الاسلامي وهي اثارة الخلاف المذهبي بين السنة والشيعة اكد شيخ الازهر قائلاً: «قلنا مراراً ان الخلاف بين السنة والشيعة خلاف في الفرع وليس في اصول العقيدة لان كل من يشهد ان لا اله إلّا الله محمد رسول الله فهو مسلم موحد ونحن نؤيد اي دعوة للتقريب بين المذاهب الاسلامية، وللعلم هذه الدعوة اطلقها الازهر منذ فترة طويلة واعتقد انه حان الوقت كي يتبناها المهتمون بشؤون المسلمين في العالم من اجل الحفاظ على وحدة المسلمين وعدم تفتتها عن طريق الدعوة الى المذهبية والطائفية وغيرها من النعرات التي يراد من ورائها تفتيت وحدة الامة».

واضاف قائلاً: «ان الجهلاء لا يجوز لهم الافتاء في الدين لأن هناك شروطاً لكل من يتصدى للفتوى والاجتهاد لابد ان يكون من اجل خدمة الحق واعلاء لكلمة الله ولذلك يقول النبي (ﷺ): من اجتهد فأصاب فله اجران واذا اجتهد فأخطأ فله اجر واحد».

واقول لهؤلاء ان يتقوا الله في انفسهم يوم ان يسأل، يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.

تلاوة القرآن الكريم مع فهم معانيه، أهم نصيحة
لسماحة القائد الى الناشطين في مجال القرآن الكريم

خلال اجتماعه بالحكام والمشاركين في المسابقات الدولية الثالثة والعشرين للقرآن الكريم، أكد سماحة قائد الثورة على أهمية تلاوة القرآن الكريم مع فهم معانيه.

وقال الدكتور محمد رضا ستودة نيا رئيس لجنة الحكام لهذه المسابقات الذي اعلن ذلك، قال: خلال اللقاء الذي تم بين الحكام والمشاركين في هذه المسابقات مع سماحة القائد، أعرب سماحته عن ارتياحه لنمو مسيرة حفظ وتلاوة القرآن الكريم في البلاد، وعرض سماحته بعض النصائح من اجل تعزيز مستوى القرّاء والحافظين للقرآن الكريم،

حيث اكد سماحته، على ضرورة التأمل وفهم معاني القرآن الكريم من قبل القراء والحافظين، وقال سماحته، ان تلاوة القرآن الكريم ستكون مؤثرة عندما يفهم معنى آياته.

واشار ستودة نيا الى جانب آخر من كلمة سماحة القائد، حيث قال: لقد صرح سماحة القائد ان هناك طريقين لفهم القرآن الكريم: الاول ان يحاول الافراد بأنفسهم البحث في معاني القرآن الكريم وان لا يكتفوا بالتلاوة، والثاني، اقامة دروس تعليمية في مجال مفاهيم القرآن الكريم وذلك بواسطة المؤسسات والمراكز القرآنية، وينبغي تعزيز النقاش والدراسة خلال هذه الدروس. وينبغي ان يتم تعليم القرآن الكريم بأسلوب علمي ليتسنى فهم معانيه وان نشهد في المستقبل ان شاء الله آفاقاً جديدة في مجال ترويج واشاعة الثقافة القرآنية في المجتمع.

مشدداً انه بامكان روسيا اقامة روابط عقلانية مع العالم الاسلامي
التسخيري: العالم الاسلامي يشعر بالسخط الكبير ازاء اميركا وبعض الغربيين

موسكو / ارنا: اكد امين المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية آية الله محمد علي التسخيري ان فرصة ذهبية قد توفرت لتقارب روسيا مع العالم الاسلامي لأن الجانبين يحتاجان الى بعضهما بعضاً.

واضاف آية الله التسخيري خلال مشاركته في الملتقى الدولي لحوار الحضارات في جزيرة رودس باليونان في تصريحات ادلى بها لمراسل ارنا ان العالم الاسلامي يشعر بالسخط الكبير ازاء اميركا وبعض الغربيين وان روسيا بامكانها ملء الفراغ واقامة روابط عقلانية بين العالم الاسلامي والغرب.

ووصف روسيا بأنها بلد الجوار للعالم الاسلامي والعضو في منظمة المؤتمر الاسلامي.

واصاف بأن هذا البلد الذي يضم ٢٠ مليون نسمة من المسلمين ولديه ماض جيد معهم بامكانه العمل للتقارب مع الاسلام.

وأكد ان الحوار بين ممثلي الحضارات والنخبة في المجتمعات يعتبر مفيداً ومثمراً.

وتابع ان مثل هذه الملتقيات تثمر عن التبادل بين الافكار ويستطيع المشاركون توضيح وجهات نظرهم وتحديد النقاط المشتركة على مختلف الاصعدة.

وحول البرنامج النووي الايراني السلمي قال آية الله التسخيري ان بعض البلدان الغربية تسعى لعرقلة تطور ايران في هذا الاطار وهي تحاول تسييس هذه القضية في الوقت الذي تعتبر قضية فنية ويجب حلها في اطار الوكالة الدولية للطاقة الذرية وليس مجلس الامن.

وعقد الملتقى الدولي لحوار الحضارات بحضور ٦٠٠ شخصية اجتماعية وسياسية ودينية من مختلف بلدان العالم في جزيرة رودس باليونان.

تقرير عن

الاحتفال باليوبيل الذهبي للاسلام في كوريا
سيئول ـ كوريا الجنوبية ٩ ـ ١٤ أوكتوبر ٢٠٠٦

اعداد الدكتور محمد خاقاني
أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة اصفهان

أقيمت احتفالات كبيرة في كوريا الجنوبية بمناسبة مرور خمسين عاماً على دخول الاسلام كوريا باقامة معرض للحضارة العربية والاسلامية شمل عرض حياة الرسول الأعظم في لوحات باللغة الكورية وطريقة حياة المسلمين ومختلف عباداتهم وعاداتهم وملابسهم ونتاجهم العلمي والأدبي.

وقد حضر افتتاح المعرض وزير الصناعة والطاقة ووزير البناء والمواصلات نيابة عن رئيسة الحكومة الكورية بسبب انشغال رئيسة الوزراء بالاجتماع الطارئ لبحث الرد على التجربة النووية لكوريا الشمالية. ومن الدول العربية والاسلامية حضر جميع سفراء الدول العربية والاسلامية لدى سيئول (أو من ينوب عنهم) وكذلك شخصيات ثقافية واعلامية من مصر وايران وتونس والسودان.

وقد قام على تنظيم واقامة هذا المعرض جمعية كوريا والشرق الأوسط برعاية وزارة الخارجية والصناعة ووكالة السياحة وكبريات الشركات الكورية ذات الاهتمام بمنطقة الشرق الأوسط مثل SK وهيونداي وسامسونغ وغيرها.

وقد أقيم على هامش المعرض مؤتمر دولي لمناقشة قضية الحوار الحضاري حاضرت فيها من ايران وألقيت كلمتي بعنوان: قراءة اسلامية في حوار الحضارات واقعية والمستقبلية، وقد أذيع جزء منها في وسائل الاعلام الكورية، بالاضافة الى أستاذة آخرون من كوريا ومصر وعمان وتونس وغيرها.

وقد افتتح المؤتمر بكلمات للأستاذ الدكتور هان دوك كيو رئيس جمعية كوريا

والشرق الأوسط والأستاذ الدكتور عبدالرزاق سون جو يونغ رئيس اتحاد المسلمين الكوريين وسعادة السفير موسى حمدان الطائي سفير عمان لدى سيئول وعميد السلك الدبلوماسي العربي وسعادة السفير رضا الطايفي سفير جمهورية مصر العربية الذي هنأ كوريا في كلمته بانتخاب السيد بان كي مون فارس الدبلوماسية الكورية أميناً عاماً للأمم المتحدة خلفاً للسيد كوفي عنان الأمين الحالي ومشيداً في الوقت نفسه بالحكومة الكورية التي ترعى هذا الحدث العظيم الذي يسهم بدور كبير في اظهار الصورة المشرقة للاسلام والمسلمين.

كما وجه في كلمته الشكر للأستاذ الدكتور هان دوك كيو على هذا التنظيم الباهر لمعرض تجليات الحضارة الاسلامية على مر العصور.

وكان من أهم ايجابيات هذا الحدث هو توضيح صورة الاسلام المشرقة في وسائل الاعلام الكورية (التلفزيون ـ الصحافة ـ الاذاعة).

وقد اعترف كثير من المشاهدين للمعرض الذي تجاوز تعداد زائريه المائة ألف بكثير أن هذا المعرض أسهم وبشكل فعال في زوال سوء فهم كثير من الكوريين للاسلام والمسلمين.

وأصبح الكثير يعرف الاسلام بحضارته وعطائه المتميز وفضله على الحضارة الغربية بعد أن كانوا يعرفون المنطقة العربية والاسلامية بالغنىٰ والنفط أو الحروب والصراعات.

تاريخ دخول الاسلام في كوريا

لم تعرف بعد متى كانت الصلة الأولى ما بين المسلمين والكوريين. بحسب العديد من المصادر فقد بدأت هذه الصلة ما بين العرب المسلمين وشبه الجزيرة الكورية للمرة الأولى في منتصف القرن التاسع الميلادي. لأن الاسلام قد ظهر في منتصف القرن السابع الميلادي وتوسع ليشمل بلاد العجم. فقد كانت هناك اتصالات ما بين العرب والعجم المسلمين وبخاصة مع الصين بشكل مستمر وتوسعت فعالياتهم في القرن التاسع لتمتد الى شبه الجزيرة الكورية من خلال انشاء ممر بحري لهذا البلد. كان ذلك بالفترة التي

قامت بها مملكة شيلا على توحيد الأجزاء الثلاثة لشبه الجزيرة.

وفي تلك الفترة لم يثبت أن الاسلام كان قد دخل كدين وانما كانت هناك تبادلات تجارية وثقافية ما بين المسلمين والكوريين وذلك اما من خلال الزيارات المباشرة للتجار العرب المسلمين أو عن طريق الصين بطريقة غير مباشرة. وقد لوحظ وجود آثار لسلع تجارية وصناعات اسلامية كان مجتمع مملكة شيلا يستخدمها.

مع بداية القرن الحادي عشر كانت البلاد تحت حكم مملكة كوريو وقد قام التجار وعلى نطاق واسع باعمال تجارية مع الحكومة الكورية آنذاك. كما صدرت أوامر عديدة من قبل ملوك كوريا والتي تعطي الكثير من التسهيلات للتجار العرب المسلمين وسمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية كالصلاة والصوم.

وأيضاً لم يتوفر دليل واضح على نشر الاسلام في تلك الفترة من قبل التجار العرب.

وفي عم ١٢٧٠ وعندما حكم المغول كوريا، حضر معهم العديد من المسلمين وقد كان معظمهم من أواسط آسيا واستوطنوا بشكل دائم بفضل المعاملة الحسنة للمسلمين وفرص الحياة الاقتصادية الجيدة.

كما أنهم حازوا على العديد من الميزات في كل أجزاء البلاد وشكلوا هيئاتهم الاجتماعية الخاصة في عاصمة كوريا وخارجها وكانوا يحتفون بمناسباتهم ويرتدون أزياءهم الاسلامية. بالاضافة الى أنهم بنوا مسجداً (قاعة الاحتفالات) وسُمّي القائمون على الدعوة آنذاك بالدورو والذين تم اختيارهم من قبل المجموعات الاسلامية لمتابعة أمور الدعوة بما يتناسب مع الشريعة الاسلامية من وقت لآخر حيث كان مجلس الحكم الكوري يدعو هؤلاء الدورو للحضور كضيوف شرف خلال احتفالات البلد واظهار أمور دينهم كقراءة القرآن الكريم والدعاء بالعمر المديد لحياة ملوك تلك الفترة وازدهار البلد، وقد كانت الأدعية تتلى بالغة العربية أيضا.

وفي عام ١٤٢٧ وتحت القانون الجديد لمملكة تشوسون (١٣٢٩ ـ ١٩١٠) واجهت الفعالية الاسلامية مخاطر عديدة وحرم عليهم ممارسة شعائرهم الدينية ومنعت عليهم شعائرهم الدينية ولبس العمائم.

كافة هذه الأمور دعا المستوطنين المسلمين والذين كانوا أصحاب مراكز اجتماعية واقتصادية عالية إلى التوقف عن اقامة الشعائر الدينية والدعوة التي مارسوها لفترة ١٥٠ عاما. بذلك توقفت مع بداية القرن الخامس عشر كل الدعوات الاسلامية بتاريخ كوريا القديم.

وفي عام ١٩٢٠ بدأ التواصل ما بين المسلمين والكوريين مرة أخرى بعد أن حضرت جالية من المسلمين التركمان وعددهم حوالي ٢٠٠ شخص من أواسط روسيا هربا بدينهم من الحكم البلشفي هناك وأقاموا بشكل دائم في عدد من المناطق الكورية.

من خلال عملهم الجاد وتجارتهم الرابحة تمكنوا من تشكيل حياتهم الاجتماعية، كما عاشوا بشكل مريح واشتروا أبنيتهم بوسط سيئول كما أقاموا مسجداً ومدرسة في سيئول ومقبرة اسلامية بضواحي المدينة.

ولكن المسلمين التركمان والذين عاشوا في كوريا منذ عام ١٩٢٠ اضطروا للهجرة نتيجة للتغيرات السياسية التي حصلت مع استقلال كوريا عام ١٩٤٥ وانقسامها الى قسمين شمالي وجنوبي.

وبعد عام ١٩٥٠ هاجر معظم التركمان الى الولايات المتحدة وكندا واستراليا وتركيا ما عدا عائلة أو عائلتين حيث بقوا حتى عام ١٩٦٠.

بداية تأسيس المجتمع الاسلامي الحديث

في عام ١٩٥٥ ظهرت هيئة اسلامية جديدة من خلال مجموعة الجنود الأتراك المشاركين بالحرب الكورية ما بين عامي ١٩٥٠ ـ ١٩٥٣ تحت قيادة الأمم المتحدة.

وقد كان الجنود الأتراك بالاضافة لواجبهم في تحقيق السلام والحرية يعملون أيضاً على نشر الدين الاسلامي مما دعا المسلمين الكوريين الأوائل إلى فتح مركز اسلامي في كوريا.

ومن هؤلاء الجنود المدعو عبدالغفور قره اسماعيل اوغلو والذي كان اماما للجنود الأتراك.

وفي عام ١٩٥٦ أُنشئت بخيام عسكرية مدرسة تشونج ـ جين للتعليم الاعدادي والاسلامي وركزت على تعليم الأولاد الفقراء وقد اهتدى العديد منهم الى الاسلام.

وفي يوليو عام ١٩٥٦ توسعت نشاطات الدعوة باستلام لامام الشاب زبير قوش والتي بدأها الامام عبدالغفور، وقد أقيمت مؤتمرات واتصالات على نطاق واسع ونجح الامام زبير باقامة مسجد مؤقت بخيمة عسكرية كبيرة مع مئذنة، وبذلك عدت كأول مسجد في كوريا. ونظراً لجهوده الجبارة وصل عدد المسلمين في كوريا حتى تاريخ مغادرته عام ١٩٥٧ الى ٢٠٨ مسلماً.

في الستينات، أخذ الاسلام بالتوسع بشكل تدريجي في كوريا منذ عرف بواسطة الأئمة والجنود الأتراك. وقد أظهرت العديد من الهيئات في الدول الاسلامية اهتماما كبيرا بالمسلمين الكوريين. الى أقسام عديدة وصغيرة.

تطور أداء الدعوة الاسلامية على يد مجموعة من المسلمين عام ١٩٦٥ وتم لم شمل المسلمين تحت قيادة مؤسسة واحدة وموحدة، وفي أبريل ١٩٦٥ تم انشاء اتحاد المسلمين الكوري ومازال قائماً حتى الآن.

اسس هذا الاتحاد مسجداً مؤقتاً مع مكاتبه بمنطقة ونهيورو بمدينة سيئول ومارست فعاليات الدعوة الاسلامية. لقد حققوا العديد من القفزات النوعية من خلال تطوير علاقات الأخوة مع العديد من الهيئات والمنظمات الاسلامية في العالم الاسلامي. وتلك الفترة قام مولانا سيد جميل (رئيس جمعية القرآن الكريم في باكستان) بزيارة كوريا. وقد كان في كل زيارة يقوم بها يعطي انطباعات عظيمة لدى المسلمين الكوريين كما اعتبروه اماماً للمسلمين الكوريين.

وفي عام ١٩٦٧ بدأت الهيئة باصدار صحيفة باللغتين الكورية والانجليزية لتنشر بها آخر تطورات الدعوة داخلياً وخارجياً.

وبعد انتقال مكاتب الاتحاد والمسجد الى منطقة ناميونج دونج طورت الدعوة الاسلامية عملها من خلال اقامة المحاضرات وتوزيع الكتيبات للتعريف بالاسلام كما أوفدت بعض الطلبة المسلمين الى البلدان الاسلامية ليكونوا حملة للدعوة في المستقبل.

هذا الأمر أدى الى ارتفاع وارادات الاتحاد ما أعطى الفرصة لبناء مسجد ومركز اسلامي حيث كن مقراً للدعوة الاسلامية أيضاً.

وعند ظهور الحاجة الملحة للنفط توجهت أنظار الدولة الكورية بشكل مفاجئ وباهتمام كبير للدول الاسلامية. بذلك تحقق حلم بناء مسجد بشكل كامل وذلك عندما تبرعت الحكومة الكورية بقطعة أرض مساحتها ٥٠٠٠ متر مربع لبناء مسجد ومركز اسلامي في سبتمبر ١٩٧٠.

وفي منتصف السبعينات ونظراً للتطور السريع في كوريا ظهر الاسلام بحلة جديدة عندما فتحت العديد من الدول الاسلامية ذراعيها ومنحوا العديد من المساعدات للمسلمين الكوريين حيث وصل اجمالي تلك المنح الى ٤٠٠٠٠٠ دولار أمريكي.

وفي أكتوبر ١٩٧٤ بدأت الأعمال الانشائية بمسجد سيئول المركزي والمركز الاسلامي. وقد انتهت عملية البناء بعد سنتين حيث أقيم حفل الافتتاح في ٢١ مايو ١٩٧٦ بحضور أكثر من ٥٠ شخصية من ١٧ دولة اسلامية ولاحقاً لهذا الحفل قام العاملون على الدعوة الاسلامية في تلك الدول بتقديم المنح والثناء على نشر الدعوة الاسلامية في كوريا.

وبعد عام ١٩٧٦ أتت ظروف ممتازة لنشر الاسلام بين الكوريين بعد بناء المسجد وقيام بعض الشركات الكورية بتعهدات بناء في الشرق الأوسط. ونظراً لوجود عدد كبير من العاملين لدى هذه الشركات في الشرق الأوسط وأبدوا اهتماماً بالاسلام قام الاتحاد بفتح معهد لتعليم اللغة العربية بالمركز الاسلامي في يونيو ١٩٧٦. هذا وقد قام العاملون على الدعوة بالاضافة لتعليم اللغة العربية للكوريين من غير المسلمين بنشر تعاليم الدين الاسلامي وقد اعتنق العديد منهم الاسلام بعد الانتهاء من فترة الدراسة مما ضاعف عدد المسلمين الكوريين خلال فترة قصيرة.

كما قام الاتحاد بترجمة واصدار الكتب حول الاسلام في يوليو ١٩٧٦ حيث طبعت سلسلة من ١٧ كتيباً باللغة الكورية وتم توزيعها مجانا. بنفس الوقت استمر اصدار الصحيفة الأسبوعية ومجلة الاسلام بشكل دوري للتعريف بفعاليات الدعوة لدى الاتحاد

كما صدر تفسير للقرآن الكريم مترجماً الى اللغة الكورية.

وفي عام ١٩٨٠ قام الرئيس الكوري السيد تشي كيو ها بزيارة رسمية الى المملكة العربية السعودية وأقام اتفاقية بين البلدين من ضمنها المساعدة على انشاء كلية اسلامية في كوريا. وبناءً على هذه الاتفاقية تبرعت الحكومة الكورية بقطعة أرض مساحتها ٤٣٠٠٠٠ متر مربع في منطقة يونج ان والتي تبعد ٥٠ كيلومتر عن مدينة سيئول، وكلا البلدين أقاما جمعية مشتركة من أجل انشاء الكلية الاسلامية. في ديسمبر ١٩٨٢ ناقشت الجمعية المشروع وتقررت التكاليف على نفقة المملكة العربية السعودية. وفي سبتمبر ١٩٧٧ طورت الدعوة الاسلامية نشاطها وأقامت جمعية للطلبة المسلمين في كوريا، ولم تكتف هذه الجمعية بنشاطها على الطلاب المسلمين وانما امتدت للتعريف بالاسلام لدى الوسط الطلابي بشكل عام من خلال القاء المحاضرات والاجتماعات الأسبوعية في كل جامعة، كما شملت نشاطاتها اقامة معرض شتوي للثقافة الاسلامية بوسط سيئول لعاصمة برعاية من اتحاد المسلمين الكوري وسفارات الدول الاسلامية في كوريا. وقد حققت هذه المعارض نتائج عظيمة بجعل عامة الناس من غير المسلمين أن تتفهم الاسلام بشكل صحيح وساهمت في زيادة فعاليات الدعوة الاسلامية.

أيضاً في عام ١٩٨٣ وتحت رعاية منظمة الشباب المسلم العالمية (وامى) يقام مخيم للشباب وبكل صيف في كوريا مما يؤمن للطلبة التدريب على الحياة الاسلامية ويزيد من معرفتهم حول أمور دينهم ويتم ايفاد بعض التلاميذ لدراسة الاسلام لدى العديد من الدول الاسلامية.

ومع توسع الحركة الاقتصادية في الشرق الأوسط بفترة السبعينات قام العديد من الكوريين بزيارة الدول الاسلامية مما زاد اهتمامهم بالاسلام هناك، واستجابة للحاجة الملحة أقام الاتحاد فرعاً للدعوة ومركزاً اسلامياً في مدينة جدة بمارس ١٩٧٨ بمساعدة كريمة من الشيخ عمر عبدالله كامل، وبذلك المركز تقام المحاضرات والدروس التعليمية للكوريين من غير المسلمين هناك مما دعا حوالي ٨٠٠٠ منهم الى اعتناق الاسلام حتى الآن.

وفي تموز ١٩٧٩ أقيم فرع آخر للدعوة في مخيم الزهراء بالكويت بمقر شركة سام هو

كونستركشن.

وانتقل الشيخ سليمان لي هينج لاي (الامام الحالي لمسجد سيئول) لنشر الاسلام بين العمال الكوريين وقد أسلم على يده حوالي ٣٠٠٠ منهم لغاية يوليو ١٩٨٤.

أيضاً تم افتتاح فرع للاتحاد في اندونيسيا عام ١٩٨٢.

الحركات الفعالة للدعوة الاسلامية ابتدأت منذ افتتاح مسجد سيئول المركزي والمركز الاسلامي وتوسعت بخطى ثابتة الى العديد من المناطق خارج سيئول فتشكل تجمع اسلامي في مدينة بوسان منذ عام ١٩٧٦ ومدينة كوانجو منذ عام ١٩٧٨ ومدينة جنجو منذ عام ١٩٨٦.

كما تم بناء مساجد في المدن المذكورة برعاية كريمة من بعض رجال الأعمال المسلمين من ليبيا والكويت ومصر. ثم بني مسجد آخر بمدينة أنيانج في ابريل ١٩٨٦ على نفقة الشيخ حسين يوشانج الذي اشترى كنيسة من ماله الخاص وحولها الى مسجد.

وقد تم افتتاح مساجد مؤقتة في منطقتي أولسان وتشيجو.

أربعون عاماً مضت على زرع البذرة الأولى للاسلام في كوريا وقد أنبتت هذه البذرة حوالي ٤٠٠٠٠ مسلم يزيدون برعاية الله وعونه مع ٥ مساجد و٦ أفرع تحت قيادة اتحاد المسلمين في كوريا والذي يشكل الجسد السليم للدعوة الاسلامية في كوريا.

بعد مرور خمسين عاماً من دخول الاسلام في كوريا، هذه الدولة التي تشمل ٤٨ مليون نسمة تحتضن لحوالي مائة ألف مسلم، أربعون ألفاً منهم من الكوريين والآخرون من الساكنين في هذا البلد.

ختاماً أشكر الله تعالى على توفيقي في المشاركة في هذا الاحتفال الكبير والقاء كلمة مثيرة ايجابية في هذا المؤتمر الدولي، كما قد قمت بالتنسيق لتحضير معرض عن المنتوجات الفنية اليدوية من اصفهان عاصمة الثقافة الاسلامية وقد وفقنا في هذا المعرض أن نحوز الرتبة الأولى بين ١٨ من الدول الاسلامية المشاركة في هذا المعرض بناء على نتائج استفسارات من مجموع الكوريين الذين زاروا هذا المعرض خلال أسبوع كامل.

على أمل أن يزداد التواصل بين أبناء الأمة الاسلامية في شرق العالم وغربه.

شرم الشيخ تستضيف مؤتمر وزراء التعليم في منطقة الشرق الأوسط ودول الثماني

احتضنت مدينة شرم الشيخ المصرية المؤتمر الإقليمي الموسع لوزراء التعليم في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، اضافة الى تركيا وأفغانستان وباكستان، وذلك يومي ٢٣ و٢٤ مايو (أيار) من السنة الراهنة.

ويأتي مؤتمر الدول الثماني الكبرى (G8)، والذي تترأسه مصر ممثلة عن منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بجانب روسيا بوصفها الرئيس الحالي لمجموعة الـ G8 ضمن فاعليات «منتدى المستقبل»، الذي يواكب المنتدى الاقتصادي الدولي الذي يقام للمرة الأولى في مدينة شرم الشيخ تحت شعار «التعليم من أجل المعرفة»، ويصاحبه معرض «تعليم ٢٠٠٦». ويركز المحور الرئيسي للمؤتمر على الدور الذي تلعبه تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تطوير العملية التعليمية في دول المنطقة.

كما يشارك في المؤتمر مجموعة كبيرة من المنظمات والهيئات الدولية، منها البنك الدولي ومنظمة «اليونسكو» و«الرنامج الانمائي للأمم المتحدة» و«الايسيسكو» و«الأليسكو» و«الاسكوا»، وجامعة الدول العربية، و«البنك الاسلامي للتنمية»، و«صندوق العرب للانماء»، اضافة للعديد من الخبراء والمختصين وممثلي المجتمع المدني والمهتمين بقضايا تطوير التعليم في منطقة الشرق الأوسط.

وقال الدكتور يسري الجمل وزير التربية والتعليم المصري، ان المؤتمر خرج بمبادرة اقليمية وخطوات عملية تهتم بتطوير التعليم باستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بدعم ومشاركة من دول «مجموعة الثماني» مع تبني اطار للعمل المشترك وتبادل الخبرات في مجال استخدام شبكة التعليم العالمية، واعتباره مركزاً اقليمياً لتبادل الخبرات والمعارف في مجال التعليم في المنطقة.

اتحاد الكتاب العرب يحتفل بيوم الكتاب العربي

دمشق: احتفل اتحاد الكتاب العرب بيوم الكتاب العربي وذلك تحت رعاية نائب الرئيس السوري للشؤون الثقافية نجاح العطار وبمشاركة نخبة من الادباء والباحثين السوريين والعرب.

وقال رئيس الاتحاد الدكتور حسين جمعة في كلمة له خلال الاحتفال ان الاتحاد يرمي الى تعزيز اهداف القراءة وصولا الى مبتغياتها النبيلة وان تشمل جميع مناحي الحياة الثقافية ومناشطها بدءا من معالجة ازمة الكتاب وازمة القراءة مروراً بتوزيع الكتاب وتسويقه ومن ثم ترجمته الى لغات عالمية أخرى.

واضاف الدكتور جمعة ان الاتحاد يعمل على ايصال رسالة ثقافية وفكرية غايتها الاولى تجسيد المعاني الوطنية والقومية والانسانية التي تؤيد القيم السامية وتجسدها واقعاً وسلوكاً مؤكداً سعيه الدائم الى توطيد العلاقات الثقافية مع الاتحادات والروابط الادبية البارزة في العالم.

من جهته حذّر المدير العام لمؤسسة الوحدة للطباعة والنشر الدكتور ممتاز الشيخ في كلمة باسم المشاركين من قوى تسعى الى ابعادنا عن ثقافتنا وتعرقل امكاناتنا الفكرية وتحول بيننا وبين وعينا لمعنى هويتنا الثقافية الوطنية والقومية لتمنعنا من الوصول الى مكاننا الحضاري الذي كنا قد ساهمنا في تثبيت اسسه عبر تاريخ امتنا.

وشدد الدكتور الشيخ على اهمية خلق المناخ المناسب الذي يدفع الاجيال الى اقتناء الكتاب والتعامل معه على اساس انه لازم حيوي في الحياة مشيراً الى ان المشكلة الكبرى تكمن في تسليع الكتاب وتسليع الثقافة.

من جهته تطرق نائب رئيس اتحاد الناشرين العرب ورئيس اتحاد الناشرين السوريين عدنان سالم إلى ازمة الكتاب وازمة الابداع العربي في الفكر والعلم وكذلك عن مشكلة الرقابة المتشددة على الكتاب التي تحدّ من انتشاره ووصوله الى القارئ.

وذكر سالم ان الكتاب عنوان التحضر وان عصر لمعرفة الذي نتأهب للدخول فيه غير اولوياته وارتقى بالثقافة الى المرتبة الاولى وسلمها مفتاح التقدم والقوة مؤكداً ان الفرصة

لم تفت على العرب بعد فما زال لديهم الأدمغة والمفكرون الذين يستطيعون ان يفاخروا بهم الامم شرط توفر المناخ الملائم لاستيعاب عطائهم وابداعهم.

وحضر الاحتفال عدد من كبار المسؤولين السوريين وممثلي البعثات الدبلوماسية العربية والاجنبية في دمشق وجمهور من الادباء والمفكرين والمثقفين.

وتشمل الفعاليات معارض للكتاب في مبنى اتحاد الكتاب العرب والمراكز الثقافية في سوريا ومعرضاً للفنان التشكيلي فاضل زكريا وحفلاً موسيقياً بالتعاون مع المعهد العالي للموسيقى اضافة الى ندوات فكرية وامسيات ادبية.

الجزائر تحتضن الملتقى الدولي حول الكتابة النسائية بمشاركة عربية واجنبية

تستضيف الجزائر شهر نوفمبر المقبل الملتقى الدولي الاول حول الكتابة النسائية بمشاركة عربية واجنبية.

وذكر المركز الجزائري للبحث في الانثروبولوجية الاجتماعية والثقافية الجهة المنظمة للملتقى في بيان ان اكاديميين وباحثين من مختلف الجامعات العربية والاجنبية وروائيين وكتاباً عرباً وأجانب سيشاركون في الملتقى الدولي الاول.

واضاف ان المشاركين سيسلطون على مدى يومين الضوء على القضايا التي تطرحها الكتابة النسائية على المستويات الاجنبي والجزائري والمغاربي على وجه الخصوص.

الجامعة العربية تقيم ندوة في اطار الاحتفال باليوم العالمي للملكية الفكرية

القاهرة ذكرت جامعة الدول العربية انها عقدت ندوة بمقرها بالقاهرة في ٢٦ ابريل حول الملكية الفكرية في عصر المعلومات وذلك في اطار الاحتفال باليوم العالمي للملكية الفكرية واشارت في بيان صحافي الى أن احتفال هذا العام يأتي تحت شعار

الملكية الفكرية بدايتها فكرة وذلك بعد أن كانت الدول الاعضاء في المنظمة العالمية للملكية الفكرية الويبو قررت ان يكون هذا اليوم من كل عام يوماً للاحتفال بالملكية الفكرية، وأوضحت أن الاحتفال باليوم العالمي للملكية الفكرية يهدف الى تعزيز الوعي بدور الملكية الفكرية في حياتنا اليومية وتكريم المبتكرين والفنانين لاسهامهم في تطوير المجتمعات المنتشرة في مختلف ارجاء المعمورة، وتنظم الندوة وحدة الملكية الفكرية بالامانة العامة للجامعة العربية بالتعاون مع المركز المصري للملكية الفكرية وتكنولوجيا المعلومات. يذكر أن يوم ٢٦ ابريل هو ايضاً التاريخ الذي دخلت فيه اتفاقية انشاء المنظمة العالمية للملكية الفكرية حيز النفاذ عام ١٩٧٠.

افتتاح معرض طرابلس للكتاب الـ ٣٢

افتتح في مدينة طرابلس في شمال لبنان في ١٦/مايو/٢٠٠٦ معرض الكتاب السنوي الـ ٣٢ تحت رعاية رئيس الوزراء اللبناني.

وشدد ممثل رئيس الوزراء وزير الاشغال العامة والنقل محمد الصفدي في كلمة خلال افتتاح المعرض الذي تقيمه الرابطة الثقافية في طرابلس على اهمية المعرفة والابداع الثقافي والفني والعلمي من اجل الارتقاء بالمجتمعات لمواكبة العصر.

ويعتبر معرض طرابلس السنوي للكتاب من اهم المحطات الثقافية ومن اقدم معارض الكتاب التي اقيمت في الوطن العربي.

ويشارك في هذا المعرض الذي سيستمر حتى السابع من الشهر المقبل مؤسسات ودور نشر لبنانية وعربية تعرض احدث الاصدارات في شتى مجالات العلوم والمعارف والتكنولوجيا والدراسات الاسلامية.

اتحاد الكتاب العرب يحتفل بيوم الكتاب العربي

دمشق: في ١٦ / ابريل افتتح اتحاد الكتاب العرب احتفالية يوم الكتاب العربي في

دمشق وذلك بمشاركة نخبة من الادباء والباحثين السوريين والعرب.

وتتخلل الاحتفالية التي كانت برعاية نائب الرئيس السوري للشؤون الثقافية نجاح العطار كلمات لراعي الاحتفال ورئيس اتحاد الكتاب العرب وكلمة للمشاركين وأخرى لاتحاد الناشرين العرب ثم تلا ذلك افتتاح معرض للكتاب من منشورات الاتحاد ومعرض تشكيلي للفنان فاضل زكريا.

وتضمنت الاحتفالية عدة ندوات منها ندوة ازمة الكتاب العربي وندوة حول الترجمة وندوة الاتفاق والاختلاف في الكتابة الذكورية والأنثوية في ١٨ ابريل واخرى حول كتاب الطفل في ٢٢ من الشهر نفسه وندوة اخيرة حول النقد العربي الحديث والهوية.

واختتمت الانشطة بحفل موسيقي قدمته فرقة وجوه التابعة للمعهد العالي للموسيقى.

من محام بقضايا الاجرام الى مدافع عن الأقلية المسلمة

أليسون.. أول مسلم ينتخب للكونغرس الامريكي

كيث اليسون، أول ديمقراطي مسلم يدخل الكونغرس الأمريكي، كان محامياً بقضايا الاجرام، لكن يفترض فيه الآن أن يتحول الى مدافع عن أقلية مسلمة تحولت أنظار الشك اليها منذ هجمات ١١ أيلول / سبتمبر ٢٠٠١.

وبالاضافة الى كونه اول مسلم يدخل الكونغرس، فان اليسون ـ ذا الأصول الصومالية ـ هو أيضاً أول أميركي من أصول أفريقية يدخل الهيئة التشريعية الأميركية عن ولاية مينيسوتا «ناصعة البياض».

ويأمل المحامي المسلم أن يكون انتخابه لمجلس النواب، حافزاً للمسلمين على السعي الى المناصب السياسية، قائلاً «الحقيقة أن الناس يعرفون كثيراً من المسلمين.. لكنهم فقط لا يعرفون أنهم مسلمون».

جمعية فرنسية تهدي مليونين ونصف مليون وثيقة لمكتبة الاسكندرية

صرح رئيس مكتبة الاسكندرية اسماعيل سراج الدين بأن جمعية أصدقاء قناة السويس الفرنسية أهدت مليونين ونصف مليون وثيقة رقمية تتعلق بقناة السويس منذ تأسيسها وتم تسليمها للمكتبة يوم الخميس.

وقال سراج الدين ان المكتبة ستنظم احتفالية خاصة بمناسبة هذا الاهداء «الذي يعتبر اهم اهداء تلقته المكتبة منذ تأسيسها قبل بضعة اعوام».

وتتضمن الاحتفالية في يومها الثاني الجمعة توقيع اتفاقية بين رئيس المكتبة سراج الدين ورئيس جمعية أصدقاء قناة السويس الفرنسية ارنود راميير تتيح لمكتبة الاسكندرية نشر هذه الوثائق على موقعها في شبكة الانترنت. وتغطي هذه الوثائق تاريخ قناة السويس منذ بدأ مشروعها وتوقيع الاتفاقية بين فرديناند ديليسبس والخديوي سعيد على حفر القناة في عام ١٨٥٤ وحتى قيام الرئيس المصري الراحل جمال عبدالناصر بتأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ لتحويل ايراداتها لتمويل بناء السد العالي.

في ١٧ شوال ١٤٢٧ هـ

ممثلو ٩ من البلدان الاعضاء في منظمة الايسيسكو يزورون الابنية التاريخية في اصفهان

طهران / ارنا: زار ممثلو ٩ من البلدان الاعضاء في منظمة «الايسسكو» المشاركون في المؤتمر الدولي للنتاجات الثقافية في العالم الاسلامي الابنية التاريخية في مدينة اصفهان.

وتفقد هؤلاء ساحة «نقش جهان» التي تعتبر تراثاً عالمياً «وعالي قابو» و«مسجد امام» ومسجد «شيخ لطف الله» و «بازار» والجسور التاريخية في اصفهان وشارع «جهار

باغ عباسي».

وشارك ممثلون من تونس وليبيا والمغرب وباكستان والاردن وسورية ومصر وماليزيا وليبيا في المؤتمر المذكور.

واختتم المؤتمر اعماله في فندق «عالي قابو» وصدر بيانا بهذه المناسبة.

واقيم هذا المؤتمر من قبل المنظمة العلمية والثقافية والتعليمية التابعة لمنظمة المؤتمر الاسلامي (آيسسكو) بالتعاون مع رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية.

وواصل المؤتمر المذكور اعماله لمدة ثلاثة ايام ونوقشت فيه مختلف القضايا الثقافية.

مصدر مسؤول: صندوق ضمان الصادرات الايراني يدعم المشاريع الايرانية في السودان

طهران /١٩ شوال ١٤٢٧ هـ / ارنا: اعلن رئيس هيئة الادارة والمدير التنفيذي لصندوق ضمان الصادرات الايرانية كمال سيد علي ان هذا الصندوق يدعم المشاريع الايرانية التي تنفذ في السودان.

واكد كمال سيد علي خلال استقباله وفداً سودانياً رفيع المستوى من وزارة الدفاع في هذا البلد اكد على ضرورة ان يؤدي هذا الصندوق دورا تنفيذياً على صعيد تطوير العلاقات ورفع مستوى التعاون التجاري بين ايران والسودان.

آلام في يد فتاة بحرينية تتحول الى لفظ الجلالة

احتار الأطباء ورجال الدين في تفسير حالة فتاة بحرينية تتلقى العلاج في الأردن حالياً من ألم تعاني منه في يدها اليمنى حيث تتحول الخطوط التي تظهر على يدها وتسبب الألم الى كلمة «الله» أو «لا اله إلّا الله».

وقالت صحيفة «الدستور» الأردنية ان الفتاة مريم حاولت ان تجد علاجاً لمشكلتها لدى اطباء ورجال دين في البحرين والسعودية وقطر ولكن دون جدوى الى ان قررت ان

تذهب الى الاردن علها تجد العلاج.

ونقلت الصحيفة عن مريم قولها ان مشكلتها بدأت منذ ثلاث سنوات تقريباً وكانت البداية آلاماً في اليد والجسم «وهي آلام موجعة» جعلتها تضطر لزيارة الاطباء لشكّها ان يكون ما اصابها مرض جلدي او اي نوع من الامراض الاخرى، إلّا ان الاطباء لم يجدوا اي حل لما يرونه امامهم، لان البداية وكما تقول مريم تكون عبارة عن خطوط حمراء مؤلمة تعود لتكتمل فتكتب لفظ «الله» او «لا اله إلّا الله»، اضافة الى ان عدداً كبيراً من الاطباء الذين عرضت عليهم مريم ظنوا ان هذه الفتاة تعاني من مرض نفسي حسب قول الفتاة.

كما نقلت الصحيفة عن والدة مريم قولها «ساورني الشك في البداية ولكن عندما وجدت ان هذه الكلمات تكتب امامي وان الخطوط الحمراء تحولت الى لفظ الجلالة، لم يعد لدي اي نوع من الشك مطلقاً، ولكن اردت ان اعرف السبب وما يجري ليطمئن قلبي وقلب ابنتي، لذلك اتجهت الى السعودية من اجل أداء العمرة ومن اجل الاستفسار من قبل علماء الدين عما يحدث، حيث ظهر لفظ الجلالة وهي في الاراضي المقدسة، إلّا ان العلماء لم يجدوا تفسيراً وانهم لم يفصحوا عن هذا الموضوع».

واضافت مع ذلك لم يكن هناك تفسير واختفت الكلمة لتعود مرة اخرى عند عودتها الى البحرين، ولكن هذه المرة تحولت الآلام الى لفظ الشهادة فظهرت «لا اله إلّا الله».

وتابعت الام «حاولنا كثيراً تصوير لفظ الجلالة على يد مريم في مكة المكرمة، إلّا اننا لم نستطع ذلك مطلقاً، ولكن عندما عدنا الى البحرين وظهر لفظ الشهادة «لا اله إلّا الله» قمنا بتصويره ونشر في الصحف البحرينية كافة، إلّا اننا ايضاً لم نجد اي تفسير أو توضيح من قبل العلماء لهذه الظاهرة، فأتينا الى الاردن من اجل ذلك علنا نجد الحل هنا، الا اننا الى الآن لم نجد طريقاً الى احد من العلماء ورجال الدين ليبينوا لنا ما الذي يحدث».

بقيمة مليار ونصف المليار دولار
مذكرة تفاهم ايرانية ـ سورية ـ فنزويلية لانشاء مصفاة نفط مشتركة في سورية

وقعت في دمشق، مذكرة تفاهم ثلاثية بين الجمهورية الاسلامية الايرانية وسورية وفنزويلا لانشاء مصفاة مشتركة لتكرير النفط في سورية، بقيمة استثمارية اجمالية تبلغ ملياراً ونصف المليار دولار أميركي.

وأفاد مراسل (ارنا) من دمشق: انه وقع المذكرة عن الجانب الايراني محمد نعمت زادة معاون وزير النفط ومدير عام شركة تصفية وتوزيع المشتقات النفطية في ايران، وعن الجانب السوري حسن زينب معاون وزير النفط، وعن الجانب الفنزويلي روبيرتو دليغادو مدير عام التكرير للمصافي في فنزويلا.

وجاء التوقيع على هذه المذكرة بناء على رغبة رؤساء الجمهورية الثلاثة الايراني محمود أحمدي نجاد والسوري بشار الأسد والفنزويلي هوغو تشافيز.

وتبلغ الطاقة الانتاجية للمصفاة (١٤٠) ألف برميل في اليوم.

وتم في الوقت الحالي ترشيح موقعين لانشاء المصفاة الاول في مدينة حمص وسط البلاد والثاني في مدينة دير الزور شمال شرقي البلاد، على أن يتم لاحقاً اختيار الموقع النهائي.

وفي تصريح للصحفيين، أكد معاون وزير النفط الايراني أهمية انشاء هذه المصفاة لزيادة المشتقات النفطية وتحقيق قيمة مضافة من خلال تكرير النفط الخام سواء كان النفط سورياً أو مستورداً من احدى الدول المجاورة أو من ايران او فنزويلا.

بدوره، قال سفيان العلاو وزير النفط السوري الذي حضر التوقيع: ان الوفود الفنية أنهت اجتماعاتها الأولية ووضعت الاطار الزمني للبدء باعداد الدراسات وتحديد الموقع النهائي للمصفاة والمواصفات اللازمة للنفط المنتج والنفط الخام المقترح تكريره في هذه المصفاة، وأضاف: انه في ضوء هذه الدراسات والنتائج ستتم متابعة الاجراءات اللازمة،

مشيراً الى أنه تم الاتفاق أيضاً على تشكيل لجنة مشتركة تضم ممثلين عن كل دولة من المختصين الفنيين لوضع هذه المذكرة موضع التنفيذ.

شاب ايراني يخترع انساناً آلياً لاطفاء الحريق

ايلام / ارنا: اخترع شاب ايلامي، بالتعاون مع جامعة العلوم الطبية روبوتاً لاطفاء الحرائق.

واوضح هذا المخترع الشاب لمراسل ارنا ان روبوت اطفاء الحرائق يستخدم في اطفاء الحرائق التي يتعرض فيها عمال الاطفاء الى المخاطر ويمكن ارشاد هذا الروبوت بواسطة المشغل واطفاء الحريق.

واضاف يونس نصري صانع هذا الروبوت انّ اجزاءه تتشكل من الاقسام المحركة والمواجهة والمتقدمة للسيطرة واطفاء الحرائق.

واوضح نصري ان هذا الجهاز قد حاز على تأييد دائرة تسجيل الاختراعات الايرانية.

وبين «ان روبوت اطفء الحرائق يتمكن من القيام بمهامه وتوجيهه من على بعد ٢١٠ امتار».

واعتبر المثابرة والسعي بهدف تحقيق نتيجة من صنع هذا الروبوت بانها من عناصر النجاح.

واعلن عن قيام عدد من الاخصائيين بتكميل نماذج اخرى من الروبوتات الاخرى الخاصة باطفاء الحرائق.

ترميم اقدم مخطوطة للقرآن الكريم في الصين

بدأ الخبراء الصينيون في شمال غرب الصين مؤخراً العمل في ترميم نسخة خطية للقرآن الكريم تبلغ من القدم ٧٠٠ عام والتي يبدو انها اقدم نسخه للقرآن الكريم مكتوبة بخط اليد.

وذكرت وكالة الانباء الصينية ان العمل على ترميم هذه المخطوطة بدأ في مؤسسة

البحوث الفنية للحفاظ على الآثار المقدسة الصينية بتحليل علمي لاوراق المخطوطة وحبرها.

وصرح «زي سن شاي» مدير المؤسسة الذي ترأس ثلاث مجاميع ترميم مقتدرة تابعة للمؤسسة: ستقوم بمسح البقع الموجودة على صفحات هذه المخطوطة كما سيتم ترميم الصفحات المتعرضة للضرر باستخدام احدث التقنيات.

وكان يحتفظ بهذه المخطوطة ذات الـ ٨٦٧ صفحة والتي هي في مجلدين في صندوقين في مسجد«جاي‌زي» في مدينة «جونخوا» في الصين. وكان قوم «سالار» قد جلبوا هذه المخطوطة معهم للصين قبل حوالي ٧٠٠ عام حين هاجروا من «سمرقند» باتجاه الشرق. ويعتقد الخبراء ان تاريخ كتابة هذه المخطوطة الثمينة يعود الى القرن الثالث عشر للميلاد وأكد «زي» على ان مشروع ترميم هذه المخطوطة سيتم بنجاح لان هذين المجلدين لم يتعرضا لأضرار بليغة واضاف قائلاً: ان مجاميع الترميم ستقوم باستخدام اقل مقدار ممكن من المواد الكيمياوية لاجراء تحاليلهم ليتجنبوا احداث ضرر بهذه المخطوطة.

ويتوقع «زي» ان ينتهي هذا المشروع في غضون عام. وقد خصصت مؤسسة التراث الثقافي في الصين ميزانية يبلغ قدرها ٥٥ ألف دولار لهذا المشروع كما تم تأسيس معرض بجوار مسجد «جاي زي» تبرع السكان المحليون بتكاليف انشائه التي تبلغ ٥٠٠ الف دولار وذلك لغرض عرض هذه المخطوطة.

نقلاً عن مجلة زن روز

ترجمة مهدي سلماسي

ملتقى «السيرة النبوية» الكبير ينعقد في زاهدان

طهران /كيهان العربي: بمناسبة عام الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) تحتضن مدينة زاهدان الايرانية انعقاد ملتقى «السيرة النبوية» الكبير.

اعلن ذلك المجمع العالمي **للتقريب بين المذاهب الاسلامية**، واضاف: ان هذا الملتقى

العلمي الذي تدار أعماله على مدى يومين وبرعاية ممثلية سماحة قائد الثورة الاسلامية لشؤون هل السنة في محافظة سيستان وبلوجستان وبالتعاون مع المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، سيشهد مشركة وحضوراً لعدد من الضيوف على الجمهورية الاسلامية من داخل ايران وخارجها.

ويحضر هذا الملتقى العلمي حشد من علماء الدين والاساتذة الجامعيين الشيعة والسنة، وعلى رأسهم آية الله التسخيري الامين العام لمجمع التقريب بين المذاهب الاسلامية، والشيخ عبدالفتاح البزم مفتي دمشق، وحجة الاسلام والمسلمين سليماني ممثل القائد في شؤون اهل السنة بمدينة زهدان، وحجة الاسلام والمسلمين قراءتي والدكتور رحيم بور ازغندي اضافة الى عدد آخر من مشايخ وعلماء اهل السنة في محافظة سيستان وبلوجستان، حيث ستكون لهم كلمات تلقى على مسامع المشاركين في هذا الملتقى.

ايران واندونيسيا تتعاونان في المجال الطبي

اعلنت الجمهورية الاسلامية الايرانية واندونيسيا استعدادهما للتعاون في مجال انتاج الادوية والامصال الطبية وكذلك الزمالات الدراسية.

وبحث وزير الصحة والعلاج والتعليم الطبي كامران باقري لنكراني خلال استقباله يوم السبت نظيره الاندونيسي في طهران، المواضيع الصحية وامكانيات البلدين واتفقا على التعاون في مجال انتاج الأدوية والامصال والاجهزة الطبية وتبادل الزمالات الدراسية. وقال باقري لنكراني: ان التعاون الصحي مع اندونيسيا يأتي في اطار التعاون الواسع بين البلدين والذي تسارعت وتيرته بعد زيارة الرئيس الايراني الى اندونيسيا.

واعرب عن امله في أن يسهم التعاون المتبادل بين ايران واندونيسيا بنمو وتطور النظام الصحي في البلدين.

وكان وزير الصحة الاندونيسي قد وصل الجمعة الى طهران في اطار تعزيز التعاون الصحي والعلاجي بين ايران واندونيسيا.

اقامة معرض للصناعات اليدوية الايرانية في طوكيو

افتتح السبت في طوكيو معرض للصناعات اليدوية الايرانية تحت عنوان (الفنون الايرانية) في صالة سفارة الجمهورية الاسلامية الايرانية.

وصرّح رئيس شركة (ورلد وايد آريا) أمير هوشنك مكري لمراسل (إرنا) على هامش المعرض: ان هذا المعرض الذي تستمر أعماله يومين يضم قطعاً نفيسة من السجاد الايراني وصناعات يدوية أخرى للحرفيين الايرانيين. وأضاف: انه تم السعي لعرض أعمال أصيلة لحرفيين ايرانيين من مختلف مناطق البلاد ليتعرف عليها محبو الفن الايراني في اليابان.

وأوضح بأن من أهم مميزات المعرض عرض قطع من السجاد والجليم مصنوعة من أكثر المواد جودة.

ويضم المعرض أيضاً لوحات زخرفية وصناعات زجاجية وآلات موسيقية ايرانية وغير ذلك.

ايران تحتل المرتبة ٣٢ في مجال النانوتكنولوجيا في العالم

صرح مدير شبكة مختبرات النانوتكنولوجيا في البلاد رضا اسدي فرد، ان ايران تحتل المرتبة ٣٢ بين دول العالم في مجال النانوتكنولوجيا.

واضاف اسدي فرد في تصريح لوكالة ارنا السبت: ان الارضية للنانوتكنولوجيا في البلاد تم اعدادها قبل خمسة اعوام ومن ثم جرى تأسيس لجنة لتدشين هذه التكنولوجيا قبل عامين.

واوضح: بأن الهدف من تأسيس هذه اللجنة هو تحقيق التقدم في النانوتكنولوجيا والوصول الى مرتبة احدى الدول العشر الاولى في العالم في هذا المجال.

اهداء (٢٣) الف نسخة من الكتب والافلام الى مكتبة الروضة الرضوية في مشهد

ذكرت العلاقات العامة لمؤسسة المكتبات والمتاحف واسناد الروضة الرضوية الشريفة، انه خلال النصف الاول من العام الايراني الحالي اهدت المؤسسات ودور النشر المختلفة اكثر من (٢٣) الف نسخة من الكتب والافلام الى المكتبة المركزية للروضة الرضوية. واضاف محمد نعيم آبادي رئيس دائرة الخدمات في المكتبة المذكورة: ان عملية اهداء الكتب خلال العام الحالي شهد نمواً كبيراً بالمقارنة مع العام الماضي.

وتابع: ان وزارة الثقافة والارشاد اهدت لوحدها (١٤) الف نسخة من الكتب المختلفة، والبقية اهدتها جهات ومؤسسات حكومية وخيرية.

كما اوضح نعيم آبادي، بأن المكتبة قامت خلال النصف الاول من العام الحالي باانتاج (٢٤٣) قرصاً مدمجاً واشرطة كاسيت وفيديو تتضمن محتوياتها مختلف الآثار والمستندات الخطية والسمعية والبصرية.

مؤكداً بأن مجموع كتب المكتبة الرضوية في مختلف فروعها على مستوى البلاد قد بلغ ٢/٥ مليون كتاب و(٧٨) الف مخطوطة و(٣٤) الف كتاب ذات طباعة حجرية.

توسيع التعاون الثنائي بين ايران وجزر القمر

أعلن وزير الجهاد الزراعي الايراني محمد رضا اسكندري استعداد ايران لتوسيع التعاون الثنائي مع جزر القمر في المجال الزراعي.

وأشار اسكندري لدى استقباله وزيرة الزراعة والثروة السمكية والصناعة والبيئة بجزر القمر (سيتي ماسيم)، أشار الى مذكرة التفاهم الموقعة بين البلدين خلال زيارة وفد ايراني الى جزر القمر قبل عدة أشهر وصرح قائلاً: ان الجانب الايراني يبذل كافة جهوده لتنفيذ الاتفاقيات المبرمة بين البلدين.

وأكد سياسة الجمهورية الاسلامية الايرانية في تطوير العلاقات مع الدول الافريقية

ولاسيما التي لها مشتركات عقيدية مع ايران واعتبر جزر القمر بأنها من ضمن هذه الدول وقال: ان متابعة تطوير علاقات ايران مع بعض الدول الافريقية ومنها جزر القمر ملقاة على عاتق وزارة الجهاد الزراعي.

من جانبها، أشارت وزيرة الزراعة والثروة السمكية والصناعة والبيئة في جزر القمر خلال اللقاء الى رغبة رئيس جمهورية بلادها في توسيع التعاون مع ايران واعتبرت ان الهدف من زيارتها لايران هو التعرف على الطاقات والامكانيات في قطاع الزراعة ومتابعة الاتفاقيات السابقة بين البلدين.

ووصفت (سيتي ماسيم) مسيرة التعاون النامية بين البلدين بأنها جيدة وقالت: ان هذا التعاون سيستمر في اطار الاحترام والثقة المتبادلة.

تزامناً مع عيد الفطر..

الهلال الاحمر الايراني يدشن مركزاً صحياً متخصصاً في جمهورية جزر القمر

طهران / وكالة مهر: دشّنت جمعية الهلال الاحمر الايرانية في يوم عيد الفطر المبارك مركزاً صحياً متخصصاً في جزيرة آنجوان بجمهورية جزر القمر.

وقال مساعد مدير جمعية الهلال الاحمر الايرانية لشؤون العلاج والطبابة «تم في مذكرات التفاهم الموقعة بين جمعية الهلال الاحمر في الجمهورية الاسلامية الايرانية وجمعية الهلال الاحمر في جمهورية جزر القمر الاتحادية الاتفاق على تدشين مركز صحي في البلد الاخير».

وأضاف الدكتور احمد موسوي «ان جمعة الهلال الاحمر الايرانية قامت بارسال حمولة ٢٠ طناً من الاجهزة الطبية وغير الطبية والمواد الاستهلاكية الى جمهورية جزر القمر» حيث تعهدت الحكومة في جمهورية جزر القمر بتقديم مبنى مناسب لجمعية الهلال الاحمر الايرانية من اجل تشغيل هذا المركز الصحي.

واضاف احمد موسوي ان هذا المركز الصحي يضم طبيباً عاماً واطباء متخصصين في

طب الاسنان والتضميد وقسم الطوارئ ومختبراً وصيدلية وقسم اللقاحات، لافتاً الى امكانية تطوير هذا المركز الطبي الى مستشفى.

واوضح مساعد مدير جمعية الهلال الاحمر الايرانية لشؤون العلاج والطبابة ان الجمعية تقدم خدمات طبية جليلة في ١٥ بلداً في العالم، معرباً عن امله بأن تتحسن هذه الخدمات التي تقدمها جمعية الهلال الاحمر الايرانية الى البلدان الفقيرة والمحرومة من الناحيتين الكمية والكيفية.

في أمريكا ٤٠ مليوناً لا يجيدون القراءة والكتابة!

واشنطن / وكالات: توم جونسون شاب أمريكي مثقف تخرج من قسم الدراسات الدولية من احدى الجامعات الأمريكية الشهيرة، قال منذ أيام خلال حوار عابر: أن اثنين من أفراد أسرته لا يعرفون إلّا القدر اليسير من القراءة والكتابة بما لا يتعدى التوقيع على الأوراق الرسمية أو قراءة أسماء الشوارع وأرقام البيوت.

تُعرّف الأمم المتحدة الأمية بأنها عدم القدرة على قراءة أو كتابة جملة بسيطة بأي لغة. وبناء على هذا التعريف وطبقاً لإحصاء أممي صدر عام ١٩٩٨، فإن ١٦٪ من سكان العالم أميون أي لا يعرفون قراءة أو كتابة جملة بسيطة. وبناء على دراسة أعدها المركز القومي للإحصاءات التعليمية **National Center for Education Statistics** عام ٢٠٠٣، فإن ١٤٪ من الأمريكيين البالغين لا يجيدون القراءة والكتابة. وأن ما يزيد عن نصف تلك النسبة لم تحصل على شهادة الثانوية العامة. أعلى نسبة أمية تقع بين أبناء الجالية اللاتينية أو الهيسبانك ٣٩٪ من إجمالي عدد الأميين في الولايات المتحدة، بينما نسبة الأمية بين البيض لم تشهد زيادة أو نقصاناً طوال العقدين الأخرين وهي ٣٧٪ من إجمالي عدد الأميين، لكن هذا الرقم صغير بسبب بلوغ نسبة البيض العالية بين سكان الولايات المتحدة، إذ تبلغ ما يقرب من ٧٥٪ من إجمالي سكان الولايات المتحدة. بينما قلت نسبة الأمية بين السود خلال العقد الأخير الى ٢٠٪ من إجمالي عدد الأميين.

تشير الدراسات الى أن واحداً فقط من كل عشرة أمريكيين يستطيع بسهولة تحديد

موقع الولايات المتحدة على خريطة العالم، في حين أن تسعة من كل عشرة فرنسيين يستطيعون تحديد موقع الولايات المتحدة على الخريطة بسهولة. كما أن معلومات معظم الأمريكيين عن ثقافات وشعوب العالم محدودة للغاية.

طبقاً لإحصاء مجلة نيشنز بيزنس **Nations Business** فإن المجتمع الأمريكي يعاني من وجود ١٥ مليون أمي عاطل عن العمل، الأمر الذي يكلف اقتصاد الدولة مئات الملايين من الدولارات سنوياً. إدراك المؤسسات التعليمية لأضرار الأمية على المجتمع وسعيها لمجابهة هذا التحدي دفع الكونغرس عام ١٩٩١ الى تشريع قانون لمحو الأمية أطلق عليه قانون القدرة على القراءة والكتابة القومي **Act National Literacy** وأنشأ معهداً لمحو الأمية وزيادة قدرة الأمريكيين على اتقان مهارات الكتابة والقراءة. كما تقوم معظم المكتبات العامة بتنفيذ برامج فصلية لتأهيل الأميين وتعليم الإنجليزية للمهاجرين الجدد.

ايران تبني مجمعاً سكنياً في طاجيكستان

بدأ العمل في أول مشروع لمجمع سكني يقام في العاصمة الطاجيكية دوشنبة بمشاركة ايران وذلك خلال مراسم اقيمت بحضور مسؤولين عن البلدين.

ويتألف المشروع من بناء ٢٣٤ وحدة سكنية وحضر المراسم رئيس المجلس الوطني الطاجيكي وامين العاصمة محمد سعيد عبيد الله اوف الذي اشاد بالمسؤولين الايرانيين على جهودهم بنقل تكنولوجيا البناء الى بلاده.

واضاف: ان البدء بهذا المشروع يمثل حركة جديدة على صعيد الاستفادة من الاعمار طبق الطراز الايراني الحديث في مدينة دوشنبة.

واعرب عن امله بأن يترك هذا المشروع تأثيراً طيباً على عملية التعاون الجارية بين البلدين.

واعتبر عبيد الله اوف اللغة والثقافة المشتركة بين البلدين بأنها تشكل عنصراً رئيساً في الاسراع بتطوير العلاقات بين ايران وطاجيكستان.

من جانبه صرح محافظ خراسان الرضوية (شمال شرق) ورئيس الوفد الايراني خلال هذه المراسم محمد جواد محمدي زادة: ان اللغة والثقافة المشتركة جعلت المواطن الايراني والطاجيكي لا يشعران بالغربة في البلد الآخر.

واضاف: بالرغم من ان الايرانيين والطاجيكيين كانوا منفصلين عن بعضهما البعض خلال ٧٠ عاماً المنصرمة لكن القواسم الثقافية المشتركة ربطتهما بسرعة بعد استقلال طاجيكستان وتأكيد البلدين على تنمية وتمتين الاواصر بينهما بسرعة.

واعرب عن استعداد ايران لمساعدة طاجيكستان في قطاع البناء واحداث المساكن وكذلك بناء مصانع انتاج معدات وادوات البناء في هذا البلد.

وادلى المدير التنفيذي لشركة (ساوتكنيك ايران) محمد رضا حسين خاني بتصريحات عن تفاصيل هذا المشروع وقال: ان هذا المجمع السكني سينشأ ضمن ثلاث بنايات ذات ١٨ طابقاً اثنان منها تحت الارض وعلى ارض بمساحة ١٠ آلاف متر مربع ويضم المشروع بناء ٢٣٤ وحدة سكنية.

واعلن ان كلفة هذا المشروع ستبلغ ٢٥ مليون دولار بمشاركة بلدية مدينة دوشنبة ومن المقرر انجازه خلال ٢٧ شهراً.

مفتي استراليا يرفض الاستقالة ويطالب بتنظيف العالم من البيت الابيض

سيدني / ا ف ب: رفض الشيخ تاج الدين الهلالي مفتي استراليا الاستقالة من منصبه عقب تصريحاته حول النساء المتبرجات اللاتي قال انهن بلا حجاب مثل «اللحم المكشوف».

وقال الشيخ الهلالي الذي اوقف عن القاء الخطب في المساجد لمدة ثلاثة اشهر بسبب تصريحاته انه لن يتنحى من منصبه إلّا اذا اصبح العالم «نظيفاً» من البيت الابيض.

وعقب اجتماع طارئ لزعماء الجالية الاسلامية في المسجد الذي أدلى فيه الهلالي بتصريحاته الشهر الماضي أعلن المفتي (٦٤ عاماً) موافقته على التوقف عن القاء الخطب

لمدة شهرين الى ثلاثة أشهر.

الا ان زعماء الجالية رفضوا اقالة الهلالي المصري المولد.

وكان الهلالي قد شبه النساء غير المحتشمات اللواتي لا يرتدين الحجاب بـ «اللحم المكشوف» مشيراً الى انهن يعرضن انفسهن بذلك للهجمات الجنسية.

وجاءت تصريحات الامام الشيخ تاج الدين الهلالي في خطبة خلال شهر رمضان المبارك امام ٥٠٠ من المصلين انتقد فيها النساء اللواتي «يتمايلن» ويتبرجن ولا يرتدين الحجاب الاسلامي حسب صحيفة «ذي استراليان».

البشر بعد ألف سنة: إما عمالقة أذكياء.. وإما أقزام أغبياء

قالت دراسة بحثية أجراها عالم بريطاني أن التطور الوراثي والجيني البشري سيؤدي بعد نحو ألف سنة من الآن الى انقسام الناس الى فئتين أساسيتين إحداهما تضم عمالقة اذكياء والأخرى تضم اقزاماً أغبياء.

ووفقاً للنتائج التي أوردها عالم النشوء والتطور الدكتور أوليفر كاري في تقرير أعده حول دراسته البحثية التي أجراها لصالح مركز «داروين للأبحاث» التابع لكلية لندن للعلوم الاقتصادية، فإن «وتيرة التطور البشري الراهنة تشير الى أن نهاية الألفية الحالية ستشهد ظهور رجال يتمتعون بخصائص جسدية وذكورية فائقة حيث من المتوقع أن يصل طول قامة الرجل الى أكثر من مترين. وفي الفئة نفسها ستتمتع النساء بقامات تقترب من ١٩٠ سنتيمتراً».

في المقابل، توقعت الدراسة أن تظهر فئة من البشر «الأقزام» ذوي الاجسام الضئيلة والقامات القصيرة نسبياً والعقول الأقل ذكاء مقارنة بنظرائهم الذين ينتمون الى فئة العمالقة الأذكياء، إلّا أن القاسم المشترك بين الفئتين سيتمثل في الضعف البدني وكثرة الإصابة بالأمراض بسبب الإفراط في الاعتماد على التكنولوجيا.

وأوضح الدكتور كاري أن التقسيمات الطبقية الاجتماعية ستلعب دوراً أساسياً في إحداث ذلك التمايز الذي سيؤدي في نهاية المطاف الى ظهور هاتين الفئتين، مشيراً الى

أن انجذاب الرجال ذوي القامات الطويلة الى النساء طويلات القامة سيساهم في تعزيز ذلك الاتجاه الذي ستتجلى نتائجه بوضوح بعد نحو ألف سنة من الآن.

ويرى الدكتور كاري ان العام ٣٠٠٠ سيشهد وصول ذلك التمايز البشري الى ذروته القصوى قبل أن يبدأ في الانحسار خلال الألفية المقبلة.

تأليف سمفونية تحت عنوان الامام علي (عليه السلام)

الموسيقار الايراني «شاهين فرهت» ينوي تأليف سمفونية دينية جديدة تحت عنوان الامام علي (عليه السلام) بعد تأليفه لسمفونيتي النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) والامام الرضا (عليه السلام) مؤخراً.

وكان هذا الموسيقار قرر قبل اعوام تأليف سمفونية باسم كل واحد من الائمة المعصومين وفي هذا السياق سيبدأ قريباً بتأليف سمفونيته الجديدة.

ويقول «فرهت»: يجب وضع فواصل زمنية بين تأليف هذه السمفونيات وسأبدأ بتأليف السمفونية الجديدة بعد دراسة وبحث واسعين. ويرى «فرهت» ان مشاهير الموسيقيين العالميين الفوا اعمالاً لا تعد ولا تحصى حول المسيحية ولهذا فمن المفروض على المسلمين أيضاً اتباع هذا النهج.

وكانت سمفونية النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) قد اديت قبل مدة من قبل فرقة الاوركسترا الاوكرانية كما تم تسجيلها كذلك في اوكرانيا. ويتطرق الجزء الاول من هذه السمفونية الى وصف لشخصية وحياة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

اما بالنسبة للجزء الثاني فهو يتعلق بافكار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ودعوته الناس الى الاسلام. فيما يدور كل من القسمين الثالث والرابع والمصحوبين بقصائد شعرية، حول الحياة الملحمية للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وانتصاراته.

وكان «فرهت» قد عزم الامر في عام ٢٠٠٢ على تأليف سمفونية الامام الرضا (عليه السلام) والتي استند فيها على ما اقتبسه من القصائد الدينية القديمة التي قيلت في مديح هذا الامام. وألف «فرهت» هذه السمفونية في أربعة أجزاء مستلهماً في تأليفها من شخصية

الامام الرضا (عليه السلام). وكان لـ«فرهت» فكرة خاصة في الجزء الاول الذي هو على شكل «سوناتا»، استوحاها من الملامح الشخصية لهذا الامام في حين أن الجزء الثاني يدور حول طريقة تفكير الامام وارتباطه بالله تعالى. اما بالنسبة للجزء الثالث فهو يتطرق الى الافكار الدنيوية للامام الرضا (عليه السلام) فيما يتعلق بطريقة تعامله مع الناس وطريقته في الحياة.

والجزء الرابع من السمفونية هو بمثابة استنتاج من المؤلف للدروس المستخلصة من حياة الامام الرضا (عليه السلام) المباركة. وقد استوحى «فرهت» في تأليف هذا العمل من مفاهيم القرآن وبالاخص السور القصيرة الموجودة في نهاية القرآن الكريم اضافة الى مجموعة الاحاديث التي تشير الى شخصية هذا الامام الهمام.

وفي رده على سؤال حول سبب اختياره للامام الرضا (عليه السلام) لهذا العمل، يجيب «فرهت» قائلاً: لان حياة هذا الامام مليئة بالاحداث والجهود والمساعي لهداية البشرية والتي تمخضت عن معاناة كبيرة للامام في نهاية الامر، كما ان الامام الرضا (عليه السلام) هو الامام الوحيد الذي جاء الى ايران واستشهد فيها.

نقلاً عن صحيفة همشهري

ترجمة مهدي سلماسي

اقامة ملتقى الشاعر الايراني (جلال الدين الرومي) في تركمانستان

عقدت الملحقية الثقافية الايرانية في تركمانستان بالتعاون مع مركز الدراسات الثقافية والدولية التابعة للرابطة ملتقى (جلال الدين الرومي)، بهدف التعريف بهذا الشاعر الفارسي الكبير وذلك بحضور العديد من الاساتذة والباحثين في ٢٠٠٧/١/١٥ م في مدينة عشق آباد.

وتمّ خلال هذا الملتقى بحث سيرة ومكانة الشاعر المولوي (الرومي) في الادب العالمي وتأثيره على الشعراء الآخرين.

من جانب آخر، وبرعاية الملحقية الثقافية الايرانية في اوزبكستان وتأييد المجلس

العلمي لجامعة الاستشراق في طاشقند، تم تأليف كتاب (النثر الايراني المعاصر) الذي يبحث حول وضع النثر المعاصر منذ القرن العشرين وحتى اليوم، ويقع الكتاب في ١٧٦ صفحة وبلغ عدد النسخ (١٠٠٠) نسخة، وقام بتأليف الكتاب الدكتورة سروناز ساتيب الدي يوا استاذة اللغة الفارسية في جامعة الاستشراق، وقد استندت الدكتورة في تأليف الكتاب الى ابحاث ودراسات الباحثين محمد حقوقي ومير عابديني بالاضافة الى ابحاث اوروبية وروسية بهذا الخصوص.

كما قامت الملحقية الثقافية الايرانية في تركمانستان باصدار كتاب (سير الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم) باللغة الروسية.

وافادت العلاقات العامة لرابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية، ان الكتاب من تأليف آية الله السيد هاشم رسولي محلاتي، ويقع الكتاب في ٧٩ صفحة وبلغ عدد النسخ (٣٠٠٠) نسخة، وقامت بطبعة دار الهدى الدولية للنشر التابعة لمؤسسة الثقافة والعلاقات الاسلامية.

بناء على قرار رئيس الجمهورية بتطبيق قانون مكافحة التدخين..

فرض غرامات نقدية على المدخنين في الاماكن العامة ووسائط النقل

أبلغ رئيس الجمهورية محمود احمدي نجاد قانون المكافحة الوطنية للتدخين والحد منه الى وزارة الصحة والعلاج والتعليم الطبي بهدف تطبيقه.

ووفقاً لهذا الابلاغ ومن أجل التخطيط لمكافحة التدخين يتم تشكيل لجنة مكافحة التدخين برئاسة وزير الصحة وتضم في عضويتها كلاً من وزير الثقافة والارشاد الاسلامي ووزير التربية والتعليم ووزير التجارة وقائد قوى الامن الداخلي ورئيس مؤسسة الاذاعة والتلفزيون وممثلين عن لجنة الصحة والعلاج في مجلس الشورى الاسلامي وممثل عن المؤسسات غير الحكومية في البلاد.

وينص القانون على الحظر البات لاي دعاية ودعم وتشجيع مباشر او غير مباشر او

تحريض الاشخاص على التدخين وتتولى الحكومة لوحدها مسؤولية وضع السياسات والمراقبة والسماح باستيراد انواع التبوغ.

وتنص المادة ١٢ من هذا القانون على فرض غرامات نقدية على من يعرضون او يبيعون السجائر والتبوغ لمن تقل اعمارهم عن ١٨ عاماً ومصادرة هذه السجائر والتبوغ.

وينص هذا القانون أيضاً على فرض غرامات نقدية على المدخنين في الاماكن العامة او وسائط النقل العام.

وينص ابلاغ رئيس الجمهورية على ان تقوم وزارة الصحة والعلاج والتعليم الطبي بصياغة النظام التنفيذي لهذا القانون بالتعاون مع شركة «دخانيات ايران» خلال فترة لا تتجاوز ٣ أشهر لعرضه على مجلس الوزراء للمصادقة عليه.

وكان مجلس الشورى الاسلامي قد صوت لصالح هذا القانون الذي يضم ٢٠ مادة قبل أكثر من شهر ووافق عليه مجلس صيانة الدستور.

مراسم تكريم للفنانين والباحثين الاجانب في المعرض الدولي للقرآن الكريم

خلال مراسم اقيمت في معرض القرآن الكريم الدولي، تم تكريم الفنانين والباحثين في مجال القرآن الكريم.

وأضافت العلاقات العامة لرابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية التي اعلنت ذلك، لقد تم تكريم (٢٠) شخصية من تايلند وتركيا واندونيسيا والعراق والبوسنة والهرسك وسوريا وبنغلاديش وقطر والمغرب والسودان والكويت واليمن وتونس والجزائر وآذربايجان.

من جانب آخر، استضافت المكتبة الوطنية الايرانية الضيوف الاجانب خلال الجولة التفقدية التي أقيمت لهم في المعرض الدولي للقرآن الكريم، حيث ابدى الضيوف اعجابهم الشديد بهذا المعرض.

ومن بين الكتب المعروضة في المعرض، قاموس للغة العربية الى الفارسية بإسم (المنجد ٢)، ويعتبر هذا القاموس أكمل قاموس للغة العربية حيث يتألف من (١١٠) آلاف كلمة وعبارة عربية وأكثر من (٢٥٠٠) صورة.

بالاضافة الى عرض اقراص مدمجة وبرامج الكترونية تحتوي على تفاسير القرآن الكريم باللغات الفارسية والانجليزية والعربية والفرنسية بالاضافة الى برامج خاصة بالاطفال والناشئة حول مفاهيم القرآن الكريم.

ولأول مرة في العالم الاسلامي، أعدت مؤسسة ايرانية لابحاث القرآن بتدوين برنامج باسم (الفلق ٣) يعتبر اول قاموس للقرآن الكريم بثلاث لغات في العالم الاسلامي.

كما يعرض خلال المعرض، الزي الاسلامي للمرأة باسم (جلابيب) وذلك في ١٤ تصميماً مختلفاً ويتميز بالخفة والراحة وسهولة العمل به.

وكذلك تم خلال المعرض تأسيس مدينة الكترونية خاصة بالقرآن الكريم والهدف من هذه المدينة ايصال مفاهيم القرآن الكريم والعلوم القرآنية لمختلف الشرائح الاجتماعية واشاعة ثقافة القرآن الكريم في المجتمع. وتتضمن هذه المدينة اقساماً مختلفة مثل النوادي والكليات ومؤسسات بحثية ومعارض ومتاجر قرآنية أيضاً.

لجنة اعمار العتبات المقدسة في العراق تبدأ بترميم ضريح الامام علي (عليه السلام)

بدأت لجنة غرب محافظة طهران لاعادة اعمار العتبات المقدسة في العراق عمليات ترميم وصيانة ضريح الامام علي (عليه السلام) في النجف الاشرف.

واضاف رئيس اللجنة حسين شادمان في تصريحات ادلى بها يوم السبت: ان ثلاثة آلاف متر مربع من احجار الزينة تم نقلها الى مدينة النجف الاشرف لهذا الغرض.

واوضح شادمان: ان كلفة هذه الاحجار تبلغ مليارين و٧٠٠ مليون ريال (الدولار يعادل نحو ٩٢٠٠ ريال ايراني) وقد تم التبرع بها من قبل المواطنين في غرب محافظة طهران.

وتابع: ان من بين المشاريع الاخرى لهذه اللجنة بناء دار لرعاية الايتام في هذه المدينة.

واعلن عن اطعام الفي زائر يومياً في ضريحي الامام علي (عليه السلام) في النجف الاشرف والامام الحسين (عليه السلام) في كربلاء المقدسة بمناسبة شهر رمضان المبارك وذلك من تبرعات مواطني غرب محافظة طهران.

عمليات جراحية في المخ قبل ٤ آلاف سنة!

أعلن علماء آثار بلغاريون انهم تواصلوا أخيراً الى اكتشاف دليل أثري يثبت بشكل قاطع ان التاريخ البشري شهد اجراء عمليات جراحية في المخ قبل أكثر من ٤ آلاف سنة وأوضح الدكتور جورجي نيهريزوف الذي يترأس فريق تنقيب أثري بالقرب من مدينة ستيلنغراد انه تم العثور أخيراً على جمجمة رجل يعود تاريخها الى العام ٢٠٠٠ قبل الميلاد وان تلك الجمجمة يوجد بها ثقب لا يمكن سوى لجراح ماهر ان يثقبه لأغراض جراحية، ويعتقد العلماء ان تلك الجمجمة هي لرجل كان ينتمي الى شعب الثراسيين الذي كان يتألف من قبائل هندية ـ أوروبية وكان يعيش في منطقة البلقان طوال العصر البرونزي الذي امتد طوال الفترة بين العامين ٢٥٠٠ و ١٥٠٠ قبل الميلاد. ومن المقرر ان يقوم الدكتور نيهريزوف وفريق العمل التابع له بمزيد من أعمال التنقيب بهدف استكشاف أدلة اضافية قد تساهم في اثبات ان حضارات ما قبل الميلاد عرفت جراحات المخ والأعصاب.

تكريماً للشاعر الايراني الشهير مولانا..
اليونسكو تصادق على احداث وسام مولانا

باريس / ارنا: قرر المجلس التنفيذي لمنظمة الامم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم «اليونسكو» في اجتماعه الخامس والسبعين بعد المائة احداث وسام باسم «وسام

مولانا» تكريماً للشاعر الايراني الشهير «مولانا جلال الدين بلخي رومي».

وكانت ايران وافغانستان وتركيا قد صاغت وثيقة مشتركة توضح «وسام مولانا» وقدمتها لليونسكو التي صادقت عليها باجماع كافة البلدان الـ ٥٨ الاعضاء في مجلسها التنفيذي.

وجاء في هذه الوثيقة «ان احداث الوسام من قبل اليونسكو باسم (مولانا جلال الدين بلخي رومي) احد اكبر الشعراء والفلاسفة والذي يرتبط بالبشرية برمتها يبعث على الفخر والاعتزاز».

واعربت هذه الوثيقة عن الامل بأن يشكل هذا الوسام تشجيعاً خلال العام المقبل الذي يصادف مرور ثمانمائة عام على ذكرى ولادته بالنسبة للذين يساهمون في نشر اهداف وافكار هذا الشاعر والذي يعتبر نشراً لاهداف اليونسكو.

وبينت هذه الوثيقة ان هذا الزعيم الروحي وشاعر اللغة الفارسية الكبير «مولانا جلال الدين بلخي رومي» هو احد اكبر المفكرين والعلماء في الحضارة الاسلامية والذي كان يخاطب البشرية كوحدة واحدة برمتها.

واضافت الوثيقة «انه بسبب الجاذبية والصدق والاسلوب الممتاز في آثار هذا الشاعر فقد تحولت الى اشعاع منير يهدي الى الله وان هذه الآثار والافكار والتعاليم تجاوزت جميع الحدود الوطنية والثقافية والحضارية».

واوضح السفير الايراني وممثل ايران الدائم لدى اليونسكو احمد جلالي خلال هذا الاجتماع «ان ايران تدعم هذه الخطوة اذ ان مولانا مرتبط بالعالم برمته ولا يرتبط بنا فحسب وربما يمكن القول انه اكثر الشخصيات شمولية التي انبثقت عن الحضارة الاسلامية في مجال العلوم الانسانية والذي علمنا عمق الرابطة بين حرية الروح الانسانية ورسالة الاسلام الالهية والاديان التوحيدية الاخرى».

واكد جلالي ان المصادقة على احداث هذا الوسام تكريماً لمولانا يمنح بعداً جديداً للمثل القيمة لمنظمة اليونسكو.

ارتفاع منسوب مياه البحر قد يؤدي الى تشريد الملايين في آسيا

افادت اكبر هيئة علمية استرالية يوم الاثنين ان ملايين الاشخاص قد يشردون في منطقة آسيا والمحيط الهادئ بحلول عام ٢٠٧٠ بسبب ارتفاع منسوب مياه البحر خاصة في بنغلادش والهند وفيتنام والصين وجزء المحيط الهادئ.

وقالت منظمة الكمنولث العلمية والبحث الصناعي في تقرير تغير المناخ ان ظاهرة ارتفاع درجة حرارة كوكب الارض قد تؤدي الى ارتفاع مستوى مياه البحر ١٦ سنتيمتراً في منطقة آسيا والمحيط الهادئ بحلول عام ٢٠٣٠ و ٥٠ سنتيمتراً بحلول عام ٢٠٧٠.

كما سيؤدي ارتفاع درجات الحرارة الى زيادة الامطار خلال موسم الامطار الموسمية في الصيف في آسيا وقد يؤدي الى زيادة حدة العواصف الاستوائية مما سيغرق قرى ساحلية.

وقال التقرير الذي صدر ان (المناطق الساحلية في دول منطقة آسيا والباسيفيك عرضة لتأثيرات تغير المناخ بصورة كبيرة خاصة ارتفاع منسوب مياه البحر بسبب ارتفاع درجة حرارة كوكب الارض).

واضاف التقرير ان (مساحات شاسعة من المنطقة منخفضة خاصة دول الجزر الصغرى ودلتا الانهار في الهند وبنغلادش وجنوب شرق آسيا والصين).

وتابع ان ارتفاع مناسيب مياه البحر ما بين ٣٠ الى ٥٠ سنتيمتراً قد يؤثر على اكثر من مئة الف كيلومتر من المناطق الساحلية خاصة منطقة دلتا بيرل في الصين ودلتا بنغلادش.

وجاء في التقرير انه (مع ارتفاع منسوب مياه البحر اكثر من نصف متر فان المناطق المتضررة في منطقة آسيا والباسيفيك ستمتد الى نصف مليون كيلومتر مربع مما يؤثر على مئات الملايين من البشر).

وقال ان (مساحات واسعة من بنغلادش والهند وفيتنام ستغمر بالمياه وستتقلص مناطق مقل كيريباتي وفيجي وجزر المالديف الى مساحات صغيرة من الارض مقارنة بمساحاتها الحالية).

وتابع التقرير ان ارتفاع منسوب مياه البحر وزيادة الامطار سيؤديان الى انتشار الاوبئة في المنطقة مما سيجعل الملايين من سكانها اكثر عرضة للاصابة بحمى الدنج والملاريا.

واوضح التقرير ان اقتصاديات المنطقة محلياً واقليمياً ستتضرر بشدة بسبب مشكلة نقص الغذاء ومياه الشرب بصورة مستمرة، وحذر من ان اجمالي الناتج المحلي في سريلانكا سينخفض بسنبة ٢/٤ بالمئة مع ارتفاع درجة الحرارة درجتين مئويتين.

كما حذر التقرير من مشكلة اللاجئين بسبب كوارث بيئية والذين يفرون من اراضيهم التي غمرتها المياه حيث ترتفع معدلات الهجرة من بعض دول جزر جنوب المحيط الهادئ التي تواجه مشكلة ارتفاع منسوب مياه البحر.

وقال التقرير ان نحو ١٧ الف شخص من سكان الجزر تقدموا بطلبات هجرة الى نيوزيلندا في العامين الماضيين مقارنة باربعة آلاف شخص في عام ٢٠٠٣.

وقد واجهت جزيرة ميكرونيزيا المنخفضة في جنوب المحيط الهادئ ارتفاعاً في منسوب مياه البحر بنسبة ٢١/٤ ميلليمتر منذ ٢٠٠١.

ودفع التقرير الذي أُجري بتفويض من وكالات الاغاثة الاسترالية الى حث استراليا على بذل مزيد من الجهود في مواجهة مشكلة تغير المناخ ومشكلة اللاجئين بسبب كوارث بيئية.

ولم توقع استراليا اتفاقية كيوتو للحد من انبعاثات الغازات والتي تؤدي الى ظاهرة الاحتباس الحراري ورفضت طلبات من دول جزر المحيط الهادئ بقبول اللاجئين بسبب كوارث بيئية.

ودعا الاب تيم كوستيللو رئيس المنظمة الدولية غير الحكومية / ورلد فيجن / في استراليا الحكومة الاسترالية لمراجعة برامج الهجرة لاستيعاب النازحين بسبب ارتفاع مناسيب مياه البحر.

وقال كاستيللو للراديو المحلي ان (سيعود الامر علينا بالنفع ايضاً لأنه سيكون هناك

العديد من اللاجئين يطرقون ابوابنا تدفقوا الينا بسبب ارتفاع منسوب مياه البحر كما هو متوقع... وانهيار الاقتصاد والزراعة بسبب تغير معدلات هطول الامطار في العديد من هذه الدول).

اقامة معرض تاريخ الخطوط القرآنية في الحضارة الاسلامية في مشهد

أُقيم في معرض (جشمه جوشان) في الفترة من ١٢ ـ ١٨ / اكتوبر الماضي في مقر المكتبة المركزية للروضة معرض يمثل المراحل التاريخية والفنية للخط القرآني في ظل الحضارة الاسلامية منذ القرون الاولى وحتى الوقت الحالي.

وقال محمد حسن محمديان رئيس العلاقات العامة لمؤسسة المكتبات والمتاحف ومركز مستندات الروضة الرضوية بهذه المناسبة، من ابرز المصاحف المعروضة في هذا المعرض مصاحف اهل البيت (عليهم السلام) بالاضافة الى الكنوز الخطية المتوفرة لدى الروضة الرضوية. واستعرض محمديان انواع الخطوط المستخدمة في كتابة القرآن الكريم وطباعتها بالاضافة الى عرض مجموعة من الصحف والطوابع والكتب القديمة المرتبطة بالعلوم القرآنية.

مسلمو فرنسا يُقبلون اكثر فأكثر على الصيام في رمضان

باريس (اف ب): يشهد عدد المسلمين الذين يقبلون على الصيام في فرنسا تزايداً كبيراً حتى بين الذين لا يلتزمون بشكل تام تعاليم الدين الامل الذي اعتبره خبراء مؤشراً على التزايد اثر الخطاب الديني في فرنسا العلمانية.

وبحسب استطلاع اجرته اسبوعية «لا في» الكاثوليكية فان ٨٨٪ من مسلمي فرنسا يؤدون فريضة الصيام. وتصل هذه النسبة الى ٩٤٪ عند الشبان دون الثلاثين عاماً.

في المقابل فان الفرائض الأخرى في فرنسا التي تضم اكبر جالية للمسلمين في اوروبا (بين اربعة وخمسة ملايين مسلم) لا تلقى الاقبال نفسه.

وقال ٥٦٪ من المسلمين الذين جرى استجوابهم انهم لا يؤدون الصلوات الخمس في حين لم يقم الا ٤٪ منهم بفريضة الحج.

وقال الباحث مالك شبل وهو مؤلف للعديد من الكتب حول الاسلام ان تزايد الاقبال على الصيام «ظاهرة نلحظها منذ ١٥ عاماً».

واضاف ان هذه الظاهرة في جوهرها عامل انطواء على الهوية الدينية: «في وقت ما اصبح لدى المسلمين في فرنسا شعور بأنهم يشبهون الآخرين عبر العالم».

ورأى ان هذه الممارسة هي ثمرة الدعوات الدينية الحماسية والخطاب السياسي في فرنسا.

وقال أن «الوعظ اوجد في نهاية المطاف عقدة ذنب لدى غير الملتزمين دينياً الذين لم يعد بامكانهم الظهور بين الملتزمين». وأضاف ان هؤلاء الاخيرين «تمكنوا من تلقف خطاب القادة السياسيين الذين يؤكدون انهم يريدون الخروج بالاسلام الى النور».

وقال وزير الداخلية الفرنسي نيكولا ساركوزي لدى تأسيسه المجلس الفرنسي للديانة الاسلامية الجهة الممثلة لمسلمي فرنسا قبل ثلاث سنوات انه يريد اخراج الدين الاسلامي «من الاقبية والمستودعات».

ومن الامور الاخرى التي تفسر ظاهرة تنامي عدد الصائمين الحنين الى البلد الام.

وينطبق ذلك مثلاً على كاتب جزائري قدم الى فرنسا قبل عشر سنوات. وهو متزوج من فرنسية وناشط شيوعي وملحد لكنه يصوم خلال شهر رمضان. ويقول طالباً عدم كشف هويته «انه الحنين الى الوطن. زوجتي تقول عني انني مجنون ولكن ذلك لا يزعجني».

ورأى عبد الرحمن دحمان رئيس مجلس الديمقراطيين المسلمين في فرنسا الجمعية الناشطة ضد التطرف الاسلامي والذي قدم الى فرنسا في ١٩٦٤ ان عدد الصائمين «سجل انفجاراً» بنهاية ثمانينات القرن الماضي.

وقال «اصبح رمضان شهر الهوية بالنسبة لأتباع ديانة بأسرهم» ويرمز الى فشل

«سياسة تكييف» الاجانب التي اتبعتها فرنسا منذ سبعينات القرن الماضي.

وكان هذا المستشار التربوي السابق لاحظ آثار ذلك في المدارس الاعدادية والثانوية حيث يتزايد عدد الشبان الصائمين حتى بين الفرنسيين.

وتقول لوري الطالبة في ثانوية مونتري بضواحي باريس «اصوم احياناً تضامناً مع صديقاتي المسلمات».

ويؤكد مالك شبل أن رمضان باعتباره «المبدأ الاشد (شقة على النفس) في الاسلام فانه يوفر نوعاً من التسابق بين الشبان ما يمنحهم وضعاً معيناً ويتيح استبعاد من لا يصوم من المجموعة».

ورمضان شهر الحرمان والتضحية هو ايضاً شهر الاحتفال والتبذير في بعض احياء باريس مثل «برباس» كما يضفي على بعض الضواحي طابع المدينة العربية العتيقة حيث يتم بيع مستلزمات الوجبات المالحة والحلوة على الرصيف أحياناً.

وتقوم المحلات التجارية الكبرى بتخصيص اجنحة لبيع المنتجات الحلال التي تحترم ضوابط الشريعة الاسلامية. وهذه السوق التي ظلت هامشية لفترة طويلة اصبح يقدر حجمها اليوم بما بين ١/٥ وثلاثة مليارات يورو وهي تنمو بنسبة ١٥ بالمئة سنوياً.

وكيل الأزهر: الخلاف بين السنة والشيعة صناعة أعداء الاسلام

أكد الشيخ عمر الديب وكيل الأزهر الشريف ورئيس لجنة الحوار بين الأديان انه لا فرق بين شيعي وسني لأن الجميع يشهد أن لا اله إلّا الله وأن محمداً رسول الله (ﷺ) ولا فرق بيننا وبينهم.

وأكد وكيل الأزهر في تصريح في القاهرة: ان الخلاف بين السنة والشيعة صناعة أعداء الاسلام وان الأزهر كثيراً ما حذر من دعاوي الفرقة بين المسلمين لأن المؤمنين اخوة فهم اخواننا في الدين والعقيدة ولا نقبل أبداً أي عناصر تبث الفرقة بين المسلمين بحجة

ان هؤلاء شيعة وهؤلاء سنة لأنهم يريدون الفرقة بين الأخ وأخيه والمسلم والمسلم والمرء وزوجه فهؤلاء يريدون التفرقة، لأن الفرقة في صالحهم.

وأشار الديب الى أن الخلافات بين المذاهب الاسلامية سواء شيعية أو سنية خلافات فرعية لا تمنع من كون الجميع اخوة، موضحاً: ان التقريب بين المذاهب كان منذ عهد قديم في أيام الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر وانه ذهبت لجنة الى ايران في عهد الشيخ محمد سيد طنطاوي برئاسة الشيخ محمود عاشور ومعه عدد من علماء الأزهر وحضروا مؤتمراً للتقريب بين المذاهب.

وأكد ان التقريب بين السنة والشيعة قائم على قدم وساق ونحن في الأزهر ندرس الفقه الشيعي جنباً الى جنب مع الفقه السني، مشيراً الى أنه من وقت قريب زاره المستشار الديني والثقافي في سفارة ايران بالقاهرة وأهداه كتاباً لوالده عن التقريب بين المذاهب.

وأوضح انه في العام الماضي التقى وفد من الأزهر مع آية الله التسخيري وهو أحد كبار علماء الشيعة عدة مرات وكان ذلك في اطار لجنة غير رسمية للتقريب بين المذاهب وعقد اللقاء في منزل السفير الايراني في القاهرة وحضره شيخ الأزهر ومفتي مصر وجمع من علماء الأزهر وتحاورنا حوارات ودية حول سبل التقريب بين السنة والشيعة.

ونفى الشيخ عمر الديب أن يكون التقريب بين السنة والشيعة يحتاج الى قرار سياسي وقال: ان مثل هذه الأمور لا تصدر بالقرارات وعندما يصدر قرار بانشاء لجنة للتقريب بين السنة والشيعة ربما لا يكون له أثر ولكن العلاقات المباشرة بين علماء السنة والشيعة أعظم أثراً.

الحركة الطلابية تطالب الدول الاسلامية بقطع العلاقات مع الدنمارك

اصدرت الحركة الطلابية الاسلامية في ايران بياناً وذلك احتجاجاً على الاهانات المتكررة للتلفزيون الدنماركي لساحة الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم).

وجاء في البيان، ان الله سبحانه وتعالى قد اعمى بصيرة الكفار لكي لا يتسنى لهؤلاء الكفار معرفة حقيقة الدنيا والآخرة، ونحن نحمد الله سبحانه وتعالى لأنه جعل اعداء

الاسلام والمسلمين من الحمقى.

وحذر البيان الغرب والدنمارك على وجه الخصوص بعدم التمادي في غيهم والّا فإن كافة مصالحهم ستتعرض للخطر في كافة انحاء العالم. ودعت الحركة الطلابية في بيانها الحكومة الدانماركية الى معاقبة المتهمين بارتكاب هذه الجرائم. كما دعت الدول الاسلامية وخاصة الجمهورية الاسلامية الى قطع كافة العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية مع الحكومة العميلة في الدنمارك.

من جانب آخر استنكر الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين الخطوة التي قامت بها القناة التلفزيونية الحكومية في الدنمارك ببث شريط مهين لساحة الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم).

ودعا البيان الذي اوردته العلاقات العامة للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية الجميع الى احترام الدين الاسلامي ومقدساته ومشاعر مليار ونصف مليار مسلم في العالم، وطالب الاتحاد كافة المسلمين بفرض مقاطعة اقتصادية وثقافية شاملة على الدنمارك.

كما دعا البيان حكومات البلدان الاسلامية الى طرح موضوع اهانة الاديان على الجمعية العامة للامم المتحدة وعلى المنظمات والمؤسسات الدولية الاخرى بهدف اصدار قرار دولي بهذا الشأن. كما دعا البيان كافة المسلمين الى الوحدة والتضامن امام التحديات.

كما ادانت رابطة مدرسي الحوزة العلمية بقم في بيان لها امس الاثنين الاساءة التي وجهتها قناة تلفزيونية دنماركية للنبي الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) محذرة من ان هذا الاجراء تمهيد لتنفيذ خطة لاشعال حرب صليبية بين الاسلام والمسيحية.

وطالب البيان الجمهورية الاسلامية الايرانية بأن تعيد النظر في علاقاتها مع الحكومة الدنماركية وان تعمل بواجبها الاسلامي في هذا المجال داعياً الدول الاسلامية سيما العربية منها الى ان تأخذ بنظر الاعتبار مصالح الاسلام العليا في علاقاتها مع الدول الغربية للسيطرة على هذه الوتيرة الخبيثة.

الافلام الدينية في السينما الايرانية

السينما الدينية من المجالات التي حاولت بشكل او بآخر ان تجد موطئ قدم لها في السينما الايرانية بعد الثورة الاسلامية بعد ما كانت الساحة السينمائية تفتقدها في فترة ما قبل الثورة، ويعود السبب في بذل هذه المحاولات الى الصفة الاسلامية التي اتصفت بها الثورة والتي خلقت شعوراً لدى المسؤولين عن السينما بضرورة العمل على نشر الفكر الاسلامي على كافة الاصعدة وخاصة الثقافية منها والمجال الفني على وجه التحديد. وبالنظر لعدم امتلاك السينمائيين الايرانيين للخبرة الكافية في هذا المجال كان من الطبيعي ان تكون المحاولات الاولى هزيلة وتفتقد الى عمق النظر، كما كان طبيعياً ان تكون السينما الاجنبية النموذج الذي تقتبس منه السينما الايرانية للانطلاق في هذا المجال من الانتاج السينمائي.

السطحية في التعامل

اذا ما استعرضنا الاعمال المنتجة بعد الثورة في هذا المجال يمكن وبوضوح ملاحظة السطحية في التعامل من خلال ملاحظة عناوين واسماء هذه الاعمال مثل «راهي بسوى خدا» أي الطريق الى الله و«خشم الهي» اي الغضب الإلهي، و«سرباز اسلام» اي جندي الاسلام، وغيرها من الافلام. وكانت غالبية هذه الافلام لمخرجين من جيل السينما التقليدية المتعلق بفترة ما قبل الثورة، وكانت هذه الافلام لا تمت بأية صلة للافلام الدينية سوى من خلال اسمائها فقط.

ويمكن القول بان اول ما تبادر الى ذهن السينمائيين العاملين في المجال الديني هو ان يضيفوا الى افلامهم مشاهد تصور الشعائر الدينية، وهذه الطريقة كانت اقرب واسهل طريق يمكن بواسطته عرض المواضيع الدينية في السينما الايرانية، وفي الواقع فان هذه الشعائر شقت طريقها الى السينما الايرانية من خلال طرح المبادئ الثقافية الثورية الاسلامية في الافلام التي كانت تدور حول نضال الشعب ضد نظام الشاه، او الدفاع المقدس وما يدور حوله من احداث، رغم ان هذه الافلام كانت تعيد الى الذاكرة الصورة

المحرفة للشعائر الدينية لأفلام فترة ما قبل الثورة.

المحاولات الاولى

ان فلم «سفير» اي السفير للمخرج فريبرز صالح والمنتج عام ١٩٨٣ هو اول محاولة سينمائية بعد الثورة للدخول في عالم السينما الدينية، وقد انتج هذا الفلم على نمط الاعمال الكبيرة او الـ «سوبر برودا كشن» في السينما العالمية والتي كانت تنتج استناداً على الروايات الدينية، وهذه النوعية من الاعمال كانت تشتمل على تمهيدات خاصة من ناحية المكياج والاكسسورات وغيرها من العوامل وكان يستخدم فيها عدد كبير من الكومبارس. ورغم ان الفلم كان تقليداً نوعاً ما لنماذج غربية من هذا النوع من الاعمال إلّا انه كان ينظر اليه بتفاؤل باعتباره اول انتاج للسينما الايرانية في هذا المجال.

ويعتقد بعض الخبراء والنقاد السينمائيين ان هذه الافلام تدخل في عداد الاعمال التاريخية اكثر من كونها اعمالا دينية، إلّا ان فلم «سفير» لاقى اهتماماً جيداً لانه يقدم وبلغة سينمائية جانباً من ملحمة عاشوراء لم يتم التطرق اليه من قبل يتعلق بحكاية «قيس بن مسهر» رسول الامام الحسين (عليه السلام) الى اشراف الكوفة، خاصة وان المخرج فريبرز صالح استعان بخبراته في المعالجة السينمائية لهذا الفلم اضافة الى الامكانيات الجيدة التي وضعها منتج الفيلم تحت تصرف هذا المخرج ليخرج العمل بصورة متكاملة، أما بالنسبة لجذابية الفلم فتكفي الاشارة الى انه واحد من اكبر الافلام السينمائية التي انتجت بعد الثورة من ناحية المبيعات، وقد عرض من على شاشات القنوات التلفزيونية عدة مرات عدا عن عرضه في نوبات عديدة في دور السينما.

اسلوب جديد في السينما الدينية

اما اول محاولة لادخال اسلوب جديد في السينما الدينية على نمط السينما الفلسفية التي اختص بها سينمائيون مثل «درابر» و«برغمان» فجاءت من قبل مجموعة من الفنانين الذين اجتمعوا تحت لواء القسم الفني في مؤسسة الاعلام الاسلامي خلال السنوات الاولى لتأسيسه من اجل خلق فن اسلامي متميز من هؤلاء الفنانين يمكن

الاشارة الى كل من «محسن مخملباف» و«محمد رضا هنرمند» و«مجيد مجيدي» و«محمد كاسبي» و«علي اصغر شادروان» و«شهريار بحراني» و«محمد رضا تخت كشيان» وآخرين غيرهم. وكان هؤلاء من الرواد الذين صنعوا اعمالاً جديرة بالاهتمام والتي يمكن اعتبارها الخطوات الاولى الهادفة الى صناعة فلم ديني اصيل وخالص للسينما الايرانية.

ان فلم «مرك ديكري» اي موت آخر، يروي لنا كيفية تعامل بعض الناس مع الموت بغباء، فهم ينظرون الى الموت وفق معاييرهم الدنيئة الخاصة بهم، ولا يؤمنون به إلّا بعد ان يواجهوه.

ويروي الفلم حكاية جنرال ـ يؤدي دوره الممثل محمد كاسبي بكل اتقان ـ يقود معركة في الحرب لكنه يشعر فجأة بأن كل شيء في ساحة المعركة قد توقف ويتصور ان توقف المعركة مادي وسببه حدوث خلل في العمليات الحربية في حين ان ما يشاهده هو نتيجة الاحتضار وسكرات الموت التي بدأ يعاني منها. فيحاول طوال مدة الفيلم التي تبلغ ٧٠ دقيقة التخلص من قبضة «الموت» ـ الذي يصوره الفلم كشخصية من الشخصيات ويجسد دوره الفنان مجيد مجيدي ـ لكن الموت يحرمه من التوبة في اللحظة الاخيرة، وفي نهاية الفلم يتوجه الممثل مجيدي الذي يجسد شخصية الموت الى المشاهد ويخاطبه عبر الكاميرا، قائلاً: ان ما تشاهدونه ليس مجرد فلم سينمائي فجميعكم ستواجهون الموت يوماً ما. وهذا المشهد يؤدي بالمشاهد الى التفكير بصورة جدية بموضوع الموت.

وقصة الفلم من تأليف «محسن مخملباف» وهو من اخراج «محمد رضا هنرمند». وحسب ما ينقله بعض المسؤولين والفنانين الذين كانوا يعملون آنذاك في القسم الفني في مؤسسة الاعلام الاسلامي فان الطريقة التي كانت متبعة في ذلك الوقت في انتاج وصناعة الافلام كانت تشبه الاسلوب المتبع في الهيئات الدينية. فان كان لاحد مشروع سينمائي فانه كان يعرضه اول الامر على مجموعة عمل تبدأ بالعمل على السيناريو ثم يتم اختيار وتعيين عدد من الاشخاص المتطوعين لاستلام المناصب الانتاجية مع الاخذ بنظر

الاعتبار قابليات كل شخص، ولم يكن هناك نظام تعيين مسبق للعاملين في الفلم كالمخرج او المصور او الممثل، بل كان يعقد اجتماع يتشاور خلاله الحاضرون بشأن مواضيع مختلفة تتعلق بالفلم ويعين العاملون في الفلم من مخرج ومصور وممثل ومساعد الانتاج وغيرهم على ضوء ما يقره المجتمعون.

وبهذه الطريقة تم اخراج افلام «توبة نصوح» و«دو جشم بى سو» أي عينان بدون ضياء، و«استعاذة» من قبل المخرج محسن مخملباف، أفلام كان يتطرق كل واحدة منها الى احد مفاهيم الثقافة والفكر الاسلامي.

في فلم «توبة نصوح» نشاهد صوراً ملموسة عن احد المفاهيم الدينية العميقة التي يعاني منها جميع المؤمنين والمسلمين تقريباً. ورغم ان الفلم يعتبر هزيلاً من الناحية السينمائية بحيث ان مخملباف نفسه يرى انه قصة مصورة «فوتو رومان» إلّا انه كان اول فلم يتعرض الى احدى القيم والشعائر الدينية، لهذا كان له اثر بارز على الكثيرين، ان هذا الفلم كان السبب في اجتذاب الكثيرين ممن كانوا يعتبرون السينما حراماً الى صالات السينما بعد الثورة.

ويتعرض فلم «دوجشم بى سو» لاول مرة الى ظاهرة الاستشفاء بالتوسل بالمعصومين، ويبدو فلم «استعاذة» فلسفياً اكثر قليلاً من سابقيه.

وتدور قصة الفيلم حول ٥ أشخاص يلجؤون الى جزيرة نائية لغرض الابتعاد عن المعاصي والغلبة على اهوائهم وانفسهم، غافلين عن ان وسوسة الشيطان بامكانها ان تطال الانسان مهما بعد. ان هؤلاء الخمسة يمثلون في الواقع ابعاداً نفسية مختلفة لجسم واحد يتجسد على صورة خمسة اشخاص.

ومن الملفت ان عنوان الفلم كان يشير الى ان السيناريو قد استند على آيات القرآن، وما جاء في كتاب «بحار الانوار» للعلامة المجلسي و«استعاذة» للشهيد اية الله دستغيب.

ترجمة مهدي سلماسي

نقلاً عن صحيفة همشهري

جراح نيبالي يعيد النظر الى عشرات الآلاف من الفقراء

يحتاج الطبيب ساندوك روت لسبع دقائق لازالة عدسة قاتمة وتركيب جديدة قبل ان يتأكد من استعادة مريضه لبصره. وتمكن الطبيب البالغ من العمر ٥٣ عاماً من اجراء ٥٠ الف عملية متبعاً تقنية بسيطة اسهم في تطويرها ولا يزال متحمساً لاجراء آلاف اخرى خصوصاً في المناطق الفقيرة والريفية في النيبال وبلدان اخرى مجاورة.

ولم تمنع الاضطرابات التي شهدتها النيبال مع تغيير ١٣ حكومة خلال السنوات الخمس عشرة الماضية وحركة التمرد الماوية الطبيب روت من مواصلة جهوده في مكافحة العمى في بلاده الواقعة في جبال الهيملايا والتي تعد من الدول العشر الاكثر فقراً في العالم وفي دول اخرى.

وروت الذي اصبح مفخرة لبلاده شخص خجول يرفض الحديث عن عمله لكنه يستحوذ على اهتمام الصحافة التي تقوم بسرد انجازاته.

وكتب المحرر في صحيفة «نيبالي تايمز»الاسبوعية كوندا ديكسيت «اذا ما شعرنا احياناً باليأس حيال مستقبل بلدنا علينا ان ننظر الى اشخاص مثل روت».

بدأ روت عمله كجراح للعين بمساعدة من مؤسسة خيرية استرالية عبر اقامة عيادة صغيرة في كاتماندو سنة ١٩٩٤ اعدت لمعالجة ٦٠ شخصاً في اليوم، أما اليوم فتعالج ٦٠٠ شخص يومياً.

ويدير مركز تيلغانغا للعيون بنك للعيون ومستشفيات متنقلة لجراحة العيون في الريف البعيد ويجري نحو ستة الاف عملية سنوياً لانسداد عدسة العين (كتاركت). وادى نجاح المستشفيات المتنقلة الى نقل التجربة الى بوتان وكوريا الشمالية واثيوبيا وبنغلادش والصين والهند.

ويعتبر انسداد عدسة العين السبب الرئيسي للاصابة بالعمى في الدول النامية. ولا تعرف اسبابه بعد لكنه غالبا ما يحدث مع التقدم في العمر.

وتقول غابي هالوز ارملة داو هالوز الطبيب الاسترالي الذي ساعد روت في اطلاق حملته ان «روت طبيب ممتاز وقد يكون اكثر جراح في العالم اجرى عمليات لتغيير

عدسة العين».

ولد روت في عائلة فقيرة في ريف النيبال ودرس الطب بفضل منحة دراسية في الهند. ونشأ اهتمامه بالطب بسبب موت شقيقته لاصابتها بالسل، تخصص روت في جراحة العيون قبل ان يلتقي جراح العين الاسترالي داو هالوز في الثمانينات ويصبحا صديقين حتى وفاة هالوز سنة ١٩٩٢.

وكان الاثنان يؤمنان بضرورة تكييف تقنيات الجراحة الحديثة والتجهيزات المستخدمة في الدول الغنية لتتلاءم مع احتياجات الدول الفقيرة.

وقال روت «كنا نعرف انه ان نجحنا في ذلك في النيبال يعني انه يمكننا فعل ذلك في أي مكان آخر».

اقامة مؤتمر تقييم شخصية الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في اشعار سعدي

فرانكفورت /ارنا: اقيم مؤتمر «تقييم شخصية الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في اشعار سعدي الشيرازي» على هامش المعرض السنوي الـ ٥٨ للكتاب في مدينة فرانكفورت بألمانيا.

والجدير بالذكر ان الشاعر سعدي هو ابرز الشعراء الايرانيين وله ديوانان هما كلستان وبوستان.

رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية تدين اهانة التلفزيون الدنماركي لمقدسات المسلمين

اصدرت رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية بياناً استنكرت فيه بشدة الخطوة الاخيرة للقناة التلفزيونية الثانية في الدنمارك لاهانتها الاسلام والرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم). واشار البيان الى الاهانات السابقة للبابا بنديكت السادس عشر، وذكر ان هذه الخطوة للتلفزيون الدنماركي هي خطوة قبيحة اخرى في سلسلة الفتن التي يمارسها الاعداء ضد المشاعر

الدينية للمسلمين في شهر رمضان المبارك.

واكد البيان على وجود مؤامرة خبيثة من قبل الأعداء والخونة في اثارة النعرة الدينية والثقافية. مضيفاً: ان الانحطاط الثقافي والحضاري للغرب وصل الى درجة بحيث لا يوجد هناك اي وازع او رادع يمكنه لجم جماح هذا الانحطاط الفكري.

هذا ودعت الرابطة في بيانها المسلمين الى الاتحاد وتوخي الحذر في الظروف الراهنة لاحباط فتن الاعداء.

واعتبرت هذه التصرفات القبيحة جريمة ثقافية تخدم مصالح القوى المتغطرسة وتزعزع اسس السلام والتفاهم الدولي وتضعف الثقة بين الشعوب واتباع الاديان وتهدد السلام والامن العالميين.

يذكر ن صحيفة يولندبستن اوسع الصحف انتشاراً في الدنمارك اقدمت في شهر سبتمبر من العام الماضي على نشر ١٢ صورة كاريكاتيرية تسيء للرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم تبعتها العديد من الصحف الاوروبية مما ادى الى موجة من السخط والغضب بين مسلمي العالم.

٣٠٠ ناشر ايراني يشاركون في معرض الكتاب الدولي بفرانكفروت

فرانكفورت / ارنا: شارك نحو ٣٠٠ ناشر ايراني في معرض الكتاب الدولي الثامن والخمسين في فرانكفورت بالمانيا.

وتعتبر الصالة الايرانية في معرض هذا العام أكبر صالة في المعرض كما كان الحال في الاعوام السابقة.

وقدم الناشرون الايرانيون في المعرض المذكور نحو ٢٠٠ عنوان من احدث الكتب الايرنية التي الفت في مختلف الحقول الثقافية والعلمية والتاريخية والاجتماعية.

وشاركت سفارة الجمهورية الاسلامية الايرانية في المانيا بآثار نحو عشرين ناشراً ايرانياً آخر بالاضافة الى الكتب التي قدمتها في المجالات الاجتماعية والثقافية الخاصة بها.

افتتاح معرض الفنون القرآنية الايرانية في المغرب

الجزائر / ارنا: تزامناً مع ايام شهر رمضان المبارك اقيم معرض للفنون القرآنية الايرانية في مدينة تطوان الواقعة شمال المغرب.

وتم عرض نسخ من القرآن ولوحات فنية مذهبة ومزركشة ومحفورة على الخشب ومرسومة على الزجاج والجلود في هذا المعرض الذي ستستمر اعماله لمدة ستة ايام.

وشارك عدد من الفنانين الايرانيين بلوحات من خطوط النستعليق (الفارسي) والنسخ والثلث والكوفي في هذا المعرض.

عائلة يمنية تمشي على أربع

في ثاني حالة من نوعها في العالم بعد تركيا... توجد عائلة يمنية يمشي جميع أبنائها الشباب على أربع، وذلك نتيجة لحدوث اختلالات في عمليات الولادة.

وتقول الأم وتدعى سيدة عايدة أحمد من أبناء محافظة صنعاء انها أنجبت في ثلاث ولادات منفصلة أبناءها «علي، عبده، صالح» وجميعهم لا يستطيعون اقامة ظهورهم اطلاقاً، الأمر الذي جعلهم يمشون على أيديهم وأرجلهم معاً وقد كبروا على هذه الحالة وأصغرهم اليوم في سن الثلاثين وهو «صالح» في حين أن أكبرهم يناهز الأربعين.

وأشارت الأم الى أنها لم يسبق أن عرضت أبناءها على مستشفى تخصصي لفحص حالتهم، لكنها بعد اكتشاف حالة الابن البكر راجعت الكثير من الحكماء أو المداوين الشعبيين الذين قدموا علاجات عشبية مختلفة، وقاموا بكي الطفل آنذاك في ظهره دون أن يجدي نفعاً، لذلك لم تكرر التجربة مع ابنيها الآخرين.

ايران تدرب كوادر طاجيكية في دراسات الاحوال الجوية

اعلن مساعد وزير الطرق والمواصلات ورئيس مؤسسة الانواء الجوية علي محمد نوريان ان طاجيكستان سترسل ٢٥ خبيراً الى ايران بهدف الدخول في دورات خاصة

في علم دراسة الاحوال الجوية واستخدام التقنيات والمعدات المرتبطة بها.

واضاف نوريان في تصريحات ادلى بها لوكالة ارنا خلال زيارته التي يقوم بها لطاجيكستان اضاف: انّ هؤلاء يتم ايفادهم الى ايران على اساس اتفاق منعقد بين البلدين وبالتعاون مع المنظمة العالمية للانواء الجوية.

واضاف: ان ايران استضافت قبل ذلك ١٠ خبراء طاجيك ودربتهم على التقنيات الجديدة في مجال الاحوال الجوية.

واوضح: ان الخبراء الطاجيك سيدخلون في ايران دورات تدريبية في مجالات الاحوال الجوية المختلفة ومن بينها حقل المراقبة ودراسة الاقاليم والملاحة الجوية وتلوث الهواء ومعلومات دراسة الاحوال الجوية للزراعة.

واعلن نوريان عن الارتباط عبر الاقمار الصناعية بين مركز المفتاح الاتوماتيكي للاحوال الجوية الايرانية ومركز الانواء الطاجيكي وذلك من قبل المهندسين الايرانيين.

وبين ان هذا الارتباط عبر الاقمار الصناعية سيتيح تبادل المعلومات بين مركز الاحوال الجوية في طاجيكستان مع البلدان الآسيوية والعالم بصورة يومية.

واضاف: ان الجمهورية الاسلامية الايرانية تقف في المرتبة الرابعة على صعيد الاحوال الجوية في قارة آسيا وستساعد طاجيكستان في تبادل المعلومات مع ٩ مراكز على هذا الصعيد.

المسلمون افقر الطبقات الاجتماعية في بريطانيا

تعتبر الجالية المسلمة في بريطانيا من الطبقات المحرومة والفقيرة في المجتمع البريطاني.

حيث اشارت نتائج دراسة تمت في ذلك البلد عن الحرمان الاجتماعي ان قرابة المليونين مسلم يعانون من مشاكل البطالة وعدم السكن والرخاء الاجتماعي حيث يحتلون ادنى مستويات العمل والسكن والرخاء بين سكان بريطانيا البالغ عددهم الـ ٦٠ مليوناً.

ويحتل مسلمو افريقيا الدرجة الاولى من حيث نسب البطالة بنسبة ٣١ و٢٨ بالمائة من بين العاطلين عن العمل.

وتشير الدراسة التي تمت على أسس الموقع الاجتماعي للقومية والطوائف المذهبية المختلفة وبواسطة الدائرة الوطنية للاحصاء ان الجالية الهندية المسلمة تعيش حالة من الرخاء النسبي بـ ١١ بالمائة من العطالة للرجال و١٢ بالمائة للنساء بين سائر القوميات.

ومن ناحية السكن ايضاً يعتبر المسلمون في ادنى مستويات تمليك المساكن بين المجتمع البريطاني.

ويعتبر المسيحيون والسيك من بين الاقليات الدينية التي تعيش حالة من الرخاء النسبي في بريطانيا.

ويعتبر المجتمع الهندي في بريطانيا من اكثر المجتمعات المهاجرة التي تتميز بالتنوع المذهبي بحيث يبلغ الهندوس ٤٥ بالمائة والسيك ٣٦ بالمائة والمسلمون ١٣ بالمائة والمسيحيون ٥ بالمائة بينما في الاقليات الباكستانية والبنغلادشية يشكل المسلمون ٩٠ بالمائة من بينهم.

جمل عملاق عمره ١٠٠ ألف عام

عثرت البعثة الاثرية السورية السويسرية المشتركة على عظام جمل عملاق تعود الى مئة الف عام في مدينة تدمر «٢٢٠ كلم شمال شرقي دمشق»، بحسب ما افادت وكالة الانباء السورية الرسمية «سانا».

وقالت الوكالة ان «البعثة السويسرية برئاسة الدكتور جان ماري لوتونسورير والسورية برئاسة الدكتورة هبة السخل عثرت على اكتشاف اثري نادر هو الاول في العالم لعظام جمل عملاق يبلغ حجمه ضعفي حجم الجمال الموجودة حالياً في مواقع الهمل بمدينة تدمر».

واكد لوتونسورير ان «الدراسات التي اجريت على عظام الجمل اظهرت انها تعود الى مئة الف عام». واوضح المدير العام للآثار والمتاحف في سوريا بسام جاموس ان «هذا

الاكتشاف هو الاول من نوعه في العالم ويشكل ثورة في عالم الاكتشافات الاثرية».

وتختزن مدينة تدمر آثاراً عريقة وكانت محطة رئيسية للقوافل على طريق الحرير.

البنك الاسلامي يمول جامعة اندونيسية بـ ٢٦ مليون دولار

وقع رئيس البنك الاسلامي للتنمية أحمد محمد علي ونائب رئيس جمهورية اندونيسيا يوسف كالا، الخميس، في جدة اتفاقية يقدم بموجبها البنك مبلغ ٢٦ مليون دولار لتنمية وتطوير جامعة علاء الدين بمدينة ماكاسار باندونيسيا.

وبيّن كالا انه سوف يستفاد من التمويل في دعم المقومات الأكاديمية والبحثية بالجامعة وتطوير المناهج، والذي بدوره سوف يساهم في النهضة التعليمية وتنمية التجارب التطبيقية في الكليات العلمية بالجامعة، بالإضافة الى ما يمكن أن تستفيد منه كلياتها التي تعمل في مجال الشريعة والدراسات الإسلامية.

وقد أشاد نائب رئيس جمهورية إندونيسيا بعلاقات التعاون المتطورة بين جمهورية إندونيسيا والبنك في مختلف مجالات التنمية، خاصة فيما يتصل بالتخفيف من الأضرار الإنسانية والبيئية والتنموية التي جاءت بعد زلزال تسونامي الشهير الذي ضرب مناطق واسعة من إندونيسيا في شهر ديسمبر عام ٢٠٠٤ م.

وبيّن رئيس البنك الإسلامي للتنمية الخطوات التي يقوم بها البنك حالياً في اندونيسيا ومساهمته في إنشاء البنية التحتية فيها، كما أطلعه على نتائج منتدى الشرق الأوسط للاستثمار الذي عقد الشهر الماضي وشارك فيه البنك.

مسؤولة تدعو الى ايجاد حركة عالمية لمواجهة الجرائم ضد الاطفال والنساء

دعت امينة جمعية التضامن النسوي في ايران الى ضرورة ايجاد حركة عالمية لشد اهتمام الرأي العالمي نحو الجرائم التي ترتكب ضد الاطفال والنساء.

واشارت فاطمة هاشمي يوم الاحد في ملتقى (يوم التضامن الاسلامي مع نساء واطفال ضحايا الحرب والاحتلال في العالم) الى مختلف زوايا الجرائم البشرية ضد النساء والاطفال وقالت: هناك انتهاكات كثيرة تقع ضد حقوق الانسان خلال الاشتباكات التي تقع في انحاء العالم وان الضحايا المدنيين لهذه الانتهاكات يتزايد اعدادهم اكثر فأكثر.

ولفتت الى الجرائم التي ارتكبت ضد الاطفال والنساء في فلسطين المحتلة والعراق والبوسنة والهرسك وقالت: ان المأساة البشرية التي حدثت مؤخراً هي استخدام قنابل بشكل دُمئ من قبل الكيان الصهيوني المحتل بهدف قتل الاطفال اللبنانيين وهذا الامر أثار احتجاج الاوساط الدولية. واشارت الى اقتراح جمعية التضامن النسوي في ايران خلال اجتماع قادة الدول الاعضاء في منظمة المؤتمر الاسلامي في كوالالامبور وقالت: ان الجمعية اقترحت تخصيص يوم لاحياء ذكرى ضحايا الحرب والاحتلال من النساء والاطفال في الاجتماع مؤكدة على مصادقة اجتماع وزراء خارجية الدول الاسلامية في باكو على تسمية اليوم الاول من اكتوبر كيوم التضامن الاسلامي مع ضحايا الحرب والاحتلال من الاطفال والنساء في العالم.

الشعب الايراني يرسل لوازم مدرسية للطلبة الفلسطينيين

القدس المحتلة / ارنا: وزعت «جمعية الغدير لرعاية الشباب» مساعدات مدرسية مقدمة من الشعب الايراني المسلم الى الطلاب والطالبات في شمال قطاع غزة، من اجل التخفيف عن الاسر الفلسطينية مع بدء العام الدراسي الجديد.

وشملت المساعدات ١٤٠٠ طالب وطالبة من طلاب المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية، وهي عبارة عن حقائب مدرسية مع كامل اللوازم القرطاسية والزي المدرسي، وهي مقدمة من الشعب الايراني المسلم برعاية اللجنة الشعبية الايرانية لتنسيق ودعم انتفاضة الاقصى.

واكد مصدر مسؤول في الجمعية ان هذه المساعدات تأتي في اطار ما تقدمه الجمعية

لابناء الشعب الفلسطيني من خدمات اجتماعية، وللتخفيف عن الاسرة الفلسطينية التي تعاني الامرين جراء العدوان الصهيوني والحصار الذي يتعرض له ابناء الشعب الفلسطيني.

واعرب المنتفعون من مشروع الحقيبة المدرسية عن شكرهم للجمعية وللجنة الايرانية ولجهودهما في خدمة المواطن الفلسطيني.

اكتشاف معبد اثري يعود الى العصر الحجري في مدينة حلب

اكتشفت البعثة السورية الفرنسية المشتركة للتنقيب عن الآثار في موقع «جعدة المغارة» في منطقة منبج، معبداً كبيراً يعود الى الالف التاسعة قبل الميلاد، أو فترة ما يسمى العصر الحجري الحديث.

ومنطقة منبج تقع على ضفاف نهر الفرات وهي تابعة لمدينة «حلب» / ٣٥٠كيلو متراً شمال دمشق.

واوضح «اريك كينيو» رئيس البعثة في تصريح صحفي ان «هذا الاكتشاف الاثري هو الاقدم في سورية والشرق الاوسط، وأن هذا المعبد يطلق عليه اسم المبنى الجماعي».

وقال: «ان هذا المعبد يحتوي على قطع حجرية وادوات عظمية، وجدرانه مزينة برسومات هندسية، وهناك رأس ثور وله قرنان وملون بثلاث الوان الاحمر والاسود والابيض، ولا تزال محافظة على رونقها مما يدل على ان الثور كان يعبد في تلك الفترة».

وقد قام وزير الثقافة السوري «رياض نعسان اغا» بزيارة للموقع، واطلع على اعمال التنقيب الجارية وعلى اللقى والاكتشافات خلال اعمال الحفر.

ونقلت وكالة الانباء الرسمية / سانا / عن نعسان اغا قوله في تصريح للصحفيين ان اكتشاف المعبد هو اكتشاف نوعي، وهو فخر لنا في سورية، وللانسانية جمعاء، لافتاً الى ان هذا الاكتشاف وما يتبعه من اكتشافات مكملة قد يسمح باعادة قراءة الحضارة من جديد.

ملكة بريطانيا تبني للمسلمين مسجداً في قصرها لاداء الصلاة

في خطوة تعكس تسامح ملكة بريطانيا التي هي رئيسة الكنيسة البريطانية امرت الملكة اليزابيث الثانية بتحويل احدى القاعات الكبرى في قصرها الى مسجد وتجهيزه بما يعين العاملين في قصرها من المسلمين على اداء الصلاة، وكشفت صحيفة ذا صن اللندنية في عددها الصادر في خبر قالت إنها تنفرد بنشره إن ملكة بريطانيا حولت إحدى غرف قصر واندزير الى مسجد لأداء الصلاة، وذكرت الصحيفة الشعبية التي توزع يومياً أكثر من خمسة ملايين نسخة إن الملكة اليزابيث الثانية تكون بهذا القرار قد قطعت خطوة تاريخية فريدة بالسماح بوجود قاعة للصلاة في قصرها ليتمكن المسلمون العاملون في القصر التاريخي المعروف الواقع غرب العاصمة لندن من الصلاة في مكان مناسب خلال العمل. وتأتي هذه المبادرة تجاه المسلمين بالتزامن مع حلول شهر رمضان المبارك الذي يحتفي به مسلمو بريطانيا بأشكال مختلفة ويؤم عشرات الآلاف منهم المساجد يومياً لأداء صلاة العشاء والتراويح، وفي نفس السياق نقلت الصحيفة البريطانية عن شابة مسلمة تعمل في قصر واندزير أنها تشعر بكثير من الاعتزاز والامتنان للملكة بسبب الخطوة التي أقدمت عليها مشيرة الى أن ذلك يعبر عن مدى الاحترام الذي تكنه الملكة للمسلمين وقالت ناجينا شوذري «١٩ عاماً» إن الملكة هي رئيسة الكنيسة البريطانية وإنه شيء جميل أن نعلم أنها تكن احتراماً لاعتقادات الآخرين يذكر أن عدد المسلمين في بريطانيا بحسب التقديرات الرسمية يصل الى أكثر من مليوني مسلم الغالبية العظمى منهم ينحدرون من باكستان وبنغلادش والهند.

صفار هرندي: السبب في تقدير العالم لايران هو ملؤها للفراغ الناتج عن غياب روح القرآن في المجتمعات الاسلامية

حضر السيد محمد حسين صفار هرندي وزير الثقافة والارشاد الاسلامي جانباً من وقائع الدورة الدولية الثالثة والعشرين لمسابقات حفظ وتلاوة وتفسير القرآن الكريم،

حيث اعرب عن سروره لاقامة هذه المسابقات في عام مزين باسم النبي الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) قائلاً: يسرني ان جعلنا الله من اهل قبلة الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) والذي وصفه بنفسه بقوله «لولاك لما خلقت الافلاك». واشار هرندي الى ان القرآن هو دستور اسلامنا وهو الكتاب الذي سطر فيه النهج القويم للحياة والتعامل بين البشر وسبل الارتباط المعنوي بالسماء وهو طريق السعادة للدنيا والآخرة والذي وضعه الله سبحانه بين ايدي عباده. واضاف وزير الثقافة قائلاً: ان نفس الشجرة الخبيثة ووراثها هم الذين يرصون الصفوف الآن ضد القرآن، ويمانعون من اسماع كلام الوحي بالاهانة للمسلمين تارة والتطاول على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهتك حرمة هذا الكتاب تارة اخرى والاستخدام غير المناسب للعبارات القرآنية في احيان اخرى للحيلولة دون نشر هذا الكلام في ارجاء العالم.

وفي اشارة منه الى حادثة ١١ سبتمبر / ايلول، والهجوم الشرس على العالم الاسلامي قال صفار هرندي: بالرغم من كل الكلام الفارغ والتهم الباطلة الموجهة ضد المسلمين وتسمية اهل القبلة بالارهابيين، فان الأرقام تشير الى ارتفاع مبيعات كتاب الله في معقل الكفار الى اضعاف ما كانت عليه في السابق.

وصرح هرندي قائلاً: ان كتابنا وصف مريم (عليها السلام) بالسيدة الطاهرة القديسة، وهو تعبير محبب لدى المسيحيين ووصف القرآن النبي موسى كليم الله بكونه معجزة كما ان طريقة بيان وصوله الى الله سبحانه وتعالى واستلام المهمة الالهية التي وكلت اليه، هي تعابير تجبر ليس فقط اليهود بل كل انسان حر للخشوع امام هذا الكتاب.

واعرب عن اسفه ازاء ما يقوم به بعض ممن يدعون بالمثقفين من مؤامرات لحذف القرآن من حياة المسلمين وقال: ان هذه المؤامرات تأتي احياناً من زاوية الحرص على الاسلام وتكون بشكل ينسب فيه المثقفون قراءتهم المنحرفة الى القرآن. واوضح هرندي بأنه يشعر بالسرور عندما يشير مسلمو العالم الى ايران وقائدها باجلال وتكريم واضاف: ان هذا التكريم نابع من كونهم يرون ان ايران تدعو الى الالتزام بتعاليم القرآن.

وقال وزير الثقافة والارشاد الاسلامي: ان المؤمنين والاحرار في كافة ارجاء لعالم

يرون رسالة ايران رسالة المقاومة والثبات على الحق، نحن نحمد الله على ما من به علينا من عزة من تكريم القرآن ويحدونا الامل ان يرتفع عدد الذين يتوجهون للقرآن ليكون ذلك بمثابة طلقة موجهة الى قلوب الاعداء الحاقدين.

قوى خفية تهدد قوانين الجاذبية!

يقف علماء الفلك والفضاء في العالم امام لغز يثير حيرتهم منذ فترة وهو اسباب خروج مسبارات فضائية تم إطلاقها من الأرض عن مسارها المحدد وبشكل قد يعيد صياغة تاريخ الفضاء من جديد، واهتمت صحيفة بيلد تسايتونج الالمانية بالموضوع وسألت عالم الفلك هانز يورجن فهار بجامعة بون عن الاسباب المحتملة لهذا التحول العجيب في مسار مسباري بايونيز ١٠ وبايونيز ١١ فأجاب: يبدو أن هناك قوة ضئيلة ولكنها واضحة القياس تعمل على تغيير مسار تلك المسبارات، ويعتقد بعض العلماء أن هناك «قوة خفية» عملت على تغيير مسار المسبارات لمسافة ٤٠٠ ألف كيلومتر مع خفض سرعتها بعد أن فهمت الرسالة الموجودة على كل مسبار وهي قطعة ذهبية مرسوم عليها رجل وامرأة وتوضح وضع الارض في المجموعة الشمسية، أما أغلب العلماء والباحثين فيرجعون أسباب التحول في المسار الى قوة جاذبية لاجسام مجهولة خارج نطاق المجموعة الشمسية.

علاج لـ / المكتئبين / يقلل التفكير بالانتحار

اثبتت دراسة ان برنامجاً مشتركاً لعلاج كبار السن المصابين بالاكتئاب يقلل التفكير في الانتحار وأيضاً احتمال ارتكابه.

واكتشف دكتور يورجن اونوتسر وزملاؤه في كلية الطب في جامعة واشنطن في سياتل ان الرجال والنساء الذين اشتركوا في برنامج مشترك لعلاج الاكتئاب كانوا اقل تفكيراً فيه حتى بعد مرور ١٢ شهراً على انتهائه مقارنة باولئك الذين تلقوا علاجاً عادياً.

وقال الباحثون في مقال بدورية الجمعية الاميركية لطب الشيخوخة ان التوصل لطرق فعالة لعلاج اكتئاب كبار السن له اهمية فائقة، فاختلالات المزاج.. (الترويج للعلاج المشترك). واثناء البرنامج عمل ممرض مع الطبيب الذي يعالج المريض لمراقبة علاج الاكتئاب ومناقشة المريض في خيارات العلاج بما فيها الادوية المضادة للاكتئاب.

ومنح المرضى ايضاً فرصة للمشاركة في جلسات للعلاج السلوكي استمرت اربع حتى ثماني مرات من اجل تحسين القدرات على حل المشاكل.

واشترك في التجربة ١٨٠١ رجلاً وامرأة من كبار السن اختيروا بصورة عشوائية خصص بعضهم للبرنامج المشترك وبعضهم للعلاج العادي الذي تضمن علاجاً نفسياً مع طبيب وتناول ادوية مضادة للاكتئاب.

وفي بداية التجربة ابلغ ٣ / ١٥ بالمئة ممن يشاركون في برنامج العلاج المشترك عن تفكيرهم في الانتحار مقارنة بنسبة ١٣/٣ في المجموعة الاخرى. ولكن بعد ستة اشهر انخفضت نسبة من يفكرون في الانتحار في مجموعة العلاج المشترك الى ٧/٥ بالمئة مقارنة بنسبة ١٢/١ في المجموعة الاخرى. وبعد ١٢ شهراً كانت النسبة هي ٩/٨ و١٥/٥ بالمئة بنفس الترتيب.

وانخفضت الى حد كبير نسبة من ابلغوا عن تفكيرهم في الانتحار من مجموعة العلاج المشترك حتى بعد انتهاء البرنامج بفترة ستة الى ١٢ شهراً.

حالت دون التوصل للسلام بين العرب واليهود

بحث إسرائيلي: كتب التدريس العبرية سعت الى «شيطنة العرب وتجريدهم من إنسانيتهم»

غزة / أكدت نتائج أحدث الأبحاث في إسرائيل، على أن كتب التعليم الإسرائيلية حالت دون تحقيق السلام مع العرب. وحسب البحث الذي أعده الباحث الإسرائيلي ايلي بوديا المحاضر في جامعة حيفا، فإن كتب التدريس الإسرائيلية أشعلت طيلة نصف القرن

الماضي جذوة الصراع الفلسطيني، العربي، وكرست حالة الحرب، وحالت دون التوصل للسلام بين العرب واليهود. ووصف بوديا مناهج التدريس اليهودية بـ«المنحرفة»، مشيراً الى أن هذه المناهج تتميز بطغيان الصورة النمطية تجاه العرب، وزرع كراهيتهم في نفوس التلاميذ الإسرائيليين، الى حد الاستنتاج بأن ما جرى داخل جدران المدارس الإسرائيلية قد أثر الى مدى بعيد في قرار الحرب والسلام لدى قادة اسرائيل.

واشار البحث الذي جاء تحت اسم «الصراع» الإسرائيلي في كتب التاريخ المدرسية العبرية، الصادر عن مؤسسة مدار لدراسة الشؤون الإسرائيلية في رام الله، الى أن الكتب المدرسية الإسرائيلية انشأت نوعاً من الصراع الصامت بين الطرفين، وحافظت عليه، وقادت بطريق غير مباشر الى إثارة الصراع المسلح.

وأكد بوديا، أن جهاز التعليم الإسرائيلي اختار النهج القومي الذي يخضع الماضي لاحتياجات الراهن والمستقبل على حساب الحقيقة والموضوعية في كتابة التاريخ، بهدف خلق ذاكرة جماعية متميزة. وذكر أن ثلاثة أرباع الكتب التي تستخدم في المدارس الإسرائيلية ليست مجازة، مما يعني انكشاف التلاميذ الى مواد أكثر خطورة.

وأكد الباحث أن كتب التاريخ الإسرائيلية التي أخضعها للبحث انشغلت بتعميق القيم الصهيونية ورعاية الأساطير والتمجيد بأبطالها ضمن صهر المهاجرين في بوتقة وذاكرة جماعية واحدة. ولفت الى أن تلك الكتب وصفت الصراع بطريقة تبسيطية أحادية الأبعاد ومشبعة بعدم الدقة الى حد التشويه.

وأوضح الكاتب أن هذه الكتب سعت لشيطنة العرب وتجريدهم من إنسانيتهم، مما أدى الى ترسيخ صورة نمطية لدى الإسرائيليين الذين ظهروا دائماً بصورة الغربيين المتحضرين صانعي السلام مقابل صورة العرب «الخونة العدوانيين المتخلفين والمجرمين والخاطفين القذرين والمبادرين دوماً نحو التدمير».

قريباً.. ايران ستحقق الاكتفاء الذاتي في المجالات الزراعية بصورة كاملة

أوضح وزير الجهاد الزراعي الايراني بأن الجمهورية الاسلامية الايرانية بامكانها تأمين المواد الغذائية لـ ٣٠٠ مليون نسمة بالامكانيات المتوفرة لديها حالياً وستحصل على الاكتفاء الذاتي في المجالات الزراعية بصورة كاملة قريباً.

وأضاف محمد رضا اسكندري يوم الجمعة في مراسم تدشين مشروع لصيد الروبيان في مجمع بمدينة آبادان: ان التوازن في القطاع الزراعي بين الصادرات والواردات ايجابي حالياً وان البلاد تتمتع بتنمية على هذا الصعيد.

وتابع: ان عملية التنمية في هذا القطاع كانت ايجابية خلال العام المنصرم بالرغم من الجفاف والبرد في مناطق معينة، لكننا حصلنا على تنمية لافتة بالاعتماد على أنفسنا ودعم المنتجين.

وبيّن ان ايران حصلت على تنمية في مجال صيد الأسماك ومحاصيل البستنة بنسبة ٢٣٪ وفي الحقل الزراعي بنسبة ١٤/٧٪ وفي حقل المواشي ٨/٧٪ مما يعكس عملية التنمية المستمرة.

وأكد ان الجمهورية الاسلامية الايرانية تولي أهمية للمشاريع التي تبحث بصورة علمية فحسب، اذ ان حصاد القمح وصل الى ١١ مليوناً و٣٦٣ألف طن بالرغم من وجود الجفاف في ١١ محافظة. وأضاف: أن ٣٥٠ألف طن من القمح سيتم شرائه من المزارعين حتى نهاية موسم الحصاد الحالي.

بناء مسجد من الشيكولاتة!

لم يجد رئيس الطباخين في الفندق المحلي بجاكرتا هدية افضل يقدمها لعملاء الفندق اثناء شهر رمضان الفضيل من بناء مسجد بكامل ابعاده ومأذنة من الشيكولاتة، يبلغ طوله ٤ أمتار وعرضه مترين وقد تم استخدام ٢٥٠ كلغم من الحليب الابيض والشيكولاتة السوداء في صناعته ليكون هدية متميزة لرواد الفندق من المسلمين.

عقار (فالبرويت) للصرع يرفع خطر تشوه الاجنة

قالت دراسة جديدة ان حوالي ٢٠ بالمئة من النساء اللائي يعالجن من الصرع بعقار فالبرويت اثناء الحمل قد تتعرض اجنتهن لمشاكل خطيرة تعادل مثلي ما يسببه العقار التالي في خطورته على الاجنة.

ومنذ عدة اعوام اصدرت الاكاديمية الاميركية لعلم الاعصاب وجماعات اخرى ارشادات لعلاج النساء المصابات بالصراع اثناء الحمل. لان ادوية الصرع بشكل عام ثبت علاقتها بحدوث مشاكل حادة في الاجنة كان الاطباء يحاولون ضبط العلاج لاقصى درجة قبل حدوث الحمل واستخدام عقار واحد ان امكن وبأقل جرعة ممكنة.

ولكن هذه التعليمات لم تفرق بين العقاقير المختلفة من ناحية قدرة كل منها على احداث تشوهات بالاجنة.

وقال كيمفورد جيه ميادور من جامعة فلوريدا في جانزفيل لرويتر انه في وقت اصدار الارشادات (لم تكن هناك اي بيانات تقارن بين الآثار الجانبية للعقاقير المختلفة المضادة للصرع على الاجنة).

(ولكن في العامين الاخيرين ظهرت سبع دراسات توضح كلها ان الخطر يزداد مع عقار فالبرويت).

وقال ميادور ان الدراسة الحالية لم ترتكز في بادئ الامر على معدل تشوهات مواليد ووفيات الاجنة المرتبطة بالعقاقير المضادة للصرع. واضاف (كنا نريد ان ننظر الى تأثير هذه العقاقير على التطور العصبي في مراحل اخرى من الحياة).

وشملت الدراسة التي نشرت في دورية علم الاعصاب ٣٣٣ امرأة حاملاً من ٢٥ مركزاً لعلاج الصرع في انحاء الولايات المتحدة والمملكة المتحدة في الفترة من اكتوبر / تشرين الاول ١٩٩٩ الى فبراير / شباط ٢٠٠٤. وجميع النساء كن يتناولن علاجاً واحداً للصرع اما كاربامازيبين ١١٠ او لاموتريجين ٩٨ او فينوتين ٥٦ او فالبرويت ٦٩.

وكان معدل الآثار الجانبية الخطيرة ومنها التشوهات الخلقية ووفاة الاجنة ٢٠ بالمئة في حالة فالبرويت و٧/١٠ بالمئة مع فينوتين و٢/٨ بالمئة مع كاربامايبين وواحد بالمئة

مع لاموتريجين.

وارتبط استخدام فالبرويت بحالتي وفاة للاجنة و١٢ حالة تشوه خلقي منها تشوهات في الجمجمة وتغير شكل القلب وتضخم الكلى بسبب زيادة البول والشق الحلقي وهو عيب خلقي لا تتكون فيه انسجة الفم او الشفتين بشكل سليم اثناء فترة النمو وعيوب اخرى.

وقال ميادور (من وجهة نظري الشخصية يجب ألّا يكون فالبرويت الخيار الاول في حالة وجود حمل).

وتابع قائلاً انه اذا لم تستجب الحامل لعقاقير اخرى مضادة للصرع ويتعين عليها الحصول على فالبرويت (يجب على الطبيب ان يؤكد على انه على الرغم من زيادة خطر حدوث مشاكل إلّا ان معظم الحوامل اللائي تناولن العقار ولدن اطفالاً طبيعيين ويتمتعون بصحة جيدة).

شيخ الازهر: نريد اعتذاراً واضحاً من بابا الفاتيكان

الجزائر / ارنا: قال محمد سيد طنطاوي شيخ الازهر ان الازهر الشريف قدم رده الواضح على الاخطاء التي وردت في محاضرة بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر التي تضمت اساءة للدين الاسلامي، موضحاً ان الازهر يريد اعتذاراً واضحاً منه.

واضاف شيخ الازهر في تصريحات له بالقاهرة الجمعة انه ستكون هناك جولة ثانية من الحوار مع الفاتيكان لتوضيح المفاهيم الصحيحة عن الدين الاسلامي السمح باعتباره ديناً يخاطب البشرية جمعاء ويدعو الى السلام والامن ونبذ العدوان والكراهية بين الناس.

واشار الى ان بابا الفاتيكان علق على ما حدث بقوله انه يأسف لانه تم فهم محاضرته فهماً غير مقصود.. كما اشار الى ان البابا التقى بسفراء دول العالم الاسلامي في الفاتيكان، وقال لهم انه يكنّ للاسلام والمسلمين كل الخير.

ودعا محمد سيد طنطاوي الى ان تسود الفضائل ومكارم الاخلاق المجتمع الانساني وان يتعاون الناس على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان.

تعاطي التبغ بدون تدخين يزيد من خطر الاصابة بمرض عدسة العين

اظهرت تقارير لباحثين في الهند ان تعاطي التبغ عن طريق استنشاق مسحوقه او مضغه مرتبط بزيادة القابلية للاصابة بالمياه البيضاء وهو مرض يصيب عدسة العين /كتركتا/.

قام كل من الدكتور بريما راجو من مؤسسة ابحاث الابصار وسانكر نتر الايا وشيناي وزملاء لهم بتقييم استخدام التبغ ضمن ٣٩٢٤ شخصاً يستخدمون التبغ باشكال شتى.

فتسعمائة شخص اغلبهم نساء يستخدمون التبغ اما عن طريق الاستنشاق او المضغ بينما ٧٣١ شخصاً يدخنون التبغ باصرار بلف التبغ في سجائر. اما الباقي فيستخدمون الطريقتين.

وذكر فريق الباحثين في بريتش جورنال اوف اوفثالمولوجي ان عموماً مستخدمي التبغ عرضة اكثر بنسبة ٧٢ بالمئة للاصابة بالكتركتا. بيد ان انتشار الكتركتا كان اكثر من الضعف بين مستخدمي التبغ بدون تدخين عن المدخنين.

وقال الباحثون ايضاً ان تأثير المرض على من يفرطون في استخدام التبغ بدون تدخين كان تسع مرات اقوى عن تأثيره على المفرطين في التدخين.

وقال الدكتور راجو لرويتر يرتفع مستوى مادة الكدميوم في الدم لدى مستخدمي التبغ بدون تدخين ثلاثة اضعاف عن غير المستخدمين. ومادة الكادميوم الموجودة في التبغ تثبط مضادات الاكسدة فتصاب عدسة العين بالاكسدة.

المسلمون الاميركيون استقبلوا شهر رمضان بمشاعر الاحباط

استقبل المسلمون الاميركيون لدى توجههم الى المركز الاسلامي في الولايات المتحدة شهر رمضان شهر الصيام والتأمل والتجمع في سهرات اسرية بمشاعر من الاحباط.

وبات المسلمون في الولايات المتحدة يشعرون بأنهم مواطنون من الدرجة الثانية في بلادهم ويتعرضون باستمرار لاتهامات مغرضة بالارهاب ونظرات مفعمة بالشكوك.

وقالت زينب زهر الدين «١٨ عاماً» وهي طالبة في جامعة ميشيغن ديربورون لوكالة فرانس برس «اشعر بارتياح كبير في المنزل لكنني عندما اخرج منه يساورني احساس غريب بأن كل شيء بات مختلفاً الآن» مشيرة الى انها «لم تعد تشعر بالامان».

ويقيم في منطقة ديترويت حوالي ٢٠٠ الف مسلم في حين تضم ضواحي ديربورن اكبر تجمع للعرب الاميركيين في الولايات المتحدة. وتحمل معظم المحال التجارية في هذه المنطقة شارات بالعربية وتقدم معظم المطاعم فيها اللحم الحلال.

وبعد خمس سنوات على وقوع اعتداءات ١١ ايلول / سبتمبر في الولايات المتحدة يبدو ان كل اسبوع يحمل معه سبباً جديداً للقلق والعزلة كان آخرها تصريحات البابا بنديكتوس السادس عشر المثيرة للجدل التي ربطت بين الاسلام والعنف.

وقبل ذلك قام الرئيس الاميركي جورج بوش باستخدام عبارة «الناشيين الاسلاميين» لدى تعليقه على اعلان افشال مخطط ارهابي في بريطانيا لتفجير طائرات في الجو فوق الاطلسي. ثم جاء حادث توقيف طلاب قيل انهم ارهابيون لانهم اشتروا بطاقات لهواتف نقالة مدفوعة مسبقاً.

وقال علي المنى وهو مهاجر عراقي انتقل الى الولايات المتحدة قبل ١١ عاماً «انني اصلي كثيراً خلال شهر رمضان لان كل شيء بات مختلفاً اليوم».

واضاف «نظرات الناس ومعاملتهم لنا اصبحت مختلفة فاننا نتعرض للتمييز.

حتى انني تعرضت وزوجتي واولادي للشتائم ووصفنا احدهم بأننا ارهابيون. لم اقل شيئاً لكنني شعرت بحزن كبير».

ولحقت زوجة علي به الى الولايات المتحدة مع اولادهما قبل خمس سنوات بعد ان عمل في وظائف مختلفة وادخر مالاً لشراء شاحنة صغيرة لكنه اليوم يريد العودة الى العراق.

وقال «ارتكبت الولايات المتحدة اخطاء عديدة فالحياة باتت صعبة جداً على أكثر من صعيد. ارتكبت اخطاء في العراق وفي الولايات المتحدة على حد سواء. ونتيجة لذلك خسر عدد كبير من الاشخاص وظائفهم».

ومضى يقول «مهما كانت الظروف صعبة في العراق لعدم توفر المياه او الكهرباء

ستكون اسهل لانني ساكون الى جانب اسرتي. لكنني لا اعرف ما اذا سيتمكن اولادي من التأقلم مع هذه الظروف لذا اتيت مرتين اليوم للصلاة من اجل مستقبل افضل لنا جميعاً».

واظهر استطلاع للرأي اجراه معهد «غالوب» ان ٣٩ بالمائة من الاميركيين يقرون بأنهم يصدرون احكاماً مسبقة على المسلمين في حين يرى ثلثهم ان المسلمين الاميركيين يتعاطفون مع تنظيم القاعدة ويقول ربعهم انهم لا يريدون جاراً مسلماً.

وذكرت دراسة نشرت نتائجها في مجلة «ذي جورنال اوف هيومن ريسورسز» ان رواتب الاميركيين العرب والمسلمين تراجعت بنسبة ١٠ بالمائة في السنوات التي اعقبت هجمات ايلول /سبتمبر.

وكشفت دراسة عن الحالة النفسية للعرب الاميركيين انّ نصفهم يعانون من الاكتئاب مقارنة مع ٢٠ بالمائة لسكان الولايات المتحدة.

وقالت زران حكيم من ديربورن «انني اعد وجبات شهر رمضان لاسرتي لكن شهر الصيام لم يعد كما كان في الماضي». واضافت «تقلص عدد اقاربنا في الولايات المتحدة ويبدو ان الاحداث تتسابق في كل مكان».

خلال خطبتي صلاة الجمعة في طهران
جنتي: من يسيء الى الاسلام الحنيف فان مصيره الفشل

أكد خطيب صلاة الجمعة في طهران انه لا يكفي الحديث عن انجازات الدفاع المقدس فحسب بل على الشباب الايراني أن يدرك بأن التنمية في العلوم والتقنيات لم تتحقق إلّا من خلال التمسك بتعاليم الاسلام والثقافة الاسلامية وانجازات فترة الدفاع المقدس.

وأشار الشيخ أحمد جنتي في خطبتي صلاة الجمعة الى مؤامرت القوى الاستكبارية بعد انتصار الثورة الاسلامية قائلاً: ان الأعداء شعروا بالقلق حينما أدركوا بأن الثورة الاسلامية أصبحت قدوة لباقي الشعوب في العالم ويمكنها ان تصبح عبئاً عليهم ومن هذا المنطلق خطط الأعداء لضرب الثورة الاسلامية.

وأضاف، حسب وكالة مهر للأنباء، ان الاستكبار العالمي قام بتشجيع شخص مجنون يفتقر الى التعقل والصواب لشن هجوم ضد ايران، وبطبيعة الحال فان هذا الشخص «صدام» قام بعدوان سافر وواسع ضد الجمهورية الاسلامية مدعوماً من دول الغرب والشرق.

واستطرد الشيخ جنتي قائلاً: ان الدول المعادية سعت الى أن ينتصر صدام على ايران خلال فترة الحرب وقدمت له كل المساعدات ولكن بفضل تضحيات الشبان في ايران وبركة الاسلام حررت الجمهورية الاسلامية كل اراضيها من براثن قوات البعث الصدامي.

وأضاف خطيب صلاة الجمعة: ان صمود الشعب الايراني أحبط مؤامرات أميركا والاتحاد السوفييتي السابق وحقق انتصارات حاسمة وحافظ على حريم الاسلام ومن هذا المنطلق لا يمكن ترسيم الملاحم الذي حققها الشعب الايراني من خلال الحديث فقط.

وأشار خطيب صلاة الجمعة الى الخطاب الذي ألقاه الرئيس أحمدي نجاد في الجمعية العامة للأمم المتحدة قائلاً: ان الرئيس أحمدي نجاد من خلال هذا الخطاب أصبح قدوة لكل الشخصيات السياسية المسلمة كي تتعلم كيف تتعامل مع الآخرين. وأضاف: ان على أي مسؤول في النظام ألا ينخدع بشعارات الأجانب ولا يخشى منهم، بل عليه أن يعتمد على ذاته وشعبه كما فعل الرئيس أحمدي نجاد في الأمم المتحدة.

وأشار خطيب صلاة الجمعة الى تصريحات البابا قائلاً: ان هذه التصريحات الغريبة واللامعقولة أثبتت اما أن البابا لم يكن على دراية بأسس الاسلام، وإما أدلى بمثل هذه التصريحات على علم ودراية وهو قد وقع في فخ الآخرين. وتساءل: هل ان الذين أثاروا أحداث الدنمارك جنوا شيئاً من فعلتهم؟ وقال: كل من يسيء الى الدين الاسلامي الحنيف فسيكون مصيره الفشل.

ودعا خطيب جمعة طهران كافة المؤسسات والأجهزة التنفيذية الى مساعدة رئيس الجمهورية بغية تسوية مشاكل الغلاء والبطالة والفساد الاداري.

وأشار الى انتصار حزب الله على الكيان الصهيوني وقال: يجب طبع كراسات حول هذا الانتصار وتوزيعها بين العوائل لكي يقفوا على كنه هذا الانتصار.

أقوال بعض المستشرقين الذين أعجبوا بالرسول العظيم (صلى الله عليه وآله)

بين يديك جلة من أقوال بعض المستشرقين الذين أعجبوا بشخصية الرسول العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومع كونهم لم يرتدوا عباءة الاسلام فانهم قالوا كلمة حق سطرها التاريخ على ألسنتهم وفي كتبهم وتراثهم، وما أحبوه كذلك إلّا لأن أنصبته قد فاضت بكم بكم من الرقي الشخصي والأخلاقي والحضاري الى أبعد حد مما جعلهم معجبين به الى حد جعلهم يسطرون فيه الكتب ويذكرون شخصه في كل وقت. وهذا جزء من كل ما قالوا في عظيم شخصه وصفاته الجليلة:

١ ـ مهاتما غاندي (مهاتما غاندي في حديث لجريدة «ينج انديا» وتكلم فيه عن صفات سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم))

غاندي «أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر.. لقد أصبحت مقتنعاً كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الاسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه واخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته. هذه الصفات هي التي مهدت الطريق، وتخطت المصاعب وليس السيف. بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدت نفسي أسفاً لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة».

٢ ـ راما كريشنا راو (البروفسور راما كريشنا راو في كتابه «محمد النبي»):

«لا يمكن معرفة شخصية محمد بكل جوانبها. ولكن كل ما في استطاعتي أن أقدمه هو نبذة عن حياته من صور متتابعة جميلة. فهناك محمد النبي، ومحمد المحارب، ومحمد رجل الأعمال، ومحمد رجل السياسة، ومحمد الخطيب، ومحمد المصلح، ومحمد ملاذ اليتامى، وحامي العبيد، ومحمد محرر النساء، ومحمد القاضي، كل هذه الأدوار الرائعة في كل دروب الحياة الانسانية تؤهله لأن يكون بطلاً».

٣ ـ ساروجني ندو شاعرة الهند

«يعتبر الاسلام أول الأديان منادياً ومطبقاً للديمقراطية، وتبدأ هذه الديمقراطية في

المسجد خمس مرات في اليوم الواحد عندما ينادىٰ للصلاة، ويسجد القروي والملك جنباً لجنب اعترافاً بأن الله أكبر.. ما أدهشني هو هذه الوحدة غير القابلة للتقسيم والتي جعلت من كل رجل بشكل تلقائي أخاً للآخر».

٤ ـ **المفكر الفرنسي لامارتين** (لامارتين من كتاب «تاريخ تركيا». باريس، ١٨٥٤، الجزء الثاني، صفحة ٢٧٦ ـ ٢٧٧).

لا مارتين «اذا كانت الضوابط التي نقيس بها عبقرية الانسان هي سمو الغاية والنتائج المذهلة لذلك رغم قلة الوسيلة، فمن ذا الذي يجرؤ أن يقارن أياً من عظماء التاريخ الحديث بالنبي محمد (ﷺ) في عبقريته؟ فهؤلاء المشاهير قد صنعوا الأسلحة وسنوا القوانين وأقاموا الامبراطوريات. فلم يجنوا إلّا أمجاداً بالية لم تلبث أن تحطمت بين ظهرانيهم.

لكن هذا الرجل محمداً (ﷺ) لم يقد الجيوش ويسن التشريعات ويقم الامبراطوريات ويحكم الشعوب ويروض الحكام فقط، وانما قاد الملايين من الناس فيما كان يعد ثلث العالم حينئذ. ليس هذا فقط، بل انه قضى على الأنصاب والأزلام والأديان والأفكار والمعتقدات الباطلة.

لقد صبر النبي وتجلد حتى نال النصر (من الله). كان طموح النبي (ﷺ) موجهاً بالكلية الى هدف واحد، فلم يطمح الى تكوين امبراطورية أو ما الى ذلك. حتى صلاة النبي الدائمة ومناجاته لربه ووفاته (ﷺ) وانتصاره حتى بعد موته، كل ذلك لا يدل على الغش والخداع بل يدل على اليقين الصادق الذي أعطى النبي الطاقة والقوة لارساء عقيدة ذات شقين: الايمان بوحدانية الله، والايمان بمخالفته تعالى للحوادث.

فالشق الأول يبين صفة الله (ألا وهي الوحدانية)، بينما الآخر يوضح ما لا يتصف به الله تعالى (وهو المادية والمماثلة للحوادث). لتحقيق الأول كان لابد من القضاء على الآلهة المدعاة من دون الله بالسيف، أما الثاني فقد تطلب ترسيخ العقيدة بالكلمة (بالحكمة والموعظة الحسنة).

هذا هو محمد (ﷺ) الفيلسوف، الخطيب، النبي، المشرع، المحارب، قاهر

الأهواء، مؤسس المذاهب الفكرية التي تدعو الى عبادة حقة، بلا أنصاب ولا أزلام. هو المؤسس لعشرين امبراطورية في الأرض، وامبراطورية روحانية واحدة، هذا هو محمد. (ﷺ).

بالنظر لكل مقاييس العظمة البشرية، أود أن أتساءل: هل هناك من هو أعظم من النبي محمد (ﷺ)؟».

٥ ـ مونتجومري (مونتجومري وات، من كتاب «محمد في مكة»، ١٩٥٣، صفحة ٥٢):

ان استعداد هذا الرجل لتحمل الاضطهاد من أجل معتقداته، والطبيعة الأخلاقية السامية لمن آمنوا به واتبعوه واعتبروه سيداً وقائداً لهم، الى جانب عظمة انجازاته المطلقة، كل ذلك يدل على العدالة والنزاهة المتأصلة في شخصه. فافتراض أن محمداً مدع افتراض يثير مشاكل أكثر ولا يحلها. بل انه لا توجد شخصية من عظماء التاريخ الغربيين لم تنل التقدير اللائق بها مثل ما فعل بمحمد.

٦ ـ بوسورت سميث (بوسورث سميث، من كتاب «محمد والمحمدية»، لندن ١٨٧٤، صفحة ٩٢):

لقد كان محمد قائداً سياسياً وزعيماً دينياً في آن واحد. لكن لم تكن لديه عجرفة رجال الدين، كما لم تكن لديه فيالق مثل القياصرة. ولم يكن لديه جيوش مجيشة أو حرس خاص أو قصر مشيد أو عائد ثابت. اذا كان لأحد أن يقول انه حكم بالقدرة الالهية فإنه محمد، لأنه استطاع الامساك بزمام السلطة دون أن يملك أدواتها ودون أن يسانده أهلها.

٧ ـ جيبون أوكلي (ادوارد جيبون وسيمون أوكلي، من كتاب «تاريخ امبراطورية الشرق»، لندن ١٨٧٠، صفحة ٥٤):

جيبون اوكلي: ليس انتشار الدعوة الاسلامية هو ما يستحق الانبهار وانما استمراريتها وثباتها على مر العصور. فما زال الانطباع الرائع الذي حفره محمد في مكة والمدينة له نفس الروعة والقوة في نفوس الهنود والأفارقة والأتراك حديثي العهد بالقرآن، رغم مرور اثني عشر قرناً من الزمان.

لقد استطاع المسلمون الصمود يداً واحدة في مواجهة فتنة الايمان بالله رغم أنهم لم يعرفوه إلّا من خلال العقل والمشاعر الانسانية. فقول «أشهد أن لا اله إلّا الله وأن محمداً رسول الله» هي ببساطة شهادة الاسلام. ولم يتأثر احساسهم بألوهية الله (عز وجل) بوجود أي من الأشياء المنظورة التي كانت تتخذ آلهة من دون الله. ولم يتجاوز شرف النبي وفضائله حدود الفضيلة المعروفة لدى البشر، كما أن منهجه في الحياة جعل مظاهر امتنان الصحابة له (لهدايته اياهم واخراجهم من الظلمات الى النور) منحصرة في نطاق العقل والدين.

٨ ـ الدكتور زويمر (الدكتور زويمر الكندي مستشرق كندي ولد ١٨١٣ ـ ١٩٠٠ قال في كتابه (الشرق وعاداته):

ان محمداً كان ولاشك من أعظم القواد المسلمين الدينيين، ويصدق عليه القول أيضاً بأنه كان مصلحاً قديراً وبليغاً فصيحاً وجريئاً مغواراً، ومفكراً عظيماً، ولا يجوز أن ننسب اليه ما ينافي هذه الصفات، وهذا قرآنه الذي جاء به وتاريخه يشهدان بصحة هذا الادعاء.

٩ ـ سانت هيلر (العلامة برتلي سانت هيلر الألماني مستشرق الماني ولد في درسدن ١٧٩٣ ـ ١٨٨٤ قال في كتابه (الشرقيون وعقائدهم)):

كان محمد رئيساً للدولة وساهراً على حياة الشعب وحريته، وكان يعاقب الأشخاص الذين يجترحون الجنايات حسب أحوال زمانه وأحوال تلك الجماعات الوحشية التي كان يعيش النبي بين ظهرانيها، فكان النبي داعياً الى ديانة الاله الواحد وكان في دعوته هذه لطيفاً ورحيماً حتى مع أعدائه، وان في شخصيته صفتين هما من أجلّ الصفات التي تحملها النفس البشرية وهما العدالة والرحمة.

١٠ ـ ادوار مونته (الفيلسوف ادوار مونته الفرنسي مستشرق فرنسي ولد في بلدته لوكادا ١٨١٧ ـ ١٨٩٤ قال في آخر كتابه (العرب)):

عرف محمد بخلوص النية والملاطفة وانصافه في الحكم، ونزاهة التعبير عن الفكر والتحقق، وبالجملة كان محمد أزكى وأدين وأرحم عرب عصره، وأشدهم حفاظاً على الزمام فقد وجههم الى حياة لم يحلموا بها من قبل، وأسس لهم دولة زمنية ودينية لا تزال

الى اليوم.

١١ ـ برناردشو (برناردشو الانكليزي ولد في مدينة كانيا ١٨١٧ ـ ١٩٠٢ له مؤلف أسماه (محمد)، وقد أحرقته السلطة البريطانية):

برناردشو انّ العالم أحوج ما يكون الى رجل في تفكير محمد، هذا النبي الذي وضع دينه دائماً موضع الاحترام والاجلال فانه أقوى دين على هضم جميع المدنيات، خالداً خلود الأبد، واني أرى كثيراً من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة (يعني أوروبا).

ان رجال الدين في القرون الوسطى، ونتيجة للجهل أو التعصب، قد رسموا لدين محمد صورة قاتمة، لقد كانوا يعتبرونه عدواً للمسيحية، لكنني اطلعت على أمر هذا الرجل، فوجدته أعجوبة خارقة، وتوصلت الى أنه لم يكن عدواً للمسيحية، بل يجب أن يسمى منقذ البشرية، وفي رأيي أنه لو تولى أمر العالم اليوم، لوفق في حل مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر اليها.

١٢ ـ السير موير (السير موير الانكليزي في كتابه (تاريخ محمد)):

ان محمداً نبي المسلمين لقب بالأمين منذ الصغر باجماع اهل بلده لشرف أخلاقه وحسن سلوكه، ومهما يكن هناك من أمر فان محمداً أسمى من أن ينتهي اليه الوصف، ولا يعرفه من جهله، وخبير به من أمعن النظر في تاريخه المجيد، ذلك التاريخ الذي ترك محمداً في طليعة الرسل ومفكري العالم.

١٣ ـ سنرستن الآسوجي (العلامة سنرستن الآسوجي: مستشرق آسوجي ولد عام ١٨٦٦، استاذ اللغات السامية، ساهم في دائرة المعارف، جمع المخطوطات الشرقية، محرر مجلة (العالم الشرقي) له عدة مؤلفات منها: (القرآن الانجيل المحمدي) ومنها: (تاريخ حياة محمد)

اننا لم نصف محمداً اذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات وحميد المزايا، فلقد خاض محمد معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل والهمجية، مصراً على مبدئه، وما زال يحارب الطغاة حتى انتهى به المطاف الى النصر المبين، فأصبحت شريعته أكمل

الشرائع، وهو فوق عظماء التاريخ.

١٤ ـ المستر سنكس (المستر سنكس الأمريكي: مستشرق أميركي ولد في بلدته بالاي عام ١٨٣١، توفي ١٨٨٣ في كتابه: (ديانة العرب)):

ظهر محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة، وكانت وظيفته ترقية عقول البشر، باشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة، وبارجاعها الى الاعتقاد باله واحد، وبحياة بعد هذه الحياة.

الى أن قال: ان الفكرة الدينية الاسلامية، أحدثت رقياً كبيراً جداً في العالم، وخلصت العقل الانساني من قيوده الثقيلة التي كانت تأسره حول الهياكل بين يدي الكهان. ولقد توصل محمد ـ بمحوه كل صورة في المعابد وابطاله كل تمثيل لذات الخالق المطلق ـ الى تخليص الفكر الانساني من عقيدة التجسيد الغليظة.

١٥ ـ آن بيزينت (آن بيزينت: حياة وتعاليم محمد دار مادرس للنشر ١٩٣٢.)

من المستحيل لأي شخص يدرس حياة وشخصية نبي العرب العظيم ويعرف كيف عاش هذا النبي وكيف علم الناس، إلّا أن يشعر بتبجيل هذا النبي الجليل، أحد رسل الله العظماء، ورغم أنني سوف أعرض فيما أروي لكم أشياء قد تكون مألوفة للعديد من الناس فانني أشعر في كل مرة أعيد فيها قرءة هذه الأشياء باعجاب وتبجيل متجددين لهذا المعلم العربي العظيم.

هل تقصد أن تخبرني أن رجلاً في عنفوان شبابه لم يتعد الرابعة والعشرين من عمره بعد أن تزوج من امرأة أكبر منه بكثير وظل وفياً لها طيلة ٢٦ عاماً ثم عندما بلغ الخمسين من عمره ـ السن التي تخبو فيها شهوات الجسد ـ تزوج لاشباع رغباته وشهواته؟! ليس هكذا يكون الحكم على حياة الأشخاص.

فلو نظرت الى النساء اللاتي تزوجهن لوجدت أن كل زيجة من هذه الزيجات كانت سبباً اما في الدخول في تحالف لصالح أتباعه ودينه أو الحصول على شيء يعود بالنفع على أصحابه أو كانت المرأة التي تزوجها في حاجة ماسة للحماية.

١٦ ـ مايكل هارت (مايكل هارت: في كتابه مائة رجل من التاريخ):

ان اختياري محمداً، ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ، قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي.

فهناك رسل وأنبياء وحكماء بدأوا رسالات عظيمة، ولكنهم ماتوا دون اتمامها، كالمسيح في المسيحية، أو شاركهم فيها غيرهم، أو سبقهم اليهم سواهم، كموسى في اليهودية، ولكن محمداً هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية، وتحددت أحكامها، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته، ولأنه أقام جانب الدين دولة جديدة، فانه في هذا المجال الدنيوي أيضاً، وحد القبائل في شعب، والشعوب في أمة، ووضع لها كل أسس حياتها، ورسم أمور دنياها، ووضعها في موضع الانطلاق الى العالم، أيضاً في حياته، فهو الذي الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية، وأتمها.

١٧ ـ تولستوي (ليف تولستوي «١٨٢٨ ـ ١٩١٠» الأديب العالمي الذي يعد أدبه من أمتع ما كتب في التراث الانساني قاطبة عن النفس البشرية):

يكفي محمداً فخراً أنه خلص أمةً ذليلةً دمويةً من مخالب شياطين العادات الذميمة، وفتح على وجوههم طريق الرقي والتقدم، وأن شريعة محمدٍ، ستسود العالم لانسجامها مع العقل والحكمة.

١٨ ـ شبرك النمساوي (الدكتور شبرك النمساوي)

ان البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد اليها، اذا انه رغم أميته، استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتي بتشريع، سنكون نحن الأوروبيين أسعد ما نكون، اذا توصلنا الى قمته. (جمعه: ممدوح أبوالعلا)

١٩ ـ القرآن هو الكتاب الذي يقال عنه (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) (توماس كارليل)

٢٠ ـ كلما قرأت القرآن شعرت أن روحي تهتز داخل جسمي. (غوتة)

٢١ ـ لم يعتر القرآن أي تبديل أو تحريف، وعندما تستمع الى آياته تأخذك رجفة الاعجاب والحب، وبعد أن تتوغل في دراسة روح التشريع فيه لا يسعك إلّا أن تعظم هذا

الكتاب العلوي وتقدسه. (أرنست رينان)

٢٢ ـ سوف تسود شريعة القرآن العالم لتوافقها وانسجامها مع العقل والحكمة. (ليوتولستوي)

٢٣ ـ لقد فهمت... لقد أدركت... ما تحتاج إليه البشرية هو شريعة سماوية تحق الحق، وتزهق الباطل. (ليوتولستوي)

٢٤ ـ لا يوجد في تاريخ الرسالات كتاب بقي بحروفه كاملاً دون تحوير سوى القرآن الذي نقله محمد. (الأمريكي مايكل هارت)

٢٥ ـ القرآن كتاب الكتب، وإني أعتقد هذا كما يعتقده كل مسلم. (غوتة)

٢٦ ـ سمع العالم الفلكي (جيمس جينز) العالم المسلم (عناية الله المشرقي) يتلو الآية الكريمة ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ فصرخ قائلاً: مدهش وغريب! إنه الأمر الذي كشفت عنه بعد دراسة استمرت خمسين سنة!، من أنبأ محمداً به؟ هل هذه الآية موجودة في القرآن حقيقة؟! لو كان الأمر كذلك فأنا أشهد أن القرآن كتاب موحى به من عند الله. (جيمس جينز)

٢٧ ـ لما وعد الله رسوله بالحفظ بقوله ﴿**والله يعصمك من الناس**﴾ صرف النبي حراسه، والمرء لا يكذب على نفسه، فلو كان لهذا القرآن مصدر غير السماء لأبقى محمد على حراسته! (العلامة بارتلمي هيلر)

٢٨ ـ لا شك في أن القرآن من الله، ولا شك في ثبوت رسالة محمد. (الدكتور إيرنبرج أستاذ في جامعة أوسلو)

٢٩ ـ لا أجد صعوبة في قبول أن القرآن كلام الله، فإن أوصاف الجنين في القرآن لا يمكن بناؤها على المعرفة العلمية للقرن السابع، الاستنتاج الوحيد المعقول هو أن هذه الأوصاف قد أوحيت الى محمد من الله. (البروفيسور يوشيودي كوزان ـ مدير مرصد طوكيو)

٣٠ ـ أعظم حدث في حياتي هو أنني درست حياة رسول الله محمد دراسة وافية، وأدركت ما فيها من عظمة وخلود. (الشاعر الفرنس لامارتين)

٣١ ـ أي رجل أدرك من العظمة الإنسانية مثلما أدرك محمد، وأي إنسان بلغ من مراتب الكمال مثل ما بلغ، لقد هدم الرسول المعتقدات الباطلة التي تتخذ واسطة بين الخالق والمخلوق. (لامارتين)

٣٢ ـ محمد نبي حقيقي بمعنى الكلمة، ولا يمكننا بعد إنكار أن محمداً هو المرشد القائد الى طريق النجاة. (عالم اللاهوت السويسري د. هانز كونج)

٣٣ ـ بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان، فوجدته في النبي العربي محمد (ﷺ). (شاعر الألمان غوته)

٣٤ ـ يخاطب الشاعر غوته أستاذه الروحي الشاعر الكبير حافظ شيرازي فيقول: (يا حافظ إن أغانيك لتبعث السكون... إنني مهاجر إليك بأجناس البشرية المحطمة، بهم جميعاً أرجوك أن تأخذنا في طريق الهجرة الى المهاجر الأعظم محمد بن عبد الله). (غوته)

٣٥ ـ إن التشريع في الغرب ناقص بالنسبة للتعاليم الإسلامية، وإننا أهل أوربا بجميع مفاهيمنا لم نصل بعد الى ما وصل اليه محمد، وسوف لا يتقدم عليه أحد. (غوته)

٣٦ ـ لما بلغ غوته السبعين من عمره، أعلن على الملأ أنه يعتزم أن يحتفل في خشوع بتلك الليلة المقدسة التي أنزل فيها القرآن الكريم على النبي محمد (ﷺ). (غوته)

٣٧ ـ أنا واحد من المبهورين بالنبي محمد الذي اختاره الله الواحد لتكون آخر الرسالات على يديه، وليكون هو أيضاً آخر الأنبياء. (ليوتولستوي)

٣٨ ـ إنما محمد شهاب قد أضاء العالم، ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾. (توماس كارليل)

٣٩ ـ قرأت حياة رسول الإسلام جيداً مرات ومرات، فلم أجد فيها إلّا الخلق كما ينبغي أن يكون، وكم ذا تمنيت أن يكون الإسلام هو سبيل العالم.

٤٠ ـ لقد درست محمداً باعتباره رجلاً مدهشاً، فرأيته بعيداً عن مخاصمة المسيح، بل يجب أن يدعى منقذ الإنسانية، وأوربا في العصر الراهن بدأت تعشق عقيدة التوحيد، وربما ذهبت الى أبعد من ذلك فتعترف بقدرة هذه العقيدة على حل مشكلاتها، فبهذه

الروح يجب أن تفهموا نبوءتي. (جورج برنادشو)

٤١ ـ جدير بكل ذي عقل أن يعترف بنبوته وأنه رسول من السماء الى الأرض. (كارل ماركس)

٤٢ ـ هذا النبي افتتح برسالته عصراً للعلم والنور والمعرفة، حري أن تدون أقواله وأفعاله بطريقة علمية خاصة، وبما أن هذه التعاليم التي قام بها هي وحي فقد كان عليه أن يمحو ما كان متراكماً من الرسالات السابقة من التبديل والتحوير. (كارل ماركس)

٤٣ ـ إن محمداً أعظم عظماء العالم، والدين الذي جاء به أكمل الأديان. (فارس الخوري)

ملخص لمائة خصلة انفرد بها(ﷺ) عن بقية الأنبياء السابقين (عليهم السلام)

للدكتور / خليل إبراهيم ملا خاطر
أستاذ مشارك في المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة النبوية
لخصها إبراهيم الحدادي

ما أكرمه الله تعالى به لذاته في الدنيا

١ ـ أخذ الله له العهد على جميع الأنبياء، (ﷺ).

٢ ـ كان عند أهل الكتاب علم تام به (ﷺ).

٣ ـ كان نبياً وآدم منجدل في طينته (ﷺ).

٤ ـ هو أول المسلمين (ﷺ).

٥ ـ هو خاتم النبيين (ﷺ).

٦ ـ هو نبي الإسلام (ﷺ).

٧ ـ هو أولى بالأنبياء من أممهم (ﷺ).

٨ ـ هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأزواجه أمهاتهم (ﷺ).

٩ ـ كونه منة يمتن الله بها على عباده.

١٠ ـ كونه خيرة الخلق، وسيد ولد آدم (ﷺ).

١١ ـ طاعته ومبايعته هي عين طاعة الله ومبايعته.

١٢ ـ الإيمان به مقرون بالإيمان بالله تعالى.

١٣ ـ هو رحمة للعالمين (ﷺ).

١٤ ـ هو أمنة لأمته (ﷺ).

١٥ ـ عموم رسالته (ﷺ).

١٦ ـ تكفل المولى بحفظه وعصمته (ﷺ).

١٧ ـ التكفل بحفظ دينه (ﷺ).

١٨ ـ القسم بحياته (ﷺ).

١٩ ـ القسم ببلده (ﷺ).

٢٠ ـ القسم له (ﷺ).

٢١ ـ لم يناده باسمه (ﷺ).

٢٢ ـ ذكر في أول من ذكر من الأنبياء.

٢٣ ـ النهي عن مناداته باسمه (ﷺ).

٢٤ ـ لا يرفع صوت فوق صوته (ﷺ).

٢٥ ـ تقديم الصدقة بين يدي مناجاتهم له (ثم نسخ ذلك).

٢٦ ـ جعله الله نوراً (ﷺ).

٢٧ ـ فرض بعض شرعه في السماء (ﷺ).

٢٨ ـ تولى الإجابة عنه (ﷺ).

٢٩ ـ استمرار الصلاة عليه (ﷺ).

٣٠ ـ الإسراء والمعراج به (ﷺ).

٣١ ـ معجزاته (ﷺ).

٣٢ ـ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر (ﷺ).

٣٣ ـ تأخير دعوته المستجابة ليوم القيامة (ﷺ).

٣٤ ـ أعطي جوامع الكلم (ﷺ).

٣٥ ـ أعطي مفاتيح خزائن الأرض (ﷺ).

٣٦ ـ إسلام قرينه من الجن (ﷺ).

٣٧ ـ نصره بالرعب مسيرة شهر (ﷺ).

٣٨ ـ شهادة الله وملائكته له (ﷺ).

٣٩ ـ إمامته بالأنبياء في بيت المقدس (ﷺ).

٤٠ ـ قرنه خير قرون بني آدم (ﷺ).

٤١ ـ ما بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة (ﷺ).

٤٢ ـ أعطي انشقاق القمر (ﷺ).

٤٣ ـ يرى من وراء ظهره (ﷺ).

٤٤ ـ رؤيته في المنام حق (ﷺ).

٤٥ ـ عرض الأنبياء مع أممهم عليه (ﷺ).

٤٦ ـ جعل خاتم النبوة بين كتفيه (ﷺ).

٤٧ ـ اطلاعه على المغيبات (ﷺ).

ما أكرمه الله تعالى به في الآخرة

٤٨ ـ وصفه بالشهادة (ﷺ).

٤٩ ـ ما أعطي من الشفاعات (ﷺ).

٥٠ ـ هو أول من يبعث (ﷺ).

٥١ ـ هو إمام الأنبياء وخطيبهم (ﷺ).

٥٢ ـ كل الأنبياء تحت لوائه (ﷺ).

٥٣ ـ هو أول من يجوز على الصراط (ﷺ).

٥٤ ـ هو أول من يقرع باب الجنة (ﷺ).

٥٥ ـ هو أول من يدخل الجنة (ﷺ).

٥٦ ـ إعطاؤه الوسيلة والفضيلة (ﷺ). (الوسيلة: اعلى منزلة في الجنة).

٥٧ ـ إعطاؤه المقام المحمود (ﷺ). (وهي الشفاعة العظمى).

٥٨ ـ إعطاؤه الكوثر (ﷺ). (وهو نهر في الجنة).

٥٩ ـ إعطاؤه لواء الحمد (ﷺ).

٦٠ ـ يكون له كرسي عن يمين العرش (ﷺ).

٦١ ـ هو أكثر الأنبياء تبعاً (ﷺ).

٦٢ ـ هو سيد الأولين والآخرين يوم القيامة (ﷺ).

٦٣ ـ هو أول شافع ومشفع (ﷺ).

٦٤ ـ هو مبشر الناس يوم يفزع اليه الأنبياء (ﷺ).

٦٥ ـ ما يوحى اليه في سجوده تحت العرش مما لم يفتح على غيره من قبل ومن بعد (ﷺ).

٦٦ ـ منبره على حوضه (ﷺ).

ما أكرمه الله به في أمته في الدنيا

٦٧ ـ جعلت خير الأمم.

٦٨ ـ سماهم الله تعالى المسلمين، وخصهم بالإسلام.

٦٩ ـ أكمل الله لها الدين، وأتم عليها النعمة.

٧٠ ـ ما حطه الله لها عنها من الاصر والاغلال.

٧١ ـ صلاة المسيح خلف إمام المسلمين.

٧٢ ـ أحلت لها الغنائم.

٧٣ ـ جعلت صفوفها كصفوف الملائكة.

٧٤ ـ التيمم والصلاة على الأرض.

٧٥ ـ خصهم بيوم الجمعة.

٧٦ ـ خصهم بساعة الإجابة يوم الجمعة.

٧٧ ـ خصهم بليلة القدر.

٧٨ ـ هذه الأمة هي شهداء الله في الأرض.

٧٩ ـ مثلها في الكتب السابقة ﴿ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل﴾.

٨٠ ـ لن تهلك بجوع، ولا يسلط عليها عدو من غيرها فيستأصلها.

٨١ ـ خصت بصلاة العشاء.

٨٢ ـ تؤمن بجميع الأنبياء.

٨٣ ـ حفظها من التنقص في حق ربها عز وجل.

٨٤ ـ لا تزال طائفة منها على الحق منصورة.

ما أكرمه الله تعالى به في أمته في الآخرة

٨٥ ـ هي شاهدة للأنبياء على أممهم.

٨٦ ـ هي أول من يجتاز الصراط.

٨٧ ـ هي أول من يدخل الجنة، وهي محرمة على الناس حتى تدخلها.

٨٨ ـ انفرادها بدخول الباب الأيمن من الجنة.

٨٩ ـ سيفديها بغير من الأمم.

٩٠ ـ تأتي غراً محجلين من آثار الوضوء.

٩١ ـ هي أكثر أهل الجنة.

٩٢ ـ سيرضي الله نبيه (ﷺ) فيها.

٩٣ ـ زيادة الثواب مع قلة العمل.

٩٤ ـ كلها تدخل الجنة إلّا من أبى بمعصيته لله ورسوله للحديث الذي رواه البخاري.

٩٥ ـ كثرة الشفاعات في أمته.

٩٦ ـ تمني الكفار لو كانوا مسلمين.

٩٧ ـ هم الآخرون في الدنيا السابقون يوم القيامة.

٩٨ ـ دخول العدد الكثير منها الجنة بغير حساب.

٩٩ ـ لها علامة تعرف بها ربها عز وجل وهو الساق.

١٠٠ ـ فيها سادات أهل الجنة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المرجع كتاب / تذكير المسلمين باتباع سيد المرسلين (ﷺ)

المؤلف / عبدالله بن جارالله

حياة الرسول

اعداد: الآنسة ناهيد فتحي

عاش الرسول (ﷺ) بعد النبوة ثلاثة عشر عاماً من حياته في مكة، وعشرة أعوام في المدينة المنورة، حيث ولد بمكة في عام الفيل وجاءته النبوة عندما بلغ من العمر أربعين عاماً.

ـ عاش في طفولته يتيم الأب والأم، وبعد بلوغه عاش في كنف عمه أبي طالب، وعندما تزوج خديجة كانت تواسيه وتخفف عنه آلامه وكانت نعم الزوجة الصالحة.

ـ ولما توفي أبو طالب وتوفيت خديجة عانى من قريش أشد العنت والمكابرة، فاتجه الى الطائف لعله يجد من يخفف عنه ما يجده، ولكن سرعان ما خرج وراءه أبو لهب ليقول لأطفال ثقيف: ارموه بالحجارة واخرجوه من بلدكم، فخرج وقلبه يدمى أكثر من عقبيه. فكان أن خفف الله عنه برحلة الإسراء والمعراج، وأهداه خمس صلوات في اليوم والليلة، هي له ولأمته وهي في أجر خمسين صلاة.

ـ ثم كانت الهجرة الى المدينة حيث لم يكتب الله لدعوته النجاح في مكة، فخرج وهو يقول: والله يا مكة إنك لأحب البقاع الى قلبي، ولولا أن قومي أخرجوني لما خرجت.

ـ قدم المدينة وكان في استقباله الأوس والخزرج فأنزلوه في قلوبهم، واحتضنوا دعوته وقبلوا مؤاخاته بينهم وبين المهاجرين بصدر رحب.

ـ وضع رسول الله منذ ذلك اليوم دستوراً للحياة الجديدة التي تمثلت في حسن معاملته مع أهله ومع جيرانه، ووضع الموازين بالقسط، حيث أقام الحدود وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وضمن الحقوق للضعفاء قبل الأغنياء، فلم يفرق بين العربي والعجمي، ولا بين الأبيض والأسود، ولا بين الرجل والمرأة، بل نشر العدل والمساواة، وجعل التقوى هي معيار التفوق.

ـ كان عليه الصلاة والسلام يصلي الليل ويصوم النهار ويؤدي حقوق زوجاته، وكان

يأكل ويشرب ويلبس لكنه كان يحذر من الإسراف والتبذير.

ـ كان صلى الله عليه وسلم جواداً ينفق ماله ولا يحب أن يكنز المال، وكان يقول: اللهم أعط منفقاً خلفاً واعط ممسكاً تلفاً.

ـ كان يشجع أصحابه على التجارة فيقول: عليكم بالتجارة فإن تسعة أعشار الربح في التجارة، لكنه يحذرهم من الحلف الكاذب والغش والربا وتطفيف المكيال والميزان.

ـ كان يجالس أصحابه ويمشي معهم في الطريق، ولا يتكبر عليهم، فكان الغريب إذا دخل عليه وهو في أصحابه لا يميزه عن سائر أصحابه.

ـ كان يخدم نفسه بنفسه فيحلب شاته ويخصف نعله ويحمل حاجته ولا يرى في ذلك انتقاصاً من شأنه وهو رسول الله الى العالمين.

ـ كان يداعب الصغير، ويداعب الكبير، وكان يمزح ولكنه لا يقول إلّا حقاً، فمن مزاحه أنه قال لامرأة عجوز: العجوز لا تدخل الجنة، فبكت، وعندئذ قال لها الرسول (ﷺ) تدخلين الجنة وأنت شابة.

ـ كان رسول الله (ﷺ) يحب الجمال فيلبس أحسن الثياب، وكان يحب الطيب، وكانت رائحة عرقه طيباً.

ـ كان إذا التقى بأصحابه استقبلهم بوجه طلق ولم يكن يضحك بل كان يبتسم وكان يأمر الناس أن يبتسموا فيقول: ابتسامتك في وجه أخيك صدقة.

ـ كان رحيماً مع البشر والحيوان والجماد والنبات، وكان يقول: الرفق ما كان في شيء إلا زانه وما انتزع من شيء إلّا شانه.

ـ كان يبادئ الناس في الطرقات بالسلام، ولا تقع عينه على محرم، وكان يكثر من الاستغفار في البيت والطريق، وعند تقلب الأحوال، وكان يقول: لا حول ولا قوة إلّا بالله كنز من كنوز الجنة.

ـ كان يحسن الى الجار، ويكرم الضيف، ويعود المريض، ويشمت العاطس، ويفي بالوعد، ويحب التيامن في أموره كلها.

ـ كان قنوعاً ويأمر أهله والناس بالقناعة، فكانت تمر أيام ولا توقد في بيته نار لطبخ،

لا لأنه لا يستطيع أن يوفر لأهله عيش كسرى وقيصر، بل لأنه يريد أن يغرس فيهم حب الآخرة، فمن دعائه: اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً.

ـ لم يحتفل باللهو في ليله ولا في نهاره، وكان يقول: لست من دد، ولا الدد مني، وكان يأمر أصحابه فيقول: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت.

ـ كان نومه عبادة وصمته عبادة، وكان خلقه القرآن، ويكثر من النوافل في صلاته وصومه، ويجهد نفسه في قيام الليل، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

ـ كان يحب الأدعية الجامعة، ويكثر من قول: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

ـ أقول: إننا اليوم في حاجة الى عودة من جديد ليعلمنا مكارم الأخلاق، ولكنه لن يعود لأنه خاتم النبيين، وترك فينا كتاب الله وسنته، ولن نضل لو تمسكنا بهما، أليس كذلك؟*

مائة وسيلة لنصرة المصطفىٰ (ﷺ)

بقلم: اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء

اعداد: الآنسة ناهيد فتحي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

إن أول ركن من أركان الإسلام العظيمة: شهادة أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله. وتحقيق الشطر من الشهادتين وهو شهادة أن محمداً رسول الله تتم من خلال الأمور التالية:

أولاً: تصديق النبي (ﷺ) في كل ما أخبر به، وأوله: أنه رسول الله ومبعوثه الى الجن والأنس كافة لتبليغ وحيه تعالى بالقرآن والسنة المتضمنين لدين الإسلام الذي لا يقبل الله تعالى ديناً سواه.

ثانياً: طاعته والرضى بحكمه، والتسليم له التسليم الكامل، والانقياد لسنته والاقتداء بها، ونبذ ما سواها.

ثالثاً: محبته (ﷺ) فوق محبة الوالد والولد والنفس، مما يترتب عليه تعظيمه، وإجلاله، وتوقيره، ونصرته، والدفاع عنه، والتقيد بما جاء عنه.

فعلى كل مسلم: أن يسعى لتحقيق هذا المعنى، ليصح إيمانه، وليحقق الشطر الثاني من كلمة التوحيد، ولتقبل شهادته بأن محمداً رسول الله، فإن المنافقين قالوا: ﴿نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسولهُ واللهُ يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ (المنافقون: ١)، فلن تنفعهم شهادتهم، لأنهم لم يحققوا معناها.

وإليك بعض الأمور التي يمكننا من خلالها العمل بمقتضى تلك المحبة، وواجب القيام بذلك الحق للنبي (ﷺ) تجاه هذه الهجمة الشرسة عليه أن نفديه بأولادنا ووالدينا وأنفسنا وأموالنا، على كل قدر إمكانياته، فالكل يتحمل مسؤوليته ومن خلال موقعه:

على مستوى الفرد:

١ ـ التفكير في دلائل نبوته (ﷺ) القاطعة بأنه رسول رب العالمين، وأصلها القرآن الكريم، وما تضمنه من دلائل على صدق نبوته (ﷺ).

٢ ـ تعلم الأدلة من القرآن والسنة والإجماع الدالة على وجوب طاعة النبي (ﷺ)، والأمر باتباعه، والاقتداء به (ﷺ).

٣ ـ العلم والمعرفة بحفظ الله لسنة نبيه (ﷺ)، وذلك من خلال الجهود العظيمة التي قام بها أهل العلم على مر العصور المختلفة، فبينوا صحيحها من سقيمها، وجمعوها على أدق الأصول التي انفردت بها هذه الأمة عن غيرها من الأمم السالفة.

٤ ـ استشعار محبته (ﷺ) في القلوب بتذكر كريم صفاته الخَلقية والخُلقية، وقراءة شمائله وسجاياه الشريفة، وأنه قد اجتمع فيه الكمال البشري في صورته وفي أخلاقه (ﷺ).

٥ ـ استحضار عظيم فضله وإحسانه (ﷺ) على كل واحد منا، إذ أنه هو الذي بلغنا دين الله تعالى أحسن بلاغ وأتمه وأكمله، فقد بلغ (ﷺ) الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، ورسولاً عن قومه.

٦ ـ عزو كل خير دنيوي وأخروي نوفق إليه ونتنعم به اليه (ﷺ) بعد فضل الله تعالى ومنته، إذ كان هو (ﷺ) سبيلنا وهادينا إليه، فجزاه الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته.

٧ ـ استحضار أنه (ﷺ) أرأف وأرحم وأحرص على أمته. قال تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ (الأحزاب: ٦).

٨ ـ التعرف على الآيات والأحاديث الدالة على عظيم منزلته (ﷺ) عند ربه، ورفع قدره عند خالقه، ومحبة الله عز وجل له، وتكريم الخالق سبحانه له غاية التكريم.

٩ ـ الالتزام بأمر الله تعالى لنا بحبه (ﷺ)، بل تقديم محبته (ﷺ) على النفس، لقوله (ﷺ): (لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين).

١٠ ـ الالتزام بأمر الله تعالى لنا بالتأدب معه (ﷺ) ومع سنته لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ (الحجرات: ٢) وقوله تعالى: ﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم﴾ (الحجرات: ٣) وقال تعالى: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾ (النور: ٦٣).

١١ ـ الانقياد لأمر الله تعالى بالدفاع عن النبي (ﷺ) ومناصرته وحمايته من كل أذى يراد به، أو نقص ينسب إليه، كما قال تعالى: ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه﴾.

١٢ ـ استحضار النية الصادقة واستدامتها لنصرته، والذب عنه (ﷺ).

١٣ ـ استحضار الثواب الجزيل في الآخرة لمن حقق محبة النبي (ﷺ) على الوجه الصحيح، بأن يكون رفيق المصطفى (ﷺ) في الجنة، لقوله (ﷺ) لمن قال إني أحب الله ورسوله: (أنت مع من أحببت).

١٤ ـ الحرص على الصلاة على النبي (ﷺ) كلما ذكر، وبعد الأذان، وفي يوم الجمعة، وفي كل وقت، لعظيم الأجر المترتب على ذلك، ولعظيم حقه (ﷺ) علينا.

١٥ ـ قراءة سيرة النبي (ﷺ) الصحيحة، مع الوقوف على حوادثها موقف المستفيد من حكمها وعبرها، والاستفادة من الفوائد المستخلصة من كل حادث منها، ومحاولة ربطها بحياتنا وواقعنا.

١٦ ـ تعلم سنته (ﷺ)، بقراءة ما صححه أهل العلم من الأحاديث المروية عنه (ﷺ)، مع محاولة فهم تلك الأحاديث، واستحضار ما تضمنته تلك التعاليم النبوية من الحكم الجليلة والأخلاق الرفيعة والتعبد الكامل لله تعالى، والخضوع التام للخالق وحده.

١٧ ـ اتباع سنته (ﷺ) كلها، مع تقديم الأوجب على غيره.

١٨ ـ الحرص على الاقتداء به (ﷺ) في المستحبات، ولو أن نفعل ذلك المستحب مرة واحدة في عمرنا، حرصاً على الاقتداء به في كل شيء.

١٩ ـ الحذر والبعد عن الاستهزاء بشيء من سنته (ﷺ).

٢٠ ـ الفرح بظهور سنته (ﷺ) بين الناس.

٢١ ـ الحزن لاختفاء بعض سنته (ﷺ) بين البعض من الناس.

٢٢ ـ بغض أي منتقد للنبي (ﷺ) أو سنته.

٢٣ ـ محبة آل بيته (ﷺ) من أزواجه وذريته، والتقرب الى الله تعالى بمحبتهم لقرابتهم من النبي (ﷺ) ولإسلامهم، ومن كان عاصياً منهم أن نحرص على هدايته لأن هدايته أحب الى رسول الله (ﷺ) من هداية غيره، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للعباس عم رسول الله (ﷺ): (مهلاً يا عباس لإسلامك يوم أسلمت كان أحب لي من إسلام الخطاب، وما لي إلّا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله (ﷺ) من إسلام الخطاب).

٢٤ ـ العمل بوصية النبي (ﷺ) في آل بيته، عندما قال: (أذكركم الله في أهل بيتي) ثلاثاً.

٢٥ ـ محبة أصحاب النبي (ﷺ) وتوقيرهم واعتقاد فضلهم على من جاء بعدهم في العلم والعمل والمكانة عند الله تعالى.

٢٦ ـ محبة العلماء وتقديرهم، لمكانتهم وصلتهم بميراث النبوة فالعلماء هم ورثة الأنبياء، فلهم حق المحبة والإجلال، وهو من حق النبي (ص) على أمته.

على مستوى الأسرة والمجتمع:

٢٧ ـ تربية الأبناء على محبة الرسول (ﷺ).

٢٨ ـ تربية الأبناء على الاقتداء بالرسول (ﷺ) في جميع أحواله.

٢٩ ـ اقتناء الكتب عن سيرته (ﷺ).

٣٠ ـ اقتناء الأشرطة عن سيرته (ﷺ).

٣١ ـ انتقاء الأفلام الكرتونية ذات المنهج الواضح في التربية.

٣٢ ـ تخصيص درس أو أكثر في الأسبوع عن السيرة تجتمع عليه الأسرة.

٣٣ ـ اقتداء الزوج في معاملة أهل بيته بالرسول (ﷺ).

٣٤ ـ تشجيع الأبناء على حفظ الأذكار النبوية وتطبيق ذلك.

٣٥ ـ تشجيع الابناء على اقتطاع جزء من مصروفهم اليومي من أجل التطبيق العملي لبعض الأحاديث، مثل: كفالة اليتيم، إطعام الطعام، مساعدة المحتاج.

٣٦ ـ تعويد الأبناء على استخدام الأمثال النبوية في الحديث مثل المؤمن كيس فطن، لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، يسروا ولا تعسروا.

٣٧ ـ وضع مسابقات أسرية عن سيرة الرسول (ﷺ).

٣٨ ـ تعريف الأسرة المسلمة بحياة الرسول (ﷺ) من خلال تطبيق مشروع (يوم في بيت الرسول).

على مستوى قطاع التعليم والعاملين فيه:

٣٩ ـ زرع محبة الرسول (ﷺ) في نفوس الطلبة والطالبات من خلال إبراز حقه (ﷺ) على أمته.

٤٠ ـ الإكثار من عقد المحاضرات التي تغطي جوانب من حياة الرسول وشخصيته (ﷺ).

٤١ ـ حث مسؤولي قطاعات التعليم على إضافة مادة السيرة النبوية الى مناهج التعليم والدراسات الإسلامية في التخصصات الإنسانية.

٤٢ ـ العمل على تمويل وضع كراسي لدراسات السيرة النبوية في الجامعات الغربية المشهورة.

٤٣ ـ تشجيع البحث العلمي في السيرة النبوية وحث الباحثيين على تصنيف كتب السنة بتصانيف عدة مثل المغازي والشمائل.

٤٤ ـ العمل على إقامة المعارض المدرسية والجامعية التي تعرّف بالرسول (ﷺ) مع مراعاة التمثيل الجغرافي لنشأة الإسلام.

٤٥ ـ تخصيص أركان خاصة في المكتبات تحوي كل ما له علاقة بالرسول (ﷺ) وسيرته والإهتمام بها وجعلها في مكان بارز.

٤٦ ـ العمل على إعداد أعمال موسوعية أكاديمية غنية في السيرة النبوية تصلح

كأعمال مرجعية وترجمتها الى اللغات العالمية.

٤٧ ـ إقامة مسابقة سنوية للطلبة والطالبات لأفضل بحث في السيرة النبوية وتخصيص جوائز قيمة لها.

٤٨ ـ إقامة مخيمات شبابية تتضمن أنشطة تزرع محبة الرسول (ﷺ) والتعلق بسنته.

٤٩ ـ إقامة دورات تدريبية متخصصة لإعداد القادة بالإقتداء بالمصطفى (ﷺ).

على مستوى الأئمة والدعاة وطلبة العلم:

٥٠ ـ بيان خصائص دعوته ورسالته (ﷺ) وانه بعث بالحنيفية السمحة وأن الأصل في دعوته هو حرصه على هداية الناس كافة الى إفراد العبادة لرب الناس.

٥١ ـ العمل على دعوة الناس وهدايتهم الى هذا الدين؛ بجميع أجناسهم وقبائلهم.

٥٢ ـ بيان صفاته (ﷺ) الخلقية والخُلقية قبل وبعد الرسالة.

٥٣ ـ بيان فضائل الرسول (ﷺ) وخصائص أمته بأسلوب ممتع.

٥٤ ـ بيان مواقفه (ﷺ) مع أهله وجيرانه وأصحابه رضوان الله عليهم.

٥٥ ـ بيان كيفية تعامله (ﷺ) مع أعدائه من أهل الكتاب والمشركين والمنافقين.

٥٦ ـ بيان منهجه (ﷺ) في حياته اليومية.

٥٧ ـ تخصيص الخطبة الثانية لبعض الجمع للتذكير بمشاهد من سيرة المصطفى (ﷺ) فضلاً عن تخصيص خطب كاملة عنه من وقت الى آخر.

٥٨ ـ التعليق على الآيات التي تتكلم عن الرسول (ﷺ) عند قراءتها في الصلاة ولمدة ثلاث الى خمس دقائق.

٥٩ ـ اضافة حلقات لتحفيظ السنة النبوية الى جوار حلقات تحفيظ القرآن الكريم في المساجد.

٦٠ ـ تصحيح المفاهيم الخاطئة لدى عامة الناس حول سنة المصطفى (ﷺ) والدعوة الى التمسك بما صح عنه (ﷺ) بأسلوب بسيط واضح.

٦١ ـ ذكر فتاوى علماء الأمة التي تبين حكم من تعرض لرسول الأمة (ﷺ)

بشيء من الانتقاص ووجوب بغض من فعل ذلك والبراءة منه.

٦٢ ـ العمل على رد الناس الى دينهم من خلال عرض مبسط لمواقف الرسول (ﷺ) الدعوية.

٦٣ ـ التحذير في الوسائل المرئية والمسموعة والمقروءة من الغلو فيه (ﷺ)، وبيان الآيات التي تنهىٰ عن الغلو كقوله (لا تغلوا في دينكم). والأحاديث الخاصة في ذلك كما في قوله (ﷺ) (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم)، وبيان أن المحبة الصادقة هي في اتباعه (ﷺ).

٦٤ ـ حث الناس على قراءة سيرة الرسول (ﷺ) من مصادرها الأصلية وتبيين ذلك لهم.

٦٥ ـ دحض وتفنيد الشبهات والأباطيل التي تثار حول الرسول (ﷺ) وسيرته.

على مستوى المثقفين والمفكرين والاعلاميين والصحفيين:

٦٦ ـ ابراز شخصية الرسول (ﷺ) وخصائص أمته من خلال نشر ذلك والتحدث عنه في المناسبات الاعلامية والثقافية.

٦٧ ـ عدم نشر أي موضوع ينتقص فيه من سنته (ﷺ).

٦٨ ـ التصدي للاعلام الغربي واليهودي المضاد والرد على ما يثيرونه من شبهات وأباطيل عن ديننا ونبينا محمد (ﷺ).

٦٩ ـ عقد اللقاءات الصحفية والإعلامية والثقافية مع المنصفين من غير المسلمين والتحدث عن النبي (ﷺ) ورسالته.

٧٠ ـ نشر ما ذكره المنصفون من غير المسلمين بشأنه (ﷺ).

٧١ ـ عقد الندوات والمنتديات الثقافية لابراز منهجه وسيرته وبيان مناسبة منهجه (ﷺ) لكل زمان ومكان.

٧٢ ـ إعداد المسابقات الاعلامية عن سيرة الرسول (ﷺ) وتخصيص الجوائز القيمة لها.

٧٣ ـ كتابة المقالات والقصص والكتيبات التي تتحدث عن الرسول (ﷺ).

٧٤ ـ الاقتراح على رؤساء تحرير الصحف والمجلات لتخصيص زاوية يبين فيها الآيات والأحاديث التي تدل على وجوب محبته (ﷺ) وأن محبته مقدمة على الولد والوالد والناس أجمعين بل ومقدمة على النفس وأن هذه المحبة تقتضي تعظيمه وتوقيره واتباعه وتقديم قوله على قول كل أحد من الخلق.

٧٥ ـ الاقتراح على مدراء القنوات الفضائية لاعداد برامج خاصة في سيرة الرسول (ﷺ) وكيفية تعامله مع زوجاته وأبنائه وأصحابه وأعدائه وغير ذلك من صفاته الخلقية والخلقية.

٧٦ ـ حث مؤسسات الانتاج الاعلامي على القيام بانتاج أشرطة فيديو تعرض سيرة الرسول (ﷺ) بطريقة احترافية شيقة.

٧٧ ـ حث المحطات التلفزيونية الأرضية والقنوات الفضائية على انتاج وبث أفلام كرتونية للناشئة تحكي شمائل الرسول (ﷺ) وبعض القصص من السنّة النبوية.

على مستوى المؤسسات الخيرية والدعوية:

٧٨ ـ انشاء لجان أو أقسام تحمل لوء نصرة الرسول (ﷺ).

٧٩ ـ تخصيص أماكن في المعارض والمؤتمرات المحلية والدولية التي تشارك بها المؤسسات لعرض الكتب والأشرطة المرئية والمسموعة التي تبرز خصائص الرسالة المحمدية.

٨٠ ـ تخصيص أماكن دائمة لتوزيع الأشرطة والكتب والمطويات التي تتحدث عن الرسول (ﷺ).

٨١ ـ تخصيص جائزة قيمة بمعايير متفق عليها سلفاً لأفضل من خدم السنة والسيرة النبوية واقامة حفل تكريم سنوي يدعى له كبار الشخصيات.

٨٢ ـ تبني طباعة كتب السيرة النبوية باللغات الأجنبية وتوزيعها على مراكز الاستشراق والمكتبات العامة والجامعية حول العالم.

٨٣ ـ اصدار مجلة أو نشرة دورية تهتم بالسيرة النبوية المطهرة وتعاليم الدين

الاسلامي وتبرز صفات هذه الأمة ومحاسن هذا الدين الذي جاء به نبينا محمد (ﷺ).

٨٤ ـ تخصيص صناديق تبرع لتمويل حملات نصرة الرسول (ﷺ)، والتأليف في السيرة والترجمة وانشاء المواقع على الشبكة العالمية.

على مستوى العاملين في الشبكة العنكبوتية وأصحاب المواقع:

٨٥ ـ تكوين مجموعات تتولى ابراز محاسن هذا الدين ونظرة الاسلام لجميع الأنبياء بنفس الدرجة من المحبة وغيره من الموضوعات ذات العلاقة.

٨٦ ـ انشاء مواقع أو منتديات أو تخصيص نوافذ في المواقع القائمة تهتم بسيرة المصطفى (ﷺ) وتبرز رسالته العالمية.

٨٧ ـ المشاركة في حوارات هادئة مع غير المسلمين ودعوتهم لدراسة شخصية الرسول (ﷺ) والدين الذي جاء به.

٨٨ ـ تضمين أو تذييل الرسائل الالكترونية التي ترسل الى القوائم البريدية الخاصة ببعض الأحاديث والمواعظ النبوية.

٨٩ ـ اعداد نشرة الكترونية ـ من حين الى آخر ـ عن شخصية الرسول (ﷺ) ودعوته وخاصة في المناسبات والأحداث الطارئة.

٩٠ ـ الاعلان في محركات البحث المشهورة عن بعض الكتب أو المحاضرات التي تتحدث عن الرسول (ﷺ).

على مستوى الأغنياء والحكومات الاسلامية:

٩١ ـ دعم النشاطات الدعوية المتعلقة بالسيرة النبوية الشريفة.

٩٢ ـ طباعة الملصقات التي تحمل بعض الأحاديث والمواعظ النبوية.

٩٣ ـ المساهمة في انشاء القنوات الفضائية والاذاعات والمجلات التي تتحدث عن الاسلام ونبي الاسلام (ﷺ) باللغات المختلفة وبالأخص اللغة الانجليزية.

٩٤ ـ استئجار دقائق في القنوات أو الاذاعات الأجنبية لعرض أطروحات عن

ونبي الاسلام (ﷺ).

٩٥ ـ انشاء مراكز متخصصة لبحوث ودراسات السيرة النبوية والترجمة الى اللغات العالمية.

٩٦ ـ انشاء متاحف ومكتبات متخصصة في السيرة والتراث النبوي الشريف.

٩٧ ـ انشاء مواقع على الانترنت متخصصة في السيرة والسنة النبوية الشريفة.

٩٨ ـ طباعة ونشر الكتب والأشرطة والبرامج الاعلامية التي تبرز محاسن الدين الذي جاء به النبي (ﷺ) وأخلاقه وشمائله بعدة لغات وخاصة اللغة الانجليزية.

٩٩ ـ المساهمة في دعم المسابقات الدعوية التي تهتم بالسيرة النبوية ورصد مبالغ تشجيعية لها.

الرقم ١٠٠ نتركة لك لتكمله وتبعث به الينا على عنوان اللجنة.

أخي المسلم أختي المسلمة... ان الواجب علينا جميعاً ـ كلٌّ حسب استطاعته ـ أن ننصر نبينا وإمامنا وحبيبنا محمداً (ﷺ)، ولذلك أعددنا هذه المذكرة حتى لا يبقى لأحد منا عذر، فلنعمل جميعاً على نشرها وتوزيعها، ودعوة الأهل وعموم الناس من خلال المجالس العائلية، والمكالمات الهاتفية، ورسائل الجوال، على نصرة الرسول (ﷺ).

جولة بين الكتب والمجلات

يسر مجلة «آفاق الحضارة الإسلامية» أن تساهم في تعريف العالم الإسلامي بالكتب التي تصدر عن مطابع الجمهورية الإسلامية في إيران وغيرها، باللغة العربية أو الفارسية، بعد تسلّم نسخة منها من مؤلفيها.

كذلك تعرض المجلة استعدادها لنشر المقالات في نقد الكتب أو تلخيصها، بالعربية أو الفارسية، خدمة للقارئ بالعربية في كلّ مكان.

كتب الأمثال في الأدب العربي

لا تخلو ثقافة من الثقافات الانسانية من الامثال، على تنوع هذه الثقافات واختلافها وسواء في ذلك الثقافة الشعبية والثقافة العالمية، ويستوي في ذلك الشعر والنثر أيضا، وان كانت الصياغة النثرية غالبة.

هذه المكانة التي يحتلها المثل في الثقافات الانسانية، بصفة عامة، دالة على قوته الوظيفية والتعبيرية والبلاغية في هذه الثقافات، وعلى حاجة الانسان الى ضرب الأمثال لتحقيق عدة وظائف لا يستغني عنها المجتمع الانساني.

وقد تختلف هذه الوظائف من مجتمع الى آخر، اختلافاً ظاهرياً، لكنها، في العمق، واحدة متماثلة في كل المجتمعات، اقتضتها مقامات تخاطبية اجتماعية، وسياقات تداولية تبليغية، واستدعتها ظروف وضرورات تاريخية ـ ثقافية تختلف من منطقة الى أخرى، ولكنها جميعاً تتضافر على صوغ المثل، وتضمينه التجربة الانسانية الفريدة والخاصة بكل مجموعة اجتماعية، مع أن هذه التجربة تتقاطع وتتلاقى مع تجارب مجموعات اجتماعية أخرى، مما يشكل منظومة واحدة من الأمثال الانسانية، هي بمثابة الذخيرة التي أودعتها الانسانية زبدة خبراتها وتجاربها عبر العصور.

ومن ثم فالمثل ثمرة هذه التجربة الفريدة، ولذلك فهو يعكس ميزات المجموعة التي انتجته أو أبدعته. فالمثل الصيني يعكس خصائص المجتمع الصينيّ وتاريخه وثقافته، كما أن المثل الفرنسي يعكس خصائص المجتمع الفرنسي وتاريخه وثقافته، وهذا لا يمنع أن يكون المثلان الصيني والفرنسي متقاربين أو متداخلين أو متشابهين، وهذا يصدق على أمثال المجتمعات الأخرى.

ولهذه الأمثال الانسانية خصائص مشتركة وقواعد عامة، من المفيد للفكر الانساني استخلاصها ودراستها، كما فعل بعض الدارسين بالنسبة للحكايات الشعبية والخرافات والأساطير. كما من المفيد لكل ثقافة، على حدة، أن يعكف أهلها على دراسة مميزات

الأمثال فيها.

واذا كانت للأمثال الانسانية خصائص عامة، فان لها وظائف عامة أيضاً، تؤديها في اطار كل ثقافة على حدة، وفي رحاب الثقافات الانسانية المتعددة بصفة عامة.

فما هي وظائف المثل في الثقافة عموماً؟

أول ملاحظة تتبادر الى ذهن المتأمل وهو ينظر في أي عينة من الأمثال أن المثل صياغة عالية التجريد، رفيعة التكثيف لمعنى أو درس أو مغزى تعلمه الانسان من الحياة الفردية أو الجماعية.

وبالتالي فوظيفة المثل الأولى تسجيلية أو تقييدية، فهو كتابة المغزى المستفاد من التجربة أو تقييد العبرة المستمدة من الحياة.

وأما الوظيفة الثانية فهي الوظيفة التبليغية، وتستهدف متلقياً معيناً، أو تتوجه الى مخاطب او مخاطبين برسالة يضمنها القائل للمثل العبرة أو المغزى الذي يتوخىٰ تبليغه. وتترتب عن هذه الوظيفة التبليغية وظيفة ثالثة وهي الوظيفة التربوية. وهذه الوظيفة التي يضطلع بها المثل يراد بها بناء الشخصية المعنوية والثقافية للمجموعة الاجتماعية التي انتجت المثل.

وبالتالي فهذه وظيفة تربوية ـ تثقيفية معاً.

ولما كانت الأمثال حصيلة تجارب انسانية قد تستغرق زمناً طويلاً، وتمتد على رقعة واسعة من الأرض، كانت لها وظيفة تاريخية توثيقية.

ولاشك كذلك أن الأمثال تؤدي وظيفة أخرى يمكن تسميتها بالوظيفة الاجتماعية، من خلال الوظائف السابقة. ولعل الوظيفة الاجتماعية أهم الوظائف. لأن المجتمع يتعلم منها ما يساعده على التطور، لكن هذا لا ينفي أن هناك أمثالاً سلبية تكبح تطوره، ولذلك لا يمكن اعتبار وظيفتها الاجتماعية ايجابية. فوظيفة المثل الاجتماعية قد تكون لصالحه، وقد تكون على حساب صحته وتطوره.

وهذه الوظائف التي تؤديها الأمثال في ثقافة المجتمع، يصوغها هذا ـ أو بعض أفراده ـ في صيغ و قوالب لغوية لها أبعاد جمالية. ومن هنا تنبثق الوظيفة الأدبية والجمالية للمثل.

وهي لا تقل قيمة عن باقي الوظائف.

واذا تأملنا هذه المنظومة من الوظائف ألفينا أن هناك حوافز نفعية أحيانا وحكمية أحيانا أخرى، ودوافع اجتماعية قد لا تخلو من مظاهر صراعية تكمن وراء صياغة المثل واطلاقه في الحقول التداولية للثقافة.

واذا كانت الأمثال في الثقافة العالمية أو الأدبية تتسم بنوع من الثبات والاستقرار وتصبح قوالب جاهزة وسائرة في الثقافة فان تطورها مع ذلك ملحوظ من خلال أشكال التناص التي تتفاعل عبرها. وهذا ما نلحظه، على نحو أجلى، في الثقافة الشعبية حيث الأمثال تتطور بسرعة أكبر. وكأن القيمة الجمالية للمثل، في الثقافة العالمة او الأدبية، تتحكم أكثر من غيرها في تثبيته واضفاء صبغة الاستقرار والاستمرار عليه. بينما نجد أن الحاجات الاجتماعية المتغيرة تستبدل أمثالا بأخرى، بوتيرة أسرع. ومجمل القول ان للأمثال وظائف متعددة ومتكاملة، تبرز قيمتها ومكانتها ودورها المركزي في الثقافة، بصفة عامة.

ان التراث الأدبي العربي الاسلامي زاخر بالأمثال البليغة، شعراً ونثراً، وهي في أعلى مراتب البلاغة، وأرفع درجات التعبير الجميل، وتدل المكانة التي يتبوأها المثل في هذا التراث، بوصفه نوعاً من الأنواع الأدبية الجميلة أو فناً من الفنون الراقية، على رسوخ ثقافة المثل في الحياة العربية، في العصر الجاهلي، وفي العصور الاسلامية. وكثير من هذه الأمثال يرجع بأصوله الى البيئة العربية الصحراوية حيث للحياة البدوية انعكاس واضح على متون الأمثال العربية.

واهتم رواة الشعر العربي القديم بحفظ هذه المتون، كما اهتم الكتاب والنقاد والأدباء، بصفة عامة، بحفظها وتدوينها.

ومن أبرز المصنفات في هذا الشأن كتاب «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» لضياء الدين بن بدر الأثير، وكتاب الأمثال لأبي فيد مورج بن عمر السدوسي و «الأمثال» للمفضل الضبي و«مجمع الأمثال» للميداني..

وذخيرة الأمثال العربية الاسلامية معين لا ينضب للثقافة العربية الاسلامية في كل

عصر، فهي كنز لغوي بالنسبة للباحث في الأدب والتاريخ، والفكر، والدراسات الاسلامية والعلوم الانسانية. ولكل هذ الاعتبارات فانها تستحق بحثاً موسوعياً منهجياً، في اطار المشاريع الثقافية المعتنية باحياء التراث.

لقد اعتنى الشعراء والأدباء بتضمين أشعارهم ونصوصهم النثرية طائفة من الأمثال العربية الأصيلة مما أضفى على كتاباتهم طابع الرصانة والقوة وصبغة العمق والحكمة. فجاءت النصوص الشعرية والنثرية العربية في أعلى مستويات التعبير الحكيم الجميل، جامعة بين المعاني العميقة الصحيحة والأسلوب الأدبي الشفاف والمؤثر. وشعر الحكمة العربي غني بنفائس الأمثال البليغة المزدانة بالتصوير الأدبي الجميل.

النقد الأدبي الفرنسي

ميشيل جاريتي ـ ترجمة: د. محمد أحمد طجو

جامعة الملك سعود ـ الرياض ـ ٢٠٠٤م

يهدف الكتاب الى تصويب الآراء المغلوطة لبعض الباحثين الذين عملوا في مجال النقد الأدبي دون أن يقفوا على تطوره والتعمق به.

ألعابنا الشعبية الكويتية

أيوب حسين الأيوب

مركز البحوث والدراسات الكويتية ـ الكويت ٢٠٠٥م

يمثل هذا الكتاب جزءاً من ذاكرة الكويت، فهو يتناول أحد أهم الموروثات الشعبية وهي الألعاب التي كان أطفال الكويت يمارسونها فيما مضى.

همسات امرأة شرقية (رواية)

نهى طبارة حمود

مكتبة المعارف ـ بيروت ـ ٢٠٠٤م

قصة الصراع بين الحنين الى الوطن والعيش في وطن بديل يوفر لمواطنيه حياة كريمة.

التخييل الشعري في الفلسفة الاسلامية

علي آيت أوشان

منشورات اتحاد كتاب المغرب ـ الرباط ـ ٢٠٠٤م

كتاب يعالج التخييل الشعري في الخطاب الفلسفي العربي الاسلامي عند كل من الفارابي وابن سينا وابن رشد.

اليسار المغربي... الثورة والاصلاح

محمد المريني

المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء ـ ٢٠٠٥م

محاولة لمناقشة الأسئلة الأساسية حول موضوع الانتقال الديمقراطي في المغرب.

حقيقة تاريخية أم حقيقة سياسية؟

سيرج ثيون ـ ترجمة: د. محمد عرب صاصيلا

دار طلاس ـ دمشق ـ ٢٠٠٥م

ردود على محرقة غرف الغاز في معسكرات الاعتقال الألمانية ضد اليهود تثبت أنها مجرد أسطورة ولدت من فظائع الحرب.

النخيل والقرميد

يوسف المحيميد

دار السويدي (أبوظبي) ـ المؤسسة العربية (بيروت) ـ ٢٠٠٤م

يوميات لرحلة من الجزيرة العربية عبر الكويت والعراق، وصولاً الى الجغرافيا البريطانية، حيث أقام الكاتب ودوّن وقائع رحلته.

ندوة آثار القدس

مجموعة باحثين

المجلس الأعلى للثقافة ـ القاهرة ـ ٢٠٠٣م

مجلد يضم مجموعة الأبحاث التي قدمت في ندوة حول آثار القدس عبر العصور، عقدت أوائل العام ٢٠٠٢م.

الانترنت في مصر والعالم العربي

د. رشا عبدالله

آفاق للنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ٢٠٠٥م

دراسة تسعى للارتقاء بالمعارف الأساسية عن الانترنت في العالم العربي بشكل عام وأثرها في مستقبلة بشكل خاص.

قمر على سمرقند (رواية)

د. ـ محمد المنسي قنديل

دار الهلال ـ القاهرة ـ ٢٠٠٤م

قفزة للكاتب باتجاه أفق جغرافي ودرامي خارج الحدود، تحت شمس آسيا الوسطى الساطعة، وفوق جليد الشمال المسلم الذي يخبئ الكثير من الالتباسات.

العشاء الأخير ومجهولان في المعادلة

وليد اخلاصي

وزارة الثقافة ـ دمشق ـ ٢٠٠٥م

متعة الكاتب المسرحي، برأي المؤلف، لا تكون إلّا في تحوله الى متفرج يأسره النص، وكأنه يكتشف فيه حال تفوق مخيلته.

سياسات دول الاتحاد الأوربي

د. علي الحاج

مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ـ ٢٠٠٥م

دراسة حول سياسات دول الاتحاد الأوربي في المنطقة العربية بعد الحرب الباردة وبعد التحولات الاقليمية والدولية منذ تسعينيات القرن الماضي.

في مواجهة الأمركة

د. محمد أحمد النابلسي

دار الفكر ـ دمشق ـ ٢٠٠٤م

يبحث الكتاب في الوضع الاقتصادي والسياسي للصين، ويناقش وضع الديمقراطية الأمريكية وكيفية مواجهة ظاهرة الأمركة.

الواسطة في معرفة أحوال مالطة

أحمد فارس الشدياق ـ حررها: قاسم وهب

دار السويدي (أبوظبي) ـ المؤسسة العربية (بيروت) ـ ٢٠٠٤م

خلاصة تجربة لواحد من رواد النهضة العربية. يتحدث فيها عن جزيرة مالطة وشؤون حياتها المختلفة.

قسيمة الاشتراك في مجلة

آفاق الحضارة الاسلامية

لتسجيل اشتراككم في المجلة يرجى إيداع حق الاشتراك في الحساب الجاري رقم ٥٤٠ (خزانه بانک مرکزی) باسم (پژوهشگاه علوم انساني ومطالعات فرهنگي) وارسال سند الايداع الاصلي مع الاستمارة في ادناه، بعد ملئها، إلى عنوان المجلة، علماً بأن كافة شعب (بانک ملی) تتقبل استلام المبلغ المذكور.

قيمة الاشتراك السنوي (لعددين)

في ايران { للأفراد ٨٠٠٠ ريال (مع اجور البريد) / للمؤسسات ١٢٠٠٠ ريال }

في خارج ايران { للدول المجاورة و دول الشرق الاوسط: ١٧ دولاراً / لدول الشرق الاقصى واميركا وبريطانيا وكندا: ٢٥ دولاراً أو ١٨ باونا }

معلومات عن المشترك

اسم المشترك الثلاثي ..... الشهادة العلمية ..... اسم المؤسسة .....

تاريخ بدء الاشتراك ..... العنوان البريدي الكامل (مع الرقم البريدي) ..... رقم الهاتف .....

رقم الفاكس .....

عنوان المجلة

طهران، تقاطع شارع كردستان، مع شارع ٦٤، الرقم البريدي ١٤٣٧٤، العنوان البريدي ١٤١٥٥/٦٤١٩، هاتف ٣-٨٠٤٦٨٩١، ٨٠٣٦٣٢٠ (رقم الداخلي ٢١٩)

«AFAQ AL-HIDARAH AL-ISLAMIYYAH

Subscription Order Form

Surname..... Name..... Education..... Beginning with vol. / Date.....

Address..... Country / State / City / Zip code.....

P.O. Box..... Tel..... Fax..... Telex..... E-mail.....

Prices (Biannual)

Iran { Individuals (postage included): Rls 8000
Institutes: Rls 12000

Outside Iran { Nearby Countries and Middle East: $ 45
Britain, Canada, Australia, U.S.A.: $55

Please return this form with your check to Institute for Humanities and Cultural Studies (IHCS) to P.O. Box 14155-6419, Tehran, Iran, Tel.: (98) (21) 8036320.

Āfāq al-Hidārah al-Islamiyyah

A Biannual Journal on the Horizons of Islamic Humanities

Issue No. 19, Autumn 2006 and Winter 2007

- **Publisher:** Institute for Humanities and Cultural Studies (IHCS)
- **Director:** Prof. Mehdi Golshani
- **Editor-in-Chief:** Dr. Sadiq Ainawand
- **Issue Editor:** M. Kaiss Al-Kaiss
- **Production Manager:** Rahmatollah Rahmatpour

ISSN 1562-6822

Mailing address

Āfāq al-Hidārah al-Islamiyyah
Institute for Humanities and Cultural Studies (IHCS)
P. O. Box: 14155-6419, Tehran 14374, Iran
Tel: 98-21-88046891–3
Fax: 98-21-88036317
1. E-mail afaq@ihcs.ac.ir
2. E-mail Al Kaiss@ihcs.ac.ir

ĀFĀQ AL–HIḌĀRAH AL–ISLAMIYYAH is a biannual journal published by the Institute for Humanities and Cultural Studies. The authors assume responsibility for their views expressed here. Articles and photographs may be reproduced provided that ĀFĀQ AL–HIḌĀRAH AL–ISLAMIYYAH is cited.